

الاجلاد والوفاء

«مناقب الزين العابدين الطائي بن عباد واثبات البعده»

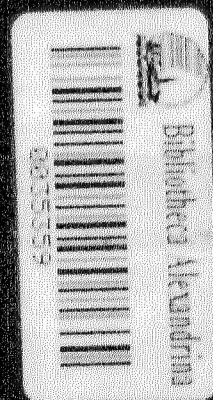
تأليف

أبي عثمان علي بن محمد التوحيدي

مطبوعه وعلق حواشيه

مؤيد بن اديس الطائي

دار السلام
بغداد



اخلاق الوائرين

أَخْلَاقُ الْوُزَيْرِينَ

« مَثَالُ الْوُزَيْرِينَ الصَّالِحِينَ عَبَادُ وَابْنِ الْعَمِيدِ »

تأليف

أبي حيان علي بن محمد التوحيدي

حققه وعلق حواشيه

محمد بن تايوس الطنجي

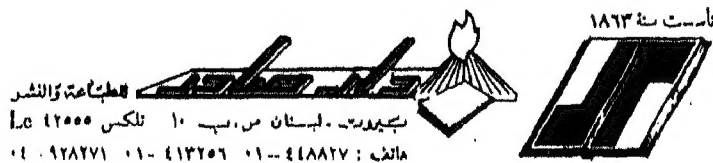
دار صادر
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

١٩٩٢م - ١٤١٢هـ

طبع بإذن من المجمع العلمي العربي بدمشق

رقم ٥٠٤/ص بتاريخ ٨/١٢/١٩٩١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب

أخلاق الصاحب وابن العميد

ترجع صلتى بهذا الكتاب إلى أوائل شهر ديسمبر من سنة ١٩٥٣ م ،
فقد زرت صديقي الكريم السيد عزيز بَرَكَر المديـر العام إذ ذاك للمكتبات
بتركيا ، ورجوته أن يُطِيعني على فهرس مكتبة « أسعد أفندي » باستانبول ،
لأخرج منه رقماً لكتاب كنتُ بحاجة إلى إحضاره من استانبول إلى أنقرة
للاطلاع عليه .

وبقي الفهرسُ بعد ذلك في يدي أتصفّحه ، ولقّني عنوان كتاب في أول
المجموعة رقم ٣٥٤٢ ، كُتب هكذا « الصداقة أو الصديق » وكُتب اسم المؤلف
تحتـه هكذا : « أبو حياـت الأندلس » ، ثم يليه عنوان بهذه الصورة : « في
العلوم » « كذا » إشارة إلى الكتاب أيضاً للمؤلف نفسه .

وعلى الرغم من هذا التصحيف الواضح ، فقد كان ظني قوياً بأنني أمام
نسخة خطية من « الصداقة والصديق » ، ومن « رسالة العلوم » لأبي
حيان التوحيدي .

لقد اختار أبو حيان للتعبير عن مضمون هذه الرسالة كلمة « أخلاق » ؛ والسبب الذي دعاه أن يسلك مسلك الحذر والاحتياط ، ويختار هذا العنوان لرسالته دون غيره ، في مجالسه الخاصة — حيث يُناجي أولئك الذين يطمئن إليهم ويأتمنهم على أحاديثه — لا يزال قائماً ، وبصفة أخطر وأدعى للاحتياط والخوف ، عندما يُذيع كتابه ويعرضه على الجماهير ، وفيهم العدو المتربص ، والחסود الذي لا يرحم .

وكلمة « أخلاق » — بعد — هي التي تتسع للخطبة التي رسم حدودها في مقدمة كتابه هذا ؛ فم يقتصر في أحاديثه عن الوزيرين ، وهذه عبارته : « على ما كان طالباً لمتقها ، وداعياً إلى الزّراية عليهما ، وباعثاً على سوء القول والاعتقاد فيهما »^(١) ، بل أضف إلى هذه الأحاديث — وهذا قوله أيضاً : « ما شاع من فضائل لم يثبثها فيها أحدٌ في زمانها ولا كثيرٌ ممن تقدّمها »^(٢) .

ومن هنا جاء حديثه عن الكرم واللّوم في أخلاقها ، والنقص والزيادة ، والورع والانسلخ ، والرّزانة والسُّخف ، والكَيْس والبله ، والشجاعة والجبن ، والوفاء والقدر ، والسياسة والإهمال ، والاستعفاف والنّطف ، والدهاء والغفلة ، والبيان والعي ، والرّشاد والنّي ، والخطأ والصّواب ، والحلم والسّفه ، والخلاعة والتماسك ، والحياء والفحّة ، والرحمة والقسوة^(٣) .

وسواء وقى أبو حيان بخطته هذه أو لم يفعل ، فإنه يُريد ، في إصرار ،

(١) الأخلاق ١٣ ، وانظر الإمتاع ٥٤/١ .

(٢) الأخلاق ٩ - ١٠ .

أن يظهر بمظهر الوفي لها ، وأن عمّله في هذا الكتاب سار على هذا النهج .
 وأبو حيّان بعد هذا لم يكن من الجرأة ومناعة الجانب — وإن أعجبه ،
 حين يكون بنجوة من الخطر ، أن يتظاهر بمظهر الشجاع الذي لا يقيم لخصمه
 أيّ وزن — بحيث يتحدى الوزيرين وأشياءهما ، فيسمي كتابه « مثالب »
 أو « ثلب » أو « ذم الوزيرين » كما حلا للناس أن يسموه فيما بعد ، بل إنه
 — بعد أن اختار لكتابه هذا العنوان الذي يسمع المجال فيه للثناء بالخير وبالشر
 معاً — بلغ من جزّعه أن أخفاه عن الأعين^(١) ، واحتفظ به في مسودته عنده ،
 واعتذر للوزير ابن سعدان — حين طلبه منه — بأنه لا جسارة له على تحريره ،
 وبأن جانب صاحب مهيب ، ومكره له ديب ، وتمثّل له بقول الأول :
 إلى أن يغيب المرء يرجى ويتقى ولا يعلم الإنسان ما في المغيب^(٢)
 وحين استسلم لوعيد أبي الوفاء البوزجاني ، وقدم له كتابه « الإمتاع » ،
 وفيه ، كما يقول أبو حيّان : « ما يشيط الدم الحقون ، ويُنزَع من أجله الروح
 العزيز ، ويُستصَفّر معه الصّلب ، ولا يُقنع فيه بالعذاب الأدنى دون العذاب
 الأكبر »^(٣) ، كان أيضاً خائفاً يترقب ما لعله أن يلحقه من أذى لو اطلع
 الناس على ما في كتابه .

ولهذا جيد ، ما وسعته الخيلة ، في تبرير أقواله وأحكامه على الوزيرين
 وغيرها في كتابه ؛ فالتوى في نقده ، واحتجّ له بأن أناساً قبله هجّوا وتلبّوا

(١) الأخلاق ٥٥/٥٤/٥٠ .

(٢) الإمتاع ٥٤/١ .

(٣) الإمتاع ١٣/١ .

وربما كان ياقوت الحموي (٥٧٥ — ٦٢٦ هـ)^(١) أول من نظر إلى أبي حيان نظرة متأنية ، اتضحت له معها شخصيته وعلمه وأدبه ، فعجب من إهمال المؤرخين له^(٢) ، مع ماله من المنزلة الرفيعة التي أطلعها عليها تقصيه لأحواله ، وقراءته المنظمة لكتبه .

وكان عناية ياقوت باقتناء الكتب والاطلاع عليها ، على اختلاف مذاهب مؤلفيها ومشاربهم ، واشتغاله بالنسخ ، لغيره مقابل أجر^(٣) ، — قد مكّنه كل ذلك من أن يحصل على مجموعة من مؤلفات أبي حيان^(٤) ، ويستخرج له منها ترجمة واسعة ضمنها كتابه « إرشاد الأريب » .

وحينما نقل ياقوت عن كتابنا هذا ، وقد كرّر النقل عنه ، أورده بأسماء مختلفة ؛ ذكره باسم « أخلاق الوزيرين » في أربعة مواضع من الإرشاد^(٥) ، وباسم كتاب « الوزيرين » في ثمانية مواضع منه^(٦) ، وباسم « مثالب » في

(١) الوفيات ٢/٢٥٤ .

(٢) الإرشاد ٥/٣٨١ .

(٣) الوفيات ٢/٢٧٨ .

(٤) كان بين يديه منها : كتاب الأخلاق وقد نقل عنه أزيد من أربع عشرة مرة في كتابه الإرشاد . وكتاب محاضرات الملأ (الإرشاد ١/١٥ ، ٣١٤/٢ ، ٨٧/٣ ، ٤٦٦/٦) . وكتاب تقرّظ الجاحظ وكان بخط أبي حيان (الإرشاد ١/١٢٤ ، ١٤١ ، ٨٦/٣ ، ٥٨/٦ ، ٩٦) . وكتاب الصداقة والصديق (الإرشاد ٥/٣٨١) . والبصائر والذخائر (الارشاد ١/١٤٨) .

(٥) ٢/٢٧٣ ، ٢٨١ ، ٣٩٢/٥ ، ٤٠٤ .

(٦) ١/٢٨١ ، ٤٤/٢ ، ٩٥ ، ٢٧٣ ، ١٥٧/٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٩٢ .

موضع واحد^(١) ، وباسم « ذم الوزيرين » في موضع واحد أيضاً^(٢) .
وفي هذه المواضع جميعاً ، لم يقل ياقوت ، ولو مرة واحدة : إن أبا حيان
سَمَّى كتابه^(٣) هذا بأحد الأسماء التي ذَكَرَها بها ، ويجب أن لا يبقى هنا مجال
لاحتمال أن يكون الكتاب قد سمي بها جميعاً .

وبناء عليه ، فالتفسير الذي نراه لصنيع ياقوت هذا ، هو أنه استطال
العنوان الذي على ظهر المخطوطة ، والذي قدَرنا أن أبا حيان وضعه علناً
لكتابته ، فتَصَرَّف فيه طلباً للاختصار ، وأخذ اسم الكتاب من الموضوع
الذي يتناوله .

وهو تغييرٌ لا يفرضه على ياقوت ، بل نَسْتَفِيدُهُ من عمله في أسماء كتب
أخرى ؛ فقد استطال أو استثقل اسم : « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » ،
وهو الاسم الذي سَمَّى به كتابه^(٤) ، فأحال عليه في كتابه « معجم البلدان »
باسم « معجم الأديباء »^(٥) مرة ، وباسم « أخبار الأديباء »^(٦) مرة ثانية ، وباسم
« كتاب الأديباء »^(٧) مرة ثالثة . هذا صنيع ياقوت في كتابه .

(١) الإرشاد ٣٨٠/٥ .

(٢) الإرشاد ٣٨٢/٥ .

(٣) وقد أخطأ ابن شاکر (عيون التواريخ سنة ٣٨٠) حيث نسب لياقوت
أنه قال : إن أبا حيان سَمَّى كتابه مثالب الوزيرين .

(٤) الإرشاد ١٣/١ .

(٥) معجم البلدان ٢٨٩/٦ .

(٦) معجم البلدان ٢٨٩/٥ .

(٧) معجم البلدان ١٧٧/٦ .

ولعل هذين المثالين كافيان للدلالة على أن ابن خلكان أفقد كلمة « سى »
هذه دلالتها المعروفة .

* * *

ولم يُخَفِ أبو حيان الأسباب التي دفعت به في غير شفقةٍ إلى تأليف كتاب
الأخلاق هذا ؛ فقد فارق أعزته ببغداد ، وهجر أهله وإخوانه بها ، وقصد صاحب
البري ، آملاً أن ينال ببابه ما كان طمعه يدندن حوله ، ونفسه تحلم به ، وأمله
يطمئن إليه ^(١) ، فخيّب صاحب أمله ، وأساء معاملته ، فتجرد أبو حيان للانتقام .
ولقد أجاد في تصوير المأساة وحدثها بقوله : « ابتليت به وابتلي بي ، رماني
عن قوسه مُغْرِقاً . فأفرغت ما كان عندي على رأسه مَغِيظاً ، وحرمني فازدريته ،
وحقرني فأخزيتني ، وخصّني بالخيبة التي نالت مني ، فخصّصته بالغبية التي أحرقتني ،
والبادي أظلم ، والمتنصف أعذر . . . ولئن لم يرني أهلاً لنائله وبره ، إني لا أراه
أهلاً لقول الحق فيه ، ونث ما كان يشتمل عليه من مخازيه ^(٢) » .

« . . . وتابّع المكروه من جهته ، وتعقّبني بالشر ، ومتى وجد غرةً اهتبلها ،
ولما رأى فرصة اتهمها ، ولم يرض حتى حسر عن الذراع يداً ، فكشف القناع ،
وجرد العداوة ، وأظهر التسلط والتغلب ، قفاضت النفس بعد امتلائها ^(٣) » .

« ولما نالني هذا الحرمان الذي قصّدي به وأحفظني عليه . . . أخذت أتلافى

(١) الأخلاق ٨٥ .

(٢) الأخلاق ٨٦ ، ٨٧ .

(٣) الأخلاق ٥٠ .

ذلك بِصدق القول عنه في سُوء الثناء عليه . والبادي أَظلم^(١) .

ومات الصّاحِب ، وَجُرحَ أَبِي حَيّان الدّامي لم يندَمَل ، وثأثرته لم تهدأ ، فهو لا يزال يقول : « ولئن كان مَنعني مآله الذي لم يبق له ، فما حظّر عليّ عِرْضه الذي بَقِيَ بعده^(٢) » .

فهذا هو السّبب المباشر لهذه الخصومة التي سجّلها أبو حيان في كتابه هذا ، وهو سبب كافٍ على حدّته لإنشائها ولإذكاؤها معاً .

فما دام الصّاحِب ابن عبّاد ، وأبو حيان التّوحيدي ، كل منهما إنسان له من الصفات البشريّة السيّئة منها والحسن ، يُخطئ في سلوكه مع الناس ويصيب ، فإن حِرمان الصّاحِب أبا حيان ، وثورة أبي حيان عليه وثلبه في مقابل ذلك ، جارٍ على الجراي المألوف للحوادث ، وليس فيه شذوذٌ يحتاج إلى التوجيه وإقامة المَعذرة فيه .

والحياة اليومَ وكذلك كانت بالأمس ، تُمدّنا بصورة مستمرة ، بالنماذج التي لا يلحقها العدم ، لطالاب الرزق بمختلف وسائلهم ، ولآلاف أخرى ممن يمتحنهم القدر فيضعهم على أبواب الرزق ، فيمنّحون ويمنعون ، حسبما شاء لهم هوامهم أن يفعلوا ، فيلجّ الممنوح — صادقاً وكاذباً — بالثناء ، وينقلب المحروم ناراً محرقة تأتي على اليابس والأخضر .

ومقارنةٌ سريعةٌ بين بعض صفات الصّاحِب وأبي حيان ، وتقديرُ

(١) الأخلاق ٣١١ .

(٢) الأخلاق ٨٧ .

ثم عاد فنقده ؛ واتخذ من قصة مقتله وسيلة لأن يعيد الكرة على صاحب وينال منه بعد أن كان فرغ منه .

وهكذا شمل الحديث في كتاب « الأخلاق » ثلاثة من الوزراء .

وحين ذكر أبو حيان للوزير ابن سعدان تلك الخلاصة الموجزة عن كتاب « الأخلاق » هذا في « الإمتاع » اختصر الكلام اختصاراً أحلّ بنظمه ، فظن بعض دارسي أبي حيان من المعاصرين أن ثاني الوزيرين هو أبو الفتح لا أبو الفضل .

وهو ظنٌ يَكشِفُ عن خطئه كتاب الأخلاق نفسه .

* * *

ونسخة كتاب « أخلاق الصاحب وابن العميد » وحيدة فيما نعلم ، والاعتماد عليها وحدها عند نشره يُعرض الناشر إلى كثير من الضرر .

ومن هنا أحسست بالحاجة إلى الاستعانة بالمطابق والمراجع التي رأيت أن الاستعانة بها من شأنها أن تعود على هذا النصّ بالتأييد والتقوية ، وأن تشعر القارئ بنوع من الاطمئنان على سلامة النص ، فاستنجدت بما أمكنني أن ألتجأ إليه من كتب مخطوطة ومطبوعة ، وأظنني لم أرجع خائباً فيما رجوته منها .

وعليّ هنا أن أتقدم للمجمع العلمي العربي بـرجاء قبول عذري عن تأخري
زمنًا طويلاً دون إنجاز العمل في هذا الكتاب ، وأن أسجل له شكري الخالص
على تفضّله بطبعه ضمن نشرياته .

وقد بذلتُ جهدي ، وعساني أصبتُ أو قاربت . فإن أخطأت
فله وحده صفة الكمال .

محمد بن تاووت الطنجي

الرباط ٨/٦/١٩٦٥ م

أَحَدًا إِلَّا مَالَهُ طَرِيقٌ إِلَى طَاعَتِكَ وَإِجَابَتِكَ ، وَعِنْدَهُ الْحُجَّةُ الْقَوِيَّةُ فِي تَقْدِيمِ
 أَمْرِكَ ، وَالتَّلَوَّى فِيمَا يَتَحَمَّلُهُ لَكَ وَيَتَوَخَّى فِيهِ مَسَرَّتَكَ ، وَيَقْصِدُ بِهِ جَذَلَكَ
 وَغَبِطَتَكَ ، وَيَصِيرُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ مِنْ أَوْلِيَائِكَ وَشِيعَتِكَ ، وَلَا يَخْرُجُ مَعَهُ
 إِلَى مُحَادَّاتِكَ وَمُخَالَفَتِكَ ، لِأَمْرِ يُعْزِزُ ، وَحَادِثٍ يَعْزِضُ ، وَعَطَنِ يَضِيقُ ،
 ٥ وَبَالٍ يَنْخُزِلُ ^(١) ، وَطِبَاعٍ تَخُورُ ، وَحَاسِدٍ يَطْمَنُ ، وَعَدُوٍّ يَمْتَرِضُ ، وَجَاهِلٍ
 يَتَعَجَّرُ ، وَسِيفِيهِ يَتَهَانَفُ ^(٢) ، وَصَدْرٍ يَخْرُجُ ، وَاسَانٍ يَتَلَجَّلِجُ ؛ بَلْ
 يَتَلَقَّى أَمْرَكَ بِالْقَبُولِ ، وَيَنْشَطُ لَخْدَمَتِكَ بِالتَّامِيلِ ^(٣) وَيَرَى أَنَّ مَا يَنَالُهُ
 مِنْ رِضَاكَ فَوْقَ مَا يَبْذُلُ فِيهِ جُهِدَهُ لَكَ ، وَمَا يُحْرِزُهُ مِنْ ثَوَابِكَ أَضْعَافُ
 مَا يُبْرِزُهُ مِنْ كَذْبِهِ عِنْدَكَ ، وَمَا يَنْجُو ^(٤) بِهِ مِنْ عَذَابِكَ وَاسْتِرَادَتِكَ ^(٥)
 ١٠ يُوفِي عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِسَعْيِهِ فِي مَرَادِكَ ، وَمَا يَعِزُّ بِهِ فِي الثَّانِي مِنْ إِحْمَادِكَ أَرَدُّ
 عَلَيْهِ مِمَّا يَذِلُّ بِهِ فِي الْأَوَّلِ مِنْ اقْتِرَاحِكَ ، وَمَا يَقْوَى بِهِ مِنَ الْيَقِينِ
 وَالطَّمَأْنِينَةِ فِي كَرَامَتِهِ عِنْدَكَ أَكْثَرَ مِمَّا يَضْعُفُ بِهِ مِنَ التَّرْنُّحِ وَالشَّكِّ فِي
 بَوَارِهِ عَلَيْكَ .

(١) يَنْخُزِلُ : يَنْقَطِعُ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَنْخُزِلُ ،

(٢) يَتَهَانَفُ : يَضْحَكُ سَاخِرًا .

(٣) التَّامِيلُ : الرَّجَاءُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ « يَنْجُوا » .

(٥) اسْتِرَادَتِكَ : عَذَابِكَ ، وَالْوَجْدَ عَلَيْكَ .

وهذا بابٌ يرجع إلى معرفة الأحوال إذا وَرَدَتْ مُشْتَبِهَةٌ مُسْتَبَهَةٌ ،
وعواقِبُ الأمور إذا صَدَرَتْ مُسْتَنِيرَةٌ مُتَوَضِّحَةٌ ؛ وثمرة هذه المعرفةِ
السَّلامَةُ في الدنيا والسكرامةُ في الآخرة ، وبهذه المعرفةِ يَصِحُّ الصَّرْفُ
والموازنةُ ، وتمييزُ ما اخْتَلَفَ فيه مما اتَّفَقَ عليه ، وما تَرَجَّحَ بين الاختلاف
والاتِّفَاقِ ، ولم يَقُمْ عِنْدَ الامتحان والنظرِ عَلَى ساق .

ه
وهذه حالٌ لا تُستفادُ إِلَّا بِقَلَةِ الرِّضَا عن النَّفْسِ ، وتركِ الهَوَيْنِ ^(١)
في التَّشاورِ والتَّخايرِ ^(٢) ، ومُجَانِبَةِ الوِكالِ ^(٣) كيف دارَ الأمرُ وأَيْنَ
بَلَغَتْ الغَايَةُ .

وأنت — حَفِظَكَ اللهُ — إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَجَدْتَهَا قَائِمَةً عَلَى
هذه الأركانِ ، جاريةً عَلَى هذه الأصولِ ، ثابتَةً عَلَى هذه العَادَةِ ؛ فكلُّ ١٠
من كان نَصِيْبُهُ مِنَ الكَيْسِ والحِزْمَةِ ^(٤) أَكْثَرَ ، كان قِسْطُهُ مِنَ النِّفَعِ
وَالْعَائِدَةِ أَوفَرَ ، وكلُّ من كان حَظُّهُ مِنَ الْعَقْلِ والتَّأْيِيدِ أَثَرًا ، كانت تِجَارَتُهُ
فِيهَا أَخْصَرَ ، وعَاقِبَتُهُ مِنْهَا أَعْسَرَ .

وهذا البابُ جَماعُ الْمَنافِعِ والمَضارِّ ، وبه يَقَعُ التَّفَاوُتُ بين الاختيارِ
وَالْأَشْرارِ ، وبين السُّفْلَةِ وذَوِي الْأَقْدَارِ ؛ وهو بابٌ يَنْتَظِمُ الصَّدَقَ ١٥

(١) الهوينى : التَّكاسُلُ . وفي الْأَصْلِ : « الهوينى » .

(٢) هَكَذَا بِالْأَصْلِ ، وَكَأَنَّهَا : « التَّخايرُ » .

(٣) الْوِكالُ ، بوزنِ كِتَابٍ وَسَحَابٍ : الْبُظْءُ وَالضَّعْفُ .

(٤) الْحِزْمَةُ : الْحِزْمُ .

الله يَرْزُقُ لَا كَيْسُ وَلَا حَقُّ^(١)

والبرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّجُلِ^(٢)

ولقد أجاد المَخْزُومِيُّ أَبُو سَعْدٍ^(٣) في قوله :

اصطَلَحَ السَّائِلُ وَالْمَسْئُولُ لَيْسَ إِلَى مَسْكَرُمَةٍ سَبِيلُ
غَالٌ بِإِخْوَانِ الْوَفَاءِ غُولُ كُلُّ أَمْرٍ بِشَأْنِهِ مَشْغُولُ
وما أَبْعَدَ الْآخِرُ حِينَ يَقُولُ :

أَرَأَيْتَ النَّاسَ شَتَّى فِي النَّجَارِ وَإِنْ غَدَتْ خِلَائِقُهُمْ فِي اللَّؤْمِ وَاحِدَةٌ النَّجَرِ^(٤)

= و يروى : « يا صدي بن مالك » ، وهو في « ليس في كلام العرب » لابن خالويه ٦٦ ، ورسالة الملائكة لأبي العلاء ٢٤ ، والبحر المحيط لأبي حيان ١٢/٥ .
(١) عجز بيت لأبي العتاهيه من قصيدة في أمالي الزجاجي ٣٧ ، والرواية هناك : « والله يرزق » وصدوره :

« كلُّ أَمْرٍ فَلَهُ رِزْقٌ سَبِيلُهُ »

(٢) عجز بيت لامريء القيس ، وصدوره :

« الله أَنْجَحُ مَا طَلَبْتُ بِهِ »

وهو في ديوان المعاني ٨١/١ ، والعمدة لابن رشيق ٢٥٢/١ برواية « الرجل » .

(٣) أبو سعد المَخْزُومِيُّ مِمَّنْ عَرَفَ بِكُنْيَتِهِ ، واسمه عيسى بن الوليد ؛ وهو شاعر عُبَّاسِيٌّ عاصر دعبلا الخِزَاعِيَّ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي الشَّيْصِ . وترد كنيته في كثير من كتب الأدب : « أبو سعيد » ، وذلك تصحيف ، وله ديوان قدره ابن النديم بمئة وخمسين ورقة .

انظر الفهرست ٢٣٥ ، الأغاني ١٨/٥٠ - ٥٤ ، البيان ٣/٢٥٠ .

(٤) النجار : الحَسَبُ والخَلْقُ ، والنَّجَرُ : الاصل والطبيعة .

وقد زادني عتباً على الدهر أنني عَدِمْتُ الذي يُعَدِّي عَلَى حَدِثِ الدَّهْرِ

وهذا كثير ، والداء فيه مُتَّفَقٌ ، والقَوْلُ عَلَيْهِ مُعَادٌ مُمْلَو .

فإن قلت : هاؤلاء شعراء ، والشُعراء سُفَهَاء ، ليسوا عُلَمَاء ولا حُكَمَاء ،

وإنما يقولون ما يقولون ، والجَشَعُ بادٍ مِنْهُمْ ، والطَمَعُ غَالِبٌ عَلَيْهِمْ ،

وعلى قَدْرِ الرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ يَكُونُ صَوَابُهُمْ وَخَطَأُهُمْ ؛ وَمَنْ أَمَكَّنَ أَنْ ه

يُزَخَّرَ عَنِ الْحَقِّ بِأَدْنَى طَمَعٍ ، وَيُحْمَلَ عَلَى الْبَاطِلِ بِأَيْسَرِ رَغْبَةٍ ، فَلَيْسَ

مِمَّنْ يَكُونُ لِقَوْلِهِ إِتَاءٌ ^(١) ، أَوْ حِكْمَتُهُ مَضَاءٌ ، أَوْ لِقَدْرِهِ رِفْعَةٌ ، أَوْ فِي

خُلُقِهِ طَهَارَةٌ ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْقَائِلُ :

لَا تَصْحَبَنَّ شَاعِرًا فَإِنَّهُ يَهْجُوكَ مَجَانًا وَيُطْرِي بِشَمَنِ

وهذا لأنَّه مع الرِّيحِ ، أَيْنَ مَالَتْ بِهِ مَالٌ ، يَتَطَوَّحُ مَعَ أَقْلٍ عَارِضٍ ، ١٠

وَيُجِيبُ أَوَّلَ نَاعِقٍ ، وَيَشِيمُ ^(٢) أَيَّ بَرْقٍ لَاحٍ ، وَلَا يُبَالِي فِي أَيِّ وَادٍ

طَاحَ ؛ فَقَدْ جَمَعَ دِينَهُ وَمُرُوءَتَهُ فِي قَرْنٍ تَهَاوُنًا بِهِمَا ، وَغَجَزًا عَنْ تَدْيِيرِهَا ؛

فَهُوَ لَا يَسْكَتُ كَيْفَ أَجَابَ سَائِلًا ، وَكَيْفَ أَبْطَلَ مُجِيبًا ، وَكَيْفَ ذَمَّ

كَاذِبًا وَمتَحَامِلًا ، وَكَيْفَ مَدَحَ مُوَارِبًا وَمُخَايَلًا ^(٣) . فَلَا تَفْعَلْ ^(٤) ، فَذَلِكَ

(١) الإِتَاءُ ، بوزن كتاب : الثمرة والقيمة . وفي الأصل : « آتاء » .

(٢) شام البرق : نظر إليه ليعرف أين يتجه وأين يطر .

(٣) في الأصل : « ومُخَايَلًا » .

(٤) هذا جواب قوله : « فإن قلت » .

ذلك يَأْتِي عَلَى كُلِّ مَا تَتَوَقَّعُ إِلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ كَرَمٍ وَلُؤْمٍ، وَزِيَادَةٍ وَتَقْصُصٍ،
وَوَرَعٍ وَانْسِلَاحٍ، وَرَزَانَةٍ وَسُخْفٍ، وَكَيْسٍ وَبَلَهٍ، وَشَجَاعَةٍ وَجُبْنٍ،
وَوَفَاءٍ وَغَدَرٍ، وَسِيَّاسَةٍ وَإِهْمَالٍ، وَاسْتِعْفَافٍ وَنَظْفٍ^(١)، وَدَهَاءٍ
وَعَفْلَةٍ، وَبَيَانٍ وَعَيٍّْ، وَرَشَادٍ وَغَيٍّ، وَخَطِإٍ وَصَوَابٍ، وَحِلْمٍ وَسَفَهَةٍ،
وَخَلَاعَةٍ وَتَمَالُكٍ، وَنَزَاهَةٍ وَدَنْسٍ، وَفُظَاظَةٍ وَرِقَّةٍ، وَحَيَاءٍ وَفِحَّةٍ،
وَرَحْمَةٍ وَتَسْوَةٍ.

وَقُلْتُ : وَلَا يَحْتَلُوا^(٢) مَوْقِعُ ذَلِكَ كَلَّهُ وَلَا يَعْدُبُ وَرْدَهُ، وَلَا يَغْزُرُ
عَدُوَّهُ^(٣)، وَلَا يَنْقَادُ السَّمْعُ لَهُ، وَلَا يَرَّاحُ^(٤) الْقَلْبُ بِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَدَعِ
الْمَحَاشَاةَ^(٥) وَأَنْتَ مُقْتَدِرٌ، وَتَفَارِقُ الْمَخَاشَاةَ^(٦) وَأَنْتَ مُنْتَصِرٌ، وَإِلَّا
بَعْدَ أَنْ تَتْرَكَ الْعَدُوَّ وَالْحَاسِدَ يَنْقَدَانِ^(٧) بَغِيْظَهُمَا انْقِدَادًا، وَيَرْتَدَانِ عَلَى
أَعْقَابِهِمَا ارْتِدَادًا ؛ فَإِنَّ التَّقِيَّةَ فِي هَذَا الْفَنِّ مَجْزَعَةٌ مُضْرَعَةٌ، وَرَكُوبَ
الرَّدْعِ فِيهِ مَأْثَرَةٌ وَمَفْخَرَةٌ.

(١) النطف : التلطح باليب .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا يَحْجُلُ » .

(٣) الْعَدُوُّ : الْمَاءُ الْجَارِي الَّذِي لَهُ مَادَّةٌ لَا تَنْقَطِعُ .

(٤) رَاحَ الْقَلْبُ يَرَّاحُ : بَرَدَ وَطَابَ .

(٥) الْمَخَاشَاةُ : التَّجَنُّبُ .

(٦) الْمَخَاشَاةُ : الْخَوْفُ ، مِفَاعِلَةٌ مِنَ الْخَشْيَةِ .

(٧) يَنْقَدَانِ : يَنْشَقَانِ مِنَ الْغَيْظِ ، وَفِي الْأَصْلِ : « يَنْتَقِدَانِ » .

- وَقَلَّتْ وَالْعَامَةُ تَقُولُهُ : مَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ شَاةً دَقَّ عُنُقَهُ الدَّيْبُ ^(١) ،
وَمَنْ صَيَّرَ نَفْسَهُ نُحَالَةً أَكَلَهُ الدَّجَاجُ ، وَمَنْ نَامَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ دَقَّتْهُ
الْحَوَافِرُ دَقًّا ، وَالْكِبِيرُ فِي اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ ، كَالْتَوَاضُعِ فِي آدَاءِ
الْحَقِّ مِنْ غَيْرِ ذُلٍّ ، وَكَمَا أَنَّ الْمَنَعَ فِي مَوْضِعِ الْإِعْطَاءِ جَرِمَانٌ ، كَذَلِكَ
الْإِعْطَاءُ فِي مَوْضِعِ الْمَنَعِ خِذْلَانٌ ؛ وَكَمَا أَنَّ الْكَلَامَ فِي مَوْضِعِ الصَّمْتِ ٥
فَضْلٌ وَهَذَرٌ ، كَذَلِكَ السَّكُوتُ فِي مَوْضِعِ الْكَلَامِ لَكُنَّةٌ وَحَصَرٌ ، وَكَمَا
أَنَّ الْقُلُوبَ جُبِلَتْ عَلَى حُبٍّ مِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا ، كَذَلِكَ النُّفُوسُ طُبِعَتْ
عَلَى بُغْضٍ مِنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا ؛ وَالْجَبَلُ وَالطَّبْعُ وَإِنْ افْتَرَقَا فِي اللفظِ فَانْهَمَا
يَجْتَمِعَانِ فِي الْمَعْنَى ، وَكَمَا أَنَّ الْحُبَّ نَتِيجَةُ الْإِحْسَانِ ، كَذَلِكَ الْبُغْضُ نَتِيجَةُ
الْإِسَاءَةِ ، وَكَمَا أَنَّ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ لَا يَتَهَنَأُ ^(٢) بِنِعْمَتِهِ الْوَاصِلَةِ إِلَيْهِ إِلَّا بِالشُّكْرِ ١٠
لِوَاهِبِهَا ، كَذَلِكَ الْمُسَاءُ إِلَيْهِ لَا يَجِدُ بَرْدَ غُلَّتِهِ وَلَذَّةَ حَيَاتِهِ إِلَّا بِأَنْ يَشْكُوَ ^(٣)
صَاحِبَ الْإِسَاءَةِ ، وَإِلَّا بِأَنْ يَهْجُوَ ^(٤) الْمَانِعَ ، وَيَذُمُّ الْمَقْصُرَ ، وَيَثْلُبُ الْحَارِمَ
وَيُنَادِي عَلَى الْخَسِيسِ السَّاقِطِ ، وَالنَّذْلِ الْهَابِطِ ، فِي كُلِّ سُوقٍ ، وَفِي
كُلِّ مَجْلِسٍ ، وَعِنْدَ كُلِّ هَزَلٍ وَجَدٍّ ، وَمَعَ كُلِّ شَكْلٍ وَضِدٍّ ؛ مِيزَانُ عَدْلٍ ،
وَوِزْنُ بَقْسَاطٍ ، وَنِصْفَةُ مَقْبُولَةٍ ، وَعَادَةُ جَارِيَةٍ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ . ١٥

(١) مثل من أمثال العامة ، ذكره الآبي في « نثر الدرر » صحيفة ٧٠٦
(نسخة كوبريلي)

(٢) لَا يَتَهَنَأُ : لَا يَسْتَسْمِعُ وَلَا يَلْتَذُّ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « يَشْكُو » . (٤) فِي الْأَصْلِ : « يَهْجُو » .

وَقُلْتَ أَيْضاً: وَمَنْ وَجَعُ قَلْبُهُ وَجَعَكَ، وَالْمُ عَلَّتْهُ الْمُلْكُ؛ وَحُرْمَ
حَرَمَانِكَ، وَخُبَيْبَ خَبَيْتِكَ، وَجُرَّعَ مَا جُرَّعَتْهُ، وَقَصِيدَ بِمَا قَصِيدَتْ
بِهِ، وَغُومِلَ بِمَا شَاعَ لَكَ، قَالَ وَأَطَالَ، وَكَرَّرَ وَسَيَّرَ، وَأَعَادَ وَأَبْدَأَ،
وَعَرَّضَ وَصَرَّحَ ، وَمَرَّضَ وَصَحَّحَ^(١) ، وَقَامَ وَقَعَدَ ، وَقَرَّبَ وَبَدَّدَ ؛
وَإِنَّ عَيْنًا تَرُقْدُ عَلَى الضِّيمِ لِلْعَمَى أَحْسَنُ بِهَا ، وَإِنْ نَفْسًا تَقَرُّ عَلَى الْخَسْفِ
لَلْمَوْتِ أَوْلَى بِهَا مِنْ حَيَاتِهَا .

وَقُلْتَ: أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الْعَاتِبِ عَلَى ابْنِ الْعَمِيدِ فِي رِسَالَتِهِ حِينَ قَالَ
الْحَقُّ لَهُ ؟

قَالَ: ^(٢) وَلِيَعْلَمَ الْمَرْءُ - وَإِنْ عَزَّ سُلْطَانُهُ ، وَعَلَا مَسْكَانُهُ ، وَكَثُرَتْ
خَاشِيَتُهُ وَغَاشِيَتُهُ ، وَمَلَكَ الْأَعْنَةُ ، وَقَادَ الْأَزْمَةَ - أَنَّهُ يُنْعَمُ لَهُ^(٣) فِي
الْحَمْدِ عَلَى الْحَسَنِ ، وَالذَّمِّ عَلَى الْقَبِيحِ ، وَأَنْ الْمَخُوفُ يَرْتَابُ^(٤) مِنْ وَرَائِهِ

(١) مَرَّضَ الْأَمْرَ : وَهَنَهُ ، وَرَأَى مَرِيضَ : فِيهِ انْحِرَافٌ عَنِ الصَّوَابِ ،
وَمَرَّضَ الْحَدِيثَ : ضَعَفَهُ .

(٢) وَرَدَتْ هَذِهِ الْفَقْرَةُ : « . . وَلِيَعْلَمَ الْمَرْءُ . . . مِنْ سَاسِ النَّاسِ » فِي
« الْبَصَائِرِ وَالذِّخَائِرِ » (ج ١ وَرَقَّة ٥٠ أ - ٥٠ ب نَسْخَةُ الْفَاتِحِ رَقْم ٣٦٩٥) ،
وَهِيَ - حَسَبَ قَوْلِ أَبِي حَيَّانَ هُنَاكَ - جُزْءٌ مِنْ رِسَالَةِ طَوِيلَةٍ ، وَقَدْ أُورِدَ
مِنْهَا فَاتِحَتُهَا ، وَبَعْضُ فَقَرٍ مِنْهَا ، وَوَعَدَ بِأَنْ « يُوْرِدَهَا عَلَى مَا هِيَ » .

(٣) يُنْعَمُ لَهُ فِي الْحَمْدِ : يَزَادُ لَهُ فِيهِ .

(٤) يَرْتَابُ مِنْ وَرَائِهِ : يَتَعَرَّضُ لَهُ فِي غَيْبَتِهِ وَيُثْبِتُهُ . وَرَوَايَةُ الْبَصَائِرِ :
« يَغْتَابُ مِنْ وَرَائِهِ » .

كما يَقَرِّعُ المأمون في وجهه ، فأعلاهما حالاً أكثرهما عند التقصير وبَالاً .
وهذا بابٌ يَعْرِفه من النَّاسِ مَنْ ساسَ النَّاسَ ؛ وهذا الكاتبُ يُعْرِفُ
بِالْأَشَلِّ (١) .

وقلتَ أيضاً :

ولستُ أَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَذْكُرَ من حديثهما إِلَّا ما كانَ جَالِباً لِمَقْتَهُمَا ،
وداعياً إلى الزَّرايةِ عليهما ، وباعثاً عَلَى سُوءِ الْقَوْلِ والاعتقادِ فيهما ، ه
بل تُضَيِّفُ إلى ذلكَ ما قَدْ شَاعَ لهما وشُهِرَ عنهما ، من فضائلٍ لم يَشِلِّسْهُمَا
فيها أَحَدٌ في زمانهما ، ولا كَثِيرٌ مِمَّنْ تَقَدَّمَهما ؛ فَإِنَّ الْفَائِدَةَ الْمَطْلُوبَةَ فِي
أمرهما وَشَرْحَ حديثهما ، تَأْدِيبُ النَّفْسِ ، واجْتِلَابُ الْأَنْسِ ، وإِصْلَاحُ
الْخُلُقِ ، وتَخْلِيسُ مَاحُسَنٍ مِمَّا قُبِحَ ، وتَسْلِيْطُ النَّظَرِ الصَّحِيحِ ، مع
الْعَدْلِ الْمَحْمُودِ فِيمَا أَشْكَلَ واشْتَبَهَ بَيْنَ الْحَسَنِ الْمَطْلُوقِ وَالْقَبِيحِ الْمَطْلُوقِ ، ١٠
وقلتَ :

< و > مما يَنْبَغِي أَنْ لَا تُغْفِلَهُ وَلَا تَذْهَبَ عَنْهُ ، وتطالبَ نَفْسَكَ
بِالتَّيَقُّظِ فِيهِ ، والتَّجَمُّعِ لَهُ : بابُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فِي الصِّدْقِ وَالْكَذْبِ ،

(١) يقول عنه أبو حيان في البصائر ١ / ١٥٠ : « وبعض الكتاب يقول :
وما خلق الله شيئاً لا موضع له حتى يسقط البتة . هذا من رسالة لبعض من
انتجع سماء الرئيس أبي الفضل ابن العميد ، وبقي على بابهِ أسير طمع يزلفه
على مداحض الذل ، ومتوقع يأس لا يصح له فينتهي إلى الغير ، فكتب إليه
بعد ملاحم (٥٠ ب) رسالة أولها « الخ .

[٤٧-و]

فإنك إن حرّفت / في هذا بعض التحريف ، أوجزّفت^(١) في ذلك بعض
التجزيّف ، خرج معنالك من أن يكون فخماً نبيلًا ، ولفظك من أن
يكون حلوًا مقبولا ، لأن الأحوال كلّها — في صلاحها وفسادها —
موضوعةٌ دون اللفظ المونق ، والتأليف المعجّب ، والنظم المتلائم ؛ وما
أكثر من ردّ صالح معناه لفساد لفظه ، وقبيل فاسد معناه لصلاح لفظه !
وقلت :

وإنما نبّهتكم على هذا شفقةً عليكم ، وحرصًا على أن لا يكون
لمعت وعائب طريقٌ إليك ، وأنّ — بحمد الله — مستوصٍ لا تُحوج إلى
تنبيه بعنف ، وإن أحوجت إلى إذكر بلطف ؛ وقد كان البيان عزيزًا
في وقت البيان ، والنصح غريبًا في وقت النصح ، والدين مستطرف في
وقت الدين ، إذ الحكمة مُعَاتَقَةٌ بالصدر والنحر ، مُقَبَّلَةٌ بكل شفّةٍ وثغر ،
مخطوبةٌ من جميع الآفاق ، يُقرَع من أجلها كلُّ باب ، ويخرق على
فائتها كلُّ ثاب^(٢) ، والأدب مُتَنَافَسٌ فيه ، محروصٌ على الاستكثار منه^(٣) ،
مع شعبه الكثيرة وطرائقه المختلفة ؛ والدين في عرض ذلك مذبذبٌ
عنه بالقول والعمل ، مرجوعٌ إليه بالرضا وال تسليم ، متقنوع به في

(١) جزّفت : أرسلت القول جزأفا من غير تقديره ووزنه .

(٢) حرق الثاب : صوت عند احتكاكه بباب آخر ، يُفعل ذلك عند

الندم والنيظ .

(٣) في الأصل : « على الإكثار منه » . وما أثبت عن حاشية الأصل .

العضب والحلم؛ فكيف اليوم وقد استحالت الحال عجماء، وملك الغنى والثراء الرؤساء والعلماء، وقل الخائض فيما كسب زيادة أو نفى تقيصة، وأورث عزاً وأعقب فوزاً .

وقلت :

وإيكن ذلك^(١) كله — إذا نشطت له — مقصوراً غير مبسوط ، ٥
أو بين المقصور والمبسوط ، فإنه إن زاد على هذا التحديد طال ، وإذا
طال ملّ ، وإذا ملّ نظر إلى صحّحه بعين السقيم ، وحكم على حقه
بلسان الباطل ، وتخيّل القصد فيه إسرافاً ، والعدل فيه جوراً ، وعند
ذلك يحول عن بهجته ومائه ، وروثه وصفائه .

وجميع ما قلته — حاطك الله — وأتيت به ، وسحبت ذيلك عليه ، ١٠
ورفلت أعطافك فيه ، قد سمعته وفهمته ، وطويته في نفسي وبسطته ، وجمعته
بذهني وفرقته ، ونظمته عندي ونثرته ؛ ولست جاهلاً به ولا ذاهلاً
عنه ، ولكن من لي بعتاد ذلك كله ، وبالتأني له ، وبالقدرة عليه ،
وبالسلامة فيه إن فاتتني الغنمة فيه ؟ مع صدرني الضيق ، وبالي المشغول
ومع زروح الحال^(٢) ، وفقد النصر ، وعدم القوت ، وسوء الجزع ، ١٥
وضعف التوكل ؛ نعم ! ، ومع الأدب المدخول ، واللسان الملتجئ ، والعلم

(١) في الأصل : « ولكن ذلك » .

(٢) زروح الحال : ضعفها .

القليل ، والبيان التّزّر ، والخوف المانع ؛ وإني لأظنّ أن الطائع لك في هذه الخطّة ، والمجيب عن هذه المسألة ، قليل التّقية ، سيء البقية ، ضعيف البديهة والرّؤية ؛ لأنّه يتصدّى لما لا يفي به ، ولا يتّسع له ، ولا يتمكّن منه ؛ فإنّ وفي واتّسع وتمكّن لم يسلم على كثير ممن يقرأ كلامه ، ويتصفّح أمره ، ويقصّ أثره ، ويطلب عثرته ؛ لأنّ الناس في نشر المدح والذّم ، وفي بسط العذر واللّوم ؛ على آراء مختلفة ، ومذاهب متباينة ، وأهواء مشتعلة ^(١) ، وعادات متعاندّة .

على أنّهم ، بعد شدة جدالهم وطول مرائهم ^(٢) ، رجلاّن :
 متعصّب لمن تدمّه وتعييه وتنت ^(٣) القبيح عنه ، فهو يفتقر له
 ١٠ . جميع ما يسمع منك ، صادقاً كنت أو كاذباً ، مُعرّضاً كنت أو مفصّحاً .
 أو متعصّب على من تمدّحه وتزكّيه وتفضّله وتُثني عليه ، فهو يرّد
 عليك كلّ ما تدّعيه ، مُحقّقاً كنت أو مُجزّفاً ، موضحاً كنت أو
 مُزخرفاً ؛ ولذلك قال بعضُ علماء السلف الصالح : هما اسران مَثْواك
 بينهما ، راضٍ عنك فهو يَمْنَحُكَ أكثر مما هو لك ، وساخطٌ عليك
 ١٥ . ينقّصُكَ ^(٤) من حقك ؛ فرمّ مائلُ الباغي بفضلة الراضي يعتدل بك الأمر ؛

(١) مشتعلة : مختلطة متفرقة . (٢) في الأصل : « وطول مراتهم » .

(٣) نث الحديث : أذاعه وأفشاه . (٤) في الأصل : « ينقّصك »

والشاعرُ قد فرغ من هذا المعنى وسيّره في قريضه المشهور المتداول حيث يقول :

وعَيْنُ الرِّضَا عن كل عيب كَلِيلَةٌ ولكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المساوِيَا^(١)

عَلَى أَنَّ هذا الشاعر قد أثبت العيبَ وإن كان قد وصفه بكلول العين عنه ، ودلَّ عَلَى المساوي وإن كان السُّخْطُ مُبْدِيهَا ، وهذا لَأَنَّ الهَوَى مُقِيمٌ لَا يَبُتُّ والرَّأْيُ مجْتَازٌ عَارِضٌ ، وَلَا بُدَّ لِلْهَوَى مِنْ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلَهُ ، وَيَبْلُغَ مَبْلَغَهُ ، وَلَهُ قَرَارٌ لَا يَطْمَأَنَّ / دُونَهُ ، وَحَدٌّ هُوَ أَبَدٌ يَتَعَدَّاهُ وَيَتَجَاوِزُهُ ، وَلَهُ غَوْلٌ تُضِلُّ ، وَتَمْسَاحٌ يَنْتَلِعُ ، وَثَعْبَانٌ - إِذَا نَفَخَ - لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ ، والرَّأْيُ عِنْدَهُ غَرِيبٌ خَامِلٌ ، وَنَاصِحٌ مَجْهُولٌ .

وقال بعضُ الحكماء^(٢) : فَضْلُ مَا بَيْنَ الرَّأْيِ وَالْهَوَى أَنْ الْهَوَى يُخْصِنُ والرَّأْيُ يَنَمُّ ، وَالْهَوَى فِي حَيْزِ الْعَاجِلِ ، والرَّأْيُ فِي حَيْزِ الْآجِلِ ، والرَّأْيُ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ ، وَالْهَوَى سَرِيعُ الْبُيُودِ^(٣) كَالزَّهْرِ ، والرَّأْيُ

(١) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (الاعاني ١١/ ٦٣ - ٧٤ ، البيان ١/ ٣١٢) ؛ وهو مع أبيات في عيون الأخبار ٣/ ٧٥ - ٧٦ ، ٣/ ١١ ، كامل المبرد ١/ ١٨٣ ، زهر الآداب ١/ ١٢٥ ، والرواية فيها : « فَمَيْنَ الرِّضَا » .

(٢) في زهر الآداب ٣/ ٢٤٣ : « وَقَالَ بَعْضُ الْفَلَّاسِفَةِ الْيُونَانِيِّينَ » ثم ذكر الخبر برواية تختلف ألفاظها عما هنا قليلاً .

(٣) البيود : الهلاك .

من وراء حجاب ، والهوى مُفْتَحُ الأبوابِ ممدد الأطناب ؛ ولذلك قال
أيضاً بعضُ العرب ، ويقال هو عامر بن الظرب^(١) : الرأيُ نائمٌ والهوى
يقظان ، فأرقدوا الهوى بفظاطة ، وأيقظوا الرأي بلطافة .
وقال الشاعر :

٥ كم من أسير في يدَي شَهَوَاتِهِ ظفِر الهوى منهُ بحَزَم ضائع
وقال أعرابي : لم أَر كالعقل صديقاً معقوقاً ، ولا كالهوى عدوًّا
معشوقاً ؛ ومن وفقه الله للخير جعل هَواه مَقْموعاً ، ورأيه مَرْفُوعاً .
وإذا كان الهوى — أبقاك الله — على ما وصفنا ، وعلى وراء
ما وصفنا مما لا يُحيط به وإن أطلنا ، فمتى يَخْلُو المادحُ — إذا مدح —
١٠ من بعض الإفراط تقرباً إلى مأموله ، وخِلابة^(٢) لعقله ، واستدراجاً
لكرمه ، وبعثاً على تنويله وتحويله ؛ وهذه حال مصحوبة في المدح
إذا كان أيضاً غائباً أو ميتاً ؟ أو متى يَسَلِّم الدائم — إذا ذم — من بعض

(١) هو أحد المعمرين من حكام العرب في الجاهلية . وترجمته في كتاب
«المعمرين» لأبي حاتم ، كنيات الجرجاني (الورقة ١٠٤) من نسخة ولي الدين رقم
٢٦٢٨ ، والخبر في كتاب «المعمرين» ، «البيان» ١ / ٢٦٤ ، الهوامل ٢٦٤ ، عيون
الاخبار ١ / ٣٧ ، زهر الآداب ٣ / ٢٤٣ .
(٢) الخِلابة : إمالة القلب بلطيف من القول .

الإسراف تمنّياً لصاحبه وحملّاً عليه بالإنحاء الشديد ، والقول الشنيع ،
والنداء الفاضح ، والحديث المخزّي ، وجرياً مع شفاء الفيض وبرد
الغليل ؟ لأن جرعة الحرمان أمرٌ من جرعة الشكل ، وضياح التأميل
أمضٌ من الموت ، وخدمة من لم يحمله الله لها أهلاً أشد من الفقر ،
وإنما يُخدم من انتصب خليفة لله بين عباده بالكرم والرحمة ، والتجاوز ٥
والصفح ، والجود والنائل ، وصلة العيش وبذل مادة الحياة وما يُصاب
به روح الكفاية ؛ وحرمان المؤمن من الرئيس ككفران النعمة من
التابع^(١) ورعى الحَرْب في هذا الموضع راکدة^(٢) ، والقراع عليه
قائم ، والخطابة في دفعه وإثباته واسعة ، والتمويه مع ذلك مُعترض ،
والاعتذار مردود ، والتأويل كثير ، والتنزيل^(٣) قليل . ١٠
ولقد رأيتُ الجرجرائي^(٤) — وكان في عداد الوزراء وجلة الرؤساء ،

(١) في البصائر والذخائر ١ / ٥٠ ، من رسالة الاشل التي أشرت إليها
قبل : « وحرمان المجتهد من الرئيس ككفران النعمة من التابع »

(٢) راکدة : ثابتة ودائرة ، من الاضداد . والمراد هنا : دائرة .

(٣) التنزيل : وضع الشيء في منزلته ومكانه .

(٤) الجرجرائي : محمد بن أحمد البغدادی الكاتب ، مات سنة ٣٦٣ هـ ،
وترجمته وأحداثه مع الوزير ابن بقیة - في تجارب الامم ٢ / ٣١٠ - ٣٢٣ ؛
وفي المقابسات لابی حیان ٨١ حديث لابی سليمان المنطقي مع الجرجرائي حول
« الوزارة » ، ثم حديث عنه بعد مقتله من أجلها . وانظر الامتاع ٣ / ٣١٧ .

وإنما قتله ابن بَقِيَّة^(١) لأنه نَعِمَ له بالوزارة — يقول للحاتمي أبي علي^(٢) ،
وهو من أَذْهِيَاءِ النَّاسِ :
إنما تُحَرِّمُ لأنك تَشْتُمُ .
فقال الحاتمي : وإنما أَشْتُمُ لأنني أُحَرِّمُ .
فأعاد الجرجرائي قوله .
فأعاد الحاتمي جوابه .

(١) ابن بَقِيَّة : أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن بَقِيَّة بن علي الملقب
نصير الدولة . وزر لمز الدولة بِخْتِيار في سنة ٣٦٢ هـ ، وبقي في الوزارة أربع
سنين ؛ وكان قبل الوزارة يتولى أمر المطبخ لمز الدولة ، فلما ولي الوزارة
قال الناس : « من الغضارة إلى الوزارة ، يشيرون إلى وضاعة أصله ، ولكن
كرمه غطى » على عيبه . وفي سنة ٣٦٧ قتل عضد الدولة وصلبه ، وبقي مصلوبا
إلى أيام صمصام الدولة حيث أنزل ودفن . ترجمته في عيون التواريخ لابن
شاکر سنة ٣٦٢ ، ٣٦٧ (ج ١١ ورقة ١٤٦ ب — ١٤٨ م ، نسخة أحمد الثالث)
عقد الجمان للميني سنة ٣٦٢ ، ٣٦٧ (الورقة ٧٠ ب — ٧٥ ب نسخة بشير آغا) ،
تاريخ أبي الفداء ١١٩ / ٢ ، ١٢٥ . وانظر بعض أخباره في الامتاع ١ / ٤٢
٤٣ ، وفي بتيمة الدهر ٢ / ٣٤٤ (طبع مصر) قصيدة لابن الأنباري في رثائه
تعتبر من عيون الشعر العربي .

(٢) أبو علي الحاتمي : محمد بن الحسن بن المظفر البنداذي المتوفي سنة
٣٨٨ هـ . لغوى كاتب ناقد شهير ، وله مؤلفات . وقد وصفه أبو حيان (الامتاع
٣ / ١٢٦ — ١٢٧) بشق الروح والفور والخيلاء . ترجمته في تاريخ الاسلام للذهبي
١٢ / ١٩٨ م (نسخة آيا صوفيا رقم ٣٠٠٨) ، عيون التواريخ سنة ٣٨٨ .

فقال تم ماذا ؟

فقال الحاتمي : دَع الدَّسْت^(١) قائمةً ، وإِن شئتَ عَمِلناها على الواضحة .

قال : قُل !

قال الحاتمي : يقطع هذا أَن لا يَسْمَعُوا مَدَائِحَهُمْ ، ولا يَكْتَرُوا^(٢) بمراتبهم ؛ وَأَن يَعْتَرَفُوا لَنَا بِمِزِيَةِ الْأَدَبِ وَفَضْلِ الْعِلْمِ وَشَرَفِ الْحِكْمَةِ ، هـ
كما خَذِينَا^(٣) لهم بِعِظَةِ الْوِلَايَةِ ، وَفَضْلِ الْعَمَلِ ، وَبَسْطِ الْيَدِ ، وَعَرْضِ الْجَاهِ ، وَالِاسْتِبْدَادِ بِالْتَّعَمُّ وَالطَّاقِ وَالرَّوَّاقِ ، وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَالْحِجَابِ وَالْبُؤَابِ ؛ وَأَن يَكْتُبُوا عَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ وَقُصُورِهِمْ :
يَا بَنِي الرَّجَاءِ ! ابْعِدُوا عَنَّا ، وَيَا أَصْحَابَ الْأَمَلِ ! اقْطَعُوا أَطْمَاعَكُمْ عَنِ
خَيْرِنَا وَمَيْرِنَا^(٤) ، وَأَنْجِرْنَا وَأَصْفِرْنَا ، وَوَقِّرُوا عَلَيْنَا أَمْوَالَنَا ، فَلَسْنَا ١٠

(١) الدست ، يُسْتَعْمَلُ ويراد به الديوان ، ومكان الوزارة ، كما يُسْتَعْمَلُ بمعنى الرئاسة والوزارة نفسها استعارة من المعنى السابق . انظر تاج العروس (دست) شفاء الغليل للخفاجي ٩٧ . والمعنى : إما أَن تدع هذه المسألة تسير على هذا النحو ، وإما أَن تتكلم في إيضاحها بصورة صريحة واضحة .

(٢) لا يكثرثوا ، هكذا في الصلب ، وفي الحاشية : « لا يكثرثوا » .

(٣) خذينا : خضمننا وانقذنا .

(٤) مَيْرِنَا : طعامنا ، ومن أقوالهم : « ما عنده خير ولا مِير » ، أي عاجل ولا آجل .

نَرْتَاخُ لَنَشْرُكُم^(١) فِي رِسَالَةٍ تُحَبِّرُونَهَا ، وَلَا لَنَنْظِمَكُم فِي قَصِيدَةٍ تَتَخَيَّرُونَهَا ،
وَلَا لَنَعْتَدُ بِعِلَازِمَتِكُمْ لِمَجَالِسِنَا ، وَتَرُدُّدِكُمْ إِلَى أَبْوَابِنَا ، وَصَبْرِكُمْ عَلَى ذُلِّ
حِجَابِنَا ، وَلَا نَهْشُ لِمَدْحِكُمْ وَقَرِيضِكُمْ ، وَلَا لِنَشَائِكُمْ وَتَقْرِيطِكُمْ ؛ وَمِنْ
فَعَلٍ مَا زَجَرَاهُ عَنْهُ ثُمَّ نَدِمَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ، وَلَا يَقْلَعَنَّ إِلَّا ضَرْسَهُ ،
وَلَا يَخْمَشَنَّ إِلَّا وَجْهَهُ ، وَلَا يَشُقَّنَّ إِلَّا ثَوْبَهُ ، وَإِنَّ مَنْ طَمِعَ فِي مَوَائِدِنَا ٥
يَجِبُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى أَوَابِدِنَا ، وَمَنْ رَغِبَ فِي فَوَائِدِنَا نَشِبَ فِي مَسَايِدِنَا .
فَإِذَا اسْتَعْدَمُونَا فِي مَجَالِسِهِمْ بَوَصَفِ تَحَاسُنِهِمْ ، وَسَتْرِ مَسَاوِيهِمْ ،
وَالِاحْتِجَاجِ عَنْهُمْ ، وَالْكَذِبِ لَهُمْ ؛ وَأَنْ نَكُونَ أَلْسِنَةً نَفَاحَةً عَنْهُمْ
فَلْيُثْبِتُوا عَلَى الْعَمَلِ ، فَإِنَّ فِي تَوْفِيَةِ الْعُمَالِ أَجُورَهُمْ قِوَامَ الدُّنْيَا ، وَحَيَاةَ
الْأَحْيَاءِ وَالْمَوْتِ ؛ فَإِنْ قَصَرْنَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي إِعَادَةِ الشُّكْرِ وَإِبْدَائِهِ ، ١٠
وَتَنْمِيقِ الثَّنَاءِ وَإِفْشَائِهِ ، فَإِنَّهُمْ مِنْ مَنَعْنَا فِي حِلٍّ ، وَمِنْ الْإِسَاءَةِ إِلَيْنَا
فِي سَعَةٍ .

فَرَأَيْتُ الْجَرْجَرَاتِي — حِينَ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ النَّقِي ، وَهَذِهِ
الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ — وَجَمَّ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : لَعَمْرِي إِذَا جِئْنَا إِلَى الْحَقِّ ،
/ وَنَظَرْنَا فِيهِ بَعِينَ لَا قَدَى فِيهَا ، وَنَفْسٍ لَا لُؤْمَ فِيهَا ، فَإِنَّ الْعَطَاءَ أَوْلَى ١٥
مِنَ الْمَنْعِ ، وَالتَّنْوِيلَ أَوْلَى مِنَ الْحِرْمَانِ ، وَالْخَطَأَ فِي الْجُودِ أَسْلَمُ مِنَ

(١) لَنَشْرُكُم : استصواب ، وفي الأصل : « لَبَشْرُكُم » .

الصَّوَابَ فِي الْبُخْلِ ، لِأَنَّ الصَّوَابَ فِي الْبُخْلِ خَفِيٌّ جِدًّا ، وَقَلٌّ مِنْ
يَعْرِفُهُ ، وَالْخَطَأُ فِي الْجُودِ حُلُوٌّ جِدًّا ، وَقَلٌّ مِنْ يَكْرَهُهُ .

وَأَنَا أَقُولُ : قَدْ صَدَقَ هَذَا الرَّجُلُ الْجَلِيلُ فِي هَذَا الْحَرْفِ صِدْقًا
لَا تَمَارِي فِيهِ .

وَلَقَدْ ^(١) جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ مَسْكَوِيَّةٌ ^(٢) شَيْءٌ هَذَا مَوْضِعُهُ . هـ
قَالَ مَرَّةً : أَمَّا تَرَى إِلَى خَطَأِ صَاحِبِنَا — وَهُوَ يَعْنِي ابْنَ الْعَمِيدِ —
فِي إِعْطَائِهِ فَلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ ضَرْبَةً وَاحِدَةً ؟ لَقَدْ أَضَاعَ هَذَا الْمَالِ
الْخَطِيرَ فِيمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ .

فَقُلْتُ لَهُ — بَعْدَ مَا أَطَالَ الْحَدِيثَ وَتَقَطَّعَ بِالْأَسْفَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ !
أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ وَاصْدُقْ ، فَإِنَّهُ لَا مَدَبَ لِلْكَذِبِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، ١٠
وَلَا هُبُوبَ لِرِيحِ التَّمْوِيهِ عَلَيْنَا ؛ لَوْ غَلِطَ صَاحِبُكَ فَيْكَ هَذَا الْعَطَاءُ

(١) نَقَلَهُ يَاقُوتٌ فِي الْإِرْشَادِ ٥ / ٤٠٦ عَنْ أَبِي حَيَّانَ فِي « كِتَابِ الْوُزَيْرِينَ »
وَهُوَ فِي مَخْطُوطَةِ « الْإِرْشَادِ » نَسَخَهُ كُورِيلِي فِي الْوَرَقَةِ ١٧٠ ط .

(٢) مَسْكَوِيَّةٌ : أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْمَلَقَبِ مَسْكَوِيَّةَ أَبُو عَلِيٍّ الْمُتَوَفَّى
سَنَةَ ٤٢١ هـ ، صَحَبَ أَبَا الْفَضْلِ ابْنَ الْعَمِيدِ سَبْعَ سَنِينَ ، وَكَانَ خَازِنَ كُتُبِهِ ؛ وَلِأَبِي
حَيَّانَ كَلِمَاتٌ فِي وَصْفِهِ دَلَّ بِهَا عَلَى خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ وَحَظَّهُ مِنَ الْعِلْمِ تَجَدُّدًا فِي
الصَّدَاقَةِ ٣٢ (الْجَوَابُ) ، وَالْإِمْتِنَاعُ ١ / ٣٥ - ٣٦ . وَتَرْجَمَتُهُ فِي تِمَّةِ الْيَتِيمَةِ
١ / ١٠٠ ، الْإِرْشَادُ ٢ / ٨٨ - ٩٦ .

وَبِأَضْعَافِهِ وَأَضْعَافٍ أَضْعَافِهِ ، أَكَدْتَ تَخَيُّلَهُ فِي نَفْسِكَ مُخْطِئًا وَمُبْذِرًا
وَمُفْسِدًا وَجَاهِلًا^(١) بِحَقِّ الْمَالِ ؟ أَوْ كُنْتَ تَقُولُ : مَا أَحْسَنَ مَا فَعَلَ !
وَلَيْتَهُ أَرَبِي عَلَيْهِ ؟ فَإِنْ كَانَ مَا تَسْمَعُ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، فَأَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي
يَدِدُ مَالَكَ ، وَرَدَّدَ مَقَالَكَ إِنَّمَا هُوَ الْحَسَدُ أَوْ شَيْءٌ آخَرُ مِنْ جِنْسِهِ ، فَأَنْتَ
تَدَّعِي الْحِكْمَةَ ، وَتَتَكَلَّمُ^(٢) فِي الْأَخْلَاقِ وَتُزَيِّفُ مِنْهَا الزَّائِفَ ، وَتَخْتَارُ
مِنْهَا الْمُخْتَارَ . فَاظْنِ لِأَمْرِكَ ، وَاطَّلِعْ عَلَى سِرِّكَ وَشَرِّكَ .

هَذَا ذَكَرْتُهُ — أَتَقَالُكَ اللَّهُ — لَتَتَبَيَّنَ أَنَّ الْخَطَأَ فِي الْعَطَاءِ مَقْبُولٌ ،
وَالنَّفْسُ تُعْضِي عَلَيْهِ ، وَالصَّوَابَ فِي الْمَنَعِ مَرْدُودٌ ، وَالنَّفْسُ تَقْلَقُ مِنْهُ ؛
وَلِذَلِكَ قَالَ الْمَأْمُونُ^(٣) وَهُوَ سَيِّدُ كَرِيمٍ ، وَمَلِكٌ عَظِيمٌ ، وَسَائِسٌ مَعْرُوفٌ :
« لَأَنْ أُخْطِئَ بِإِذِلٍّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ مَانِعًا ، وَالشَّاعِرُ يَقُولُ^(٤) :
لَا يَذْهَبُ الْمُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٥) »

(١) الارشاد : « أو جاهلا » .

(٢) الارشاد : « وأنت تدعى . . . وتتكلّف في » .

(٣) المأمون : عبد الله بن هارون الرشيد . أعلم الخلفاء العبّاسيين بالكلام
والفقه . تولى الخلافة سنة ١٩٨ هـ ، وتوفي سنة ٢١٨ هـ وقد ذكر له ابن
النديم في الفهرست ١٦٨ مؤلفات .

(٤) هو الخطيئة : جرول بن أوس بن مالك (الأغاني ٢ / ٤٣ - ٦٢) ،
وصدر البيت :

« من يفعل الخير لا يعدم جوازيه » —

وإن كان يَكْفُرُ النعمةَ بعضُ من أُنعمَ عليه بها ، إنه لَيَشْكُرُها
كثيرٌ ممن لم يَتَلَمَّظْ^(١) حلاوتها ، ولم يَطْعَمَ فُتَاتَةً منها ، ولم يُسِغْ جَرَّةً
من غديرها ، ولم يَسْحَبْ ذَيْلاً من أذيالها .
وصَدْرُ هذا الكلام شبيهٌ بشيءٍ لا بأسَ بروايته في هذا الموضع
وإن لم يَكُنْ من قبيل ما طَالَ القولُ فيه ، وتوالى النَّفْسُ به .
قال المأمون لأبي العتاهية^(٢) : إذا قال الله لعبده : لِمَ لَمْ تُطِيعني ، هـ
أيُّ شيءٍ يَكُونُ مِنْ جَوَابِهِ ؟

فقال : يقول : ياربُّ لو وَفَّقْتَنِي لَأَطَعْتُكَ .

قال : فإن الله يَقُولُ : لو أَطَعْتَنِي لَوْفَّقْتُكَ .

— وهو في ديوانه بشرح السكري ٤٥ ، ومع بيتين آخرين في « ديوان الماعاني »
٣٨ / ١ — ٤٠ ، وانظر ديوان الماعاني ١ / ١١٨ أيضاً .
(١) يتلَمَّظُ : يتدقَّقُ .

(٢) أبو العتاهية : إسماعيل بن القاسم أبو إسحاق ، شاعر عباسي مجيد ،
ينزع في شعره إلى الزهد . توفي سنة ٢١٠ هـ .

ترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ١٠٥ - ١٠٧ ، الفهرست ٢٢٧ ، تاريخ
أبي الفداء ٢ / ٣١ ، الشعراء ٧٦٥ — ٧٧٠ .

وكان أبو العتاهية يرد على « القدرية » ، وله مناظرة في مبحث « القضاء
والقدر » مع ثمامة بن الأشرس المعتزلي ذكرها ابن عبد ربه في كتاب
« العقد » ٢ / ٣٨٢ .

قال أبو العتاهية : فإن العبد يقول : لو وفَّقْتَنِي لأطعْتُكَ ، أَيْكونُ ما يحتاج العبد إليه نسيئةً ، وما يُطالبه الله به نقدًا ؟

قال المأمون : فما يَقْطَعُ هذا ؟

قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اضْرِبْ عَنْهُ ، فَإِنَّ الدَّسْتَ قَائِمَةٌ^(١) .
وَأَرْجِعْ فَأَقُولُ :

٥

وما خلا النَّاسُ مِنْذُ قَامَتِ الدُّنْيَا مِنْ تَقْصِيرِ وَاجْتِهَادِ ، وَبَلُوغِ
الغَايَةِ ، وَقُصُورِ عَنِ النَّهَايَةِ ، وَتَشَارُكِ فِي الْمَحَامِدِ وَالْمَذَامِ ، وَالْمَسَاوِي
وَالْمَحَاسِنِ ، وَالْمَنَاقِبِ وَالْمَثَالِبِ ، وَالْفَضَائِلِ وَالرِّذَائِلِ ، وَالْمَكَارِمِ
وَالْمَلَائِمِ ، وَالْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ ، وَالْمَكَارِهِ وَالْمَسَارِّ ؛ وَمِنْ بَعْضِ مَا يَكُونُ
لِلْقَائِلِ فِيهِ مِنْدُوحَةٌ ، وَلِلشَّاعِبِ بِهِ اسْتِرَاحَةٌ ، وَلِلنَّظَرِ فِيهِ مُتَسَّعٌ ،
وَلِلسَّمَاعِ فِيهِ مُسْتَمْتَعٌ^(٢) ؛ وَأَحْسَنُهُمْ حَالًا ، وَأَسَمَدُهُمْ جَدًّا ، وَأَبْلَغُهُمْ
يُمْنًا ، وَأَرْبَحُهُمْ بِضَاعَةً ، مَنْ كَانَتْ حِمَاسُهُ غَامِرَةً لِمَسَاوِيهِ ، وَمَنَاقِبُهُ
ظَاهِرَةً عَلَى مَثَالِبِهِ ، وَمَدَاحُهُ أَكْثَرُ مِنْ هَاجِيهِ ، وَعَازِرُهُ أَنْطَقُ مِنْ
عَازِلِهِ ، وَالْمَحْتَجِّ عَنْهُ أَنْبَهُ مِنَ الْمَحْتَجِّ عَلَيْهِ ، وَالنَّافِعُ^(٣) عَنْهُ أَصْدَقُ

(١) الدست قائمة : المشكلة مستمرة ، والقول فيها متصل أو آخيره بأوائله .

(٢) كرر أبو حيان هذا المعنى في الصداقة ٢٥ (الجواب) .

(٣) نافع عنه : خاصم عنه .

مِنَ النَّافِعِ فِيهِ^(١) ؛ وَلَيْسَ الْعَمَلُ عَلَى عَدَدِ هَذِهِ وَهَذِهِ ، وَلَكِنَّ عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ مَعَ صَاحِبِ الْمَحَاسِنِ مِنَ الْخِصَالِ اللَّئِيمَةِ مَا يَجْبِطُهَا وَيَجْتَاكِهَا ، وَيُخْتَلِعُهَا^(٢) ، وَيَأْتِي عَلَيْهَا وَإِنْ صَغُرُ جِرْمُ تِلْكَ الْخَلَّةِ^(٣) ، وَخَمَلُ اسْمِ تِلْكَ الْخَصْلَةِ ؛ وَأَنْ يَكُونَ مَعَ صَاحِبِ الْمَسَاوِي مِنَ الْخِلَالِ الْكَرِيمَةِ مَا يُغَطِّيْهَا ، وَيُسَبِّلُ السُّتْرَ عَلَيْهَا ، وَيُعِينُ الذَّائِدَ عَنْهَا ، وَيُبَيِّضُ وَجْهَ النَّاصِرِ لَهَا ، وَيَمْدُّ بَاعَ الْمُتَطَاوِلِ إِلَيْهَا ؛ وَكَمَا وَجَدْنَا السَّيِّئَاتِ يَجْبِطُنَ الْحَسَنَاتِ ، كَذَلِكَ قَدْ وَجَدْنَا الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ .

وَالْعُمُودُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَعْوَلُ ، وَالْغَايَةُ الَّتِي إِلَيْهَا الْمَوْئِلُ ، فِي خِصَالِ ثَلَاثِ هُنَّ دَعَائِمُ الْعَالَمِ ، وَأَرْكَانُ الْحَيَاةِ ، وَأُمَمَاتُ الْفَضَائِلِ ، وَأُصُولُ مَصَالِحِ الْخُلُقِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ ؛ وَهُنَّ : الدِّينُ ، وَالْخُلُقُ ، وَالْعِلْمُ ، ١٠ بِهِنَّ يَمْتَدِلُ الْحَالُ ، وَيُنْتَهَى إِلَى الْكَمَالِ ، وَبِهِنَّ تُمْلِكُ الْأَرْمَةُ ، وَيُنَالُ أَعَزُّ مَا تَسْمُو إِلَيْهِ الْهِمَّةُ ؛ وَبِهِنَّ تُؤَمِّنُ الْعَوَائِلُ ، وَتُحَمِّدُ الْعَوَاقِبُ ؛ لِأَنَّ الدِّينَ جَمَاعُ الْمَرَّاشِدِ وَالْمَصَالِحِ ، وَالْخُلُقَ نِظَامُ الْخَيْرَاتِ وَالْمَنَافِعِ ، وَالْعِلْمَ رِبَاطُ الْجَمْعِ ؛ وَلِأَنَّ الدِّينَ بِالْعِلْمِ يَصِيحُّ ، وَالْخُلُقَ بِالْعِلْمِ يَطْهَرُ ،

(١) النفخ : الضرب والرمي ، وأشدُّ العذاب ؛ يعني أن يكون المدافع عنه أصدق من الطاعن فيه .

(٢) اختلع الشيء : انتزعه .

(٣) الخللة ، بالفتح : الخلصة .

وَالْعِلْمَ بِالْعَمَلِ يَكْمُلُ ؛ فَمَنْ سَلِمَ دِينُهُ مِنَ الشَّكِّ وَاللَّحَاءِ ^(١) ، وَسُوءِ
الظَّنِّ وَالْمِرَاءِ ، وَثَبَّتَ عَلَى قَاعِدَةِ التَّصَدِيقِ بِمَوَادِّ الْيَقِينِ الَّذِي / أَقَرَّ بِهِ الْبُرْهَانُ ،
وَطَهَّرَ خُلُقَهُ مِنْ دَنَسِ الْمَلَالِ ^(٢) ، وَلَجَّاجِ الطَّمَعِ ، وَهُجْنَةِ الْبُخْلِ ، وَكَانَ
لَهُ مِنَ الْبِشْرِ نَصِيبٌ ، وَمِنَ الطَّلَاقَةِ حَظٌّ ، وَمِنَ الْمُسَاهَلَةِ مَوْضِعٌ ؛
وَحَظِي الْعِلْمَ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ الْمَيِّتِ ، وَحَيِّ الْحَيِّ ، وَكَمَالَ الْإِنْسَانِ ٥
فَقَدْ بَرَّزَ بِكُلِّ فَضْلٍ ، وَبَانَ بِكُلِّ شَرَفٍ ، وَخَلَا عَنْ كُلِّ غَبَاوَةٍ ، وَبَرَّى
مِنْ كُلِّ مَعَابَةٍ ، وَبَلَغَ النَّجْدَ ^(٣) الْأَشْرَفَ ، وَصَارَ إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى .
وَلَمْ أَذْكُرْ لَكَ الْعَقْلَ فِي هَذَا التَّفْصِيلِ ، وَهُوَ أَوْهَنٌ ، وَبِهِ يَتَمَّ
آخِرُهُنَّ ، وَعَلَيْهِ تَجَرَّى جَمِيعُ مَا افْتَقَتْ الْقَوْلُ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ مَوْهِبَةُ اللَّهِ
١٠ الْمُعْظَمَى ، وَمِنْحَتُهُ الْكُبْرَى ، وَبَابُ السَّعَادَةِ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ،
وَكَانَ مَا عَدَاهُ فَرْعًا عَلَيْهِ ، وَمُضْمُومًا إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ مَتَى عَدِمَهُ الْإِنْسَانُ
الْحَيُّ النَّاطِقُ فَقَدْ سَقَطَ عَنْهُ التَّكْلِيفُ ، وَبَطَلَ عَلَيْهِ الْاِخْتِيَارُ ، وَصَارَ
كَبَعْضِ الْبَهَائِمِ الْعَامِلَةِ ، وَكَبَعْضِ الشَّيْخُوصِ الْمَائِلَةِ ؛ وَبِهِ يُعْرَفُ الدِّينُ ،
وَيَقُومُ الْخَلْقُ ، وَيُقْتَبَسُ الْعِلْمُ ، وَيُلْتَمَسُ الْعَمَلُ الَّذِي هُوَ الزُّبْدَةُ ؛ وَقَدْ
١٥ يَعْدَمُ الْعَمَلُ وَالْعَقْلُ مَوْجُودٌ ، وَقَدْ يُفْقَدُ الْخَلْقُ وَالِدَيْنِ ثَابِتٌ ؛ فَلَيْسَ

(١) اللحاء بالكسر : المنازعة .

(٢) « دنس الملأل » كذا في الأصل ، ولعلها : « دنس الخلال » .

(٣) النجد : ما ارتفع من الأرض .

الأصل كالفرع ، ولا الأول كالثاني ، ولا العلة كمجلوب العلة ، ولا ما هو قائم^(١) كالجوهر ، كما هو دأثر كالعرض ؛ فلهذا أضربت عن ذكره ، وغنيت عن الاستظهار به ؛ وإذا تمت فائدة الكلام فما زاد عليه لغو ، وإذا استقر فيه المعنى فما ألمّ به فساد .

والناس — هداك الله — من هذه الحِصَال التي مَيَّزُهَا والخلال التي نَصَبْتُ القول فيها ، على أَنْصِبَاء مُخْتَلِفَةٍ ، وَهُمْ فيها عَلَى غَايَاتٍ ٥
مُتَنَازِحَةٍ ، بِالْقِلَّةِ والكثرة ، والضمف والقوة ، والنقصان والزيادة ، ومن أَجْلِهَا يُتَوَخَّون بِالْحَمْدِ عَلَى الإحسان ، وَيُخَدِّمُونَ بالشكر عَلَى الجليل ، وَيُحَيِّوْنَ بالنصائح الخالصة ، وَيُحِبُّون بالقلوب الصافية ؛ وَيُثْنِي عَلَيْهِم بالقرائح النقية ، والطَّوِيَّاتِ المأمونة ، وَيُدَبُّ عَنْهُمْ بالنيات الحسنة والألسنة الفصيحة وَيُعَاوَنُونَ عند الشدائد الحادثة ، ١٠
والنوائب البكرثة ، والأُمُور الهائلة ، والأسباب الغائلة ، بالمال المَدْخُور ، والنصح المنخول^(٢) ، وَيُدْفَع عَنْهُمْ^(٣) بِالْأَيْدِي الباطشة ، والأقدام الثابتة ، والأرواح العزيزة ، والأنفس الكريمة ؛ وكذلك

(١) قائم : ثابت .

(٢) المنخول : الخالص ، من قولهم نخل الوُدَّ والنصيحة : أَخْلَصَتْهَا .

(٣) في الأصل « عنهم » .

يُوكْسُونَ^(١) عَلَى التَّقْصِيرِ بِاللَّائِئَةِ ، وَيُجِبُّونَ عَلَى اللَّؤْمِ بِالْآبِدَةِ؛ وَيُذَمُّونَ عَلَى التَّهَوُّنِ بِكُلِّ فَاقَرَةٍ ، وَيُطَوَّقُونَ كُلَّ خِزْيٍ وَمَعَرَّةٍ ، وَيُوَاجَهُونَ بِكُلِّ شَنْءٍ مُفْضِعَةٍ^(٢) ، وَيُغْتَابُونَ بِكُلِّ فَاحِشَةٍ مُنْكَرَةٍ ، وَيُزَمُّونَ بِكُلِّ سَاقِطَةٍ وَلَا قِطَةٍ ، وَيُحْرَقُونَ بِكُلِّ نَارٍ حَامِيَةٍ ، وَيُقَذَّفُونَ بِكُلِّ مَخْجَلَةٍ مُنْدِيَةٍ . ٥

فهذا جمهور الخبر عن حال المُحْسِنِ^(٣) إِذَا أَحْسَنَ ، وحال المُسِيءِ إِذَا قَصَّرَ ، وَهُمْ وَإِنْ كَانُوا عَلَى هَذَا السِّيَاقِ ثَابِتِينَ ، ولهذا المنهاج سَالِكِينَ ، فَإِنَّهُمْ يَنْزَعُونَ^(٤) إِلَى أَصُولِ حَدِيثَةٍ وَقَدِيمَةٍ ، وَأَغْرَاقِ كَرِيمَةٍ وَلَثِيمَةٍ ، وَالْمَجْدُودُ مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ لَا^(٥) اللَّهُ بِيَا فَوْخِهِ الْخَيْرَ ، وَعَقْدَ بِنَاصِيَّتِهِ الْبَرَكَةَ ، وَجَعَلَ يَدَهُ يَنْبُوعَ الْإِفْضَالِ وَالْجُودِ ، وَعَصَمَ طِبَاعَهُ مِنْ ١٠

(١) وَكَسَتْهُ: وَبُغِضَ. فِي الْأَصْلِ: «يُوكْلُونَ»، وَالْمَعْنَى مَعَهَا صَحِيحٌ أَيْضًا .
(٢) مُفْضِعَةٌ ، هَكَذَا رَوَاةُ الْأَصْلِ بِالضَّادِ ، وَلَهَا مَعْنَى لَيْسَ بِمَعْدٍ أَنْ يَكُونَ أَوْ حَيَانٌ قَدْ عَنَاهُ . وَقَدْ تَكُونُ أَيْضًا : «مُفْطَعَةٌ» بِالظَّاءِ الْمَشَالَةِ . وَفِي شَعْرِ لَطْفِيلِ الْغَنَوَى (فِي رَوَايَةٍ) :

أَنَاسٌ إِذَا مَا أَنْكَرَ الْكَلْبُ أَهْلَهُ سَمَوْا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْءٍ مُفْطَعٍ
وَانْظُرْ أُمَامِي الْقَالِي ١ / ٥٤ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «حَالُ الْمُجْتَهِدِ» .

(٤) يَنْزَعُونَ : يَنْزِعُونَ وَيَرْجِعُونَ .

(٥) لَا : أَدَارَ وَرَبَطَ . وَالْيَا فَوْخُ : الرَّأْسُ .

الْخُسَاسَةُ وَالذَّنَاعَةُ ، وَكَفَّاهُ عَارَ الْبِطَالَةِ وَالْفَسَالَةِ ^(١) وَنَزَّهَهُ عَنِ
الْإِسْفَافِ وَالنَّذَالَةِ .

وهذا كله ثَمَرَةُ الْبَصِيرَةِ الثَّاقِبَةِ ، وَالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ ، وَالضَّمِيرِ الْمَأْمُونِ ،
وَالغَيْبِ السَّلِيمِ ، وَالْعَقْدِ الْمُؤَرَّبِ ^(٢) ، وَالْحَقِّ الْمُؤَثَّرِ وَإِنْ كَانَ مُرَّاً ،
وَالْأَدَبِ الْحَسَنِ وَإِنْ كَانَ شَاقِقاً ، وَالْعَفَافَةِ الَّتِي أَصْلُهَا الطَّهَارَةُ ، وَالطَّهَارَةُ
الَّتِي أَصْلُهَا النَّزَاهَةُ ؛ وَمَنْ عَجَنَ اللَّهُ طِينَتَهُ بِهَذَا الْمَاءِ ، وَرَوَّحَ عَنْهُ بِهَذَا
الْهَوَاءِ ، وَأَطْلَقَ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْجَوِّ ، وَقَلْبَهُ عَلَى هَذَا الْبَسَاطِ ، وَسَقَاهُ
بِهَذَا النَّوِّ ، فَقَدْ آيَّدَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَوَصَّلَهُ بِلَطِيفِ الصَّنْعِ ،
وَأَكْمَلَ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ الْجَلِيلَةَ ، وَأَبَانَهُ بِالشَّرَفِ الْمُحْشُودِ ، وَمَيَّزَهُ بِالْمُزِيَّةِ
الْتَامَّةِ ، وَخَصَّهُ بِخَيْرِ ^(٣) الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَلْبَسَهُ جِلْبَابَ الْأَصْفِيَاءِ ، وَأَتَاهُ
ضَرَائِبُ الصَّالِحِينَ وَأَحْضَرَهُ تَوْفِيقَ الْمَهْدِيِّينَ الْمَرْضِيِّينَ .

وَقَدْ صَحَّ — حَفَظَكَ اللَّهُ — عِنْدِي ، وَوَضَحَ لِي أَنَّ الَّذِي هَاجَكَ عَلَى ١٠
هَذَا الْمَعْنَى حَتَّى حَرَّكَتَنِي لَهُ ، وَطَالَبْتَنِي بِهِ ، وَلَمْ تَرْضَ مِنِّي إِلَّا بِالْمُبَالَغَةِ
وَالِاسْتِقْصَاءِ وَإِلَّا بِمُبَادَاةٍ ^(٤) الْأَعْدَاءِ . وَذَوِي الشُّحْنَاءِ : اجْتَمَعْنَا فِي

(١) الْفَسَالَةُ : الضَّعْفُ وَعَدَمُ الْمَرْوَةِ ، وَفِي الْأَصْلِ « الْعِشَالَةُ » .

(٢) الْمُؤَرَّبُ : الْمُوثِقُ الْحَكَمُ .

(٣) الْخَيْرُ : الطَّبِيعَةُ وَالسَّجِيَّةُ .

(٤) بَادَى بِالْمَدَاوَةِ : جَاهَرَ بِهَا ، وَبَادَى فُلَانًا : كَاشَفَتْهُ .

مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَلَقَيْنَا عَلَى أَبْوَابِ الْحُكَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ أَيَّامَ كُنْتُ
أُفَكِّهَكَ بِالْحَدِيثِ النَّادِرِ ، وَاللَّفْظِ الْحَسَنِ ، فَأُضْحِكُ سِنَّكَ بِمَا مَلَحَ
وَحَرَ^(١) ، وَأَزِيدُكَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ كُلِّهِ خَبْرَةً بِالدَّهْرِ وَأَهْلِهِ ، وَاعْتِبَارًا
بِالزَّمَانِ وَتَصَرُّفِهِ ، وَأَفْتَحُ عَلَيْكَ بَابَ الْمُوَانَسَةِ ، وَأُصِفُ لَكَ أَخْلَاقَ النَّاسِ
وَمَا يَفْتَرِقُونَ بِهِ وَيَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ غَرَائِبِ الْأُمُورِ ، وَطَرَائِفِ الْأَحْوَالِ ٥
أَيَّامَ كَانَ عَوْدُ الشَّبَابِ رَاطِبًا ، وَوَرَقُ الْحَيَاةِ نَضِيرًا ، وَظِلُّ الْعَيْشِ
تَمْدُودًا ، وَنَجْمُ الزَّمَانِ مُتَوَقِّدًا وَمُقْتَرَحَ النَّفْسِ مُوَاتِيَا ، وَرَوْضُ الْمُنَى
خَضِيلًا ، وَدَرُّ النِّعْمَةِ مُتَّصِلًا ، وَدَاعِي الْهَوَى مُشْمِرًا ؛ أَيَّامَ رَأْسُكَ
فَيْنَانُ ، وَأَنْتَ كَالصِّمَّةِ تَحْتَ السَّنَانِ^(٢) ، / شَطَاطُكَ^(٣) مُعْجِبُ ،
وَحَدِيثُكَ مَعْشُوقُ ، وَقُرْبُكَ مُتَمَنَّى ، وَاللَّيْلُ بِكَ قَصِيرُ ، وَالنَّهَارُ عَلَيْكَ
مَقْصُورُ ، وَالْعُيُونُ إِلَيْكَ طَوَامِحُ ، وَالْعَوَازِلُ دُونَكَ نَوَاحِحُ وَذَلِكَ زَمَانُ مَضَى ١٠
فَانْقَضَى ، فِيمَا غَوِيَا وَإِمَا رَشِيدَا ؛ وَكَانَ الْوَقْتُ يَقْتَضِي ذَلِكَ وَيَسَعُّهُ ،
وَالْحَالُ تُوَاتِيهِ وَتُحْمِلُهُ ، وَالْعُذْرُ يَقَعُ لَطَالِبِهِ وَمُلْتَمِسِيهِ ؛ لَكِنِّي إِذَا

(١) حَرَ : صَارَ حُرًّا ، وَالْحُرُّ : خِيَارُ كُلِّ شَيْءٍ .

(٢) الصِّمَّةُ : الْقَنَاءُ تَنْبَتُ مُسْتَوِيَةً فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَثْقِيفٍ ، وَالسَّنَانُ :

نَصْلُ الرَّمَحِ .

(٣) الشَّطَاطُ ، بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ : حَسَنُ الْقَوَامِ وَاعْتَدَالُهُ .

نظرتُ إلى أَمَلِي المتعلق بك ، وطَمَعِي الحائم عليك ، ورجائي المذبذب^(١)
 عليك حَوْلَكَ ؛ وحالي التي جعلك الله كَافِلَهَا ورَاعِيَهَا ، وجامعَهَا ، وناظمَ
 ما انتثر منها ، ومؤلف ما انتشر عنها — رأيتُ البدار إلى بُغيتك أدباً محموداً ،
 وحفظاً مُذكرًا ، والتراخي عن طاعتك حِرمانًا حَاضِرًا ، وعتبًا مؤلماً .
 وهكذا صنيعُ الطَّمَعِ ؛ فقل لي ما أصنع إن رَدَّ اعتذاري من يسره
 عثاري ، ويسوءه استمرارِي^(٢) ؛ وليس إلا الصبر فإنه مفتاحُ كل باب^٥
 مُرتَّب^(٣) وبرمودُ كُلِّ حرّانٍ ملهَج^(٤) ، وما زالَ الطَّمَعُ قديمًا وحديثًا
 وبدءًا وعودًا يُضرَعُ^(٥) الحَدَّ الصَّقِيلُ ، ويرغِمُ الأنفَ الأشمَّ ، ويفرّ
 الوجهَ المَفْدَى ، ويغضُّ العارضَ المَنَدَى ، ويَحْنِي القوامَ المهتزَّ ، ويدنّسُ
 العرضَ الطاهرَ ؛ ولحَا الله الفقرَ فإنه جالب الطَّمَعِ والطَّبَعِ^(٦) ، وكاسبُ الجمعِ
 والضَّرْعِ ، وهو الحائل بينَ المرءِ ودينه ، وسدّدُ دونِ مُروءته وأدبه ،
 وعِزَّةِ نفسه ؛ ولقد صدق الأول^(٧) حيث قال :

(٢) كذا في الأصل . ولعلها : « المذندن » .

(١) استمرارِي : نجاحي .

(٣) مرتب : منلق .

(٤) البرود من الشراب : ما يبرد الثلثة . والملهج : المحروم المنوع من
 الماء ؛ يقال ألهج الفصيل جعل في فيه خللاً فشده ليلاً يصل إلى الرضاع .

(٥) أضرع فلاناً : أذلّه .

(٦) الطبع : الدنّس ، ومن أمثالهم : « رُبَّ طمع يهوى إلى طبع » .

وانظر ديوان المذاني ١ / ١٣٨ .

(٧) هو حميد بن أبي شحاذ الضبي ، أو خالد بن علقمة الدرامي . وانظر اللسان (نجد) .

وقد يَقْصُر الْقُلُّ الْفَتَى دُونَ هُمِّهِ وقد كَانَ لَوْلَا الْقُلُّ طَلَّاعٌ أَنْجِدُ^(١)

وما كَذَبَ الْآخِرَ حَيْثُ يَقُولُ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَقَنَّ الْحَيَاءَ إِذَا رَأَى مَطَامِعَ نَيْلٍ دَنَسَتْهُ الْمَطَامِعُ
إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّ صَدِيقُهُ وَأَهْوَتْ إِلَيْهِ بِالْعُيُوبِ الْأَصَابِعُ^(٢)

وَأَجَادَ الْآخِرَ حِينَ قَالَ :

أَزْرَى بَنَا أَنَّا شَأَلْتُ نَعَامَتُنَا^(٣) وَالْفَقْرُ يُزْرِئُ بِأَحْسَابٍ وَأَلْبَابٍ
وَمَا أَمْلَحَ قَوْلَ الْأَعْرَابِيِّ^(٤) فِي قَافِيَتِهِ :

(١) البيت في اللسان (نجد ، قلل) ، وهو مع آخر في البيان والتبيين
٣ / ٣٤٠ ، وشرح الحماسة للتبريزي ٢ / ٥٢ ، والخزانة ١ / ٥٦٣ . والمعنى :
قد يقصر الفقر الفتى عن سجيته في السخاء فلا يجد ما يسخر به ، ولولا فقره
لستما وارتفع .

(٢) البيت الثاني في محاسن البهقي ١ / ٢١٥ ، ومجموعه المعاني ١٢٨
غير منسوب .

(٣) شألت نعامة القوم : خلت منازلهم منهم ، وارتحلوا عنها ففرقت
كلماتهم وذهب عيزهم .

(٤) هو ذو الخرق الطهوي ، شاعر جاهلي ، واسمه : (كما في الخزانة
١ / ٢٠ ، والمؤتلف ١٠٩ - ١١٠ ، وشرح شواهد المغني لعبد القادر البغدادي
٦٣ / ١) خليفة بن حمل بن عامر بن حميري . والبيت في محاضرات الراغب
١ / ٢٥٤ ، وهو مع أبيات أخرى في شرح شواهد المغني والخزانة للبغدادي
والمؤتلف ، ومع آخرين في اللآلي ٧٤٧ . وانظر اللسان ١١ / ٣٦٤ .

مابالُ أُمِّ حُبَيْشٍ^(١) لا تكلمنا إذا افترقنا^(٢) وقد نُثْري فتُفْقُ
وصدق ، لأنها إذا لحقته عَلَى الفقر رَغِبَتْ عنه ولم تواصله ،
وفركتَه واختارت عليه .

وما أحسنَ ما قال بعدَ هذا في وصف سِيرَتِهِ وحُسنِ عادة أَهْلِهِ ،
فإنه قال :

إِنَّا إِذَا حُطِّمَةٌ حَتَّتْ^(٣) لَنَا وَرَقًا نُمَارِسُ الْعُودَ^(٤) حَتَّى يَنْبُتَ الْوَرَقُ
وصاحب الفقر إن مَدَحَ فَرَّطَ ، وإن ذَمَّ أَسْقَطَ ، وإن عَمِلَ صَالِحًا
أَحْبَطَ ، وإن رَكِبَ شَيْئًا خَلَطَ وَخَبَّطَ ؛ ولم أَرِ شَيْئًا أَكْشَفَ لَغَطَاءِ
الْأَدِيبِ ، ولا أَنْشَفَ لِمَاءِ وَجْهِهِ ، ولا أَذْعَرَ^(٥) لِسَرِّ حَيَاتِهِ مِنْهُ ، وإن
الْحُرَّ الْآنِفِ ، وَالكَرِيمَ الْمُتَعَيِّفَ^(٦) مِنْ مُقَاسَاتِهِ وَالتَّجَلَّدَ عَلَيْهِ ، لَفِي ١٠
شُغْلٍ شَاغِلٍ وَمَوْتٍ مَائِتٍ .

(١) رواية الآلى : « أم سويد » .

(٢) في المؤلف : « إذا افترقنا » ، وفي الآلى : « لما التقينا » .

(٣) الحُطْمَةُ ، بالضم والفتح : السنة الشديدة ، وحتّ الورق عن
الشجر : سقط .

(٤) في شرح شواهد المغنى للبغدادي والخزانة : « نمارس العيش » .

(٥) أذعر : اسم تفضيل من ذعّر بمعنى نفر .

(٦) كذا بالأصل ، والمتعيف : الكاره ، وأخشى أن تكون : « المتعيف » ،
من تعيّف عن الأمر : بمعنى نكل عنه .

وَعَلَى مَا قَدَّمْتُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، وَأَطَلْتُ بِهِ هَذَا الْبَابَ ، فَقَدْ
امْتَشَلْتُ أَمْرَكَ وَسَارَعْتُ إِلَيْهِ ، وَأَرْجُو أَنْ تَهَبَّ لِي فِيهِ رِضَاكَ إِنْ وَقَعَ
مَوْقَعَهُ الَّذِي أَمَلْتُهُ ، وَتَهْدِيَنِي إِلَى عَيْنِ الصَّوَابِ إِنْ زَلَّ عَنْ حَدِّكَ الَّذِي
حَدَّدْتَهُ ، وَمَا غَايَةُ أَمَلِي بِهِ ، وَقُصَارَى هِمَّتِي مِنْهُ ، إِلَّا أَنْ أَكُونَ سَبِيحًا
قَوِيًّا فِيهَا حَازِلَكَ الشُّكْرَ مِنِّي ، وَأَوْفَرَ عَلَيْكَ الْحَمْدَ عَنِّي ، وَأَذَاكَ حَلَاوَةَ
مَدْحِي وَتَمْجِيدِي ، وَالشَّاعِرُ يَقُولُ :

الْعُرْفُ أَصْلٌ يُجْتَنَى مِنْ فِرْعِهِ الشَّعَرُ الْحَمِيدُ

يَبْلَى الْفَتَى فِي قَبْرِهِ وَفَعَالَهُ غَضُّ جَدِيدُ

وَسَأَجْعَلُ قَصْدِي نَحْوَ السَّلَامَةِ إِذَا غَلَبَنِي الْيَأْسُ مِنَ الْغَنِيمَةِ ،
۱۰ وَأُضِيفُ إِلَى مَتْنِ الْحَدِيثِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ ، وَأُجْتَهَدُ مُعْذِرًا^(١) ، وَأَتَقَصَّى
مَعْذُورًا ، وَأَحْكُمُ^(٢) مَتَكْرَّمًا ، وَأَقُولُ مَا أَقُولُ رَأْيِي ؛ وَرَأَوِيَا ؛ عَلَى
أَنِّي لَا أَتَّقِي بِالْخَاطِرِ إِذَا طَاشَ ، وَلَا بِاللِّسَانِ إِذَا هَمَزَ ، وَلَا بِالْقَلَمِ إِذَا
اسْتَرْسَلَ ، وَلَا بِالْهَوَى إِذَا اشْتَمَلَ وَسَوَّلَ ؛ فَإِنَّ الْهَوَى يُعْمِي وَيُصِمُّ ،
وَلَعَلَّ الْغَيْظَ يَجْرَحُ وَيُجْهِزُ .

۱۵ وَهَذِهِ آفَاتُ مَتَدَارِكَةٍ لَسَبِيلَ إِلَى التَّفْصِيْلِ مِنْهَا ، وَالسَّلَامَةُ

(١) أعذر فلان : بلغ العذر ، وثبت له العذر .

(٢) متكرما : متنزها في الحكم عما يشين .

عليها^(١)، وذلك لأن الكلام في حمد من يُحمد، وذم من يُذم، إِب
نُمِّقَ تنميقةً دَخَلَهُ التَزِيدُ، والمتزِيدُ مَقْلِيٌّ، وإن أُرسل على غِرارِهِ شَانَهُ
التَقْصِيرُ، والمَقْصَرُ مُعْجَزٌ؛ ولأن يَدْخُلُهُ التَقْصِيرُ فيكون دليلاً على الإِبْقَاءِ،
أَحَبُّ إِلَيَّ من أن يَدْخُلَهُ التَزِيدُ فيكون دليلاً على الإِزْبَاءِ؛ عَلَى أَن من
وَصَفَ كَرِيماً أَطْرَبَ، ومن أَطْرَبَ طَرِبَ، والطَّرَبُ خَفَّةٌ وَأَرِيحِيَّةٌ ه
تَسْتَفِزُّانَ الطَّبَاعِ، وتُشَبِّهَانِ الحَصِيفَ بالسَّخِيفِ^(٢)؛ فَأَمَّا مَن حَدَّثَ
عَنْ لَثِيمٍ فَإِنَّ أَساسَ كَلَامِهِ يَكُونُ عَلَى الغَيْظِ، والغَيْظُ نَارُ القَلْبِ،
وخبث اللسان، وتشنيع القلم، فكيف الإنصافُ في وَصْفِ هَؤُلَاءِ
الرَّجُلِينَ عَلَى هَؤُلَاءِ الحَدِيثِ، مَعَ سَرَفِ الهَوَى، ووقدان الغيظ، وعادة
الجور، وداعية الفساد، وصارفة الصلاح؟

وهذه أعراضٌ لا تَحْيِصُ مِنْهَا وَلَا أَمَانٌ / مِنْ اعْتِرائِهَا، وَلَا وَاقِيَّ مِنْ
تَعَاوُرِهَا، وَبَعْضُ هَذَا يَهْتِكُ سِتْرَ الحِلْمِ وَإِنْ كَانَ كَشِيفاً، وَيَفْتُقُّ جَيْبَ
التَّجَمُّلِ وَإِنْ كَانَ مَكْفُوفاً^(٣)، وَيُخْرِجُ إِلَى الجَهْلِ وَإِنْ كَانَ
يُقَبِّحُهُ مُتَقَدِّماً.

(١) والسلامة عليها: أي السلامة منها. وانظر الحاشية رقم ٤ في صحيفة ٤.

(٢) الحصيف: المحكم الرأي، والسخيف: والناقص العقل.

(٣) كف الثوب: خاط حاشيته، والكف: الخياطة الثانية بعد الشل،

والكلام على التجوز.

وكنْتُ هممت ببعض هذا منذُ زمان ، فكَبَّحَ عِنَانِي عن ذلك بعضُ
أشياخنا وقصّر إرادتي دونه ، وزعم أن الاختيار الحسن ، والأدب
المرضيّ ينهيان عنه ، ولا يُجوزان الخوض فيه ؛ لأنَّ النغيبة والقذع
والمضيبة ^(١) والتقبيح والسب المؤلم والكلام القاسر ^(٢) ، والمكاشفة
بالملامة ^(٣) والشتيمة بلا مراقبة ليست من أخلاق أهل الحكمة ، ولا من
دأب ذوي الأخلاق الكريمة ، وقد قال بعض الحكماء : لا تكوننَّ
الأرضُ أكرمَ منا للسر ؛ ومن اعتاد الوقعة في الأعراض ، ومُباداة
الناس بالسفّه ^(٤) ، وتلبّهم بكل ماجاش في الصدر ، وتذرّع به اللسان ،
فليس ممن يُذكر بخير ، أو يُرجى له فلاح ، أو يؤمن معه عيب ؛
قال : وهل الحِلْم إلا في كظم الغيظ ، وفي تجرّع المضض ، وفي الصبر
على المرارة ، وفي الإغضاء عن الهفوات ؛ ومن لك بالمهذب النذب ^(٥)
الذي لا يجد العيبُ إليه مُحْتَطى ^(٦) ، والأول ^(٧) يقول :

(١) المضيبة : الإفك والبهتان .

(٢) القاسر : الجرح ، والقاشرة : أول الشجاج التي تقشر الجلد .

(٣) في الأصل : « باللامة » .

(٤) مباداة الناس بالسفّه : مجاهرتهم به .

(٥) النذب : الخفيف الظريف السريع إلى الفضائل .

(٦) مُحْتَطى : سبيلا يَحْتَطى إليه منه .

(٧) هو النابغة الذبياني ، وترجمته مع الإشارة إلى مراجعها في كتاب
« المكاررة عند المذاكرة » للطيلسي صحيفة ٣١ .

ولست بمستبقي أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المذهب^(١)
 وقيل : لو تكاشفتُم ما تدافتم^(٢) ، ولو تساوتُم ما تطاوعتم ؛
 ولا بدّ من هنة تُغتفر ، ومن تقصير يُحتمل ، والاستقصاء فرقة ، وفي
 المسالسة تحبّب ، ومن ناقش في الحساب فقد رغب عن سجاحة^(٣)
 الخلق ، وحسن الملكة وإيثار الكرم .

وهذا الذي قاله هذا الشيخ الصالح مذهب معروف ، وصاحبه
 حميد ، لا يدفعه من له مُسكة من عقل وسيرة صالحة في الناس ، وأدب
 موروث عن السلف ؛ وليت هذا القائل ولي من نفسه هذه الولاية ،
 وعامل غيره بهذه الوصية ، وليته بدأ بهذا الكلام وما شاكره الرئيس
 الذي قد أخرج تابعه إلى هذا العناء والكد ، وإلى هذا القيام والقعود !
 لا ، ولكنه رأى جانب البائس المحروم ألين ، وعذّل المنتجع المظلوم
 أهون ، وزجر المتكذّب بما ينهيه ويستريح به أسهل ؛ فأقبل عليه واعظاً ،
 وأعرض عن ظالمه مُحايياً .

(١) البيت في ديوانه (شرح البطليوسي ١٤) ، وديوان المعاني ٢/ ١٩٦ ،
 وحاسة البحري ٧٢ ، وشرح المقامات ١/ ٢٩٣ .

(٢) في البيان والتبيين ٢/ ٢٣ : أن هذه الجملة من الكلمات التي تروي
 لأقوام شتى ، وقد نسبها الدميري في حياة الحيوان ٢٠٨/ ٢ إلى الحسن البصري .
 وانظر الصداقة ٤٧ واللسان والنهاية في (دفن ، وكشف) .

(٣) سجاحة الخلق : سهولته .

(٤) « وإلى هذا » مكررة في الأصل ، وشطبها بعض القراء .

وبعدُ فصاحبُ هذا القولِ وإِدْعُ غيرُ مُحْفَظٍ^(١) ، ومَوْفُورٌ غيرُ
مُتَنَقِّصٍ ، وناعِمُ البالِ غيرُ مَغِيْظٍ ، وصَحِيحُ الجَنَاحِ غيرُ مَهِيْضٍ ؛ ولو
شِيكَ بِحَدِّ قَتَادَةٍ^(٢) لَكُنَّا نَقِفُ عَلَى عَرِيكَتِهِ كَيْفَ تَكُونُ ، وَعَلَى شَكِيمَتِهِ
كَيْفَ تَثْبُتُ ، وَكُنَّا نَعْرِفُ مَا يَأْمُرُ بِهِ مِمَّا يَأْتُرُ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ بَرْدُ الْعَافِيَةِ
مِنْ حَرِّ الْبَلَاءِ فِي شَيْءٍ .

وَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِالْبَصْرَةِ أَيَّامَ الْمُهَلَّبِ^(٣) كَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي
الْحَسَنِ^(٤) يُثَبِّطُ النَّاسَ عَنِ الْوُثُوبِ مَعَ بَنِي الْمُهَلَّبِ فِي قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَقَامَ
بِذَلِكَ مَقَاوِمَ شَقَّتْ عَلَى مَرَّوَانَ بْنِ الْمُهَلَّبِ^(٥) ، فَقَامَ مَرَّوَانُ ذَاتَ يَوْمٍ

(١) غيرُ مُنْقَضَبٍ .

(٢) الْقَتَادَةُ : شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ كَالْإِبْرَةِ ، وَاحِدَتُهُ قَتَادَةٌ .

(٣) هُوَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ أَبُو سَعِيدٍ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ الْأَزْدِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٢
أَوْ ٨٣ هـ ، فَارِسٌ مَشْهُورٌ ؛ لَهُ وَلَبْنِيَّةٌ فِي حُرُوبِ الْخَوَارِجِ مَشَاهِدٌ مَعْرُوفَةٌ ذَكَرَ
جَمَلَةٌ وَافِرَةٌ مِنْهَا الْمُبَرِّدُ فِي « الْكَامِلِ » .

وَتَرْجُمَةُ الْمُهَلَّبِ فِي الْوُفَيَّاتِ ٢ / ١٩١ - ١٩٥ ، تَرْجُمَةُ الْمَقَامَاتِ ٢ / ٣١٠ -
٣١١ ، وَالْوُفَيَّاتُ بِالْوُفَيَّاتِ (٢٦ / ١١٥ - ١١٦ ب) نَسْخَةُ أَحْمَدَ الثَّالِثِ رَقْمُ (٢٩٢٠) .

(٤) هُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١١٠ هـ . وَتَرْجُمَتُهُ فِي طَبَقَاتِ ابْنِ
سَعْدٍ ٧ / ١٥٦ ، وَالْوُفَيَّاتُ ١ / ١٦٠ - ١٦١ ، تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ ١ / ١٦١ ، تَهْذِيبُ
التَّهْذِيبِ ٢ / ٢٦٣ - ٢٧٠ وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ ٤ / ٩٨ - ١٠٦ ، وَطَبَقَاتُ الْفُقَهَاءِ
لِلشَّيْخِ الْأَزْدِيِّ ١٦٨ .

(٥) مَرَّوَانُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ، ذَكَرَهُ ابْنُ حَزْمٍ فِي الْجُمْهُرَةِ ٣٤٨
فِي أَبْنَاءِ الْمُهَلَّبِ .

خطيباً ، وحثّ الناس على الجد والانكماش^(١) ، ثم عرض بالحسن فقال : بلغني أنّ هذا الشيخ الضالّ الطالّح المُرّاي يُشبّط الناس عن الطلب بحقنا والله لو أنّ جاره نزع من حُصّ داره قصبة لظلّ أنفه راعفاً ، ودمعه واكفاً ، وقلبه لاهفاً^(٢) ، ولسانه قارفاً^(٣) ؛ ويُنكر علينا أنّ نطلب ما لنا ، وكلاماً غير هذا غادرناه قادرين ؛ لأنه لاوجهَ للإطالة به ؛ ولا أقول إنّ مروان بن المهلب، أحقّ بما قال من الحسن ، ولكن الحسن تكلم على مذهب النُصّاك ، ومروان قابل ذلك بمذهب الفُتّاك .

وفي الجملة — أبقاك الله — ليس المضطرُّ كالْمُختار ، ولا المخرج كالسّليم ، ولا الموفور^(٤) كالْموتور^(٥) ، ولا كل حكم يلزم المتوسّط في حاله يلزم المتناهي في حاله ؛ ومتى كان — عافاك الله — التابع كالمتبوع ، والآمل كالْأْمُول ، والمستميح^(٦) كالْمُنْعِم ، والمغبوط كالْمُحْرَم ، والمُدْرِك ، كالْمُحْرَم ؛ هذا في مُنْقَطَع الثّرى ، وذلك في قُلَّة المِزْن .

(١) الانكماش : الجِدُّ والعزم .

(٢) فلان لاهف القلب : محترقه .

(٣) قرف : كذب وعاب واتهم .

(٤) الموفور : التام الذي لا ينقصه شيء .

(٥) الموتور : من قُتِل له قَتِيل فلم يُدْرِك بدمه ، ويقال : فلان وفور غير موفور .

(٦) « والمستميح » مهمل في الأصل ؛ فتحتمل : « والمستميح » .

هذا عمرو بن بحر أبو عثمان^(٥) ، وهو واحد الدنيا ، كتب رسالة طويلة في ذم أخلاق محمد بن الجهم^(٦) ، ومدح أخلاق ابن أبي

(٥) هو الجاحظ : عمرو بن بحر المتوفى سنة ٢٥٥ هـ . وترجمته في تاريخ بغداد ١٢ / ٢١٨ - ٢٢٠ ، الإرشاد لياقوت ٦ / ٥٦ - ٨٠ ، أمالي المرتضى ١ / ١٩٤ - ١٩٩ . وانظر تاريخ الادب العربي لبروكلمان ١ / ١٥٢ ، الملحق ١ / ٢٣٩ .

(٦) محمد بن الجهم البرمكي من الشخصيات الكبيرة التي عتقني على معالمها الزمن ، ويُسْتَخْلَص من التنف القليلة المتناثرة عنه أنه كان من فلاسفة المتكلمين ، عالماً بالمنطق ، منقطعاً إلى دراسة كتب أرسطوطاليس في الكون والفساد والكيان وحدود المنطق ؛ وأنه كان طبيباً أميناً جليل القدر عالماً بالتنجيم .

وقد نقل الجاحظ عنه — مباشرة وبواسطة — في كتابيه : الحيوان والبيان فقرات في مواضيع مختلفة تدل على سعة في العلم والتجربة ، ودقة في الملاحظة .
والصل بالخليفة المأمون فأجلته ؛ وللمأمون ألف كتاباً في الاختيارات وصفته أبو معشر بأنه « قريب المأخذ صحيح المعاني جداً » .

ولمحمد بن الجهم هذا كتب الكندي الفيلسوف (كما في طبقات الاطباء ١ / ٢١٢) رسالته « في الإبانة عن وحدانية الله عز وجل » ، وعن تناهي جرم السكل . وفي رسائل الكندي التي نشرها الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ١ / ٢٠١ : أن الكندي ألف هذه الرسالة لعلي بن الجهم الشاعر وهو خطأ .

وأخبار محمد بن الجهم هذه وغيرها في : البيان ١ / ١٠٣ ، ٢ / ٢٣٢ ، ٢٥٦ ، والحيوان (بواسطة الفهارس) ، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٦٠ - ٦١ ، وعيون الأخبار له ٢ / ٤ ، ٣٤ ، ٦١ ، ٦٣ ، ١٠٤ ، ٢٠٤ ، طبقات الأمم لصاعد ٦٠ ، العقد الفريد ٦ / ٢٤٥ - ٢٤٦ ، ١٧٧ ، ١٩٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، زهر الآداب ٣ / ٢٦١ ، أخبار الحكماء للقفطي ١٨٦ ، طبقات الاطباء ١ / ٢١٢ ، لسان الميزان ٥ / ١٠٩ ، الارشاد ٢ / ١٦٨ .

دُود^(١) ، وبالغ في الوصفين ، وخطبَ على الرّحّلين ، ولم يترك قبحيةً
إلا أعلّقها محمداً ، ولا حسنةً إلا منّحها أحمد ، وحتّى جعل ابن الجهم
مع إبليس في نصّابٍ واحد ، وابن أبي دود مع ملك في تقابٍ واحد ؛
وهكذا « عملُ من طبّ لمن حبّ »^(٢) إذا غضب فسبّ ، أو رضي
فمدح وأطنب . وما أحسن ما دلّ على هذا المذهب أشجع / السّلمي^(٣) ٥ [٥٠-و]
بفخوى كلامه ، فإنه قال :

أَعْلَى لَوْمْ أَنْ مَدَحْتُ مَعَاشِرًا خَطَبُوا إِلَيَّ الْمَدَحَ بِالْأَمْوَالِ
يَتَزَحَّوْنَ إِذَا رَأَوْني مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَّكٍ مِنَ الْإِجْلَالِ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ لَوْمْ فِي مَدَحِ الْمُحْسِنِ إِلَيْهِ ، فَكَذَلِكَ لَا عَيْبَ
عَلَيْهِ فِي ذَمِّ الْمُسِيءِ إِلَيْهِ .

١٠

(١) أحمد بن أبي دود أبو عبد الله القاضي المتوفى سنة ٢٤٠ هـ . ترجمته
في الوفيات ٢ / ٢٦ - ٣٢ ، لسان الميزان ١ / ١٧١ ، تاريخ بغداد ٤ / ١٤١ -
١٥٦ ، البداية ١١ / ٣١٨ - ٣٢٣ ،
(٢) مثل في أمثالهم في التنوّق في الحاجة وتحسينها : « عمل من طبّ
لمن حبّ » ، أي صنعة خاذق لمن يحبّ . وهو في اللسان (طب) .
(٣) أشجع بن عمرو السلمي ، شاعر نشأ بالبصرة ، ومدح الرّشيد والبرامكة
وتوفي في حدود المائتين . ترجمته في الوافي بالوفيات (٩ / ١٠٦) نسخة شهيد على
١٩٦٦) ، طبقات ابن المعتز ١١٧ - ١١٩ ، الشعراء ٨٥٧ ، الأغاني ١٧ /
٣٠ - ٥١ ، تاريخ بغداد ٧ / ٥٤ ، المعاهد ٢ / ١٣٣ . والبستان في محاضرات
الراغب ١ / ١٧٧ غير منسوبين .

نعم ، وأفاد أبو عثمان في رسالته فوائده لا يخفى مكانها على قارئها ،
 وقام فيها مقام الخطيب المصقع^(١) ، والشهم النافذ^(٢) ، والناصر المدلّ ،
 والمنتميم المستأصل ؛ فهل قال أحد ممن له يد في الفضل ، وقدم في
 الحكمة ، وعرفان بالأمور ، وقوله معدود فيما يقال ، وحكمه مقبول
 ٥ فيما يثبت ويُرّال : بئس ما صنع وساء ما أتى به ؟ بل تهادوه وحفظوه ،
 واستحسنوه وتأدّبوا به ، وحذّروا على مثاله وإن كانوا وقّعوا دونه .

ولم صنف الناس المناقب والمثالب^(٣) ؟ ولم نشرُوا أحاديث الكرام
 والثناء ؟ وكثير من الناس — عافك الله — لا غيبة لهم ، أوفى غيبتهم
 أجر ، وقد وقع في الخبر عن النبي ﷺ : « اذكروا الفاسق بما فيه
 ١٠ كي تحذره الناس »^(٤) . وحذّنا برهان الصوفي^(٥) قال : ذم بشر
 الحافي^(٦) بخيلاً ثم قال : إن البخيل لا غيبة له ، قيل : وكيف ؟ قال :

(١) المصقع ، بالصاد والسين : البليغ . (٢) في الأصل : « والشهم النافذ » .

(٣) انظر مقدمتنا لهذا الكتاب .

(٤) الحديث في المقاصد الحسنة للسخاوي ١٦٦ — ١٦٧ ، وفيه هناك كلام
 لنقاد الحديث حول ثبوته وصحته . وانظره أيضا في رفع الخلفاء للمجلوني ١ /
 ١٠٦ ، ١٧١ / ٢ — ١٧٢ ، ٣٦٦ .

(٥) برهان الصوفي من أصحاب الجنيد ، وقد سمع منه أبو حيان كلاما في
 السلوك والخلق ، روي منه تنفا تجد نموذجا منها في الصداقة ٢٩ ، ١٢٣ .

(٦) أبو نصر بشر بن الحارث المروزي المتوفي سنة ٢٢٧ هـ . ترجمته في —

لقول رسول الله ﷺ: «يَا بَنِي سَلَمَةَ مَنْ سَيِّدُكُمْ؟ قالوا: الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ»^(٢) على بُحْلِ فِيهِ، قال: فَأَيُّ دَاءٍ أَدَوَى مِنَ الْبُحْلِ». فذكره وليسَ هو بِالْحَضْرَةِ.

وهذا عيسى بن فرُّخانشاه^(٣) عُزِلَ عن الوزارة وكان مُسْتَبْخَفًا بِأبي العَيْنَاء^(٤) فوقف عليه أبو العَيْنَاء وقال:

٥

— تاريخ بغداد ٦٧/٧ — ٨٠، ومناقب الأبرار لابن خميس (ورقة ٤٥ ط)، نسخة ولي الدين رقم (١٦١٨)، الفهرست ٢٦١، الحلية ٨/٣٣٦، الرسالة ١٤، الوفيات ١/١١٢.

(١) «يَا بَنِي سَلَمَةَ» بكسر اللام، وانظر المجتني لابن دُرَيْد ٢٥.

(٢) الجد بن قيس مترجم له في الاصابة ١/٢٣٨ — ٢٣٩، ٤/٢٩٠ — ٢٩١. والقصة في المعجم الصغير للطبراني (طبع الهندسة ١٣١١ هـ). والاصابة ٤/٢٩٠ — ٢٩١، وسيرة ابن هشام ٢/١٠٤.

(٣) عيسى بن فرُّخانشاه (= فرخان شاه) أبو موسى الكاتب، ووزر للمعتز العباسي (٢٥٢ — ٢٥٥ هـ). ترجمته في نكت الوزراء للجاجري (ورقة ٣١٧ ط)، نسخة الحميدية (١٤٤٧)، والفخري ٢٢١، وذكره ابن النديم في الفهرست ١٣٨، ضمن الشعراء المقلين؛ وفي الصداقة ١٢٧ رسالتان من إنشائه. وانظر التنبيه والاشراف ٣١٦.

(٤) محمد بن القاسم بن خلاد أبو عبد الله، ولد بالأهواز سنة ١٩١ هـ، ونشأ بالبصرة ثم استوطن بغداد؛ وتوفي سنة ٢٨٢ هـ. ترجمته في الفهرست ١٨١، المنتظم ٥/١٥٦ — ١٦٠، طبقات ابن المعتز ١٩٦ — ١٩٧.

وكلمة أبي العيناء هذه مختصرة في نثر الدرر للآبي (صحيفة ٣١١، نسخة كوبريلي)، وزهر الآداب ٢/٣١٦، شرح المقامات ١/٢٣٩، ومحاضرات الراغب ١/٨٦.

الحمد لله الذي أذلَّ عزَّتكَ ، وَأَذْهَبَ سطوتكَ ، وَأَزَالَ مقدُّرتَكَ ،
وَأَعَادَكَ إِلَى استحقاقِكَ ومنزلتِكَ ، فَلَئِنْ أَخْطَأْتُ فِيكَ النِّعْمَةَ ، لَقَدْ
أَصَابَتْ مِنْكَ النِّقْمَةُ ، وَلَئِنْ أَسَاءْتَ الْيَوْمَ بِإِقْبَالِهَا عَلَيْكَ ، لَقَدْ أَحْسَنْتَ
بِإِدْبَارِهَا عَنْكَ ؛ فَلَا أَنْفَذَ اللَّهُ لَكَ أَمْرًا ، وَلَا رَفَعَ لَكَ قَدْرًا ، وَلَا أَعْلَى
لَكَ ذِكْرًا . ٥

فَهَلْ قَالَ أَحَدٌ بِشَيْءٍ مَا صَنَعَ ؟
وليس للراضِي عن الْمُحْسِنِ أَنْ يُطَالِبَ الْمَسَاءَ إِلَيْهِ بِأَنْ يَكُونَ فِي
مُسْكِهِ ^(١) وَعَلَى حَالٍ اعْتَدَا لَهُ ، لِأَنَّ يَيْنَهُمَا فِي الْحَالِ مَسَافَةٌ لَا يَقْطَعُهَا
الْجَوَادُ الْمُبَرِّ ^(٢) وَلَا الرِّيحُ الْمَصُوفُ .
١٠ وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ ^(٣) عِنْدَ أَبِي الْعَيْنَاءِ فَقَالَ : مَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَطُّ إِلَّا
ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ طَلَائِعِ الْقِيَامَةِ ؛ قَصِيرِ الْقَامَةِ ، مَشْؤُومِ الْهَامَةِ ؛ خَرَجَ
مِنْ خُرَاسَانَ وَهُوَ أَمِيرُهَا ، وَيَطْمَعُ فِيهَا وَهُوَ طَرِيدُهَا ، وَيَلِي عَلَى

(١) المسك والمسكة : العقل .

(٢) الجواد المبرِّ : هو الذي إِذَا أَنْفَى يَأْتِنُف السَّيْرِ . وسئل رجل من بني
أَسَدٍ : أُنَعْرِفُ الْفَرَسَ الْكَتَرِيمَ ؟ قَالَ : أَعْرِفُ الْجَوَادَ الْمُبَرِّ مِنْ الْبَطِيِّ الْمَقْرَفِ
(لسان — بر) .

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ طَاهِرِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٩٧ هـ .
وَلِي خُرَاسَانَ وَأَقَامَ بِهَا إِلَى سَنَةِ ٢٥٨ هـ حَيْثُ ظَفَرَ بِهِ يَعْقُوبُ بْنُ الْإِثِّ وَأَسْرَمَ
حَتَّى سَنَةِ ٢٦٢ هـ ، ثُمَّ نَجَا إِلَى بَنْدَادٍ وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ تَوَفَّى . انظر المنتظم ٩٦/٦ .

أَسِير الصَّغَارِ ، وَطَلِيقِ الهَزِيمَةِ . .

وَوَجَدْتُ رِسَالَةً لِأَبِي الْعَبَّاسِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَلَى مَا قَدَّمْتُ
الْقَوْلَ فِيهِ ؛ وَأَنَا أُرْوِيهَا عَلَى وَجْهِهَا لِأَنَّهَا مُفِيدَةٌ ، رَوَاهَا لِي
الْمَنْصُورِيُّ^(١) الْقَاضِي بَارِجَان .

٥

أَوَّلُهَا :

« إِنَّ فِي الشُّكْرِ ، وَإِنْ قَلَّ ، وَفَاءً بِحَقِّ النِّعْمَةِ وَإِنْ جَلَّ ، بَلْ أَقُولُ : إِنَّ
الشَّاكِرَ لِلنِّعْمَةِ ، وَإِنْ أَطْنَبَ وَأَسَهَبَ ، لَا يَلْحَقُ شَأْنُ الْمُبْتَدِيءِ بِهَا ، وَلَا يَخْرُجُ
بِأَقْصَى سَعْيِهِ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهَا فِيهَا ؛ لِأَنَّ نِعْمَتَهُ صَارَتْ سَبَبًا لَشُكْرِهِ ،
وَدَاعِيَةً لَذِكْرِهِ ، فَلَهَا فَضْلُ سَبْقِهَا وَمَوْقِعُهَا وَفَضْلُهَا ، فَإِنَّ الشُّكْرَ مِنْ
أَجْلِهَا ، وَإِنَّهَا — حَيْثُ حَلَّتْ — عَائِدَةٌ بِنِثَاءٍ جَمِيلٍ ، وَثَوَابٌ جَزِيلٌ ؛
وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْحُكَمَاءِ أَنَّ الْجَالِبَ خَيْرٌ مِنَ الْمَجْلُوبِ^(٢) ، وَالْفَاعِلُ
خَيْرٌ مِنَ الْمَفْعُولِ .

وَمَنْ لِي بِشُكْرِكَ وَأَنْتَ الَّذِي لَمَّا قَصَدْتُكَ بِالرَّغْبَةِ بَلَغْتَ^(٣)
بِي مَا وَرَاءَ الْمَحَبَّةِ ، وَنَادَيْتُكَ فَأَجَبْتَ مِنْ قَرِيبٍ ، وَلَذْتُ بِكَ
فَأَنْزَلْتَ بِالْبَرِّ وَالتَّرْحِيمِ ، فَلَمَمْتَ مِنِّي شَعْنًا ، وَرَعَيْتَ لِي سَبَبًا لَوْلَا ١٥

(١) ورد ذكره في الصداقة ٣٧ .

(٢) في الأصل : « الحالب ... المحلوب ، بالحاء المهملة .

(٣) في الأصل : « بلغت لي » .

رعايتك لكان رثًا ، وَوَفَّرْتَ عَلَيَّ نعمة الجاه وَاليد ، وَقَمْتَ لي مقام
الركن وَالسَّند ، فَأَصْبَحْتَ لي على الدهر مُعِينًا ، وَمِنْ أَحْدَاثِ الزَّمانِ
مِلَاذًا حَصِينًا ، وَمَا زِلْتَ بِكُلِّ خَيْرٍ قَمِينًا ، وَجَدَّدْتَ لي أَمَلًا قَدْ كَانَ
أَخْلَقَ ، وَأَمْسَكَتَ مِنِّي بِالرِّمَقِ ، وَتَلَقَّيْتَ دُونِي نَبْوةً مِنْ عَاتَبِكَ
وَاسْتَزَادَكَ^(١) ، وَجَفْوَةً مِنْ تَغْبِطِكَ^(٢) فَكَادَكَ ؛ فِي حِينَ عَزَّ الشَّفِيقُ ،
وَخَذَلَ الشَّقِيقُ ، وَجَارَ الزَّمانُ ، وَتَوَاكَلَ الْإِخْوَانُ ؛ فَكَشَفَ اللَّهُ بِكَ
تِلْكَ الْغُيُومَ الْمُطْبِقَةَ ، وَسَكَّنَ بِرَأْيِكَ مِنِّي نَفْسًا قَلِقَةً ، فَأَنَا ، فِي قُصُورِي
صَمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ لَكَ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

لَوْ أَنَّ عُمَرِي أَلْفَ حَوْلٍ وَقَدْ بُدِّلَتِ السَّاعَةُ بِالذَّهْرِ
وَكَانَ لِي أَلْفَ لِسَانٍ لَمَا نَطَقْتُ مِنْ شُكْرِكَ بِالْعُشْرِ
فَشَكَرَ اللَّهُ لَكَ مَا أَتَيْتَ ، وَتَوَلَّى جَزَاءَكَ عَلَى مَا تَحَرَّيْتَ ، وَكَافَأَكَ
بِأَحْسَنِ مَا نَوَيْتَ ، وَلَا أَخْلَاكَ مِنْ أَمَلٍ يُنَاطُ بِكَ فَتُحَقِّقَهُ ، وَظَنٍّ
يُصَرِّفُ إِلَيْكَ فَتُصَدِّقَهُ ، وَشُكْرِ يُوفِّرُ عَلَيْكَ فَتُسْتَحَقُّهُ ، وَصَانٍ
لَكَ مِنَ النِّعْمَةِ رَاهِنَهَا ، وَبَلَدِكَ أَقْصَى مَا تُؤَمِّلُ مِنْهَا ، وَتَفْضَّلَ عَلَيْكَ
بِمَا لَا تَحْتَسِبُ فِيهَا / ؛ وَكُلُّ مَا أَغْفَلْنَاهُ مِنَ الْبُذَاءِ لَكَ مِمَّا يَرِغَبُ الْمَرْءُ

(١) استزاد فلان فلانًا : وجد عليه (لسان . وجد ، عتب) .

(٢) كذا في الأصل . ولم أجد « تغبط » .

- في مثله ، فوهب الله لي فيك^(١) ، وَوَهَبَهُ لَكَ فِي كُلِّ أَسْبَابِكَ .
- فَأَمَّا فَضَائِلُكَ وَالْمَوَاهِبُ الْمَقْسُومَةُ لَكَ فَقَدْ قَادَتْ إِلَيْكَ مَوَدَّاتِ
الْقُلُوبِ وَوَقَّعَتْ عَلَيْكَ خَبِيَّاتِ الصَّدُورِ ، وَارْتَهَنَتْ لَكَ شُكْرَ الشَّاكِرِ ،
وَرَدَّتْ إِلَيْكَ نَفْرَةُ النَّافِرِ ، وَحَاطَتْ لَكَ الْغَائِبُ وَالْحَاضِرُ ، وَأَفْجَعَتْ^(٢)
عَنْكَ لِسَانَ الْمُتَنَافِرِ ، وَقَصَّرَتْ دُونَكَ يَدَ الْمُتَطَاوِلِ ، وَطَامَنْتْ لَكَ
نُخْوَةُ الْمُتَنَاضِلِ ، وَأَوْفَتْ بِكَ عَلَى دَرَجَةِ الْأَدَبِ وَالْهِمَّةِ وَالرِّيَاسَةِ .
- فَبَلَغَكَ اللَّهُ ذُرَى الْمَحَبَّةِ وَالْأَمَلِ ، وَوَفَّقَكَ لِصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ،
وَلَا زَالَتْ [رُبُوعُ]^(٣) الْحَرِيَّةِ مَعْمُورَةٌ بِطُولِ عُمرِكَ ، وَالْمَكَارُمُ مُؤَيَّدَةٌ
بِدَوَامِ تَأْيِيدِكَ ، وَلَا بَرَحَتْ أَيَّامُكَ مُحْفُوفَةٌ بِالْعِزِّ وَالسَّعَادَةِ ، وَلِنِعْمَتِكَ
مَقْرُونَةٌ بِالنَّمَاءِ وَالزِّيَادَةِ ، وَوَقَّالَكَ اللَّهُ بِعَيْنِهِ مِنَ الْأَعْيُنِ ، وَحَاطَكَ بِيَدِهِ ١٠
مِنْ أَيْدِي الْمُحَنِّ ، وَفَدَاكَ مِنَ النَّوَائِبِ وَالْأَحْدَاثِ .
- وَالنَّسِيبُ^(٤) مِنْ قَدْ فُقِّعَتْ بِهِ عَيْنُ النِّعْمَةِ ، وَاتَّضَعَتْ بِمَكَانِهِ رَتْبَةُ
الْهِمَّةِ ؛ فَلَا يَصْدُرُ عَنْهُ أَمَلٌ إِلَّا بِحَيِّيةٍ ، وَلَا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ حُرٌّ إِلَّا
بِمَحَنَةٍ ؛ إِنْ أَوْثِقَ غَدَرٌ ، وَإِنْ أَجَارَ أَخْفَرٌ ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَافٌ ، وَإِنْ
هَكَذَا: « فوهب الله لي » في الأصل . ولعل صوابها: « فوهبه الله لي » .
- (٢) في الأصل : « وأفجعت » .
- (٣) زيادة يتضح بها أو بما يشاكلها الكلام .
- (٤) النسب (كفرح) : المنحرف عن الخلق الكريم ، والمراد به هنا الصاحب
- ابن عباد .

قَدَرِ اعْتَسَفَ ، وَإِنْ عَاهَدَ نَكَثَ ، وَإِنْ خَلَفَ خَنَيْتَ ؛ تَصَدَّأُ بِمُحَاوَرَتِهِ
 الْأَفْهَامَ ، وَتَصْطَرِّخُ ^(١) مِنْهُ الدَّوْلَةُ وَالْأَقْلَامُ ، سَيَانُ قَامَ أَوْ قَعَدَ ،
 وَغَابَ أَوْ شَهِدَ ؛ إِنْ كَشَفْتَهُ كَشَفْتَ عَنْ عِلْجٍ قَدْ مَ ، يُقْضَى لَهُ بِكُلِّ
 خِسَّةٍ وَذَمٍّ ، وَلَمْ يَقِفْ لِلْحَرِيَةِ عَلَى رَنْجٍ وَلَا رَسْمٍ ، وَلَا عَرَفَ مَكْرَمَةَ
 ٥ فِي يَقْظَةٍ وَلَا حُلْمٍ ؛ أَسْوَأُ النَّاسِ صَنِيعًا ، وَأَشَدُّهُمْ بِالْذَّنَاءَةِ وَلُوعًا ، لَمْ
 يَسْلُكْ إِلَى الْمَجْدِ طَرِيقًا ، وَلَا وَجَدَ يَوْمًا مِنْ أَجْهَلٍ مُفِيقًا ، أَوْلَى النَّاسِ
 بِشَتْمٍ وَقَذْفٍ ، وَأَجْدَرُهُمْ بِمُجَانَّةٍ وَسُخْفٍ ، يَنْطِقُ قَبِيحُ خَلْقِهِ مِنْ ^(٢)
 سُوءِ ^(٣) ، خُلِقَ ، وَيَدُلُّ بِرُكَاكَةِ عَقْلِهِ عَلَى لُؤْمِ أَصْلِهِ ؛ إِذَا اكْتَنَفَتْهُ
 الْحَوَادِثُ لَوَى عَنْهَا شِدْقَهُ ، وَإِنْ أَرَمَهُ الْحَقُّ لَوَاهُ وَنَحَقَهُ ؛ وَقَدْ وَفَّرَ
 ١٠ اللَّهُ حِظَّهُ مِنَ الْفَدَامَةِ كَمَا قَصَّرَ بِهِ فِي الْقَامَةِ ، فَهُوَ بِكُلِّ لِسَانٍ مَهْجُورٌ ،
 وَلِكُلِّ حُرٍّ عَدُوٌّ ، وَإِنْ عَوْتَبَ عَلَى الزَّهْوِ وَالتَّيْبِ ، أَقَامَ فِيهِمَا عَلَى
 تَمَادِيهِ ؛ يَلُوثُ عَمَتَهُ عَلَى دِمَاغٍ فَارِغٍ ، وَحَقَّ ظَاهِرُ سَائِغٍ ، فَهُوَ فِي الْآخِرِ ^(٤)
 حَالَاتِهِ ، عِنْدَ نَفْسِهِ كَمَا قِيلَ ، صُورَةٌ مُمَثِّلَةٌ أَوْ بَهِيمَةٌ مَهْمَلَةٌ .

(١) تصطرخ : تستغيث . (ل) .

(٢) في تاريخ الاسلام للذهبي (٣٠٠٨ أيا صوفيا ١٢ / ١٧٦) في ترجمة
 الصاحب : « وقيل كان مشوّه الصورة » .

(٣) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : « عن سوء » .

(٤) آخر : جمع أخرى . والمعنى — فيما أظن : وهو أخيراً .

وَصَلْتُ هَذَا الْفَصْلَ بِقَوْلٍ فَاصَتْ بِهِ النَّفْسُ بَعْدَ امْتِلَائِهَا ، وَجَاشَتْ
 بِهِ بَعْدَ تَرُدُّدِهِ فِيهَا ، وَمَا اضْطَرَّتْني إِلَيْهِ إِلَّا تَتَابَعِ الْمَكْرُوهَ مِنْ جِهَتِهِ ،
 وَالشَّرَّ الَّذِي لَا يُزَالُ يَتَعَقَّبُنِي بِهِ ، وَأَنَّهُ حِينَ وَجَدَ غِرَّةَ اهْتِبَالِهَا ، وَلَمَّا
 رَأَى الْفُرْصَةَ اتَّهَزَهَا ، وَلَمْ يَرْضَ حَتَّى حَسَرَ عَنِ الذَّرَاعِ^(١) يَدًا ،
 فَكَشَفَ الْقِنَاعَ وَجَرَّدَ الْعِدَاوَةَ وَالتَّعَصُّبَ ، وَأَظْهَرَ التَّسَلُّطَ وَالتَّغْلِبَ . ٥

وَأَنَا أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ أَصِلَ مَخَاطِبِي لَكَ بِمِثْلِهِ ، وَإِنْ كُنْتُ أَجْعَلُهُ
 بِمَنْزِلَةِ اللَّهِ الَّذِي أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْحَقِّ ، وَالْهَزْلُ الَّذِي أُسْتَرِيحُ بِهِ مِنْ
 الْجِدِّ ؛ وَقَدْ قِيلَ : مَنْ لَمْ يَذْمَمْ الْمَسِيءَ لَمْ يَحْمَدِ الْمُحْسِنَ ، وَمَنْ لَمْ
 يَعْرِفْ لِلْإِسَاءَةِ مَضَضًا ، لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ لِلْإِحْسَانِ مَوْعِدًا .

وَعَلَى أَنِّي لَسْتُ أَدْرِي أَمَيَّنِي إِلَيْكَ أَصْدَقُ ، أَمْ انْحِرَافِي عَنْهُ ١٠
 أَوْثَقُ ، وَرَغْبَتِي فِيكَ أَشَدُّ ، أَمْ زُهْدِي فِيهِ أَوْكَدُ ، وَمَوَدَّتِي لَكَ
 أَخْلَصُ ، أَمْ أَنَا عَلَى مِصَارِمَتِهِ أَحْرَصُ ، وَسَكُونِي إِلَيْكَ أَتَمُّ أَمْ
 نَبَوْتِي عَنْهُ أَحْكَمُ ، وَأَنَا عَلَى ذَمِّهِ أَطْبَعُ ، أَمْ فِي تَحْدِيدِكَ أَبْدَعُ ؟ كَمَا
 لَسْتُ أَدْرِي أَحْظُكَ مِنَ الْهَمَةِ وَالْمَرُومَةِ أَجْزَلَ ، أَمْ حَظُّهُ مِنَ الدَّنَاءَةِ
 وَالْقِلَّةِ^(٢) أَجْلُ ، وَمَكَانُكَ مِنَ الْحَزَامَةِ وَالْكَرِّمِ أَرْفَعُ ، أَمْ مَحَلُّهُ فِيهِمَا أَوْضَعُ ؟ ١٥

(١) حسر : كشف ، والذراع : البطش والقوة (ل) .

(٢) القلة : الخسة (ل) .

وكيف يُقرن بك أو يُساوى ، وما أتأملك في حالٍ من الأحوال إلا
وجدتك فيها حُساماً قاضياً ، وشهاباً ثاقباً ، وعُوداً ضليلاً ، ورأياً عند
مُعْضِلِ الخطوب مُصيباً ؛ في شمائل حلوةٍ عذاب ، وأخلاقٍ معجونة
بآداب ؛ لا تتجافى عن مَكْرُمة ، ولا تُخِلّ لذي أَمَلٍ بِجُرْمة ،
ولا تؤودك^(١) الخطوب إذا اعتورتك ، ولا تتكأذك الجهات^(٢) إذا
اكتشفتك ؛ قد تَعَرَّفْتَكَ^(٣) الأيام بحالتي الثُعمى والبلوى ، فكشفت
منك عن أَمْضَى من الدهر عَزْماً ، وأَرْزَن من رَضْوَى^(٤) حِلْماً ،
وأثبتت من الليل جَناناً ، وأَسْمَح من صَرَب الغمام نَدَى ، وأَمْنَع من
السَّيف جانباً ، وأعزَّ من كُليبٍ وائل^(٥) صاحِباً .

[٥١-و] ١٠ / وما أتأمله في حالٍ من الأحوال إلا وجدته بَرَقاً كاذباً ، ورأياً

(١) تؤودك : تشق عليك (ل) .

(٢) تتكأذك : تصعب عليك . وجهة الأمر : وجهه ، والجمع جهات . والمعنى :
لا يصعب عليك تبشُّر صواب الرأي حينما تختلف حولك وجوهه .

(٣) تعرقتك الأيام : أخذت منك وامتحنحت أخلاقك .

(٤) رضى : جبل بالمدينة .

(٥) في مجمع الأمثال ١ / ٢٣٩ : « أعز من كليب وائل » . وكان وائل
- سيد ربيعة - إذا مرَّ بروضة أو غدير وارتضاه ، رمى بكليب له هناك ، فحيث
بلغ عواؤه كان حِمى لا يُرعى ولا يستباح ، وبلغ من عز الكليب أنه كان
يحمي الكلاء ويحير الصيد .

عازباً^(١) : ركاكة ظاهرة ، ونذالة وافرة ، وهيئة خسيصة ، ونفساً
على الذم حبيسة ؛ لم ينشأ منشأ أدب ، ولا راضته أولية حسب ،
فهو دهره على وجل وذعر ؛ إن صال فعلى القريب الداني ، وإن همَّ
فبمضلات الأماني ، فليس تتجاوز صولته عبده ، ولا يخاف عدوه كيده ،
قد جمع إلى قبح المخبر ، بشاعة المنظر ، وإلى دماء الخلق سوء
الخلق ؛ إذا فكر المفكر فيما أُوتِي من الحظ ، ومُنح من الحال ،
أيقن بعلو الجهل وفوز قدحيه ، وإكداء الباطل^(٢) وكساد ربحه ؛ هو
والله كما قال الشاعر :

عدو لمولاه^(٣) عدو صديقه وتلك التي يأتي اللئيم من الفعل
مقلمة أظفاره عن عدوه على أقربيه ظاهر الفحش والجهل
وما أخطأ بوجه المشوه قول الحمدوني^(٤) :

(١) العازب : البعيد (ل) .

(٢) كذا في الأصل ، والكلام مصحف ، ولعل صحته : « وإكداء العلم ،
أو ما أشبهه .

(٣) في الأصل : « عدم مولاه » .

(٤) إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه . وحمدويه جدّه هو صاحب
الزنادقة في أيام الرشيد . وللحمدوني في « حرفة الأدب » أشعار مستعاره ،
وكان مليح الاقتناف حلوه التصرف . انظر زهر الآداب ٢ / ٢٢٣ ، وفوات
الوفيات ١٤ / ١ .

كَأَنَّ دَمَامِلًا^(١) جُمْتُ فَصُورَ وَجْهِهِ مِنْهَا

وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ ، وَالْحَدِيثُ الَّذِي عِنْدِي سِيَانٌ فِيهِ الصِّدْقُ
وَالْكَذِبُ ، مَا يُظْهِرُهُ مِنَ الانْحِرَافِ وَالْأَزْوَارِ ، عَلَى مَا بِي عَنْهُ مِنْ
السَّلَوةِ وَالْإِصْطِبَارِ ؛ وَمَا مَحَلُّهُ فِيمَا يَأْتِيهِ إِلَّا مَحَلُّ أُمِّ عَمْرٍو وَمَا قِيلَ فِيهَا :
هـ أَلَا ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأُمِّ عَمْرٍو فَلَا رَجَمَتْ وَلَا رَجَعَ الْحِمَارُ^(٢)

بَلْ هَجَوُهُ وَاللَّهُ الْفَائِدَةُ الَّتِي يَجِبُ فِي مِثْلِهَا الشُّكْرُ ، وَالْأَحْدَوَةُ
الَّتِي يَحْسَنُ فِيهَا الذِّكْرُ ؛ فَأَمَّا غَضَبُهُ وَتَمَيُّظُهُ فَمُغْضَبُ الْخَيْلِ عَلَى اللَّجِيمِ
الدَّلَاصِ^(٣) ؛ وَأَنَا أَقُولُ فِيهِ كَمَا قِيلَ :

فَإِنْ كُنْتَ غَضْبَانًا فَلَا زِلْتَ رَاغِمًا وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَغْضَبْ إِلَى الْيَوْمِ فَاغْضَبِ

١٠ وَاللَّهُ لَوْ كَانَتْ لَهُ مِثْلُ أَيْدِيكَ الَّتِي لَهَا مِنِّي مَوْقِعُ الْقَطْرِ فِي الْبَلَدِ
الْقَفْرِ ، وَلَطْفُ مَحَلِّ الْوَصْلِ بِعَقِبِ التَّصَارُمِ وَالْهَجَرِ ، لَمَا وَجَدَنِي مُحْتَمِلًا
لَهُ أَذًى ، وَلَا مُغْضِيًا لَهُ عَلَى قَدْزِي ؛ وَلَوْ كَانَ تَخْوِيفُهُ إِيَّايَ بِمِثْلِ إِعْرَاضِكَ
الَّذِي أَدْنَاهُ يُقْلِقُ الْوَسَادَ ، وَيُمَرِّضُ الْفَوَادَ ، لَمَا أَلْفَانِي لَهُ مُعْتَبِرًا ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « دَمَامِيلًا » .

(٢) انظر شرح المقامات ١ / ٣٨٩ .

(٣) « غَضِبَ الْخَيْلَ عَلَى اللَّجِيمِ » مِثْلُ يَضْرِبُ مَنْ لَا يُبَالِي بِغَضَبِهِ . (مُحَاضِرَاتُ
الرَّائِغِ ١ / ١٥٢) ، وَفِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ ٢ / ٢ : يَضْرِبُ مَنْ يَغْضِبُ غَضْبًا لَا
يَنْتَفِعُ مِنْهُ وَلَا مَوْضِعَ لَهُ . وَالْدَّلَاصُ : الْبَرَّاقَةُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْغَبِ » .

ولا إليه مُعتذراً ؛ فكيف وهو من لا يجب له حق الصنيعة ، ولا ذمام
أدب ، ولا ذمار معرفة ؛ لم أُسرَّ برضاه لنا رضى فأساء بغضبه وقد
غضب ، ولا نفعتني إقباله فيضرني إعراضه ، لأنه بحمد الله كما قيل :

فتى إن يرض لا ينفعك يوماً وإن يغضب فإنك لا تبالي

- لست والله أحفل به أقبل أم أدبر ، وسكن أم نفر ، ولا أبالي ٥
بحالتي سُخطه ورضاه ، ولا بأولى أمره ولا بأخراه . فإدام الله له سورة
النِّبوة والإعراض ، وأعانه على الجفوة والانتقاض ، ولا أخلاه من
الغضب والامتناع ؛ فقد رضي بنا بذلك فيه حظاً ، واكتفيناه به فيه وعظماً .
وأخبرنا المرزباني^(١) عن الصولي^(٢) قال : كتب ابن مكرم^(٣)
الكاتب إلى أبي العيناء^(*) :

١٠

(١) أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (٢٩٧ — ٣٨٤ هـ) مترجم
له في فهرست ١٩٠ .

(٢) إبراهيم بن العباس أبو إسحاق المتوفى سنة ٢٤٣ هـ . الوفيات ١٠ / ١ -
١٣ والفهرست ١٧٦ .

(٣) محمد بن مكرم كاتب بليغ مترسل ، كتب لنصر الدولة ، وكان يهاتر
أبا العيناء . وذكر ابن النديم ١٧٩ أن له رسائل ، ولم يؤرخ وفاته . ورسالته
هذه مختصرة في العقد الفريد ٤ / ٢٣٦ ، وهي منسوبة فيه لأحمد بن يوسف
السكاتب ؛ وانظر الارشاد ٢ / ١٢٤ ، وزهر الآداب ١ / ٣٣٢ ؛ وفي الصداقة
١٨٠ ، ١٨١ نماذج من إنشائه .

« لستُ أَعْرِفُ طَرِيقًا لِلْمَعْرُوفِ أَحْزَنَ ^(١) وَلَا أَوْعَرَ مِنْ طَرِيقِهِ
إِلَيْكَ ، وَلَا مُسْتَرْزَعًا أَقَلَّ زَكَاةً وَلَا أَبْعَدَ مِنْ ثَمَرِهِ خَيْرٌ مِنْ مَكَانِهِ عِنْدَكَ ؛
لأنَّ الْمَعْرُوفَ يُضَافُ مِنْكَ إِلَى جَنْبِ دَنِّي ، وَلِسَانِ بَذِيٍّ ، وَجَهْلِ
قَدَمَلِكِ عِنَانِكَ ، وَشَغَلِ زَمَانِكَ ؛ فَالْمَعْرُوفُ عِنْدَكَ ضَائِعٌ ، وَالشُّكْرُ لَدَيْكَ
مَهْجُورٌ ، وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي الْمَعْرُوفِ أَنْ تَحُوزَهُ ، وَفِي مُوْلِيهِ
أَنْ تَكْفُرَهُ . »

فكتب إليه أبو العيْناء :

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَنْتَ كَمَا قَالَ الْإِلَهُ فَإِنَّمَا أَتَيْتَ بِلَفْظٍ ضِعْفُهُ فِيكَ يُوجَدُ
أَمَّا بَعْدَ ١٠

فَقَدْ وَصَلَ إِلَيَّ كِتَابُكَ ؛ سَبَّحْتُكَ وَعَزَّيْتُكَ ^(٢) ، وَلَقَدْ كَانَ لَكَ فِي سُذَيْفٍ ^(٣)

(١) أَحْزَنَ : أَوْعَرَ .

(٢) الْمَرْثُ : الْمَسَاءَةُ وَالظُّلْمُ .

(٣) سُذَيْفٍ (كَزِيرٍ) بَنُ إِسْمَاعِيلَ بَنُ مَيْمُونِ الْمَسْكِ ، شَاعِرٌ مَقُولٌ مِنْ شُعْرَاءِ
الْحِجَازِ ، وَكَانَ مَتَعَصِّبًا لِبَنِي هَاشِمٍ مَظْهَرًا لِذَلِكَ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمِيَّةٍ ، وَهُوَ الَّذِي
حَرَّضَ السَّفَاحَ عَلَى قَتْلِ مَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ مِنْ رِجَالِهِمْ فَقَتَلَهُمْ . انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ
فِي الْأَغْنَانِ ١٤ / ١٦٢ ، الْوَاقِي ١٤ / ١٥٢ ب (نَسْخَةُ تَرْخَانِ خَدِيجَةَ سُلْطَانِ) ،
تَاجُ الْعُرُوسِ (سُدْفِ) . فِي غُرَرِ الْخِصَائِصِ ١٠٧ - ١٠٨ يُضَاحُ لَمَّا أَشَارَ إِلَيْهِ أَبُو
حِيَّانٍ هُنَا . —

وَبَعَا^(١) مَا يَشْغَلُكَ عَنِ الْبَدَاءِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ « إِذَا أَرَادَ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ »^(٢) .

وَأَنْتَ أَمْرٌ تَزْعُمُ أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ مَازَرَايَا^(٣) ، وَهُنَاكَ حَلَّتْ بِكَ الْخَزَايَا ، مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ لِأَهْلِهَا ، وَلَا دَفْعٍ لِفَضْلِهَا ، لِأَنَّكَ تُحِبُّهَا وَتَشْنُوُكَ ، وَتَلْتَمِي إِلَيْهَا وَتَدْفَعُكَ ؛ وَإِنْ أَمْرًا مُسَكَّرًا أَبَوْهُ لَجْدِيرٍ عِنْدَ الْفَخْرِ أَنْ يُعْفَرَ فَوْهُ^(٤) ؛ وَأَمَّا أَثْلُكَ فَأُمْرَأَةٌ مِنْ^(٥) الْمُسْلِمَاتِ الْغَافِلَاتِ ، وَالْغَفْلَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْخَيْرِ ، وَالْعَجَبُ لَكَ وَلِأَخِيكَ أَنَّكَ لَا تَتَيْنِكَ وَلَا يَتَيْنِكَ ، فَعَلَامَ غَرَرْتُمُ الْحَرَائِرَ وَاسْتَهْدَيْتُمُ الْمَهَائِرَ ، وَأَنْتُمْ قَوْمٌ تَلْقَفُونَ مَا يَأْفِكُونَ^(٦) ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تُوعُونَ^(٧) ؛ وَفِيمَ خَطَبْتُمُ النِّسَاءَ وَأَنْتُمْ تُخْطَبُونَ ، وَكَيْفَ تَقْدَمُ الْمُشُورُ مَعَ حَاجَتِكُمْ إِلَى الذَّكُورِ ، ثُمَّ أَظْهَرْتُمْ حُبَّ النِّسَاءِ ، وَبِكُمْ عِرْقُ النِّسَاءِ ، وَكَيْفَ أَدَّعَيْتُمْ يَوْمَ الْحَرْبِ الطَّعْمَانَ ،

(١) بفى الكبير أبو موسى التركي ، أحد قواد المتوكل المشهورين . توفي

سنة ٢٤٨ هـ ابن الاثير ٦ / ٤٠ (حوادث سنة ٢٤٨) ، العبر ١ / ٤٥١ .

(٢) سورة الرعد ١٢٠ .

(٣) مازرايا : قرية فوق واسط من أعمال فم الصلح (معجم البلدان ٧ /

٣٥٣) ، وفي الأصل : « مازرايا » بالدال المهملة .

(٤) يعفر فوه : يُحْشَى فِي فَمِهِ التُّرَابَ ، وَفِي ذَلِكَ إِذْلالُ لَهُ .

(٥) الأصل : « فَمْرَأَةٌ مِنْ » . وَالْقِصَّةُ بِمَعْنَاهَا مُخْتَصَرَةٌ فِي مُحَاضَرَاتِ الرَّائِبِ ٢ / ١٢٢ .

(٦) اقتباس سيء من الآية ١١٦ من سورة الاعراف .

(٧) اقتباس سيء كذلك من الآية ٢٣ من سورة الانشقاق .

[٥١ - ظ]

وَأَنْتُمْ مَعَشَرَ تَخْرُثُونَ لِلْأَذْفَانِ ، وَلَكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقَاعٌ وَمَعْتَرَكٌ جَمَاعٌ ،
ثُمَّ تُلْفَوْنَ وَقَعًا لِلصُّدُورِ ، وَالرِّمَاحِ / فِي أَعْجَازِكُمْ تَمُورُ ، وَقَدْ طَبِئْتُمْ أَنْفُسًا
بِأَنْ أَصْبَحْتُمْ نِسَاؤَكُمْ عِنْدَ جِيرَانِكُمْ ، وَرِجَالَكُمْ عِنْدَ غِلَامَانِكُمْ ، فَإِذَا
سَبَبْتُمُوهُنَّ بِالزَّنَا سَبَبْتُمْ بَالِيغَهُنَّ ، وَقَدْ — لَعَمْرِي — أَظْهَرْتُمْ
الدَّفَّ^(١) ، وَنَقَرْتُمُ الدَّفَّ^(٢) ، وَأَكْثَرْتُمُ الطَّعْنَ وَادَّعَيْتُمُ الْإِثَارَ^(٣) ؛
فَلَمَّا احْتِيجَ مِنْكُمْ إِلَى اللَّقَاءِ ، وَتُنْجِزُ مِنْكُمْ الْوَفَاءَ ، انْهَزَمَ الْجَمْعُ
وَوَلَّيْتُمُ الدُّبُرَ^(٤) ، فَقُبِحًا لَكُمْ آلَ مُكْرَمٍ قُبْحًا يَقِيمُ وَيَلْزَمُ .

فَلَسْتُمْ عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كَلُومُكُمْ وَلَكِنْ عَلَى أَعْجَازِكُمْ يَقْطُرُ الدَّمُ^(٥) .

فِيَا بُؤْسَى لِلْعَرُوسِ وَإِزَارِهَا الَّذِي لَمْ يُحْلَلْ ، وَفَرَعِهَا الَّذِي لَمْ يُبَلَّلْ ،
وَلِلظَّيْنَةِ الْغَرِيرَةِ وَطَرَفِهَا الْفَتَّانِ ، وَقَوْلِهَا لِلْأَتْرَابِ ، أَمَّا لَالُ مُكْرَمٍ ١٠

(١) الدَّفَّ : إعلان النكاح .

(٢) الدَّفَّ : الآلة المعروفة يضرب عليها النساء .

(٣) الاثَّار : إدراك الثَّار .

(٤) اقتباس من الآية ٤٥ من سورة القمر .

(٥) البيت مأخوذ من قول الحصين بن الحُمام المري :

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كَلُومَنَا وَلَكِنْ عَلَى أَعْقَابِنَا يَقْطُرُ الدَّمَا

وهو مع بيتين آخرين في الحماسة (بشرح التبريزي ١ / ١٠٣)

وذكرت أنك لا تعرف للمعروف طريقاً أحزن ولا أوعر من طريقه إليّ ، ولا مُستزراً أقل زكاء ولا أبعد من ثمره خير من مكانه عندي .

فلو كان ما وصفت على ما ذكرت لما لحقتك كفرٌ إنعام ، ولا شكرٌ ٥
إحسان ، لقصور جدتك^(٢) عن التفضل وهتك عن الإفضال . بلى ، أستغفر
الله ! لو وجدت فضلاً لوجهته به إلى العاملين عليها أعني أمّ الفلك ،
القاضية عليك بالهلك ؛ وأين أنت فيلحقني إكرامك ، أو ينالني
إنعامك ؟ هيهات ! جلّ الأمر عن الحرش^(٣) ، وعفى السيلُ العطن^(٤) ؛
ولكنك يا أبا جعفر — وأنتى لك بجعفر — لا تعرف للجماع طريقاً أسهل ١٠

(١) اقتباس من الآية ١١ سورة « ص » .

(۲) حدثك : غناك ومالك .

(٣) من أمثالهم : « هذا أجمل من الحرش » يضربونه لمن يخاف شيئاً فيبتلى بأشد منه . وأصله أن الضب قال لابنه : احذر الحرش ! (والحرش : أن يُحكَ الجُحر الذي فيه الضب فيحصبه دابة تريد أن تُلج عليه حجره ، فيخرج ذنبه من حجره ضارباً مقاتلاً) . فسمع يوماً وقع محفار على فم الجحر ، فقال يا أبة ! أهذا الحرش ؟ فقال : يا بني ! هذا أجمل من الحرش .

انظر اللسان (حرش) وجمع الأمثال ١ / ١٢٦ .

(٤) عفى : طمس ، والمطن : مبرك الابل . وفي الأصل : « السيل والعطن » .

مَاتَنِي وَلَا أَقْرَبَ مَأْخِذًا مِنْ طَرِيقِهِ إِلَيْكَ ، وَحَلَمُوهُ عَلَيْكَ ؛ هَذَا مَعَ
دَنْسِ أَثَوَابِكَ ، وَوَضَرَ أَطْرَافِكَ ، وَتَنَزَّاهُكَ^(١) .

وَزَعَمْتَ أَنَّ الْمَعْرُوفَ يَحْصُلُ مِنِّي فِي حَسَبِ دَنِّي وَلِسَانِ بَدْيِي ،
فَانْظُرْ لَكَ الْوَلِيَّاتُ كَيْفَ ارْتَقَيْتَ ، وَإِلَى مَنْ تَعَدَّيْتَ ؟ وَهَلْ فَوْقَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) ، وَهَلْ عَنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ مَرْغَبٌ ؟ وَلَوْلَا عَدْلُ
سُلْطَانِنَا وَفَضْلُ أَحْلَامِنَا ، وَأَنَّ الْاِقْتِدَارَ يَمْنَعُ الْحُرَّ مِنَ الْاِتِّصَارِ ،
مَعَ دِقَّتِكَ عَنِ الْمَجَازَاةِ ، وَسَقُوطِكَ عَنِ الْمُسْلَحَةِ ، لَاصْطَمَكَ مِنِّي الْاِعْتِزَامُ ؛
فَاشْكُرْ لَوْ مَكَ إِذْ نَجَّاهُ ، وَخَصَّمَكَ إِذْ رَفَعَ قَدْرَهُ عَنْكَ .

وَأَمَّا الْبَذَاءُ فَمَا أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ إِقْمَاعِ اللَّئِيمِ وَتَمْظِيهِ الْكَرِيمِ ،
وَلِذَلِكَ أَقُولُ : ١٠

إِذَا أَنَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَثْنِ صَادِقًا وَلَمْ أَشْتُمِ الْجَبِيسَ اللَّئِيمَ الْمَذْمُومًا^(٣)
فَفِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِيحَ وَالْقَمَامَا

(١) جَمَعَ رِيحَ بَعْمَنِي رَائِحَةً .

(٢) كَانَ جَدُّ أَبِي الْعِيْنَاءِ مَوْلَى لِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ . وَإِلَى صَلَةِ هَذَا الْوَلَاءِ
وَإِلَى مَا هَلَا مِنَ الْحَقُوقِ يُشِيرُ أَبُو الْعِيْنَاءِ .

(٣) الْبَيْتَانِ فِي الصَّنَاعَتَيْنِ ٤٢٧ وَزَهَرَ الْآدَابُ ١ / ٣٢٣ ؛ وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ
٣ / ١٧٠ وَأُمَالِي الْقَالِي ٢ / ١٥٩ مِنْ إِنْشَادِ أَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيِّ . وَفِي أَلْفَاظِهَا
اِخْتِلَافٌ عَمَّا هُنَا .

وَأَمَّا الْجَاظُ فَإِنَّهُ يَقُولُ فِي رِسَالَةٍ :

سَأَلْتَنِي - أَبَقَاكَ اللَّهُ - عَنْ فُلَانٍ ، وَأَنَا أَخْبِرُكَ بِالْأَثَرِ الَّذِي يَدُلُّ
عَلَى صِحَّةِ الْخَبَرِ ، وَبِالْوَاضِحِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْخَفِيِّ ، وَانْظَاهِرِ الَّذِي
يَقْضِي عَلَى الْبَاطِنِ ؛ فَتَفَهَّمْ ذَلِكَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

- فَمِنْ ذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُهُ ، وَهُوَ فِي جِيرَانِهِ كَالْحَيْضَةِ الْمُنْسِيَةِ^(١) ، وَكُلُّهُمْ يَعْرِفُهُ ٥
بِالْأُبْنَةِ ، وَلَهُ غُلَامٌ مَدِيدُ الْقَامَةِ ، عَظِيمُ الْهَامَةِ ، ذُو أَلْوِاجٍ وَأَفْخَاذٍ
وَأَوْرَاكٍ وَأَصْدَاغٍ ؛ أَشْعَرُ الْقَفَا ، يَلْبَسُ الرِّقِيقَ مِنَ الثِّيَابِ ، وَيُثَابِرُ
عَلَى الْمِطْرِ وَدُخُولِ الْحَمَامِ ، وَيَتَزَيَّنُ وَيَقْلُمُ الْأَظْفَارَ ؛ وَكَانَ - مَعَ هَذِهِ
الصِّفَةِ - الْمُدَبِّرَ لِأَمْرِهِ ، وَالْمُشَفِّعَ لَدَيْهِ ، وَالْحَاكِمَ عَلَى مَوْلَاهُ دُونَ بَنِيهِ
وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَالصَّارِفَ لَهُ عَنْ رَأْيِهِ ، إِلَى رَأْيِهِ ، وَعَنْ إِرَادَتِهِ إِلَى ١٠
هَوَاهُ ، وَكَانَ أَكْثَرَ أَهْلِهِ مَعَهُ جُلُوسًا ، وَأَطْوَلَهُمْ بِهِ خُلُوءًا ، وَلَا يَبِيتُ
إِلَّا مَعَهُ ، وَإِذَا غَضِبَ حَزَنَهُ غَضِبُهُ وَطَلَبَ رِضَاهُ ، وَكَانَ أَيَّامَ وَلَايَتِهِ
لَا يَتَقَدَّمُهُ قَرِيبٌ وَلَا بَعِيدٌ ، وَلَا شَرِيفٌ وَلَا وَضِيعٌ ؛ إِنْ رَكِبَ فَهُوَ فِي
مَوْضِعٍ صَاحِبِ الْحَرَسِ مِنَ الْخَلِيفَةِ ، وَإِنْ قَعَدَ فَقِي مَوْضِعِ الْوَلَدِ
السَّارِّ وَالزَّوْجَةِ الْبَارَّةِ ، وَإِنْ التَّوَتَّ عَلَى أَحَدٍ حَاجَةً كَانَ لَهُ مِنْ وَرَائِهَا ، ١٥

(١) الْحَيْضَةُ : الْحُرْقَةُ الَّتِي تَسْتَنْفِرُ بِهَا الْمَرْأَةُ . وَالْمُنْسِيَةُ : خُرْقَةُ الْحَيْضِ

الَّتِي يَرْمِي بِهَا فِتْنَتَهَا لِحَقَارَتِهَا (ل : حَيْض - نَسَى) .

وكانت أهونَ عليه من خلع نعليه ، وكان يبيت في لحافه .
فحكّمنا عليه بهذا الحكم الظاهر ، ولاحكمم القضاة بالتسجيل ،
وتخليدها في الدواوين ، ولا كالإقرار بالحقوق وشهادات المدول .

وكتب العُتيبي^(١) إلى صديق له يحذّره رجلاً ، ويصف [أخلاقه]^(٢)
فقال : احذر فلاناً ، فإن ظاهره برٌّ وغيبه عداوة ، وإن أفضيت إليه
حديثك وضعه عند عدوك ، وإن كتّمته إياه شتمك عند صديقه ،
لا يصلح لك عند نفسه حتى يفسدك عند غيره : وهو / صديقك بما يلزمك
من حقه ، وعدوك بما يضيع من حقه عليك^(٣) ؛ إن ذنوت منه
آذاك ، وإن غبت عنه افتابك ، يلطخ^(٤) صاحبه بأذاه ، فإن
فسله بالإعتاب أعاده بالعتب ، وإن تركه عيّره ؛ السلامة منه أن

(١) العتيبي بضم العين نسبة إلى جدّه عتبة بن أبي سفيان ، أو إلى عتبة المرأة
التي كان يتنزل فيها ؛ وهو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمر
البصري المتوفى سنة ٢٢٨ هـ / . كاتب أديب شاعر فحل من المحدثين ، وله مؤلفات .
ترجمته في الفهرست ١٧٦ ، الوفيات ١ / ٦٦١ - ٦٦٢ ، المعارف ٢٣٤ .
(٢) تكملة يقتضيها السياق .

(٣) كذا « يضيع من حقه عليك » في الأصل ، وصحة الكلام « يضيع
من حقه عليه » .

(٤) كلمة محوّة في الأصل .

لا تعرفه ، فإن عرفت فهو الداء ، إن تداويت لم ينفعك ، وإن تركته
قتلك ، أخلط الناس جده بهزله ليمنعك ما في يده منع هزل ،
ويغلبك على ما في يدك مسألة جد .

ووجدت أيضاً رسالةً لأبي هفان^(١) إلى ابن مكرم وهي :
أما بعد يا ابن مكرم ضد اسميه ، وخطيئة أبيه وأمه ، ياسبة ه
العار على سبته ، ولعنة إبليس على لعنته ، ما أظنك من نطفة ،
ولا كانت لواضعتك عذرة ؛ أفرغك [أبوك^(٢)] من سلحة على سلحة ،
وأجراك من أمك في فقة إلى فقة ، فأنت كما قال الشاعر :

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى نَتْنِهِمْ ————— شِعْرَتَيْنِ اخْتَكَّتَا فِي طَلْبِهِ

أولك زينة وآخرك أبنة ، فكلك لعنة في لعنة ، تقصع القمل ١٠
بأسنانك ، وتمسح مخاطك بلسانك ، وتستنزِل منيكَ ببنانك ، ومني

(١) عبد الله بن أحمد بن حرب المهزبي العبدي ، من أهل البصرة .
نحوي لغوي راوية عالم بالشعر ، وله مؤلفات ، وشعر جيد إلا أنه مقيل ، وهو
من شعراء الدولة العباسية وأحد غلمان أبي نواس ورواته . روى عن الأصمعي
وروى عنه يعقوب بن المزرع . ولد سنة ١٩٨ هـ ، وتوفي - فيما يقول ابن حجر -
سنة ٢٥٧ هـ . وبعد سنة ستين ومائتين كما في مختار أخبار النحويين (شيد على
٢٥١٥ ، الورقة ٢٢٢ ط) . ترجمته في الفهرست ٢٠٧ وتاريخ بغداد ٩ / ٢٧٠
وطبقات ابن المعتز ١٩٤ والآل للبكري ٣٣٥ والإرشاد ٤ / ٢٨٨ ولسان الميزان
٢٤٩ / ٣ والوافي (شيد على ١٩٦٨ الورقة ١٧ ط - ١٨ ط) :

(٢) تكملة للإيضاح .

غيرِكَ بِعِجَانِكَ ، عَبْدُكَ يَصْفَعُكَ ، وَخَادِمُكَ يَقْعَمُكَ ، وَكَلْبُكَ يَلْطَعُكَ ،
وَصَدِيقُكَ يَقْطَعُكَ ، نَفْسُكَ فُسَاءٌ ، وَخَشْمُكَ^(١) خَرَاءٌ ، وَرِيْقُكَ مَاءٌ
الْمَذْرُوعُ ، وَكُلُّ خِلَالِكَ قَذْرَةٌ ؛ وَأَنْتَ لِلْأَحْرَارِ عِيَابٌ ، وَبَيْنَ الْكِرَامِ
نَعَامٌ ، أَنْتَ لِلْأُدْبَاءِ حَاسِدٌ ، وَلِلْعُلَمَاءِ شَاتِمٌ ، وَبِالْجَلِيسِ هَامِزٌ ، وَفِي
الْمُحْسِنِ إِلَيْكَ غَامِزٌ ، تُظْهِرُ جَوْرَكَ ، وَتَتَعَدَّى طُورَكَ ، مَهِينٌ فِي
نَفْسِكَ ، عُرَّةٌ فِي جَنْسِكَ ، حَالِفٌ فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ ، كَذُوبٌ عَلَى
الْجَادِّ وَالْمَازِلِ ، تَطْلُبُ أَنْ تُهْجَى ، وَتَسْتَدْعِي أَنْ تُرْتَى ، وَقَدْ سَبَقَ
الْقَوْلُ فِي مِثْلِكَ ، مَعَ نَذَالَةِ فِعْلِكَ ، وَلَوْثُمِ أَصْلِكَ .

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ بِجَلِيلِ
فَازْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلٌ^(٢)
فَأَنْتَ - يَابْنَ الْكَشْحَانَ الْقَرْنَانَ لِلدِّيُوثِ الصَّفْعَانِ - عِتْقٌ لِأُسْتِ
الشَّيْطَانِ ، لَا لَوَجْهِ الرَّحْمَنِ ، فَالْهَجَاءُ مِنْ أَنْ يُعَذَّبَ بِكَ فِي أَمَانٍ ، فَأَنْتَ

(١) الْخَشْمُ : دَاءٌ يَأْخُذُ فِي جُوفِ الْأَنْفِ فَتَنْفِرُ رَانِحَتُهُ ، وَهُوَ الْخَاطِطُ يَسِيلُ
مِنَ الْخِيَاشِيمِ أَيْضًا .

(٢) الْبَيْتَانِ نِسْبًا مَعَ ثَالِثِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ ، يَهْجُو دَعْبَلًا ، وَهِيَ فِي مَلْحَقِ دِيْوَانِهِ
(ط . الهندسة ١٣٠٣ هـ ج ١٦٤) ، وَدِيْوَانُ الْمَعَانِي ١ / ١٧٨ ، ٤٨٨ وَأَخْبَارُ
أَبِي تَمَامٍ ٤١ ، وَشَرْحُ الْمَقَامَاتِ ١ / ٣٥٤ وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيسِ ٢ / ١٣ - ١٤ .
وَنِسْبًا فِي الْمَوَازِنَةِ ٣١ (ط . بيروت ١٣٣٢ هـ) لِأَبِي تَمَامٍ ، وَلَمْ أَجِدْهَا فِي دِيْوَانِهِ
(ط . بيروت) . وَفِي الْكَامِلِ لِلْمَبْرَدِ ٢ / ٨٥ نِسْبًا لِلدَّعْلِ .

بعزّ لؤمك في سلطان ، معرفتك تشين ، وقطيعةك تزين ، وذكرك
 سبة ، وقتلك قربة ، لا يحصي الخلق عيوبك ، ولا تثبت الحفظة
 ذنوبك ، أنت بالله مشرك ، وفي خلقه متهتك ، تقصك مفروض ،
 ودينك مرفوض ، وبكلّ قبيح منعوت ، وعند العالم تمقوت ، أحسن
 آدابك الزندقة ، وأفضل حالاتك الصدقة ، نذل الأبوة ، رذل الأخوة ، ٥
 عدو المروءة ، لم تؤمن بنبوة ، ولم تعرف بفتوة ، تقصّد الكريم
 بسبابك ، فيذلّك بترك جوابك ، جئت بأمر من حمام الدجال ، توازي
 بها أمهات الرجال ، لاصوم ولا صلاة ، ولا صدقة ولا زكاة ، لا تغسل
 من جنابة ، ولا تهّم بإنابة ، عقوبك بأبيك أنه غير من يدعيك ،
 لقاتلك أرفع الدرج ، وما على قاذفك من حرج ، وكلّ ذلك بالآيات ١٠
 والحجج ، الحدّ لتارك وصفك ، والنار للمطنب في مدحك ، وفارم
 مثالبك وكاتب معاييك ثواب مُعْتِق الرقاب ، يُوفى أجره بغير حساب ،
 فله فيك من الثواب أكثر مما لك من العقاب ، لك خلقت سقر ،
 ومن أجلك يُعذب البشر ، أحسن في عينك من القمر ، ما تستدخله
 من الكمر ، تعيبُ المؤمنات والمؤمنين ، وتقذِف المحصّنات ١٥
 والمحصنين ، إذ ليسوا لك بآباء ، ولست لهم في عداد أبناء ، فانت
 كما قال الشاعر :

مُغْرَى بِقَذْفِ المحَصَّنَاتِ وَلَسْتَ مِنْ أُنْبَائِهَا
 آنَفُ للعلم الذي حويته ، وَأَغَارُ عَلَى الشَّعْرِ الذي رَوَيْتَهُ ، فَأَنْتَ
 - وَإِنْ غَلَطْتَ بكلمة طريفة ، أَوْ حُجَّة حكيمة ، أَوْ نَادِرَةٍ مليحة ،
 اعتباراً للسامع وفكرة للعاجِب - سفيه على إفراط قَدْرِكَ ، حَسُودٌ
 عَلَى شِدَّةِ بَخْرِكَ ، وَوَقَّاعٌ عَلَى قَاتِلِ ذَفْرِكَ^(١) ، مُتَمَازِحٌ فَلَاحُجٍ
 وَتُجَابٍ وَتُدْعِين ، إِنْ تُرِكَتَ عَمَيْتَ ، وَإِنْ عُمِيَتْ بِكَ اسْتَعْمَيْتَ ،
 فَمَثَلُكَ « كَمَثَلِ الْكَلْبِ ، إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ »^(٢) ،
 فاستمع لكلام يُشَبِّهِكَ فِي الْأَيَّامِ ، يَا عَيْبَ الْمَعَايِبِ ، وَيَاشَيْنَ الْمَحَاضِرِ
 وَالْمَغَايِبِ ، فَلَكَ الْمَثَلُ الْأَسْفَلُ ، وَالْقِيَاسُ الْأَرْذَلُ ، وَالشَّبَهَةُ الْأَنْذَلُ
 ١٠. كما قيل :

وَأَدْعُوكَ لِلأَمْرِ الذي أَنْتَ شَيْنُهُ عَلَى شَيْنِهِ يَا فَاضِحًا لِلْفَضَائِحِ
 / وَوَجَدْتَ أَيْضًا رِسَالَةً أَفَادِنِيهَا أَبُو مُحَمَّدٍ العَرُوضِيُّ^(٣) لابن حمَّاد^(٤)

[٥٢-ظ]

(١) الذَّقَرُ : النَّتْنُ ، وَخَبَثُ الرِّيحِ .

(٢) الْآيَةُ ١٧٥ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .

(٣) أَبُو مُحَمَّدٍ العَرُوضِيُّ مِنْ جُلَّاسِ أَبِي سَلِيمَانَ الْمُنْطَقِيِّ . وَذَكَرَ أَبُو حَيَّانٍ
 فِي الْمَقَابِسَاتِ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ هَذَا كَانَ مِنَ الْأَيْمَةِ فِي شَأْنِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَتَفَلَسَفُ ، وَأَنَّهُ
 قَدْ لَازِمَ يَحْيَى بْنَ عَدِيٍّ دَهْرًا ؛ وَلَهُ مَحَاوِرَاتٌ فِي مَسَائِلِ فِلْسَافِيَّةٍ ذَكَرَهَا فِي
 الْمَقَابِسَاتِ ٣ ، ١٧ ، ٣١ (ط . الْهِنْدَسَنَةُ ١٣٠٦) .

(٤) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَّادِ الْكَاتِبِ ، ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرِسْتِ ١٩٥ ،

في ابن مُقَلَّة أَيْ عَلِيٍّ ^(١) يَمَزَّقُهُ فِيهَا ، وَيَذْكُرُ خَسَاسَةَ أَصْلِهِ ، وَسَقُوطَ قَدْرِهِ ، وَلَوْثَمَ نَفْسِهِ ، وَفُحْشَ مَنْشَأِهِ ، تَرَكْتُ تَخْلِيدَهَا فِي هَذَا الْمَكَانِ ، وَكَذَلِكَ تَرَكْتُ غَيْرَهَا هَرَبًا مِنَ التَّطْوِيلِ .

وبعد فحمدُ المحسنِ وذمُّ المُنْسِيءِ أَمْرَانِ جَارِيَانِ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُذْ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، وَعَلَى ذَلِكَ يَجْرِي إِلَى أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ بِفَنَائِهِ ، وَهُوَ ^(٢) ٥
عَزَّ وَجَلَّ أَوَّلُ مَنْ حَمِدَ وَذَمَّ ، وَشَكَرَ وَلَامَ ، أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ وَصَفَ بَعْضَ عِبَادِهِ عِنْدَ رِضَاهُ عَنْهُ فَقَالَ : « نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ » ^(٣) ، وَقَالَ فِي آخِرِ « إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ » ^(٤) ، وَعَلَى هَذَا ، فَإِنَّهُ أَكْثَرُ مَنْ أَنْ يُبْلَغَ آخِرُهُ ؛ ثُمَّ انْظُرْ كَيْفَ وَصَفَ آخَرَ عِنْدَ سُخْطِهِ عَلَيْهِ وَكَرَاهَتِهِ لَمَّا كَانَ مِنْهُ فَقَالَ : « هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُثِيمٍ عُتْلٍ بَعْدَ ١٠
ذَلِكَ زَنِيمٍ » ^(٥) .

(١) محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله بن مقلة (٢٧٢ - ٣٢٨ هـ) ، وزير للمقتدر سنة ٣١٦ هـ ، وللقاهر سنة ٣٢٠ هـ ، وللراضي ، وهو من أوائل من كَيْفُوا الخط العربي وهندسوه ، فسارت الأمثال بحسن خطه . انظر المنتظم ٦ / ٣٠٩ - ٣١١ والفهرست ١٤ .

(٢) هذا كلام أبي العيْناء ، وهو - منسوباً له - في الصناعتين ٤٢٧ ، وزهر الآداب ١ / ٣٢٣ ؛ وفي ديوان المغانبي ١ / ١٥٦ غير منسوب .

(٣) الآيتان ٣٠ و ٤٤ من سورة « ص » .

(٤) الآية ٥٤ من سورة « مريم » .

(٥) الآية ١١ من سورة « القلم » .

وهذا فوق ما يقول مخلوق في مخلوق .

وقال الحسن البصري : الهَمَّازُ : العِيَاب ، و« مَشَاءٌ بَنِمِيم » : ينقل الكلامَ القبيح ، « مَنَائِعُ لِلخَيْرِ » : بخيل ، « مُعْتَدٍ أَثِيم » : ظلوم ذميم ، « عُتْلٌ » جاف ، والزَّيْم : الدَّيُّ .

٥ قال أبو سعيد السيرافي^(١) : العُتْلُ : نراه من قولهم جيء بفُلانٍ يُعْتَلُ إذا غُلِظَ عليه ، وعُتِفَ به في القود .

وكيف يَأْتُمُ الإنسانُ في غِيبةٍ من كان قلبه تَفَلًّا بالنِّفاق ، وصدره مريضاً بالكُفر ، ونفسه فائضةً بالقساوة ، ووجهه مكسوراً بالصفاقة ، ولسانه ذريعاً بالفحش والبذاءة ، وسيرته جاريةٌ على الكَيْدِ والمداوة ، وعِشرته ممقوتةٌ بالنكد والرداءة ؛ وقد أثنى الله على واحدٍ ولعن آخر ، وخطَّ هذا إلى الحُشِّ^(٢) ورفع ذلك إلى العرش ، وعاتب ، وأنب ولامَ وَذَمَّ ؛ وكذلك رسوله صلى الله عليه ، وَمَنْ تَقَدَّمَ من الأنبياء والمرسلين

(١) الحسن بن عبد الله بن المزيان السيرافي أبو سعيد القاضي (٢٩١ - ٣٦٨ هـ) من شيوخ أبي حيان ، أجله وأكثر الثناء عليه في كل ما عرفناه من كتبه . ترجمته في الإرشاد ٣/٨٤ وما بعدها ، وعيون التواريخ في حوادث سنة ٣٦٨ هـ الزهية ٣٧٩ ، طبقات الزيدي ٨٦ ، مسالك الأبصار ٣١/٦ م فهرست ٩٣ ، البنية ٢٢١ .

(٢) الحش ، بفتح الحاء وضمها : المتوضأ والكنيف وموضع الفاظ .

وَالْأَوْلِيَاءُ الْمَخْلُصِينَ ؛ وَعَلَى هَذَا فُورِقَ السَّلَفُ الطَّاهِرُ ، وَالصَّحَابَةُ الْعَلِيَّةُ ، وَهُمْ الْقُدُوةُ وَالْعُمْدَةُ ، وَإِلَيْهِمْ يُنْتَهَى فِي كُلِّ حَالٍ ، وَعَلَيْهِمْ يُعْتَمَدُ فِي كُلِّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ .

فَمَنْ ذَا يُزِرِّي عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ إِذَا خَرَجَ الْقَوْلُ فِيهِ مَبْضُوداً بِالْحُجَّةِ ، تَمْدُوداً بِالْمَعْدِرَةِ ، مَعْقُوداً بِالنِّصْفَةِ ، وَكَانَ فِيهِ بَرْدُ الْغَلِيلِ ، وَشِفَاءُ الصَّدْرِ ، وَتَخْفِيفُ السَّكَاهِلِ مِنْ ثَقَلِ الْغَيْظِ عَلَى أَجْمَلِ وَجْهِ وَأَسْهَلِ طَرِيقٍ ، مَعَ مُسَانَعَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَتَنَافُلٍ عَرِيزٍ ؟

وَقِيلَ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ : أَيُّ شَيْءٍ أَلَدُّ ؟ قَالَ : رُكُوبُ هَوًى وَافَقَ حَقَّتَنَا ، وَإِدْرَاكُ شَهْوَةٍ لَا تَتْلُمُ دِينَنَا ، وَقَضَاءُ وَطَرٍ لَا يَتَحَيِّفُ مَرْوَّةً ، وَبُلُوغُ مُرَادٍ لَا يُسَيِّرُ قَالَةً قَبِيحَةً ؛ وَالْمَذْهَبُ الْأَوَّلُ مَذْهَبُ الزُّهَادِ وَالْمُتَأَبِّدِينَ^(١) ، وَأَصْحَابُ الْوَرَعِ وَالْمُتَعَبِّدِينَ .

وَنَحْنُ قَدْ بَيَّنَّا الْأَصْلَ فِي هَذَا الْبَابِ ، فَلَيْسَ بِنَا حَاجَةً إِلَى التَّكْثِيرِ ؛ وَكَيْفَ يَلْزُمُنَا حُكْمُ مَنْ يَتَعَجَّرُ فِي قَوْلِهِ وَيَخْتَارُ عَلَى رَأْيِهِ^(٢) ، وَيَعْتَرِضُ بِجَوْرِهِ .

وَنَحْنُ قَدْ اقْتَدَيْنَا بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَجَرَيْنَا عَلَى عَادَةِ الْأَنْبِيَاءِ ۝ ١٥

(١) المتأبد : المنزول عن الناس .

(٢) بالأصل : « ويختار على رأيه » .

وَالْمُرْسَلِينَ وَأَخَذْنَا بِهِدْيِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ؛ وَإِنَّمَا أَشْكِلُ الْقَوْلَ فِي
هَذَا الْمَذْهَبِ عَلَى قَوْمٍ مَدَحُوا الصِّمْتَ ، وَكَرِهُوا كَثِيرًا مِنَ الْقَوْلِ ؛
وَقَلِيلُ الْكَلَامِ عِنْدَهُمْ فَضْلٌ ، وَكَثِيرُهُ هُجْرٌ ، وَفِيهِ اللَّغْوُ الَّذِي يَجِبُ
أَنْ يُتَجَنَّبَ ، وَالْحَشْوُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَادَ .

هـ وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ — أَكْرَمَكَ اللَّهُ — لَا يَعْرِفُونَ فَضْلَ مَا بَيْنَ التَّفْهِيمِ^(١)
الْمَذْمُومِ وَالْبَلَاغَةِ الْمَحْمُودَةِ ، وَالتَّشْدِيقِ الْمَكْرُوهِ وَالْخَطَابَةِ الْحَسَنَةِ ،
وَمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْبَيَانِ الْمَشْتَمِلِ عَلَى الْحِكْمَةِ ، وَمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْعِيِّ
الشَّاهِدِ بِالْهُجْنَةِ ؛ وَمَتَى كَانَ ذِكْرُ الْمُهْتَوَكِ حَرَامًا ، وَالتَّشْنِيعُ عَلَى الْفَاسِقِ
مُنْكَرًا ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى النِّفَاقِ خَطْلًا ، وَتَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الْفَاحِشِ
الْمُتَفَحِّشِ جَهْلًا ؟ ١٠

هَذَا مَا لَا يَقُولُهُ مَنْ قَامَ بِالْمَوَازَنَةِ وَالْمَكَايِلَةِ ، وَعَرَفَ الْفَرْقَ بَيْنَ
الْمُكَاشَفَةِ وَالْمَجَامَلَةِ ؛ وَإِنَّمَا غَزُرَ الْأَدَبُ ، وَكَثُرَ الْعِلْمُ ، وَجُزِلَتِ الْعِبَارَةُ ،
وَانْبَعَجَتِ الْعِبَرُ ، وَاسْتَفَاضَتِ التَّجَارِبُ ، لَمَّا وَقَفُوا عَلَيْهِ مِنْ أَنْبَاءِ النَّاسِ
وَقَصَصِهِمْ وَأَحَادِيثِهِمْ فِي خَيْرِهِمْ وَشَرِّهِمْ ، وَفِي وَفَائِهِمْ وَغَدَرِهِمْ ، وَلُصَحِّهِمْ

(١) يُشِيرُ إِلَى حَدِيثٍ : « إِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَىَّ وَأَبْغَضَكُمْ مِنِّي الثَّرَاوُونَ الْمُتَفَهِّمُونَ .
قِيلَ : وَمَا الْمُتَفَهِّمُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ ، ، وَهُمْ الَّذِينَ يَتَوَسَّمُونَ فِي الْكَلَامِ ،
وَيَفْتَحُونَ بِهِ أَفْوَاهَهُمْ . وَهُوَ فِي « النِّهَايَةِ » وَ « اللِّسَانِ » (فَهَق ، ، وَفِي
كامل المبرد ٣ / ١ .

وَمَكْرَهُمْ ، وَأُمُورَهُمُ الْمُخْتَلِفَةَ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَسَنَ الَّذِي شَاعَ عَنْهُمْ ،
 وَالْقَبِيحَ الَّذِي لَصِقَ بِهِمْ ، وَالْمُسْكَارَ الَّذِي بَقِيَتْ لَهُمْ ، وَالْفَضَائِحَ الَّتِي
 رَكَدَتْ عَلَيْهِمْ ؛ وَالْدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ ؛ فَمَنْ عَمِلَ خَيْرًا ذُكِرَ بِهِ ، وَأَكْرَمَ
 مِنْ أَجَلِهِ ، وَحُظِيَ بِطَرَفِ الْوَقَارِ ، وَصِيَنَ عِرْضُهُ عَنْ أَصْوَصِ الْعَارِ
 وَالشَّنَارِ^(١) ، وَالْحَقُّ بِأَصْحَابِ التَّوْفِيقِ ، وَمَنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْوِزْنُ الرَّاجِحُ ،
 وَالْوَجْهُ الْمُسْفِرُ ؛ وَمَنْ عَمِلَ شَرًّا لِيَمِ عَلَيْهِ ، وَأُهِنَ مِنْ أَجَلِهِ ، وَنُظِرَ
 إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْمَقَاتِ ، وَأُلْصِقَ بِعِرْضِهِ كُلُّ خِزْيٍ ، وَبِيعَ فِيمَنْ يَنْقُصُ
 لَا فِيمَنْ يَزِيدُ ؛ وَالْجِزَاءُ وَإِنْ كَانَ مُؤَخَّرًا إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ لِأَهْلِهِ ، فَإِنْ
 بَعْضَ ذَلِكَ قَدْ يُعَجَّلُ لِمُسْتَحِقِّهِ ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ / فِي تَنْزِيلِهِ : [٥٣-ظ]
 « ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ »^(٢)
 ١٠ وَالَّذِي ذَكَرْتُهُ عَنِ الْجَاهِظِ فَلَيْسَ^(٣) هُوَ أَوَّلُ مَنْ اقْتَضَبَهُ
 وَسَنَّهُ ، بَلْ قَدْ سَلَفَ فِيهِ قَوْمٌ كِرَامٌ ، وَخَلَفَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ جِلَّةِ
 النَّاسِ . أَنَا قَرَأْتُ رِسَالَةَ لَابْنِ الْمُقَفَّعِ^(٤) فِي مَعَايِبِ بَعْضِ آلِ سُليمان

(١) الشَّنَارُ : العيب والعار .

(٢) الآية ٣٦ من سورة المائدة .

(٣) أُدْخِلَ الْفَاءُ فِي خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ ، وَهُوَ اسْمُ مُوَصُولٍ ، لِأَنَّهُ أَشْبَهَ - فِي

عَمُومِهِ - اسْمَ الشَّرْطِ .

(٤) ابْنُ الْمُقَفَّعِ ، بَفَتْحِ الْفَاءِ وَكُسْرِهَا : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ الْكَاتِبُ الْمَشْهُورُ .

قَتَلَ سَنَةَ ١٣٧ أَوْ ١٤٢ هـ . -

ابن علي الهاشمي^(١) ، وكذلك أصبت رسالة لسهل بن هارون^(٢) في مثالب الحراني ، ورأيت أيضاً رسالة لسعيد بن حميد^(٣) في فضائح

— وترجمته في الوفيات ١٨٧/١ — ١٩٠ ، الوافي (الورقة ١٥ — ١٧ ب .
نسخة شهيد علي ١٩٦٩) ، والفهرست ١٧٢ .

(١) سليمان بن علي الهاشمي ، ولي البصرة وعمان والبحرين لأبي جعفر المنصور ، وتوفي بالبصرة سنة ١٤٢ هـ . والحديث عن عقبة في المعارف لابن قتيبة ١٦٤ ؛ وفي الفهرست ووفيات الأعيان ١٨٨/١ — ١٨٩ عرض* لصلة ابن المقفع بهذا البيت .

(٢) سهل بن هارون بن راهبون ، أبو عمرو من أهل نيسابور ونزل البصرة فنسب إليها ، كاتب بليغ مشهور ، ولاه الخليفة المأمون النظر في « دار الحكمة » فكان خازناً بها ؛ أثنى عليه الجاحظ في كتبه ونقل عنه ، وكان بخيلاً فذكره في كتاب البخلاء .

ترجمته في الفهرست ١٧٤ ، وسرح العيون ١٣٠ — ١٣٣ ؛ والنظر البخلاء . ٢٤٦٠٧ .

(٣) أبو عثمان سعيد بن حميد بن يحيى من أصل فارسي ، كان كاتباً شاعراً عذب الألفاظ كثير الإغارة على كلام من سبقه ؛ وولى للمستعين — لما قدم بغداد — ديوان الرسائل . وكان شديد الميل على العرب وله في ذلك كتاب « انتصاف المعجم من العرب » ويعرف بكتاب « التسوية » كما كان فاصيياً منحرفاً عن آل البيت .

ترجمته في الفهرست ١٧٩ ، والأغاني ١٧ / ٢ — ٨ وزهر الآداب ١٠٢٩ (طبع الحلبي) ومسالك الأبصار ٣٤٣ / ٣ أيا صوفيا صحيفة ٤٩٨ (وطبقات ابن المعتز ٢٠٠ ومروج الذهب ٢ / ٤٠٨ تاريخ الطبري ١١ / ٧٠ وعيون التواريخ) نسخة أحمد الثالث ١١ / ٢٣ ب — ٢٤ ب (.

آل علي بن هشام ؛ وحتى الصولي^(١) بالأنسِ ذمَّ بعض بني المنجم^(٢) في رسالة له .

وحدَّثنا حمزة المصنّف^(٣) عن أبي الحسن البغداديّ قال : كتب أبو العيّناء إلى أحمد بن أبي دؤاد^(٤) :

- أما بعدُ فالحمد لله الذي حبّسك في جلدك ، وأبقى لك الجارحة التي بها تنظرُ إلى زوال نِعمتك . قال : وهي طويلة ، قال : وقال أبو العيّناء : لولا أن القدر يُعشي البصر ، لما نهى ولا أمر^(٥) . ومن غريب

(١) يريد أبا بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي ، إذ هو الأقرب عهداً به كما يرشد إليه قوله بالأنس ، وهو أديب كبير التأليف ، وشاعر مجيد مقلّ ، وعالم واسع الاطلاع توفي سنة ٣٣٥ هـ أو ٣٣٦ في خلافة المطيع ، وقد كان نديماً للراضي والمكتفي والمقتدر . انظر الوفيات ١ / ٦٤٣ - ٦٤٦ .

(٢) كان لبني المنجم اختصاص بالصاحب ، وقد ذكرهم الثعالب في اليتيمة ٣ / ١٠١ - ١٠٤ ، ١٨٩ ، ٣٥٩ - ٣٦٠ . ويأتي حديث أبي حيان عن بعضهم . (٣) هو حمزة بن الحسن الاصفهاني الاديب الناقد العلامة المصنّف المبدع .

توفي قبل سنة ٣٦٠ هـ ترجمته في الفهرست ١٩٩ والانساب ٤١ ، ٢٦ - ٢٨ وتاريخ اصبهان ١ / ٣٠٠ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمن ١ / ١٥٢ ، الملحق ١ / ٢٢٠ . (٤) في محاضرات الراغب ١ / ٨٦ : « ودخل أبو العيّناء على أحمد بن أبي دؤاد فقال : ما جئتك مسلماً ولا معزياً ، ولكني أحمد الله فيك إذ حبّسك في جلدك ، وأبقى لك عيناً تنظر بها إلى زوال النعمة عنك » .

(٥) في نثر الدور الآبي : ص ٣٠١ - كوبريلي () : « وذكر أبو العيّناء موسى بن بقا فقال : لولا أن القدر يعشي البصر ، لما نهى فينا ولا أمر » .

هذا الفن رسالة لأبي العباس محمد بن يزيد^(١) في خبائث الحسن بن رجاء^(٢)،
ورأيت أيضاً رسالة للعمرى في رقعات الفضل بن سهل ذي الرياستين^(٣).
فأما الشعراء وأصحاب النظم، وأرباب المدح والهجاء، والشلب
والحمد، والتشنيع والتعسين فهم كالطم والرّم^(٤)؛ لا يكسبون إلا بهذا
المذهب، ولا يعيشون إلا على هذا الاختيار،. ولهم الهجاء المنكر،
والقول المخزي، والقذع المؤلم، واللفظ الموجه، والتعريض الذي
يتجاوز التصريح، والتصريح الذي يجمع كل قبيح، وأمرهم أظهر من
أن يدل عليه، وشأنهم أبين من أن يردد القول فيه.
وإنما المدار الصدق في القول، وعلى تقديم الحق في العقد، وقصد
الصواب عند اشتباه الرأي وغلبة الهوى.

- (١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس المبرّد (٢١٠ — ٢٨٥ هـ)
انظر المنتظم ٩ / ١١ - ١١ .
(٢) الحسن بن رجاء شاعر من جلة الكتاب، نشأ في خلافة المأمون ،
وقدّه الوزير اسماعيل بن ببل اصبهان وعاش حتى أيام الواثق (- ٢٣٢ هـ) .
انظر إعتاب الكتاب لابن الأبار . ص ٥٧ — ٥٨ (نسخة تيمور باشا ٧٧٨
تاريخ) والأغاني بواسطة الفهرس .
(٣) الفضل بن سهل ذو الرياستين وزير المأمون والقائم بأمره حتى
استخلف . وكان الفضل للمأمون بمنزلة أبي مسلم الخراساني للسفاح .
ترجمته في مسالك الأبحار (٤٣٣٣ آياصوفيا صحيفة ٤٧٦) .
(٤) الرّم ، بالكسر : الثرى ، والطم : البحر ، ويكنى بذلك عن
الكثرة ، ومن أقوالهم : « جاءم الطم والرّم » إذا أتاهم الأمر الكثير .

فأما قول أبي الحارث حميد^(١) وقد سُئِلَ عَمَّنْ يَحْضُرُ مابِئِدَةَ مُحَمَّدِ
ابنِ يَحْيَى ، وجوابه : الملائكة ، قيل : إِنَّمَا نَسَأَلُكَ عَمَّنْ يَأْكُلُ مَعَهُ ،
قال : الذُّبَابُ^(٢) فَإِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّمَلُّحِ وَالْمَجَانَّةِ ، وليس من قبيل
الصَّدَقِ فِي شَيْءٍ ؛ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الصَّدَقِ مَشُوبًا ، وَبَعْضُ الْحَقِّ تَمَزُوجًا
فَلَا بَأْسَ وَلَا حَرَجَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَدْرَ لَا يَقْلِبُ الصَّدَقَ كَذِبًا ، وَلَا يُحِيلُ
الْحَقَّ بَاطِلًا وَأَيْنَ الْمُحْضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْخَالِصُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ؟ إِنَّكَ

(١) هكذا أورد أيضاً في البصائر والذخائر ١ / ٥٦ ب ، ٤ / ٢٨ ب
« حميد » بالخاء المهمله وبالنون . وفي البيان والتبيين ١ / ١٠٣ وثر الدرر
الآبي ٣١٨ : « حميد » بالجيم والنون ، وفي القاموس (جن) : « وضبطه
المحدثون بالنون ، والصواب بالزاي » ، وفيه أيضاً (جز) : « جنين خطأ
والصواب جين بالزاي المعجمة » أنشد أبو بكر ابن مقسم :

إِنْ أَبَا الْحَارِثِ جَمِيزًا قَدْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ وَالْمِيزَا

وهو من أصحاب النوادر المجهان المضحكين ، عاصر الجاحظ ودعبل بن
علي ، وإبراهيم بن سيابة ؛ وبعض أخباره في الأغاني ١ / ٣٧ ، ٦ / ١٧ وقد
ذكر الآبي في ثر الدرر نبذة من نواتره .

(٢) في ثر الدرر ص ٣١٨ : « سأل يحيى بن خالد أبا الحارث عن
مائدة ابنه فقال : أما مائدته فمن نصف سمسة ، وأما صحافه فمفقورة في قشور حب
الخشخاش ، وما بين الرغيف والرغيف مدّ البصر ، وما بين اللون واللون فترة
ما بين نبي ونبي . قال : فمن يحضرها ؟ قال : خلق كثير من الكرام الكاتبين
قال : فيأكل معه أحد ؟ قال : نعم الذباب ، وفي محاضرات الراغب ١ / ٣١٥
فقرة تشبه هذه منسوبة للجهيز .

إِنْ رُمِتَ ذَاكَ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ ، وَدَارِ الْإِمْتِحَانِ وَالتَّكْلِيفِ ،
مَعَ هَذِهِ الطَّبَائِعِ الْمَخْتَلِفَةِ ، وَالْعُنَاصِرِ الْمُتَمَازِجَةِ ، وَالْأَسْبَابِ الْقَرِيبَةِ ^(١) ،
رُمِتَ مُحَالًا ، وَرَأَى الْمَحَالِ خَابِطٌ ، وَطَالِبُ الْمَمْتَنِعِ خَائِبٌ ، وَمُحَاوِلٌ
مَا لَا يَكُونُ مَكْدُودٌ مُعْتَى ، وَمَحْدُودٌ مُعَدِّي ^(٢) ، وَمَرْجِعُهُ إِلَى النَّدَمِ ،
وِغَايَتُهُ الْأَسَفُ الَّذِي يَشْجُو النَّفْسَ ، وَيَعْرِسُ الْفُؤَادَ ، وَيُوجِعُ الْقَلْبَ
وَيُضَاعِفُ الْأَسَى ، وَرَبَّمَا أَفْضَى إِلَى الْعَطَبِ .

قَدْ ذَكَرْنَا — حَاطَكَ اللَّهُ — جُمْلَةً مِنَ الْقَوْلِ رَأَيْنَا تَقْدِيمَهَا وَالِاسْتِظْهَارَ
بِهَا ، قَبْلَ أَخْذِنَا فِيهَا أَنْشَأْنَا لَهُ هَذَا الْكَلَامَ ، قَصْدًا لِفَلِّ حَدِّ الطَّاعِنِ ،
وَحَسْمًا لِمَادَّةِ الْحَاسِدِ ، وَتَعْلِيمًا لِلْجَاهِلِ ، وَإِرْشَادًا لِلْمُتَحَيِّرِ ، وَاحْتِجَاجًا
عَلَى مَنْ يُدِلُّ بِحِفْظِ اللَّسَانِ ، وَكِتْمَانِ السِّرِّ ، وَطَيِّ الْقَبِيحِ ، وَمُسَالَمَةِ
النَّاسِ ، وَاغْتِفَارِ ^(٣) الْمُنْكَرِ ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ كَالْأَسَدِ فِي غِيْلِهِ ،
وَالنَّمْرِ فِي أَشْبِهِ ^(٤) ، وَالثُّعْبَانِ فِي وَجَارِهِ ، حَتَّى إِذَا غَمَزَ غَمْزَةً ، أَوْ وُخِزَ
وُخْزَةً رَأَيْتَ مَعَاقِدَ حِلْمِهِ مُتَحِلِّلَةً ، وَدَخَائِرَ صَبْرِهِ مُنْتَهَبَةً ، وَكَظْمَهُ الَّذِي

(١) كَذَا « الْقَرِيبَةِ » بِالْأَصْلِ .

(٢) الْمَحْدُودُ : الْمَحْرُومُ ، وَالْمُعَدِّي : الْمُتَجَاوِزُ بِهِ عَنِ الْفَرْضِ ، يَعْنِي :
مُصْرُوفٌ عَنْ هَدَفِهِ إِلَى غَيْرِهِ .

(٣) اغْتِفَارُ الْمُنْكَرِ : غَفْرَانُهُ .

(٤) مَوْضِعُ أَشْبِ : كَثِيرُ الشَّجَرِ .

كان يُدَلّ به مَفْقُوداً ، وجَلَدَه الذي كَانَ يَدَّعِيهِ بِاطِلًا ؛ وما أَكْثَرَ مَنْ
يَتَكَلَّمُ — عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ^(١) النَّفْسِ وَالْمَالِ ، وَطِيبِ الْقَلْبِ ، وَرَخَاءِ الْبَالِ ،
وَعِنْدَ مُوَآتَاةِ الْأُمُورِ ، وَطَاعَةِ الرِّجَالِ ، وَمُسَاعَدَةِ الْمَرَادِ — بِالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ ،
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَبِالنَّظَرِ الدَّقِيقِ ، وَاللَّغْظِ الرَّقِيقِ ، حَتَّى إِذَا التَّوَتَّ عَلَيْهِ
حَالٌ ، وَتَعَسَّرَ دُونَ مُرَادِهِ أَمْرٌ ، وَعَرَضَ فِي بَعْضِ مَطَالِبِهِ تَعَقُّدٌ ،
سَمِعَتْ لَهُ هُنَاكَ زَخْرَعَةً وَنُخْرَةً ، وَصَنْجَرَةً ، وَكَفْرَةً ، كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْ بِالْحِلْمِ
وَالْتَحَلَّمَ ، وَالصَّبْرِ وَالتَّصَبُّرِ ؛ يُخْرِجُ مِنْ فَرْوَتِهِ عَارِيًّا مِنَ الْحِلْمِ وَالْكُظْمِ ،
بَادِي السَّوْءَةِ بِالْبَذَاءِ وَالْجَهْلِ ، كَمَا يَخْرِجُ الشَّعْرَ مِنَ الْعَجِينِ ، وَلَعَلَّ
مَا نَزَلَ بِهِ وَحَلَّ عَلَيْهِ لَمْ يَرْزَأْهُ زِبَالًا^(٢) وَلَا مَسَحَ مِنْهُ عِذَارًا^(٣) .

وهذا هو اللّثيم الذي بلغك ، والسَّاقِطُ الذي سمعتَ به واللّهُ تعالى ١٠
يقول : « لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَاهِرَ بِالسَّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ »^(٤) ؛
وَرَوَى أَصْحَابُنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : إِلَّا مَنْ لَمْ يُسْكَرَمْ ، فِي ضِيَافَتِهِ ،
فَإِنْ كَانَ هَذَا التَّأْوِيلُ صَحِيحًا ، وَهَذَا الْوَجْهُ مُعْرُوفًا ، فَأَنَا / ذَلِكَ الْمَظْلُومُ ،

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَعَلَّهَا : « فِي النَّفْسِ » .

(٢) الزَّبَالُ بِالْكَسْرِ : مَا تَحْمِلُ النَّمْلَةُ بِفِيهَا ، وَيُقَالُ : مَا أَصَابَ مِنْهُ زِبَالًا :
أَيُّ شَيْئًا .

(٣) الْعِدَارُ : الْخُدُّ ، يَعْنِي لَمْ يُوَدِّهِ شَيْءٌ .

(٤) الْآيَةُ ١٤٧ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ .

ولا بد لمن ظلم من أن يتظلم ، وكيف يكون المظلوم إذا انتصر ظالماً^(١) ،
والله يقول : « وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ »^(٢) ،
ولو كان المظلوم إذا تظلم ظالماً ، لكان الظالم إذا ظلم معذوراً ؛ وكما
هجن الله لؤمَ المحسن ، فكذلك حسن توبيخ المسيء ، وكما أثاب
على تزكية من كان طاهراً ، كذلك آجر على جرح من كان مدخولاً ؛
ألا ترى أن التقرب إلى الله بعداوة أبي جهل^(٣) ، وذمه ولعنه وذكر
لؤمه وخساسته ، كالتقرب إلى الله بولاية أبي بكر^(٤) ومدحه والترحم

(١) في الكشف ٣ / ٧١ : « وقالوا : العفو مندوب إليه ، ثم الامر قد
ينعكس في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوباً إليه ، وذلك إذا احتيج إلى
كف زيادة البني وقطع مادة الاذى . وعن النبي ﷺ ما يدل عليه ، وهو
أن زينب أسمعت عائشة بحضرته ، وكان ينهاها فلا تنتهي ، فقال لعائشة :
دونك فانتصري » .

(٢) الآية ٤١ من سورة الشورى ، وفي الكشف ١ / ٣٩٣ - ٣٩٤ :
« ... وقيل : ضاف رجل قوماً فلم يطعموه فأصبح شاكياً ، فعوتب على
الشكاية فنزلت الآية ؛ « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » ،
وقيل : هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم » .

(٣) هو عمرو بن هشام المخزومي ، كان يكنى في الجاهلية أبا الحكم فكناه
النبي ص أبا جهل فلزمته . وتأني ترجمته بعد .

(٤) أبو بكر بن أبي قحافة : عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي الخليفة
الأول المتوفي سنة ١٣ هـ عسن ٦٣ سنة . المعارف ٨٣ - ٨٦ .

عليه وذكر فضله وبلائه ونصرته ؛ وهذا مُستَمِر في غير أبي جَهْلٍ ثَمَن
عَادَى اللهَ ورسوله صلى الله عليه ، كما أنه مُستَمِر في غير أبي بكر ثَمَن
أطاع اللهَ ورسوله ؛ وإِنَّمَا الْأُمُورُ بِعَوَاقِبِهَا ، والمذاهبُ بِشَوَاهِدِهَا ،
والنتائجُ بِمَقْدَمَاتِهَا ، كما أَنَّ الْفُرُوعَ بِأَصُولِهَا ، والأَوَاخِرَ بِأَوَائِلِهَا ،
والشُّقُوفَ بِأَسَاسِهَا .

٥

ولسْتُ أَدْعِي عَلَى ابْنِ عَبَّادٍ مَا لَا شَاهِدَ لِي فِيهِ ، وَلَا نَاصِرَ لِي عَلَيْهِ ،
وَلَا أَذْكَرُ ابْنَ الْعَمِيدِ بِمَا لَا يَبْتَنِي لِي مَعَهُ ، وَلَا بَرَهَانَ لِدَعَوَائِي عِنْدَهُ ،
وَكَمَا أَتَوَخَّيَ الْحَقَّ عَنْ غَيْرِهِمَا إِنْ اعْتَرَضَ حَدِيثُهُ فِي فَضْلٍ أَوْ نَقْصٍ ،
كَذَلِكَ أَعَامِلُهُمَا بِهِ فِيمَا عُرِفَا بَيْنَ أَهْلِ الْعَصْرِ بِاسْتِعْمَالِهِ ، وَشُهْرَاهُ
فِيهِمْ بِالتَّحْلِي بِهِ ، لِأَنَّ غَايَتِي أَنْ أَقُولَ مَا أَحْطَتْ بِهِ خُبْرًا ، وَحَفِظْتَهُ ١٠
سَمَاعًا .

وسهِّلْ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ : لَمْ يَكُنْ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِثْلُهُمَا ،
وَلَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ يَعْشِرُهُمَا اصْطِنَاعًا لِلنَّاسِ ، وَحِلْمًا عَنْ
الْجُبْهَاتِ ، وَقِيَامًا بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَبَدَلًا لِقَنِيَةِ الْمَالِ ، وَلِكُلِّ ذُخْرِ
مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْعَقْدِ ؛ وَأَنََّّهُمَا بَلَّغَا فِي الْمَجْدِ الذُّرْوَةَ السَّمَاءِ ، وَأَحْرَزَا فِي ١٥
كُلِّ فَضْلٍ وَعِلْمٍ قَصَبَ السَّبْقِ ، وَأَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ دَانُوا لَهُمَا ، وَأَنَّ
النَّقْصَ لَمْ يَشْنِهْهُمَا بَوَاحٍ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَأَنَّ الْعَجْزَ لَمْ يَعْتَرِهْهُمَا فِي حَالٍ مِنْ

الأحوال ؛ وأنهما كانا في شعار إمام الرافضة ^(١) وعصمته ^(٢) المعروفة ،
وأن الاستثناء لم يقع في وصفهما في حال ، لافي الصناعة والمعرفة ، ولا في
الأخلاق والمعاملة ، ولا في الرياسة والسياسة ، ولا في الأبوة ، والمؤومة ،
ولا في الأمومة والخلوة ، وأن الولادة قرّت على شرف المحتد ، والمنشأ
جرى على كرم المولد ؛ فالجوهر فائق في الاصل ، والمجد عميم في الفرع ،
والنصاب ^(٣) مقوم بالتقديم المذكور ، والخير شامل في الحديث المشهور ،
والنجابة معروفة عند الولي والمدو ، والعرق نابض بكل فعل رضي ،
والغور بعيد على التامل ، والأمر كله عال عن المتناول ؛ وأنه كما
يقال لهذا ؛ ابن العميد لنباهة أبيه ، كذلك كان يقال لذلك ابن الأمين ^(٤)

(١) الرافضة : جماعة من الشيعة سألوا زيد بن علي بن الحسين (رئيس
الريادة) أن يتبرأ من أبي بكر وعمر فأبى أن يجيبهم إلى ذلك ، فرفضوا
أن يتبعوه وأن ينصروه ، فسموا الرافضة .

(٢) العصمة : صفة من صفات « الامام » عند الشيعة ، ومعناها أن الإمام
لا يجوز أن تصدر عنه مصيبة ، كما لا يجوز عليه أن يسهو في شيء ، أو
ينسى شيئاً من الأحكام . انظر أوائل المقالات للشيخ المفيد ص ٣٥ .

(٣) النصاب : المنبت والمحتد . ل ٢٥٨/٢ .

(٤) يقول أبو القاسم بن أبي العلاء الاصبهاني من مرثية له في الصاحب .

بل ندى الصاحب الجليل أبي القا سم نجل الامين كافي الكفاة

الامين لقب والد الصاحب ، واسمه عباد بن العباس ، ويكنى أبا الحسن ،
وكان من أهل العلم والفضل معتزلياً ، سمع أبا خليفة الفضل بن الحباب وغيره ،
ومات سنة ٣٨٥ هـ وله كتاب في « أحكام القرآن » . —

خير كثير كان فيه ، وأن العميد^(١) وإن كان مقدماً في الكتابة ، فقد كان الأمين معظماً في الديانة ، والكتابة صناعة تدركها الخلقة ، والديانة حلية لاتزداد إلا الجدة ، وتلك الدنيا وهي زائلة ، وهذه الآخرة وهي باقية ، والله تعالى يقول : « وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى »^(٢) ، « وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِبَاقٍ »^(٣) ؛ عَلَى أَنَّ الْأَمِينَ كَتَبَ رُكْنَ الدَّوْلَةِ^(٤) كما كتَبَ

— وقد صحَّف عباس إقبال - في تمة اليتيمة - البيت المذكور فجعل روايته :
« نجل الأمير » .

ترجمة الامين في الإرشاد ٢٧٤/٢ والبداية ٣١٨/١١ والمنظم ١٨٤/٧ -
١٨٥ . وانظر تمة اليتيمة ١٢٠/١ .

(١) العميد لقبه ، واسمه : أبو عبد الله الحسين بن محمد المعروف بكثرة ، وأصله من قم وكان في رتبة عالية من الكتابة ، ورسائله — فيما يقول الثعالبي — مدونة بخراسان ، وذكر الصابي أن رسائل العميد لا تقل بلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل ، وكان وزيراً لمرداويج ، وكتب لما كان ابن كالي ، فلما قتل ما كان في المعركة ، واستبيح عسكره وحمل أنصاره وخواصه إلى بخارا قاعدة ملك السامانيين — مقرّنين في الاسفاد ، كان العميد في جملتهم ، ولكن فضله شفع له عند عبد الملك بن نوح (٣٤٣ - ٣٥٠) فقلده ديوان رسائله ولقب بالشيخ على عادتهم — كانت — فيمن يلي ذلك .

انظر اليتيمة ٣/٣ - ٤ والارشاد ٣٣٠/٥ ومعاهد التنخيص ١٧٥/١ .
وكامل ابن الاثير ٨/٩٢ ، ١٨٣ - ١٩٢ .

(٢) الآية ١٧ من سورة الاعلى .

(٣) الآية ٩٦ من سورة النحل .

(٤) ركن الدولة : الحسن بن بويه أبو علي ، صاحب إصبهان والري وهذان وجميع عراق المعجم . توفي سنة ٣٦٦ بالري ، ومولده سنة ٢٨٤ تقريباً —

العميد لصاحب خراسان^(١). والأمين كان ينصّر مذهب الأشناني^(٢) تدبّركا وطلباً للزلفى عند ربه ، والعميد كان يعمل لمعالجة ؛ وإن قلت كان الأمين معلماً بقرية من قرى طالقان الديلم^(٣) ، قيل : وكان والد العميد نخالاً^(٤) في سوق الحنطة بقم .

فدع هذا ونظيره ، وأنت متى أردت أن تحصي صنائع ابن العميد وابن عباد أردت عسيراً ، ومتى أثرت^(٥) أن تحصل فضائلهما حاولت^(٦) ممتعاً ، وأنها كانا بالسياسة عالمين ، ولأولياء نعيمهما ناصحين ، وإلى الصغير والكبير متعجّبين ، وعلى القاضي والداني حدين ،

— وكان ملكاً جليل القدر ، ومدة ملكه ٤٤ سنة . ترجمته في الوفيات ١ / ١٧٦ —
١٧٧ والمنظم ٧ / ٨٥ ، وعيون التواريخ حوادث سنة ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، وعقد الجمان للعيني سنة ٣٦٦ ، ابن الأثير ٨ / ٢٤١ .

(١) صاحب خراسان هو عبد الملك بن نوح الساماني (٣٤٣ - ٣٥٠ هـ) انظر الحاشية التي قبل هذه

(٢) الأشناني أبو الحسين عمر بن الحسن بن مالك القاضي . ذكره ابن النديم ١٦٦ ولم يؤرخ وفاته ، ويظهر من أسماء مؤلفاته التي ذكرها في الفهرست أنه شيعي .

(٣) طالقان الديلم ، ويقال أيضاً : طالقان قزوين في مقابل طالقان خراسان . وانظر الوفيات ١ / ٩٥ والباب لابن الأثير (الطالقاني) .

(٤) في الارشاد : « نخالاً » ، وفي الأصل : « نخالا » .

(٥) أثر أن يفعل كذا : عزم على فعله وفرغ له .

(٦) كذا في الأصل ، وفي الحاشية بنفس الخط : « أثرت » .

ولأموالهما باذنين ، ولأعراضهما صائنين ، وفي مرضاة الله دائبين ،
وعلى هذي أهل النقي جارينين ، ومن كل ذنس ونطف بعيدين زهين ؛
وأنهما لو بقيتا لنزل عليهما الوحي ، ولتجدد بهما الشرع ، وسقط
بمكائهما الاختلاف ، وزال بنظرهما ما فيه الأمة من هذا العيش النكد ،
والشؤم الشامل ، والبلاء المحيط ، والغلاء المتصل ، والدرهم العزيز ،
والمكسب الدنس ، والخوف الغالب ، ولكانت الأرض تُخرج
أثقالها^(١) ، وتلفظ كنوزها ، ويستغني من ألم الفقر أهلها ، ومن فضيحة
الحاجة أربابها ، ويعود ذوي الدين ناضراً ، وخامل المروءة نبياً .

ولكن قد يسمع هذا الكلام مني / من شاهدتهما ، وتبطن أمرهما ، [٥٤-و]
وخبّر حالهما ، وعرف ما لهما وعليهما ، فلا يماسك عن زجري وخسائي^(٢) .
وإسكاتي ومقتي ، ولا يُنهيه شيء عن مُقابلتي بالكذب واللوم ،
ولا يجِدُ بداً من أن يردّ قولي في وجهي ، ولا يسعه إلا ذلك بعد ازدراي
وتجھيلي ، ولا يلبث أن يقول : انظروا إلى هذا الكذب الذي ألفه ، وإلى
هذا الزور الذي فوّفه^(٣) ، والباطل الذي وصفه ، والحق الذي دفعه

(١) إشارة إلى الآية ٢ من سورة زلزلت .

(٢) خساء : زجره وطرده .

(٣) فوّف الكلام : زخرفه .

بَسَبَّ ثوبٍ لَعْلَهُ أَخَذَهُ ، أَوْ دَرِمَ ثَنَى عَلَيْهِ كَفَّهُ ، أَوْ حَاجَةً خَسِيسَةً
قُضِيَتْ لَهُ ؛ تَبْلُغُ بِهِ قِلَّةُ الدِّينِ وَسُوءُ النِّظَرِ فِيمَا يَتَعَقَّبُ بِالتَّقْبِيحِ وَالتَّحْسِينِ
أَنَّهُ يَمْدَحُ وَاحِدًا مَقْرُوفًا بِالزَّيْنَةِ وَالْكَفْرِ ، وَيُقَرِّطُ آخَرَ مَعْرُوفًا
بِالْإِلْحَادِ وَالسُّخْفِ ، وَيَصِفُ بِالْجُودِ مَنْ كَانَ أَجْهَلَ مِنْ كَلْبٍ عَلَى عَقِي
صَبِيٍّ ^(١) وَيَدَّعِي الْعَقْلَ لِمَنْ كَانَ أَحَقَّ مِنْ دُغَةِ ^(٢) ؛ وَمَنْ أَظْلَمَ مِمَّنْ
يَصِفُ السَّفِيهَ بِالْحَصَافَةِ ، وَاللَّيْمَ بِالكَرَمِ ، وَالْمَتَعَجِّرَ بِالْأَنَاةِ ،
وَالْمَاجِزَ بِالْكَفَايَةِ ، وَالنَّاقِصَ بِالزِّيَادَةِ ، وَالْمَتَأَخِّرَ بِالسَّبْقِ ، وَالْعَنِيفَ
بِالرَّفْقِ ، وَالبَّخِيلَ بِالسَّخَاءِ ، وَالْوَضِيعَ بِالْعِلَاءِ ، وَالْوَقَّاحَ بِالْحَيَاءِ ،
وَالجَبَّانَ بِالْفَنَاءِ ؟

١٠ فلا يكون حينئذ لقولي قابلًا ، ولا الحكمي ملتزمًا ، ولا لنصبي
مرجوعًا ، ولا لسعفي مُنْجَحًا ، ولا لصوابي مُخْتَارًا ، ولا لحدائي مُسْتَمِعًا ؛
وفي الجملة لا يكون لدعواي مُصَدِّقًا .

(١) كذا في الأصل ، وصحة الكلام : « أجهل من كلب بمقي صبي » ،
والعقي بالكسر : أول ما يخرج من بطن الصبي حين يولد ؛ ونص المثل :
« أحرص من كلب على عقي صبي » . وهو في اللسان (عقا) ، وجمع
الامثال ١ / ١٥٤ .

(٢) دغة : اسم رجل كان أحق ، ولقب معاوية بنت مفض (أو مبنج)
المجلية وكانت تحق أيضاً ، فكان يقال : « أحق من دغة » ، والمثل قصة تبجدها
في أمثال الصبي ١٠٢ والمعارف ٣٠٤ والاقتضاب ١٥٠ ، وأخبار الحمقى والمغفلين
٤١ ، وجمع الامثال ١ / ١٩٣ ، ١٤٧ وتاج العروس ١٠ / ١٢٨ ، واللسان (دغا) .

ولعمري لو انقلبتُ عن ابن عباد — بعدَ قصدي له من مَدِينَةِ السَّلَامِ
 وإِنَاخَتِي بِفِنَائِهِ مَعَ شِدَّةِ الْعُذْمِ وَالْإِنْفَاضِ ، ^(١) وَالْحَاجَةِ الْمُرْعِجَةِ عَنْ
 الْوَطَنِ ، وَصَفَرِ الْكُفِّ عَمَّا يُصَانُ بِهِ الْوَجْهَ ؛ وَبَعْدَ تَرُدِّي إِلَى بَابِهِ
 فِي غَمَارِ ^(٢) الْغَادِينَ وَالرَّائِحِينَ ، وَالطَّامِعِينَ الرَّاجِينَ ، وَصَبْرِي عَلَى
 مَا كَلَّفَنِي نَسْخَهُ حَتَّى نَشِبْتُ بِهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ خِدْمَةً وَتَقَرُّبًا ، وَطَلَبًا ٥
 لِلجِدْوَى مِنْهُ ، وَالْجَاهِ عِنْدَهُ ، مَعَ الضَّرْعِ وَالتَّمَلُّقِ — بِيَعُضٍ مَا فَارَقْتُ مِنْ
 أَجْلِهِ الْأَعِزَّةِ ، وَهَجَرْتُ بِسَبَبِهِ الْإِخْوَانَ ، وَطَوَيْتُ لَهُ الْمَهَامِيهِ وَالْبِلَادَ ،
 وَعَلَى جُزْءٍ مِمَّا كَانَ الطَّمَعُ يُدْنِدُنُ حَوْلَهُ ، وَالنَّفْسُ تُحَلِّمُ بِهِ ، وَالْأَمَلُ يَطْمُنُ
 إِلَيْهِ ، وَالنَّاسُ يَعْذِرُونَهُ وَيَحْقُقُونَهُ ^(٣) ، لَكُنْتُ لِاحْسَانِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ
 وَلِإِسَاءَتِهِ مِنَ السَّاتِرِينَ ، وَعِنْدَ ذِكْرِهِ بِالْخَيْرِ مِنَ الْمَسَاعِدِينَ الْمُصَدِّقِينَ ، ١٠
 وَعِنْدَ قَرْفِهِ بِالسُّوءِ مِنَ الذَّائِبِينَ الْمُتَعَصِّبِينَ . وَالشَّاعِرُ يَقُولُ :

« مِنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمُحَامِدِ يُحَمَّدُ »

وَالْآخِرُ يَقُولُ :

« وَالْحَمْدُ لَا يُشْتَرَى إِلَّا بِأَثْمَانٍ ^(٤) »

(١) الْإِنْفَاضُ : ذَهَابُ الْمَالِ وَفَنَاءُ الزَّادِ .

(٢) غَمَارٌ ، بَفَتْحِ الْغَيْنِ وَبِالضَّمِّ : جَمَاعَةُ النَّاسِ ؛ يُقَالُ : دَخَلْتُ فِي غَمَارِ
 النَّاسِ أَيِ فِي جَمْعِهِمُ الْمُتَكَثِفِ .

(٣) يَحْقُقُونَهُ : يَصَدِّقُونَهُ .

(٤) الشُّطْرُ فِي الْإِمْتَاعِ ١٥٢/٢ غَيْرُ مَنْسُوبٍ أَيْضًا .

والآخر يقول ^(١) :

وإن المجدَّ أوله وُعور
وإنك لن تنالَ المجدَّ حتَّى
بنفسِكَ أو بملكك في أمورٍ
والآخر يقول :

والحمدُ لا يُستَرَى إلَّا له ثَمَنٌ
والجودُ نافيةٌ للمالِ مُهلِكةٌ
وقال الآخر :

ومن لا يَصُنُّ قبلَ النِّوافذِ ^(٢) عِرْضَه
ومن يلتَمِسُ حَسَنَ الثَّنَاءِ بِمَالِه
ولكنِّي ابتُلِيتُ به ، وكذلك هو ابتُلِي بي ، ورَماني عن قَوْسه مُغْرِقاً ^(٣)
فَأَفْرَغْتُ ما كانَ عِنْدِي عَلَى رَأْسِهِ مَغِيظاً ؛ وحرَمَني فازدَرَيْتُهُ ، وحقَرَنِي

(١) هو عمرو بن الاهتم ، والابيات من قصيدة له في المفضليات ٢ / ٢١٠ .

(٢) الوعور : مصدر وعر بمعنى صلب . والخير بالكسر : الكرم والشرف .

(٣) الورع : الجبان . والدثور : الكسلان النؤوم .

(٤) الجود : جمع جواد ، ونافية للمال : مخرجة له .

(٥) النوافذ : الطعنات .

(٦) يعرر : يلقب بما يشينه .

(٧) شنماء : قبيحة فظيمة ، موبق : مهلكة .

(٨) أغرق في الشيء : تجاوز الحد فيه ؛ يقال أغرق النازع في القوس أي استوفى مداها .

فَأَخْرَيْتُهُ ، وَخَصَّنِي بِالْخَيْبَةِ الَّتِي نَالَتْ مِنِّي ، فَخَصَصْتَهُ بِالْغَيْبَةِ الَّتِي
أَحْرَقَتْهُ ، وَالْبَادِي أَظْلَمَ ، وَالْمُنْتَصِفُ أَعْذَرُ ؛ وَكُنْتُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :
وَإِنْ لِسَانِي شَهِدَةٌ يَشْتَفِي بِهِ أَجَلٌ وَعَلَى مَنْ صَبَّهَ اللَّهُ عَلَقَمُ^(١)

وَلِئِنْ كَانَ مَنَعَنِي مَالَهُ الَّذِي لَمْ يَبْقَ لَهُ ، فَمَا حَظَرَ عَلَيَّ عَرْضَهُ الَّذِي بَقِيَ
بَعْدَهُ ، وَلِئِنْ كُنْتُ أَنْصَرَفْتُ عَنْهُ بِخُفْيٍ حُنَيْنٍ^(٢) لَقَدْ لَصِقَ بِهِ مِنْ لِسَانِي
وَقَلَمِي كُلُّ عَارِوُشَنَارٍ وَشَيْنٍ^(٣) ، وَلِئِنْ لَمْ يَرْنِي أَهْلًا لِنَائِلِهِ وَهَرَّةً^(٤) ، إِنْ
لَأَرَاهُ أَهْلًا لِقَوْلِ الْحَقِّ فِيهِ ، وَنَتَّ مَا كَانَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ خَازِيهِ ، وَلِئِنْ
كَانَ ظَنُّ أَنْ مَا يَصِيرُ إِلَيَّ مِنْ مَالِهِ ضَائِعٌ ، إِنْ لَا تَيْقَنُ الْآنَ أَنْ مَا يَتَّصِلُ بِعَرْضِهِ
مِنْ قَوْلِي شَائِعٌ ، وَالْحَسَابُ يُخْرِجُ الْحَاصِلَ مِنَ الْبَاقِي ، وَالنَّظَرُ يُعَيِّزُ الصَّحِيحَ
مِنَ السَّقِيمِ ، وَالْإِعْتِبَارُ^(٥) يَفْرِدُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَالْمُنْتَصِفُ فِي الْحُكْمِ
يَغْذِرُ الْمَظْلُومَ وَيَلُومُ الظَّالِمَ ، وَالشَّاعِرُ يَقُولُ :

فَإِنْ تَمْنَعُوا مَا بِأَيْدِيكُمْ فَلَنْ تَمْنَعُونَا إِذَنْ أَنْ تَقُولَا

(١) الشَّهْدَةُ : الْعَسَلُ . وَالْعَلَقَمُ : شَجَرُ الْحَنْظَلِ .

(٢) حُنَيْنٌ اسْمُ اسْكَافٍ كَانَ بِالْحَيْرَةِ . وَأَصْلُ الْمَثَلِ « رَجَعَ بِخُفْيٍ حُنَيْنٌ » ،

وَلَهُ قِصَّةٌ فِي الْمَعَارِفِ ٢٦٥ ، بِجَمْعِ الْأَمْثَالِ ١ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٣) شَنَارُوشَيْنٌ : عَيْبٌ وَقَبْحٌ .

(٤) الْبَرَّةُ : الْخَيْرُ .

(٥) الْإِعْتِبَارُ : التَّدَبُّرُ وَالْمُلَاحَظَةُ .

وقال آخر :

فيا قَوْمَنَا لا تظلمونا فإننا نرى الظلم أحياناً يُشِلُّ ويُعْرِجُ
ويترك أعراض الرجال كأنها فريسة لحيم ليس عنها مُهَجِّجٌ^(١)

وقال آخر :

٥ إن الذي يقبض الدنيا ويتسوطها إن كان أغداك عني فهو يُغْنِينِي^(٢)
ماذا عليّ وإن كنتم ذوي رَحْمِي أن لا أُحِبَّكُمْ إذ لم تُحِبُّوْنِي
/ يا قوم إن حصاتي ذاتُ معجزة^(٣) على العدو فخلوهم وخلوني

وقال آخر :

١٠ لئن طبت نفساً عن ثنائي إني لأطيب نفساً عن نَدَاك على عُسْرِي
فلستُ إلى جدواك أعظم فاقةً على شدة الإعسار منك إلى سُكْرِي
وروى الحزنْبَل^(٤) عن ابن الأعرابي^(٥) قال : مدح زياد

(٢) هجج بالسبع : صاح به وزجزه ليكف عن فريسته .

(٣) البيتان الأول والثاني في الأمالي ١ / ٢٥٥ - ٢٥٦ من قصيدة لحرثان ابن محرت ذي الأصبع العدواني .

(٤) الحصة : العقل والرأي والرزانة . وذات معجزة : ذات صبر وصلابة وشدة .

(٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عاصم التميمي المعروف بالحزنْبَل عالم لغوي راوية . ترجمته في الفهرست ١٠٨ ، والارشاد ٢ / ٢٣٤ ، وانظر لسان الميزان ٣ / ٥١٣ .

(٦) محمد بن زياد أبو عبد الله المتوفى سنة ٢٣٩ هـ ، لغوي راوية معروف .

الفهرست ١٠٢ - ١٠٣ والمعارف ٢٨٨ .

- الاعجم^(١) بَعْضَ الْعَمَالِ فَحَرَمَهُ وَرَأَى لِكُنْتَهُ فَاسْتَحْقَرَهُ ، فَدَخَلَ فَأَنْشَدَهُ :
- وَكُنْتُ إِذَا مَا عَامِلٌ عَقَى أُمَّهُ وَلَمْ يَحْمِهَا مِنِّي أَبْجَتْ جِمَاهُمَا
كَسَوْتُهُمَا بُرْدَيْنِ مِنْ يَمْنِيَةٍ إِذَا أُلْبَسَا كَانَا بَطِيئًا بِلَاهُمَا
- وَأَجْهَلَ النَّاسِ فِي ارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهِ ، مَنْ ظَنَّ أَنَّ عِرْصَتَهُ فِي خُفَارَةِ
قُدْرَتِهِ ، وَأَنَّ الْمُتَقَدِّمَ عَلَيْهِ مُتَعَرِّضٌ لِنَكِيرِهِ ، وَخَيْرٌ مِنْ هَذَا الظَّنِّ هـ
أَنْ يَحْتَمِلَ أَلَمْ مُفَارَقَةَ الْمَالِ بِبَعْضِ الْمَيْسُورِ ، حَتَّى لَا يُقْرِفَ بِشَيْءٍ لَا غَسِيلَ
لَهُ ، وَلَا نَافِجَ عَنْهُ^(٢) ؛ مَا الَّذِي رَجَحَ الْيَزِيدِيُّ^(٣) حِينَ آسَدَ^(٤) الشَّاعِرَ
الَّذِي حَرَمَهُ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى قَالَ فِيهِ شَيْئًا شَافِيًا لَغَلِيلِهِ مِنْهُ بِمَا بَقِيَ عَلَى
أُسْتِ الدَّهْرِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ :
- بَنُو الْيَزِيدِيِّ فِي أَدْبَارِهِمْ شَعَرٌ قَدْ شَابَ مِمَّا عَلَيْهِ تُحْلَبُ الْكَمَرُ ١٠
أَمَّا حُبْنِشَةُ مِنْهُمْ فَهُوَ مَمْتَحَنٌ مِنَ الْبَغَاءِ بِمَا لَمْ يَمْتَحَنَ بَشَرُ
بُودَهُ أَنْ كُلَّ النَّاسِ مِنْ حُرٍّ وَكُلَّ جَارِحَةٍ فِي جِسْمِهِ ذَكْرٌ

(١) هو زياد بن سليمان مولى عبد القيس. أحد بني عامر بن الحرث ،
زل اصطخر فغلبت عليه العجمة فقبل له الأعجم . ترجمته في الأغاني
١٤ / ١٠٢ - ١٠٩ .

(٢) نافع عنه : دافع عنه .

(٣) بيت اليزيديين في الفهرست ٧٤ - ٧٥ ، نور القبس (نسخة نور
عثمانية ٣٣٩١ مكرر ، الأوراق ٤٣ ، ٤٧ ، ٥١) والأغاني ١٨ / ٧٢ - ٩٤ .
(٤) آسد : أغرى .

والله للخروج من الطارف والتالد أسهل من التعرض لهذا القول
والصبر عليه وقلة الاكثراث به ، ولهذا بكت العرب من وقع
الهجاء كما تبكي الشكلى^(١) من النساء ، وذلك لشرف نفوسها ونزاهتها
عن كل ما يتخون^(٢) جمالها ويعيب فعالها .

٥ وما يُحتل به الرئيس ويذهل عليه أنه ينظر إلى جماعة بين يديه
قد أحسن إلى كل واحد منهم وقرّبه وأعطاه واختصّه بشيء وأبانه
بحال ، وإذا رأى واحداً بعد هاؤلاء لا نباهة لقدره ، ولا جهرارة
لمنظره^(٣) ، ولا شهرة لاسمه ومنصبه حقّره ، وثنى طرفه عنه ، وأغضاه
دونه ، ولم يهشّ لذكره ورؤيته ، واعتقد أنه ليس بذى محلّ يبالي به ،
١٠ ولا يبين في غمار الباقين ؛ أو يجب على ذلك المحروم أن يذكره بما هو
أغلب عليه ، وأشهر عنه ، وأن يُمدّ نيل غيره كرماء قد عمّ ، وأن كان
إخفاقه وحده لؤماً قد خص ؟

وهذا موضعٌ يُشكل قليلا ، وتطول فيه الخصومة بين الآمل
والمأمول ، على أن الكرم والاحتجاج لا يجتمعان ، واللؤم والاحتتيال
١٥ لا يفترقان ؛ وقد ألمّ الشاعرُ بطرف من هذا المعنى بقوله :

(١) المرأة التي فقدت ولدها أو زوجها .

(٢) يتنقص .

(٣) جهرارة الرجل : حسن منظره وتعام جسمه .

إِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ يَكُنْ لِكَلَامِي مَوْقِعٌ وَالسَّكُوتُ لَيْسَ بِمُجْدِي
فَأَبْنِي أَكُلُّ هَذَا التَّوَانِي فِي جَمِيعِ الْإِخْوَانِ أُمٌّ فِيَّ وَخَدِي
أُمٌّ تَرَى مَا اصْطَنَعْتَهُ عِنْدَ غَيْرِي وَاجِبٌ أَنْ أُعِدَّ لَكَ عِنْدِي

وَالَّذِي أَقُولُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ وَلَا مُرَاقِبٍ : أَنَّ السَّوْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا
بِاحْتِمَالِ خِصَالٍ مِنَ الصَّبْرِ وَالْحِلْمِ وَالتَّكْرُّمِ وَالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَالتَّفَقُّدِ ،
وَهُنَّ أَثْقَلُ مِمَّا يُعَانِيهِ الزَّائِرُ بِأَمَلِهِ ^(١) ، وَالْفَقِيرُ بِرَجَائِهِ ، وَالشَّاعِرُ بِطَمَعِهِ ،
وَالْمُسْتَجِيعُ بِزِيَارَتِهِ ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ السَّيِّدُ يَجْرِي فِي هَذِهِ الْأَخْلَاقِ
وَالشِّيمِ عَلَى الْهَوَى فَيُعْطِي مَنْ كَانَ أَخْفَ رَوْحاً عَنْده ، وَأَخْلَى شَمَائِلَ
وَالطَّفِ فَضْلاً ، وَأَعْبَرَ ^(٢) قَوْلاً ، فَهَذَا لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ ثِقَلِ السَّوْدِ
شَيْءٌ ، لِأَنَّهُ قَدْ مَيَّزَ مَا يَخْفَ عَلَيْهِ مِمَّا يَثْقُلُ ، وَمَا يَتَّصِلُ بِنَفْسِهِ مِمَّا يَنْبُو ^(٣)
عنه ؛ وَمَا هَذَا مِنَ السَّوْدِ ، إِذَا كَانَ صَرِيحاً ، تَاماً عَرِيقاً ، فِي شَيْءٍ ، بَلِ
السَّوْدُ مَا قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّيْلِيُّ ^(٤) لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ^(٥) : إِنَّكَ لَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « بِأَمَلِهِ » . (٣) فِي الْأَصْلِ : « مِمَّا يَنْبُو » .

(٢) أَبِينِ قَوْلًا ، وَأَسِير . فِي الْأَصْلِ : « وَأَعِير » .

(٤) ظَالِمُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَفْيَانَ ، مِنْ كِبَارِ السَّابِقِينَ . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٧ هـ .

تَرْجَمَتْهُ فِي الْفَهْرَسْتِ ٥٩ وَالْإِرْشَادِ ٤ / ٢٨٠ وَالزُّهْمَةُ ٩ - ١٤ وَالْخَزَانَةُ
١٣٦ / ١ - ١٣٨ .

(٥) عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، وَلِيَ لِمَرَّةٍ الْكُوفَةَ وَخُرَاسَانَ لِمَعَاوِيَةَ ،
وَالْعَزَاقِ لِيَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ . وَقَتْلَهُ ابْنُ الْأَشْثَرِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ سَنَةَ ٦٧ هـ . الْمَعَارِفُ
١٥١ ، وَالْوَافِي (شَهِيدٌ عَلَى ١٩٧٠ الْوَرَقَةُ ١٧٧ ب) ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٩ / ٤١٤ .

تَسُودُ حَتَّى تَصْبِرَ عَلَى سِرَارِ الشُّيُوخِ الْبُخْرِ^(١) ، وَهَذَا الْكَلَامُ كَالْمِلِيلِ ،
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَحْسِبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ آكِكُلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْمَعَ الصَّبْرُ^(٢)

وَقِيلَ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ^(٣) : مَنْ السَّيِّدُ ؟

قَالَ : الْأَحَقُّ فِي مَالِهِ ، الدَّلِيلُ فِي عِرْضِهِ ، الْمُطَرِّحُ لِحَقْدِهِ ، الْمُنْعِيَّ
بَأَمْرِ جَاعَتِهِ ؛ فَلَيْسَ يَسُودُ الْمَرْءُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْهَرَ مِنْ أَوَّلِ لَيْلِهِ إِلَى آخِرِهِ
فِكْرًا فِي قَضَاءِ الْحَقُوقِ ، وَكَفِّ السَّفَاهِ^(٤) ، وَازْدِرَاعِ الْمَحَبَّةِ فِي
الْقُلُوبِ ، وَبَعَثِ الْأَلْسِنَةَ عَلَى الشُّكْرِ ؛ وَفِي الْجُمْلَةِ مَنْ جَهَلَ حَقَّكَ ،
فَلَيْسَ يُلْزِمُكَ أَنْ تَعْتَرِفَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَمَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِيمَا لَكَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَجِبْ
عَلَيْكَ أَنْ تَنْظُرَ فِيمَا لَهُ عَلَيْكَ ؛ وَقَدْ قَالَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « لَا خَيْرَ
لَكَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ »^(٥) .

وَقَدْ قِيلَ تَوَاضَعَ لِلْمُحْسِنِ إِلَيْكَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، وَاتَّصِفَ

(١) السَّرَارُ : الْمَسَارَّةُ وَالْمُنَاجَاةُ . وَالْبُخْرُ جَمْعُ أَبْخَرٍ ، وَهُوَ الَّذِي تَنْتَثِرُ
رَائِحَتُهُ أَنْفَهُ .

(٢) الصَّبْرُ : عَصَاةُ شَجَرٍ مَرَّةً .

(٣) أَبُو طَرِيفٍ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِي . قَتَلَ زَمَانَ الْخَتَارِ ، وَحَضَرَ مَعَ عَلِيِّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَعَةَ الْجَلِّ وَصَفَيْنَ . الْمَعَارِفُ ١٣٦ .

(٤) السَّفَاهُ : السُّفْهُ وَالْجَهْلُ .

(٥) الْحَدِيثُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ١٩ / ٢ .

ممن أساء إليك وإن كان حُرّاً قُرْشياً ؛ ومن صفات الكريم ما قال الشاعر :
وإنَّ الكريمَ من تلفَّتْ حوله وإنَّ اللّيمَ دائِمُ الطرفِ أقوْدُ (١)
وقال آخر :

لحما الله أكباننا زناداً وشرنا وأيسرنا عن عرض والده ذباً
رأيتك لما نلتَ مالاً وعَضْنَا زمانُ ترى في حدّ أنيابه سَغْباً (٢)
جَمَلتَ لنا ذنباً لئلا تمنع نائلاً فأَمْسِكْ ولا تجعل غناك لنا ذنباً

/ وقال آخر :

نالَ الغنا بعدَ فقْرٍ فاستغاثَ به كما استغاثَ يباقي ريقه الشَّرْقُ
وإذا اختَجَجْتُ بِالْمَيانِ في وَصفِ هذينَ الرَّجَلَيْنِ في الكَرَمِ
واللَّوْمِ فَقَدْ رَفَعْتُ المِرْيَةَ ، وإذا أَقَمْتُ الشَّاهِدَ عَلَى الدَّعْوَى فَقَدْ مَنَمْتُ ١٠
من اللّائِمَةِ ، وإذا أَرَيْتَ الضَّرورةَ فَقَدْ بَلَغْتُ الغَايَةَ ؛ وأَيُّ خَفَقَةٍ
لِلقَلْبِ بعدَ اليَقينِ ، وأَيُّ وَخْشَةٍ لِلنَّفْسِ بعدَ الاستَبصارِ ، أم أَيُّ بَقِيَّةٍ (٣)
عَلَى المَحْتَجِّ إذا وَصَلَ البرهانُ ، أم كيفَ يُسْتَحْيَا في الحَقِّ وإن كان مُراً ،
أم كيفَ يُعْتَذَرُ من الصَّدقِ وإن كان مُوجِعاً .

هذا ما لا يُكَلِّفه حَكيمٌ ، ولا يَأْمُرُ به مُرشدٌ ، ولا يَحْتَ عَلَيْهِ ناصِحٌ . ١٥

(١) دائِمٌ : ساكنٌ ، وأقود : ذليلٌ منقادٌ .

(٢) في الأصل : « أنيابه سَغْباً » .

(٣) في الأصل : « أم أَيُّ وَخْشَةٍ ، . . . أم أَيُّ تَقِيَّةٍ » .

وهذا مَبْدَأُ أَخْذِي فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّادٍ عَلَى مَا يَتَّفَقُ مِنْ تَرْتِيبِهِ
وَوَضْعِهِ ، غَيْرَ أَخْذٍ فِي أُهْبَةٍ ، وَلَا مُحْتَفَلٍ بِتَقْدِيمَةٍ .
فَأَوَّلُ ^(١) مَا أَذْكَرُهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَذَلَّ بِهِ عَلَى سَعَةِ كَلَامِهِ ، وَفَصَاحَةِ
لِسَانِهِ ، وَقُوَّةِ جَأْشِهِ ، وَشِدَّةِ مُنْتَهَى ^(٢) ، وَإِنْ كَانَ فِي فَجْوَاهِ مَا يَدُلُّ عَلَى
رَقَاعَتِهِ وَانْتِكَاثِ مَرِيرَتِهِ ^(٣) ، وَضَعْفِ حَوْلِهِ ، وَرَكَكَةِ عَقْلِهِ
وَانْحِلَالِ عَقْدِهِ .

لَمَّا رَجَعَ مِنْ هَمْدَانَ سَنَةَ تِسْعَ وَسْتِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ ^(٤) بَعْدَ أَنْ فَارَقَ
حَضْرَةَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ^(٥) اسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ مِنَ الرَّيِّ وَمَا يَلِيهَا ، وَاجْتَمَعُوا
بِسَاوَةِ ^(٦) وَدُونِهَا وَفَوْقَهَا ، وَكَانَ قَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَلَامًا

(١) حديث الاستقبال هذا نقله ياقوت في الارشاد ٢ / ٢٨٢ - ٢٨٨ .

(٢) المنة : القوة ، أو قوة القلب خاصة .

(٣) المريرة : الحبل الشديد الفتل . والانتكاث : النقص والحل .

(٤) الذي في الكامل لابن الأثير ٩ / ٢ : أنه أرسل إلى عضد الدولة

سنة ٣٧٠ هـ .

(٥) عضد الدولة فنا خسرو بن الحسن بن بويه أبو شجاع بن ركن

الدولة . ملك جليل حازم ، وكان محباً للعلماء ويتفرغ أحياناً للأدب . المنتظم

١١٣ / ٧ - ١١٨ وعيون التواريخ (حوادث سنة ٣٣٨ ، ٣٧٢) ، ابن

الاثير ٩ / ٧ - ٨ ، ١٨٣ / ٨ - ١٧٤ .

(٦) ساوة : مدينة بين الري وهمدان ، يقول ياقوت : وكان بها دار

كتب لم يكن في الدنيا أعظم منها أحرقها التتار وخربوا المدينة (معجم البلدان

٢١ / ٥ - ٢٢)

يلقاه به عند رؤيته^(١) وأين كانوا يقيمون منه ، وأين كانوا يمينون عنده ؛ وهذا الذي ذهب به في الإعجاب والكبر ، وبعثه على احتقار الناس ، وتركه في التيه المضل .

فأول من دنا منه القاضي أبو الحسن الهمداني^(٢) وهو من قرية يقال لها أسدآباد^(٣) ، فقال له : أيها القاضي ! ما فارقك شوقاً إليك ، ولا فارقتي وجداً عليك^(٤) ، ولقد مررت بمدك بحالس كانت تقتضيك وتخطبك وترضىك ؛ ولو شهدتني بين أهلها وقد علوهم بياني وإساني وجدلي ، لأنشدت قول حسان بن ثابت^(٥) في ابن عباس^(٦) ورأيتني أولى به منه ، فإن حسان قال :

(١) كذا بالأصل . ويظهر أن في الكلام نقصاً .

(٢) لعله أبو الحسن الملوحي الهمداني القاضي المذكور في اليتيمة ٣ / ١٨٠ (مصر) ؛ فله صلة بالصاحب وله معه أحاديث .

(٣) أسدآباد : مدينة تبعد نحو العراق عن همدان بمرحلة . (مجمع البلدان ١ / ٢٢٦) .

(٤) كذا في الإرشاد ٢ / ٢٨٢ أيضاً . واقترح مرجليوث أن يصحح نص الارشاد إلى : « وجداً علي » . وهو اقتراح غير صحيح .
(٥) تقدمت ترجمة حسان .

(٦) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وكان عمره يوم توفي النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة . واختلف في سنة وفاته من سنة ٦٨ إلى سنة ٧٤ من الهجرة ، وقد عدّه ابن النديم ١٨١ في الخطباء -

إذا ما ابنُ عباسٍ بدا لك وجهه رأيتَ له في كلِّ جمجمة فضلاً^(١)
 إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ بملتقطاتٍ لا ترى بينها فصلاً
 كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إزبة في القول جدّاً ولا هزلاً
 سموتَ إلى العليّا بغير مشقة فنلتَ ذراها لا دينياً ولا وغلاً
 ولذكتَ أيضاً أيها القاضي قولَ الآخر وأنشدته؛ فإنه قال فيمن
 وقفَ موقفي ، وقرفَ مقرفي ، وتصرّفَ متصرّفي ، وانصرفَ منصرّفي ،
 واغترفَ له مغترفي :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقفَ لعيٍّ ولم يثنِ اللسانَ على هُجرٍ^(٢)
 يُصرّفَ بالقول اللسانَ إذا انتحى وينظرُ في أعطافِهِ نظرَ الصّقرِ
 ١٠ ولقد أودعتُ صدرَ عضدِ الدولة ما يطول به التفاتُهُ إليّ ، ويُديم
 حسرتَهُ عليّ ، ولقد رأى ما لم يرَ قبله مثله ، ولا يرى بعده شكله ؛
 فالحمد لله الذي أوفدني عليه على ما يسرّ الوليّ ، وأصدرني عنه على

- ويقول الجاحظ فيه : « من الخطباء الذين لا يضاؤون ولا يجارون ، وكان
 أول من عرف (علم) بالبصرة ؛ صعد المنبر فقرأ سورة البقرة وآل عمران
 ففسرهما حرفاً حرفاً » . البيان والتبيين ١/ ٣٣٠ ، وشرح المقامات ١/ ١٢٢ - ١١٣ .
 (١) الابيات في شرح المقامات ١ / ١١٣ ، وما عدا الأول منها في البيان
 ١/ ٣٣٠ ، وزهر الآداب ٩٩٦ (ط الحلبي) ،
 (٢) البيتان في شرح المقامات ١ / ١١٣ وديوان المماني .

ما يسوء العدو .

أيها القاضي كيف الحال والنفس ، وكيف الإمتاع والأنس ،
وكيف المجلس والدّرس ، وكيف القرص^(١) والجرس^(٢) ، وكيف
الدس^(٣) والدعس^(٤) ، وكيف الفرس^(٥) والمرس^(٦) وكاد لا يخرج من
هذا الهديان لتهيجه واحتداه ، وشدة خيلائه وغلوائه . والهمذاني
مثل الفارة بين يدي السّنور قد تضاعل وقمؤ لا يصعد له نفس
إلا بنزع تذللًا وتقللاً ، هذا على كبره في مجلسه مع نذالته في نفسه .
ثم نظر إلى الزّعفراني رئيس أصحاب الرأي^(٧) فقال :
أيها الشيخ ! سرّني لقاؤك وساءني عناؤك وقد بلغني عدواؤك^(٨)
وما خيّل إليك خيلاؤك وأرجو أن أعيش حتى يُردّ عليك غلواؤك ؛ ١٠

(١) القرص : التجميش .

(٢) الجرس : الأكل .

(٣) الدس : إدخال شيء تحت شيء .

(٤) الدعس : الطعن وشدة الوطء .

(٥) الفرس : مواصلة النساء .

(٦) المرس : الدلك .

(٧) أظنه محمد بن أحمد بن عبدوس ، أبو الحسن الحنفي المعروف بالزّعفراني
وبالدلال ، الفقيه البغدادي المتوفى سنة ٣٩٢ (الفوائد البهية ١٥٥) ؛ فهو الذي
ينطبق عليه قول أبي حيان « رئيس أصحاب الرأي » ؛ فالحنفية هم أصحاب
مدرسة الرأي .

(٨) عدواؤك : غلظ خلقك وصعوبته .

ما كان عندي أنك تُقدِّم على ما أقدمت عليه ، وتنتهي في عداوتك لأهل
« العذل والتوحيد » إلى ما انتهيت إليه ؛ ولي معك — إن شاء الله —
نهارٌ له ذيل ، وليل يتبعه ليل ، وثبورٌ يتصل به ويل ، وقطرٌ يدوم
معه سيل ؛ « وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ » ^(١) .

قال الزعفراني ^(٢) : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » ^(٣) .

ثم أبصر أبا طاهر الحنفي فقال :

أيُّها الشيخ ! ما أدري أشكوك أم أشكو ^(٤) إليك ، أما شكواي
منك فلائك لم تكاتبي بحرف ، حتى كأننا لم نتلاحظ بطرف ، ولم
نتحافظ على ألف ، ولم نتلاق على ظرف ؛ وأما شكواي إليك فهو
أني ذممت ^(٥) الناس بعدك ، وذكرت لهم عهدك ، وعرضت بينهم وذكك ،
وقدحت عليهم زندقك ، ونشرت عندهم غرائب ما عندك ؛ فاشتاقوا إليك
بتشويقي ، واستصففوك بتزويقي ، وأثنوا عليك بتسميقي وترويقي ^(٦) ؛
وهكذا عمل الأحاب إذا تناءت بهم الركاب ، والتوت دونهم الأعناق ،
واضطربت في صدورهم نارُ الاشتياق .

(١) اقتباس من الآية ٤٤ من سورة الرعد .

(٢) في الارشاد : « قال له الزعفراني ، » .

(٣) الآية ١٧٣ من سورة آل عمران .

(٤) في الأصل : « أشكوا » .

(٥) في الأصل : « ذممت » . (٦) ترويقي : تحسني وتفضيلي .

فالحمد لله الذي أعاد الشعب ملتئماً ، والشمل منتظماً ، والقلوب وادعة / ، والأهواء جامعة ؛ حمداً يتصل بالمزيد ، على عادة السادة مع العبيد ، عند كل قريب وبعيد .

[٥٥-ظ]

ثم التفت إلى ابن القطان القزويني الحنفي ، وكان من ظرفاء العلماء ، فقال :

أيها الشيخ ! كدت والله أحلم بك في اليقظة ، وأشتعل عليك دون الحفظة ، لأنك قد ملكت مني غاية المسكنة والحظوة ؛ والله ما أسغت بعدك ريقاً إلا على جرض^(١) ، ولا سلكت دونك طريقاً إلا على مَضَض ، ولا وجدت للظرف سوقاً إلا بالعرض . سقى الله ربعا أنت ساكنه بنزاهتك ، وطبعاً أنت ظابته^(٢) يبراعتك ، ومغرساً أنت نبعه بنباهتك ، وأصلاً أنت فرعاه بفقاهاته^(٣) .
وقال للعباداني^(٤) :

أيها القاضي ! أيسرُك أن أشتاقك وتسلو^(٥) عني ، وأن أسأل عنك فتسَلَّ

(١) الجرض : الريق ينقص به .

(٢) كذا في الإرشاد ، والطابة : مؤنث الطاب ، وهو الطيب . وفي الأصل :

« طانه » .

(٣) الفقاهاة : الفقه .

(٤) ورد ذكره في الصداقة ٦٩ ، ١٣٩ ونقل عنه هناك ، وفي البصائر

١٤/٢ ب : « وسمعت أبا حامد المروروذي يقول لأبي طاهر العباداني ، وكان

يتصوف ويتفقه » .

(٥) في الأصل : « وتسلا » .

مَنِّي ، وَأَنْ أَكَاتِبَكَ فَتَتَغَافَلَ ، وَأُطَالِبِكَ بِالْجَوَابِ فَتَتَكَاسَلُ ؛ وَهَذَا مَا لَا أَحْتَمِلُهُ مِنْ صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، وَلَا يَطْمَعُ مَنِّي فِيهِ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ^(١) ؟
مَتَى كُنْتُ مِنْدِيلًا لِيَدٍ ؟ وَمَتَى نَزَلْتُ عَلَى هَذَا الْحَدِّ لِأَحَدٍ ؟ إِنْ أَنْكَفَأْتُ إِلَيَّ بِالْعُذْرِ أَنْكَفَاءً ، وَإِلَّا أَنْدَرَأْتُ^(٢) عَلَيْكَ بِالْعَدْلِ أَنْدِرَاءً ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَكَ مَعِيَ قَرَارٌ بِحَالٍ ، وَلَا يَبْقَى لَكَ بِمَكَانِي اسْتِكْثَارٌ إِلَّا عَلَى وَبَالٍ وَخَبَالٍ . ٥

ثُمَّ طَلَعَ أَبُو طَالِبٍ الْعَلَوِيُّ فَقَالَ :

أَيُّهَا الشَّرِيفُ ! جَعَلْتَ حَسَنَاتِكَ عِنْدِي سَيِّئَاتٍ ، ثُمَّ أَصْنَفْتَ إِلَيْهَا هَنَاتٍ بَعْدَ هَنَاتٍ ، وَلَمْ تَفْكَّرْ فِي مَاضٍ وَلَا آتٍ ، أَضَعْتَ الْعَهْدَ وَأَخْلَفْتَ الْوَعْدَ ، وَحَقَّقْتَ النُّحْسَ وَأَبْطَلْتَ السَّعْدَ ؛ وَحُلْتَ سَرَابًا لِلْحَيْرَانِ ، بَعْدَ مَا كُنْتَ شَرَابًا لِلْحَرَّانِ ، وَظَنَنْتَ أَنَّكَ قَدْ شَبِعْتَ مَنِّي ، أَوْ اعْتَصَصْتَ عَنِّي ، هَيْهَاتَ ! وَأَنْتَى لَكَ بِمِثْلِي ، أَوْ بَيْنَ يَمِينِي وَفِي ذَيْلِي ، أَوْ لَهْ نَهَارٍ كَنَهَارِي أَوْ لَيْلٍ كَلَيْلِي ؟ ١٠

« وَهَلْ عَائِضٌ مَنِّي ، وَإِنْ جَلَّ ، عَائِضٌ »

أَنَا وَاحِدٌ هَذَا الْعَالَمِ ، وَأَنْتِ بِمَا تَسْمَعُ عَالِمٌ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ . ١٥
أَيُّهَا الشَّرِيفُ ! أَيْنَ الْحَقُّ الَّذِي وَكَّدْنَاهُ أَهَامَ كَادَتِ الشَّمْسُ عَنَا تَزُولُ ؟ وَالزَّمَانُ عَلَيْنَا يَصُولُ ، وَأَنَا أَقُولُ ، وَأَنْتِ تَقُولُ ، وَالْحَالُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ » . (٢) أَنْدَرَأْتُ : أَنْدَفَعْتُ .

بيننا يحول ؟ سقى الله ليلة تشييعك وتوديعك ، وأنت متنكر تنكراً يسوء الولي ، وأنا مفكر^(١) تفكراً يسرّ العدو ، هذا ونحن متوجهون إلى ورامين^(٢) خوفاً من ذلك الجاهل المهين ، يعني بالجاهل المهين ذا الكفائتين حين أخرجه من الرّي بعد أن ألّب عليه وكاد يؤتّى على نفسه الخبيثة ، وهو حديث له فرش ، وما أنا بصدده يمنع من اقتصاصه ، ولعله يجري على وجهه فيما بعد ؛ ولقد ظلم بقوله ، وكان بالجهل والمهانة أحقّ ، وسيمر ما يدلّ على قولي ويصحّ حكمي ، ويبيّن لك أنه لم يكن معه إلا الجذّ المساعد فقط ، وباقي ذلك تشبّع وإيهام وتمويه وكذب وبهت ووقاحة .

ثم نظر إلى أبي محمد كاتب الشروط^(٣) فقال :

أيها الشيخ ! الحمد لله الذي كفانا شرك ، ووقانا عرك ، وصرف عنا
 شرك ، وأرانا فيحكّ وحرك ؛ دببت الضراء لنا ، ومشيت الخمر^(٤)
 علينا ، ونحن نحيس لك الحيس^(٥) ونصيفك باللبابة والكيس ، ونقول

(١) في الأصل : « متفكر » . (٢) ورامين : بلدة في نواحي الري .

(٣) كذا في الإرشاد . ويقول مرجليوث : « يريد الشرط » ، وكأنه يريد جمع « الشرطة » . وقد أخطأ ؛ فكاتب الشروط ، وكتب الشروط معروفان في ثقافة الاسلام .

(٤) الخمر : الشجر الملتف ، وكل ماسترك من شجر أو بناء أو نحوها ، من أقوالهم في الرجل يختل صاحبه ويكيد له في الخفاء : هو يدبّ له الضراء ويمشي له الخمر .

(٥) نحيس : نخلط ، والحيس : الأقط يخلط بالتمر . وانظر ذيل الأمل ٨٦ .

ليس مثله ليس ، وأنت في خلال ذلك تقابلنا بالوَيْج والوَيْس^(١) ؛
لولا أنك قرحان^(٢) لسقط المشأ^(٣) بك منا على سرحان^(٤) .

وقال لابن أبي خراسان الفقيه الشافعي :

أيها الشيخ ! ألفتَ ذكرنا عن لسانك ، واستمرت على الخلوة
بإنسانك ، جاريًا على نسيانك ، مُستَهْتَرًا بفتيانك وافتنانك ، غير عاطفٍ
على إخوانك وأخذانك ؛ لولا أنني أرعى قديمًا قد أضعته ، وأعطيتك
من رعايتي ما قد منعمته ، لكان لي ولك حديث ، إما طيب وإما
خبث ؛ خلّفتك محتسبًا فخلّفت مكثسبًا ، وتركتك آمرأ بالمعروف .
فلحقتك راكبًا للمنكر ، قد يفيل^(٥) الرأي ويخبب الظن ، ويكذب
الأمل ، وقد قال الأول :

أَلَا رَبِّ مَنْ تَفْتَشُهُ لَكَ نَاصِحٌ وَمُؤْتَمِنٌ بِالْغَيْبِ وَهُوَ ظَنِّينٌ^(٦)
ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الشَّادِيَاثِي فَقَالَ :

(١) الويج والويس ، بمنزلة الويل في المعنى .

(٢) قرحان : مسه القرح .

(٣) المشأ مقصور : سوء البصر .

(٤) السرحان : الذئب والأسد ، أو اسم لرجل من الفتاك ، وفي المثل :

« سقط المشأ به على سرحان » (مجمع الأمثال ٢٢١ - ٢٢٢) .

(٥) فال الرأي : أخطأ وضعف .

(٦) البيت في ل (غش) غير منسوب . واغتششت فلانًا : أي عددته غاشًا . ورواية

البيت في اللسان : « أيا رب ... ومنتصح ... غير أمين »

يا أبا علي ! كيف أنت وكيف كنت ؟

فقال : يامولانا

لا كنتُ إن كنت أدري كيف كنت ولا

لا كنتُ إن كنتُ أدري كيف لم أكن

فقال : اغرب ياساقط ياهابط ، يامن يذهب إلى الحائط بالغائط ،
ليس هذا من تحت يدك ولا هو مما نشأ من عندك ، هذا لمحمد بن
عبد الله بن طاهر ، أوله :

كتبت تسأل عني كيف كنت وما لا قيت بعدك من غم ومن حزن

لا كنتُ إن كنت أدري كيف كنت ولا

لا كنتُ إن كنت أدري كيف لم أكن ١٠

وكان ينشد وهو يلوي رقبتَه ، ويحفظ حَدَقَتَه ، ويُزِي أطرافَ
منكبه ويتسائل^(١) ويتمايل ، كأنه « الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ »^(٢).

ثم قال : يا أبا علي ! لا تُعْمَلْ عَلَى إيري في سراويل غيرك ، لا إيري
إلا إيري تمطى تحت حائتك ، فإنك إن عوّلت على ذلك خانك وشانك ،
وفضّح خانك^(٣) ومأنك .

١٥

(١) يتسائل : مفاعلة من سال .

(٢) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة .

(٣) الخان : مكان زول التجار ، ومأنك : كذب عليك .

ثم نظر إلى غلامٍ قد بقل وجهه كان يُشهم به على الوجه الأقبیح ،
فالتوى وتقلقل ، وقال : اذنُ يا بُنيَّ ! كيف كنت ؟ ولم حملت
على نفسك هذا العناء ؟ وجهك هذا الحسن لا يبتذل للشحوب ،
ولا يُعرض للَفَخات الشمس بين الطلوع والغروب ، أنت يجب أن
تكون في بذلة^(١) بين حَجَلَةٍ^(٢) وكِلَّةٍ^(٣) ، تُزاح بك العِلَّةُ ، وتُملا
فيك القِلَّةُ ، وتُشفَى منك العُلَّةُ .

هذا آخرُ حديث الاستقبال ، وقد حذفُ منه أشياء كثيرة من
رقاماته ، لأنَّ الغرض غير مقصودٍ على فنٍّ واحدٍ من حديثه .
وقال يوما في دارِ الإمارة لفيزووزان المجوسي ، وكان الخرائطيُّ
١٠ حاضرًا ، في شيء نابذه عليه : إنما أنت مخش^(٤) مجش^(٥) محش^(٦)
لا تهش ولا تبش ولا تَمَشِش^(٧) .

(١) البذلة : الثياب .

(٢) الحَجَلَة : مثل القبة ، وحَجَلَة العروس : بيت يزين بالثياب
والأسرة والستور .

(٣) الكِلَّة : الستر الرقيق يُخالط كالبيت يتوقى فيه من البق والبعوض .

(٤) المحش : الرجل الجريء .

(٥) المجش : الرحى .

(٦) المحش : ما تحرك به النار .

(٧) متش الناقة : حلبها بأصابعه حلباً ضعيفاً ، والمعنى في هذه الكلمات
جميعاً : انك خشن الطبع جافه لايونة فيك .

فقال له فيروزان : أيها الصّاحب ! برئتُ من النار إن كنتُ أدري
 ما تقول ، إن كان مِن رأيك أن تشتمني فقل ما شئت بعد أن أعلم ، فإن
 العِرضَ لك ، والنفسَ فداؤك ، لستَ من الزّنج ، ولا من البربر ،
 ولا من الغز ، كَلَمْنَا بما نعقل على العادة التي عليها العمل ؛ والله ما هذا
 من لغة آبائك الفُرس ، ولا لغة أهل دينك من هذا السّواد ؛ فقد خالطنا
 الناس فما سمعنا منهم هذا النّمط ، وإني أظن أنك لو دَعَوْتَ الله بهذا
 الكلام لما أجابك ، ولو سأَلْتَهُ لما أعطاك ، ولو استغفرتَ الله به ما غفَرَ
 لك ؛ وحَقِيقٌ عَلَى الله ذلك .

فقال الخرائطي : أيها الصّاحب ! والله لقد صدق فلا تغضب ،
 فليس كل من وثقَ بأنه لا يُراجِع في قوله وفعله رَكِبَ ما يُحَقِّقُ فيه .
 شاهدًا وغائبًا .

فقامَ عنهما خَزيان يُردِّدُ ريقَه حِقْدًا عليهما ، وكان ذلك سببًا كبيرًا
 في فسادِ أمرهما .

وقلتُ للزُّعَمَرَانِي الشّاعر^(١) ، وكان من أهل بغداد : اصدّقني أيّها

(١) أبو القاسم عمر بن إبراهيم ، شاعر عراقي . نادى الصّاحب وحظي عنده ،
 وفخر الدولة وأخاه عضد الدولة . ترجم له الثعالبي في اليتيمة ٣ / ٣١١ - ٣١٨
 (مصر) وفي ٣ / ١١٩ قصيدة له يصف فيها داراً للصّاحب .

الشيخ عن هذا الإنسان ، كيف وجدته في طول ما عجمت عوده ،
وتصفحت أخلاقه ، وخبرت دخلته .

فقال : وجدته كليل الكرم ، حاد اللؤم ، رقيق الظاهر ، مريب الباطن ،
دنس الجنب ، مؤثرياً من العيب ، كأنه خلق عبثاً مما ملي خُبشاً ؛ سفهه
ينفي حكمة خالقه ، وغناه يدعو^(١) إلى الكفر برازقه ؛ وأنا أستغفر الله

من قولي فيه ونفاقي معه ؛ ولعن الله الفقر فهو الذي يُحيل المروءة^(٢) ،
ويقدر في الديانة ؛ ولو كان لي ببغداد قوتٌ يحفظ عليّ ماء الوجه
ما صبرت على هذا الرقيق البارد المجنون المطاع ساعة ، ولكن ما أصنع
قد قلبتُ أمري ظهراً لبطن ، مالي إلى الرزق بابٌ إلا منه ، وأنشد :

١٠ وَالرَّزْقُ كَالْوَسْمِيِّ رُبَّمَا عَدَا رَوْضَ الْقَطَا وَسَقَى مَهَامَةَ جِلْقِ^(٣)

فإذا سمعت بحول^(٤) متأله متأدب فهو الذي لم يُرزق

والرزق يُخطيء بابَ عاقل قومه وَيَبْتَ بَوَاباً لِبَابِ الْأَحْقِ

وَأَنشَدَ أَيْضاً :

الرَّزْقُ قَدْ يَأْتِيكَ فِي وَقْتِهِ وَالْحَرَصُ لَا يُغْنِي وَلَا يُجِدِي

١٥ كَمْ قَاعِدٍ يَبْلُغُ مَأْمُولَهُ وَطَالِبٍ مُضْطَرِبٍ يُكْدِي

فاسترزق الرازق من فضله وَأَرْضَ بَمَا يُؤَلِّكَ مِنْ رَفْدِ

(١) في الأصل : « يدعوا » . (٢) في الأصل : « يحيل المروءة » .

(٣) رَوْضَ الْقَطَا : موضع بأرض اليمامة كثر ذكره في أشعارهم (معجم البلدان

٣/١٢٦) . وجيلق : دمشق أو النوبة (معجم البلدان ٣/١٢٦) .

(٤) حَوْلٌ : ذو تصرف واختيال ، بصير بتحويل الأمور .

وثيق بإحسانٍ له واسع فهكذا عاداته^(١) عندي
 وأنشد القرمسيني^(٢) قال : أنشدنا علي بن سليمان الأخفش لشاعر :
 قد يُرْزَق المرء لم تتعب رواحله ويُحرم الرزق من لم يُوت من تعب
 يثابت العقل كم عاينت ذا أدب الرزق أعدى له من ثابت الجرب
 وإنني واجدٌ في الناس واحدة الرزق والثوك مقرونان في نسب^(٣) ٥
 وخصلة قل فيها من يُازعني الرزق أروغ شيء عن ذوي الأدب
 وقلت للمسيبي : ما قولك في ابن عباد ؟

فقال : له في الخلاعة قرآن مُعْجَز ، وفي الرقاعة آية مُنْزَلَة ، وفي
 الحسد عرق ضارب ، وفي الكذب عارٌ لازِب ؛ لا يَنْزِع عن المساوي
 إلا مَلَلًا ، ولا يَأْتِي الخيرَ إلا كَسَلًا ؛ ظاهرُهُ ضلالة ، وباطِنُهُ جَهالة ، ١٠
 وليس له في الكرم دلالة ، ولا في الإحسان إلى الأحرار آلة ؛ فسبحان
 مَنْ خلقه غيظًا لأهل الفضل والأدب ، وأعطاه فيضًا من المال والنسب !
 وقلت لأبي بكر الخوارزمي الشاعر^(٤) ، وكان قد خَبَّرَهُ :

(١) في الأصل : « عاداته » .

(٢) القرمسيني علي بن هارون بن نصر النحوي أبو الحسن ، أخذ عن
 علي بن سليمان الأخفش ، وأخذ عنه عبد السلام البصري . مات سنة ٣٧١
 في خلافة الطائع العباسي ، ومولده سنة ٢٩٠ هـ . انظر الإرشاد ٦ / ٤٤٠ .
 (٣) الثوك بالضم : الحق .

(٤) محمد بن العباس الخوارزمي أبو بكر الشاعر المجيد المتوفى سنة ٣٨٣ هـ
 وذكر ابن الأثير أنه توفي سنة ٣٩٣ هـ . —

كيف وَجَدَت الصَّاحِبَ ، وَقَدْ أَعْطَاكَ وَأَوَّلَاكَ وَقَدَّمَكَ وَآثَرَكَ ،
وَسَفَرَ لَكَ ^(١) إِلَى عِضْدِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ الْيَوْمَ شَاهُ الْمُلُوكِ ، حَتَّى مَلَأَتْ
عِيَابِكَ تَبَرًّا ، وَحَقَائِبُكَ ثِيَابًا ، وَرَوَّاحُكَ زَادًا ؟

فَقَالَ : دَعْنِي مِمَّا هُنَاكَ ، وَابْتَهِ لِي خَوَارِزْمِي الْمَكَارِمِ ، صَبَّارٌ عَلَى
الْمَلَامِ ، زَحَّافٌ إِلَى الْمَأْتَمِ ، سَمَّاعٌ لِلنَّمَائِمِ ، مُقْدِمٌ عَلَى الْعِظَامِ ؛ يَدْعُو
إِلَى « الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ » ، وَيَدَّعِي « الْوَعْدَ وَالتَّخْلِيدَ » ، ثُمَّ يَخْلُو
بِاسْتِعْمَالِ الْأَيُّورِ ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى الْفُسُوقِ وَالْفُجُورِ ، وَيُسَمِّي وَهُوَ بُورٌ ^(٢)
وَيُصْبِحُ وَمَا عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ .

وَكَانَ الْخَوَارِزْمِيُّ مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ ، مَا رَأَيْنَا فِي الْعَجَمِ مِثْلَهُ ، وَإِنَّمَا
نُؤَلِّهِ الصَّاحِبَ مَا نُؤَلِّهِ ، وَخَوَّلَهُ مَا خَوَّلَهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَذْكَاةَ عَيْنًا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ صَاحِبِ الْجَيْشِ بَنِيْسَابُورَ ، وَاسْتَمْلَى فِيهِ ^(٣) أَخْبَارَ الْمَشْرِقِ ، وَبِهَذَا

— كَانَ عَلَامَةً لِنُوبَا ضَلِيمًا غَزِيرَ الْحِفْظِ ، وَشَيْعِيًّا مَعَ غُلُوِّ . ذَكَرَ ابْنُ شَاكِرٍ فِي
عَيُونِ التَّوَارِيخِ شَمْرًا لَهُ قَالَ فِيهِ مِنْ الْخُلَفَاءِ أَبِي بَكْرٌ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ؛ وَفِي
رِسَالَتِهِ مَا يَشْهَدُ لِنُغْلُوهِ فِي التَّشْيِيعِ .

تَرْجَمَتُهُ فِي الْوَفَايَاتِ ١ / ٦٦٢ وَعَيُونِ التَّوَارِيخِ (حَوَادِثُ سَنَةِ ٣٨٣)
(١) كَذًا بِالْأَصْلِ .

(٢) وَهُوَ بُورٌ : فَاسِدٌ هَاكَذَا لَأَخِيرٍ فِيهِ .

(٣) كَذًا ، وَكَأَنَّهَا : مِنْهُ ، .

المعنى استدرّ له من ملك بغداد بوساطة ابن يوسف^(١) ، وكان الظاهر أنه إنما يعطيه لأدبه ، ويجيزه لشعره ، ويصطفيه لفضله .

ولقد قلت للزعفراني :

أرى الخوارزمي سيء الرأي في ابن عبّاد مع ما يصل إليه منه ، فما السبب ؟

فقال :

[٥٦-ط] ابن عبّاد سيء السياسة / لصنائه ، وذلك أنه يُعطي الإنسان عطيةً ما ، ثم يبلّوه بحفَاء يتمي معه لقط النوى^(٢) من السُّكك ، والمصطنع الكريم هو الذي يكون اصطناعه بلسانه فوق اصطناعه بيده ؛ وإني أحدثك ببعض ما عمّل به الخوارزمي ليصحّ لك القياس عليه ، ١٠ والتعجب منه .

حضر الخوارزمي يوماً ، وجَرَى حديث القافة^(٣) ، فقال الخوارزمي :

(١) هو عبد العزيز بن يوسف الكاتب ، وتأني ترجمته .

(٢) في الأصل « النوا » .

(٣) القافة جمع قائف ؛ يقول أبو حيان في البصائر ٥ / ٣٥ : « والقائف - عند العرب - الذي يقفو أقدام السالكين فيقول : هذه (في الأصل : هذا) قدم فلان . . . وبنو مُدْلِج مخصوصون بهذا الشأن ولهم إصابة ظاهرة وحذق معروف ، والعرب تعرف لها ذلك » . وفي تهذيب الأزهري « قاف » : « ومنه قيل للذي ينظر إلى شبه الولد بأبيه قائف وجمعه قافة -

دخل محرز^(١) المدلجيّ على رسول الله صلى الله عليه ونظر إلى أقدام أسامة، وزيد ، فقال : هذه أقدام بعضها من بعض ، وصحف البائس كما يُصحف الناس ، العلماء فمن دونهم ، وكان ابن عباد على بركة ، فإزال يدور حول البركة وهو يصفع الخوازمي ويقول : محرز ؟ بحياتي ؟ إلى أن رعف الخوازمي فتنحى وخرَج . ٥

فهذا وما دأناه هو الذي كان يُفسد به ما يفعله من الخير والبر .
وحدثني بذكر أبي بكر عينا بخراسان أبو الطيب النصراني ، وكان علي السرّ عند مؤيد الدولة^(٢) وكان يعرف من نخازي ابن عباد عجائب ؛ سمعته يقول : لو بُحث بما في نفسي من حديث هذا المأبون لتصدّع الجبل ، ولتقلّع الجندل ١٠

— ومصدره القيافة . وهو تفسير أُلقي بِحديث القافة الذي يشير إليه أبو حيان ونصه : « . . . ألا إن مجزّز المدلجي رأى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد نائمين في قطيفة . . . فقال : هذه الاقدام بعضها من بعض » . وهو في الاصابة ٨ / ٤٥ ، ومحاضرات الراغب ١ / ٧٠ .

(١) بالخاء والراء ثم الزاي ، وهنا التصحيف ؛ ومجزز ، بالجيم وبزاءين معجمتين على وزن مُحدثّ : هو ابن الاعور بن جَمدة الكِناني المدلجي القائف كان إذا أسر أسيراً ، جزّ ناصيته وأطلقه فسمي مجزّزاً . ترجمته في الاصابة ٨ / ٤٥ .
(٢) مؤيد الدولة أبو منصور بويه بن ركن الدولة المتوفى سنة ٣٧٣ هـ بمجران عن ٤٣ سنة . ترجمته في الوفيات ١ / ٩٣ ، عيون التواريخ (حوادث سنة ٣٧٣) ، المنتظم ٧ / ١٢٠ - ١٢٢ ، أبي الفداء ٢ / ١٢٩ .

وكان ابن عبَّاد شديدَ السَّفَه عَجِيبَ المناقضة ، سريعَ التَّحوُّل من
هيئَةٍ إلى هيئَةٍ ، مُستقبلاً للأحرار بكل فُرْيَةٍ وفاحِشَةٍ ؛ كان^(١) يقول
للإنسان الذي قد قدم عليه من أهل العلم : تَقَدَّم يا أخِي ! وتكلَّم ، واستأنِس ،
واقترَح ، وابْنَسِط ، ولا تُرْع ، واحسبني في جَوْفِ مرَقَّة ، ولا يَهْوُلُكَ
هذا الحَشَمُ والحَدَم ، وهذه العاشِيَّة والحاشِيَّة ، وهذه المرتَبَةُ والمِسْطَبَةُ^(٢) ٥
وهذا الطَّاقُ والرُّواق ،^(٣) وهذه المجالس والطنافس ؛ فإن سلطانَ العِلْمِ
فوقَ سلطانِ الوِلايَةِ ، وشرفُ العِلْمِ أعلَى من^(٤) شرفِ المال ، فليفرخْ روعُكَ
ولينعمْ بِأَلْكَ ، وقُلْ ماشئت ، وانصُرْ ما أَرَدت ، فلسْتَ تجدُ عندنا
إلا الإنصافَ والإسعافَ والإِتعافَ والإِطرافَ ، والمقارَبَةَ والمواهَبَةَ ،
والموانسَةَ والمقَابَسَةَ ، وعلى هذا التنزيل ، ومن كان يحفظ ما يَهْدِي به في ١٠
هذا وغيره ؟

حتى إذا استقَى ما عندَ ذلك الإنسان بهذه الزَّخارِفِ والحِيلِ ،
وسألَ الرَّجُلُ مَعَهُ في حَدُورِهِ على مذهبِ الثَّقَةِ ، وَرَكِبَ في مناظرَتِهِ ،

(١) نقله ياقوت في الارشاد ٢/ ٢٨٨ .

(٢) المسطبة : بفتح الميم وكسرهما : الدكة ، بي بي ليجلس عليها .

(٣) الطاق : ضرب من الملابس ، وما عقد من الأبنية بالآجر ، والزواق : ستر
يعد دون السقف .

(٤) في الأصل : « أَعْلَى من » .

(٥) تكملة عن الإرشاد ٢/ ٢٨٨ .

وردعه ^(١) وحاجّه ، وراجعه وضاجمه وشاكمه ^(٢) ووضع يده على
النكتة الفاصلة ، والأمر القاطع تنمرّ له ، وتنغرّ ^(٣) عليه ، واستحصد
غضباً وتلظى لهبا ، وقال بعد وثبتين أو ثلاث : يا غلام ! خذ بيد هذا
الكلب إلى الحبس ، وضعه فيه بعد أن تصبّ على كاهله وظهره وجنبه
خمس مئة عصا ؛ فإنه معاند ضدّ ، يحتاج إلى أن يشدّ بالقيد ^(٤) ، ساقط
هابط ، كلبٌ نباح ، متعجرف وقاح ؛ أعجبه صبري ، وغره حلمي ،
ولقد أخلف ظني ، وعدت على نفسي من أجله بالتوبيخ ، وما خلق الله
المصا باطلا ، ولا ترك خلقه هاملا .

فيُقام ذلك البائس على هذه الحال التي تسمع ، على أن مسموعك
١٠ دون مُشاهدتك لو شاهدت ، ومن لم يحضر ذلك المجلس لم يرَ منظراً
رفيعاً ورجلاً رقيقاً ؛ قد عامل بما وصفتُ الحريري ^(٥) غلام ابن طرارة ^(٦)

(١) في الأصل : « ردعه » .

(٢) شاكمه : غاضبه ، وفي الأصل : « ساكمه » : ضلّله ،

(٣) تنغرّ عليه : غلا عليه من الغضب .

(٤) القيد : السير الذي يقيد من الجلد .

(٥) كذا « الحريري » بالخاء المهملة في الأصل والامتناع ، ومن المحتمل
أن تكون « الجريري » بالجيم نسبةً الى مذهب ابن جرير الطبري ، وتلك
نسبة أستاذة ابن طرارة أيضا .

(٦) هو المعافى بن زكريا بن يحيى النرواني الجريري المعروف بابن طرارة ، —

والجامدي^(١) الشاعر الوارد عليه من البصرة ، وآبا زيد الكلابي وغيرهم .
وكان أبو الفضل أعني ابن العميد إذا رآه يقول : أَحَسَبَ^(٢) أَنْ
عَيْنِيهِ رُكِّبَتَا مِنْ زُبُقٍ وَعُنُقِهِ عُمَلُ بَلَوَّابٍ .

وصدق ، لأنه كَانَ طَرِيفَ التَّنْيِ والتلوي شديد التفكك والتفتل
كثير التعوُّج والتموُّج ، في شكل المرأة المؤمسة والفاجرة الماجنة ،
والمخنث الأشمط .

وسمعتُ آبا الفضل الهَرَوِي^(٣) يقول له يوماً : لو وُضِعَ في خِزانة
الكتب للوقوفِ شيءٍ من الطبِّ لكان ذلك باباً من المنافع الحاضرة
والفوائد المعجَّلة والخير العام .

— علامة شهر وله مؤلفات ، ولد سنة ٣٠٥ أو ٣٠٣ وتوفي سنة ٣٩٠ . ترجمته
في الإرشاد ٧ / ١٦٢ — ١٦٤ والفهرست ٣٢٨ — ٣٢٩ والبداية ١١ / ٣٢٨ .
(١) أبو عبد الله محمد بن حامد الجامدي (نسبة إلى جامدة من أعمال واسط)
ذكره الثعالي في اليتيمة (الباب ٦ القسم ٢ الورقة ٧٣ م نسخة أحمد الثالث)
وهو من شعراء العراق ، وكان من جلاس صاحب وعنه نقل الثعالي (٣ / ١٧٢ ،
١٧٣ مصر) فقرأ وصف فيها مجلس صاحب وحضوره . وقد ذكره ابن شاعر
في عيون التواريخ وقال لم تتحقق وفاته ، وكان في حدود الأربعمئة ، وانظر
« جامدة » في معجم البلدان .

(٢) في الأصل : « احسبوا » ، تصحيف . والضمير في « رآه » لابن عباد .
(٣) كان أبو الفضل الهَرَوِي راصداً بحضور أبي جعفر الخازن في المرصد
الذي بناه أبو الفضل ابن العميد بالري ، وكان رصدهما سنة ٣٤٨ هـ . ذكره
البيروني في « تحديد نهايات الأماكن » ، ٤٥ م .

فقال على حديثه وجنونه : الطَّبُّ — يا أبا الفضل — سَلِّمُ الإِلْهَادِ ،
ولقد أَسْرَرْتَ في هذا القول حَسْوَاً^(١) في ارتِغَاءِ^(٢) ، أَنْتَ مُهَنْدِسٌ ، وَأَنْتَ
مَتَّهَمٌ ، وَيَكْفِي مِنْكَ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا هُوَ دُونَ هَذَا .

فَانْخِزِلِ الْهَرَوِيَّ وَكَانَ جَبَانًا ، وَأَخْذَ يَتَلَفَى مَا فَرَطَ مِنْهُ .

٥ قال أصحابنا بالريِّ : وكيف يَسُوغُ لَهُ أَنْ يَقُولَ هَذَا ، وَهُوَ
يُشَاوِرُ الطَّبِيبَ فِي كُلِّ غَدَاةٍ ، وَيَعْتَمِدُ عَلَى الطَّبِّ فِي كُلِّ عَارِضٍ ، وَيَجْمَعُ
الْكِتَابَ فِيهِ^(٣) ، وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ ؛ قَالُوا : وَلَيْسَ هَذَا بِأَعْجَبَ مِنْ عَيْبِهِ
لِعِلْمِ النُّجُومِ^(٤) ، وَذِمَّةُ أَهْلِهِ ، وَهُوَ لَا يُفَارِقُ التَّقْوِيمَ ، وَلَا يَخْلُو^(٥) يَوْمًا مِنْ
النَّظَرِ فِيهِ مَرَّاتٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَرْكَبُ إِذَا وَجَدَ نَحْسًا ، هَذَا عَلَى تَقْلِيدِهِ
١٠ فِيهِ ، لِأَنَّهُ مَا كَانَ يَعْرِفُ حَرْفًا مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ ، لَا عَلَى طَرِيقَةٍ مَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « حَشَوَا » . (٥) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا يَخْلُو » .

(٢) لَفْظُ الْمَثَلِ : « يُسِيرُ حَسْوَاً فِي ارْتِغَاءٍ » ، وَيَضْرِبُ لِمَنْ يَظْهَرُ أَمْرًا
وَهُوَ يُرِيدُ غَيْرَهُ ؛ يَعْنِي يَحْسُوُ اللَّئِيمَ وَهُوَ يُظْهَرُ أَنَّهُ يَأْخُذُ رَغْوَتَهُ فَقَطْ . انْظُرِ
الْإِسَانِ (رِغَا) .

(٣) بَلِّ لِلصَّاحِبِ رِسَالَةٌ فِي الطَّبِّ ذَكَرَ لَهَا الثَّمَالِي فِي الْيَتِيمَةِ ٣ / ١٨٠ - ١٨٢

(٤) فِي مُحَاضَرَاتِ الرَّائِغِ ١ / ٦٨ لِلصَّاحِبِ :

حَوْثَنِي مِنْجُمِ أَبُو خَبَلٍ . تَرَجُّعَ الْمَرِيخِ فِي بُرْجِ الْحَمَلِ
فَقُلْتُ عَنِي مِنْ أَبْطِيلِ الْحَيْلِ فَاَلْمَشْتَرِي عِنْدِي سَوَاءٌ وَزُحَلٌ
أُدْفَعُ عَنِي كُلَّ آفَاتِ الدُّوَلِ بِخَالِقِي وَرَازِقِي عَزٌّ وَجَلٌّ

يَنْظُرُ فِي أَحْكَامِهِ ، وَلَا عَلَى مَذْهَبٍ مَنِ يَخْتَارُهُ لِهَيْئَتِهِ ، فَهَلْ رَأَيْتَ بَهْتًا
أَشَدَّ مِنْ هَذَا / ؟ وَمُنَاقِضَةً أَقْبَحَ مِنْ هَذَا ؟ يَذَمُّ شَيْئًا فِي الظَّاهِرِ ، ثُمَّ
يُحِبُّهُ فِي الْبَاطِنِ ، وَيُزْهَدُ غَيْرَهُ فِي شَيْءٍ وَهُوَ يُؤَثِّرُهُ .

وكان من صَعَفَ عقله يقول : يجوز أن يكون الفلك من سَلَجَمٍ أو
جَزَرٍ أو فِجَلٍ ؛ قال هذا للصَّاعِغَانِي أَبِي حَامِدٍ^(١) وَنَحْنُ حُضُورٌ ، وَهُوَ مَعَ
هذا العقل السَّخِيفِ يَطْلُبُ كِتَابَ الْأَوَائِلِ وَيَجْمَعُهَا ، وَيَنْظُرُ فِيهَا ،
وَيَشْتَهِي أَنْ يَفْتَحَ فَاتِحَ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا فِي السِّرِّ ، وَعَلَى وَجْهِ التَّهْجِينِ
لَا عَلَى وَجْهِ التَّقْبُلِ ، وَيَقُولُ فِي أَبِي الْحَسَنِ الْعَامِرِيِّ^(٢) : قَالَ الْخُرَائِي
كَذَا وَكَذَا ، وَإِذَا خَلَا نَظَرَ فِي كِتَابِهِ وَمُصَنَّفَاتِهِ ، وَكَانَ أَخْذَهَا مِنْ أَبِي

(١) أَبُو حَامِدٍ الصَّاعِغَانِي مِنْ عُلَمَاءِ الْفَلَكَ وَالْهَيْئَةِ ، وَكَانَ مِنَ الرَّصَادِ . يَقُولُ
الْبَيْرُونِيُّ : « وَذَكَرَ أَبُو حَامِدٍ الصَّاعِغَانِي فِي كِتَابِ قَوَانِينِ عِلْمِ الْهَيْئَةِ أَنَّهُ رَصَدَ ...
فِي بَرَكَةِ زَلْزَلٍ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ . . . وَذَلِكَ سَنَةَ ٣٧٤ هـ » ، تَحْدِيدَ
نَهَايَاتِ الْأَمَاكِنِ ٤٧ .

(٢) أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْعَامِرِيُّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٣٨١ مِنْ الْفَلَسَفَةِ
الْمُسْلِمِينَ الْمَعْمُورِينَ ، تَفَلَّسَ بِخِرَاسَانَ عَلَى أَبِي زَيْدٍ الْبَلْخِي تَلْمِيزَ الْكَنْدِيِّ ، وَدَخَلَ
بَغْدَادَ وَتَصَدَّرَ بِهَا ، وَشَرَحَ كِتَابَ أَرِسْطُو وَشَاخَ فِيهَا . وَلَهُ مَوْلفَاتٌ ذَكَرَهَا
فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ « الْأَمَدُ عَلَى الْأَبْدِ » . تَرْجَمَتْهُ فِي مُنْتَخَبِ صَوَانِ الْحِكْمَةِ (كُورِبِيلِي
٩٠٢ ، الْوَرَقَةُ ٩٤ م وما بعدها) ، نَزْهَةُ الْأَرْوَاحِ (بَنِي جَالِمٍ ٩٠٨ الْوَرَقَةُ
١٧ م) ، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ (أَيَا صُوفِيَا ٣٠٠٨ ، الْوَرَقَةُ ١٥٧ ب سَنَةَ
٣٨١ هـ) وَغَيْرَهَا .

الحسن الطبري^(١) طيب ركن الدولة، وكان مع هذا المذهب الذي يدل به ويسميّه «العدل والتوحيد» قليل التوجه إلى القبلة، قليل الركوع والسجود، وكان مع حفظه الغزير، عليه مؤونة في تلاوة آية من كتاب الله عز وجل، إذا أراد أن يستدل بها في المناظرة والجدل، أو يذكر وجهاً من وجوهها في المذاكرة، ولم يكن عليه طابع العبادة، ولا سيما المتأهلين، وكان مع ذلك سفاكاً للدماء، قتالاً للنظرَاء والأكفاء، وكان شديد الحسد لأهل الفضل والدرية، ولأصحاب الحفظ والرواية، وكان جُلُّ حسده لمن كتب فأحسن الخط وأجاد اللفظ، وتأتى للرسم وملح في الاستعارة، وكان إذا سمع من إنسان كلاماً منظوماً، ومعنى قوياً، ولفظاً مسجوماً، ونثراً مطبوعاً، وبياناً بليفاً، وغرضاً حكيماً انتقض طباعه وذهب عليه أمره وتبدد حلمه وزال عنه تماسكه والتهب كأنه نار، واضطرب كأنه شرار، وحدث نفسه بقتله أو نفيه أو إغرامه وإبماده وحرمانه.

قلت للتيمي الشاعر المصري المعروف بالرغيب: كيف ترى هذا الرجل أعني ابن عبّاد؟

(١) أحمد بن محمد الطبري أبو الحسن من أهل طبرستان، كان طيب الأمير ركن الدولة، وله مؤلفات. ذكره ابن أبي أصيبعة ١/ ٣٢١ ولم يورخ وفاته. وانظر ترجمة أخرى له في مسالك الأبصار (أيا صوفيا ٣٤٢٢ - ٨/ ١٢٧ ب).

فقال : طويل العنان في اللؤم ، قصير الباع في الكرم ، وثاباً على الشر ، مُقْعِداً عن الخير ، كافراً بالنعم ، متحرّشاً بالنقم ، جَبّاهاً بالمكروه ، سفيهاً في الجملة ، خليعاً في التفصيل .

قلت : أين هو من صاحبكم بمصر أعني ابن كلّس^(١) ؟

فقال : ذاك رجل له دار ضيافة ، وله زوار كالقطر ، لا يعرف محكاً ولا لجاجاً ولا مجادلة ، ولا كيداً ولا مُخاتلة ، يعطي على القصد والتأميل ، والرجاء والتوجه ، والطمع والطلب وسائر الوسائل ، عنده بعد هذه الأوائل ، فضلٌ يستحقّ به الزيادة ، وليس هناك امتحانٌ ولا محاسبةٌ ولا احتجاجٌ ولا تعيير ، المالُ مصبوب ، والخازن قائم ، والمُفَرَّقُ مُجَزَّفٌ^(٢) ، والنّداء عال ، والواصل موصول ، والمؤمّل مشكور ، ١٠ والراحل شاكر ؛ وزارة ذاك نيابةٌ عن خلافة ، ووزارة هذا خلافةٌ عن عمالة .

(١) أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن كلّس الوزير الأجل ، هكذا كان لقبه . ولد سنة ٣١٨ ينفاد وكان يهودياً ، وبقي على يهوديته ٣٨ سنة ثم أسلم سنة ٣٥٦ هـ ، ووزر للمعز الفاطمي . وكانت وفاته سنة ٣٨٠ هـ وله مؤلفات في فنون مختلفة . عيون التواريخ (حوادث سنة ٣٨٠) ، الوافي (نور عثمانية ٣١٩٦ الورقة ٢٤٥ | - ٢٤٧ ب) ، خطط المقرئ ٣ / ٧ - ١٢ ، الوفيات ٢ / ٤٤٠ .

(٢) يعطي جزافاً بدون حساب .

هل ترى هاهنا صلةً ترتفع عن مئة درهم إلى ألف ؟

أليس أنبلُ مَنْ وردَ عليه البديهي^(١) وهو شيخه في العروض ،
وعنه أخذ القوافي ، وبفتحته وهدايته قال الشعر ؟ هل زاده في طول
مقامه إلى رحيله على خمسة آلاف درهم تفاريق ؟ وإن أقلّ ضيف بمصر
يُصير إليه مثلُ هذا في أول يوم . ٥

وقد سألت جماعةً من سادة الناس عنه ، وحصلت عن كل واحد
منهم جواباً يمر بك فيما تستقبل ، وأذكرها هنا أشياءً حدثني بها
بطائنه وخدمه .

حدثني الجرفاذقاني^(٢) أبو بكر وكان كاتب داره ، قال :

يبلغ من سُخنة عين صاحبنا أنه لا يسكت عما لا يعرف ، ولا يسأم ١٠

(١) البديهي نسبة إلى البديهة ، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي ،
ورد على صاحب من شهر زور ولازم مجلسه ؛ يقول أبو حيان في البصائر
٢ / ٤٣ ب : « وكان البديهي هذا شاعراً ... وكان مفسول الشعر مظهر له
بيت ، ولكنه كان يختلف إلى يحيى بن عدي المنطقي ، ولم يحل منه شيء من
الفلسفة قليل ولا كثير ، ولكنه كان يجمل إصابته في حفظ العروض وعقد
القافية وإقامة الوزن ، ترجمته في اليتيمة ٣ / ٣٣٩ - ٣٤١ (مصر) ، تاريخ
بغداد ١٢ / ٨٣ ، تاريخ أصبهان ٢ / ٢٢ - ٢٣ . وانظر المقابسات ١٦ ، ٣٢ ،
٨١ ؛ ومحاضرات الراغب ١ / ٢٣٨ .

(٢) في الإرشاد : « الجرباذقاني أبو بكر الكاتب » .

نفسه فيما لا يفي به ولا يكمل له ، ويظن أنه إن سكت عنه فُطِنَ لنقصه وإن اختال وموّه جاز ذلك وخفي واستتر ولم يظهر ، ولم يعلم أن ذلك الاحتيال طريقٌ إلى الإغراء بمعرفة الحال ، وصدق القائل : كاد المريب يقول : خذوني .

- قلت له : وما الذي حداك على هذه المقدمة ؟
- قال : قال لي في بعض هذه الأيام : ارفع حسابك فقد آخرته وقصرت فيه واغتنمت سكوتي وشغلي بتدبير الملك وسياسة الأولياء والجند ، والرعايا والمدن ، وما عليّ من أعباء الدولة وحفظ البيضة ومُشارفة الأطراف النائية والدائية باللسان والقلم ، والرأي والتدبير ، والبسط والقبض ، والإبرام والنقض ، وما على قلبي من الفكر في الأمور
- الظاهرة والغامضة ؛ وهذا لعمري باب مُطْمَع وإمساكي عنه مُغْرٍ بالفساد مُولع ، فبادر عافاك الله إلى عمل حساب بتفصيل باب باب تُبين فيه أمر داري ، وما يحري عليه دخلي وخرجي .
- قلت له : وهذا كله بسبب قوله هات حسابك بما تُراعيه ؟
- قال : إي والله ! ولقد كان أكثر منه وإنما اختصرته .
- وصدق هذا الكاتب ، كان يأخذ طرفاً من الحديث فيمده إلى الفلک^(١) بالفتاة والجهل والهدر .

(١) في الأصل : « إلى الملك » .

قال أبو بكر: فتفردت أياماً وحررت الحساب على قاعدته وأصله
والرسم الذي هو مألوف بين أهله، وحملته إليه، فأخذه من يدي وأمر
عينه فيه / من غير تثبت أو فحص أو مسألة، ثم حذف به إليّ وقال:
أهذا حساب، أهذا كتاب، أهذا تحرير، أهذا تقرير، أهذا تفصيل، أهذا
تحصيل؟ والله لولا أني قد ريتك في داري، وشغلت بتخريبك ليلي
ونهارى، ولك حرمة الصبا، وتلزمي رعاية الأبناء^(١)، لأطعمتك هذا
الطومار^(٢)، وأحرقك بالنفط والنار، وأديت بك كل كاتب وحاسب،
وجعلتك مثلة لكل شاهد وغائب.

أمثلي يموء عليه، ويطمع فيما لديه، وأنا خلقت الكتابة والحساب،
والله ما أنا ثم ليلة إلا وأحصل في نفسي ارتفاع العراق ودخل الآفاق؛
أغرك مني أني أجرتك رسنك^(٣)، وأخفيت قبيحك وأبديت حسنك؟
غير هذا الذي رفعت، واعرف قبل وبعد ما صنعت، وأعلم أنك
من الآخرة قد رجعت فزد في صلاتك وصدقتك، ولا تعول على فتحك
وصلاية حدقتك.

(١) في الأصل: « رعاية الآباء ». (٢) الطومار: الصحيفة.

(٣) تقول العرب: أجبرت فلاناً رسنه: أي أمهلت له في إرادته وتركته
على هواه. وانظر شرح المقامات ٢ / ٢٩٢، وشرح ديوان مسلم بن الوليد
ص ٢ (طبع بمبي سنة ١٣٠٣ هـ).

قال : فوالله ما هالني كلامه ، ولا أحاك^(١) في هديانه ، لأنني كنت أعلم جهله بالحساب ، ونقصه في هذا الباب ، فذهبت ، وأفسدت وقدمت وأخرت ، وكأيدت وتعمدت ؛ ثم رددته إليه فنظر فيه ، ثم ضحك في وجهي وقال : أحسنت بارك الله عليك ، هكذا أردت ، وهذا بعينه طلبت ولو تغافلت عنك أول الأمر لما تيقظت في الثاني .

فهذا كما ترى ، اعجب منه كيف شئت .

ومن رقاعته أيضاً : سمعته يقول يوماً ، وقد جرى حديث الأبهري المتكلم ، وكان يكنى أبا سعيد^(٢) ، فقال : لعن الله ذلك الملعون المأفون المأفون ، جاءني بوجه مكلج^(٣) ، وأنف مفلطح^(٤) ، ورأس مسفح^(٥) ، وذقن مسلح ، وسرْم مفتح ، ولسان مبلج^(٦) ، فكلّمني في مسألة ١٠

(١) أحاك ، وحاك : أثار .

(٢) القاسم بن علقمة أبو سعيد الشروطي ، شيخ عالي الإسناد أكثر الرواية عنه أبو يعلى الخليلي ، توفي سنة ٣٨٨ هـ ، تاريخ الاسلام للذهبي (أيا صوفيا ٣٠٠٨ ، ١٢ / ١٩٧ ب) .

(٣) مكلج : عابس .

(٤) مفلطح : عريض .

(٥) يعني أصلع .

(٦) في الأصل : « يكلمني » .

(٦) مبلج : عبي بكيم .

الأصلح^(١) ، فقلتُ له : اغرب عليك غضبُ الله الأترح^(٢) ، الذي يلزم ولا يبرح .

[وشم يوماً رجلاً فقال : لمن الله هذا الأهوج الأعوج ، الأفلج^(٣) الأفحج^(٤) ، الذي إذا قام تحلج^(٥) ، وإذا مشى تدرج ، وإن عدا تفجفج^(٦)] .

بالله^(٧) يا أصحابنا حدثوني ، أهذا عقل رئيس ، أو بلاغة كاتب ، أو كلام متماسك ؟ لم تجنّون به ، وتهالكون فيه ، وتميظون أهل الفضل به ؟ هل هناك إلا الجدة الذي يرفع من هو أنذل منه ، ويضع من هو أرفع منه ؟

(١) من أصول المعتزلة الاعتقادية : أن العدل الإلهي يقضي بأن يفعل الله « الأصلح » لعباده في دينهم وفي دنياهم ، وأنه لا يجوز في حكمة الله وفي عدله أن يبقى أقصى وجه ممكن من وجوه فعل هذا « الأصلح » - لا يفعله الله لعباده ؛ فبفعل الأصلح لهم يستقيم أمر التكليف .

وهو أصل طال واحتد فيه الجدل بينهم وبين أهل السنة . والأبهري سُني والصاحب معتزلي ؛ ومن هنا كان السؤال عن الأصلح ، وكان غضب الصاحب .

(٢) المهلك .

(٣) الأفلج : الموجع اليدين .

(٤) الأفحج : الموجع الرجلين .

(٥) تحلج : تردد .

(٦) تفجفج : باعد ما بين رجليه . والزيادة عن الارشاد ٢ / ٢٩١ .

(٧) نقله ياقوت في الارشاد ٢ / ٢٩١ .

ولقد حدثت بهذا الحديث أبا السلم^(١) الشاعر ، فأنشدني لشاعر :
 سبجان من أنزل الدنيا منازلها وصير الناس مشنوءاً وموموقاً^(٢)
 فعاقِلْ فطن أعيت مذهبهُ وجاهلْ خرق تلقاه مرزوقا
 كأنّه من خليج البحر مُعترف ولم يكن بارتزاق القوت محقوقا
 هذا الذي ترك الأبواب حائرة وصير العاقل النحرير زنديقا ٥
 وحدثني المأموني^(٣) عند روايتي هذا الحديث : سمعته أنا يقول على
 غير هذا الوجه ، قال : جاءني فلان بهامة مسطحة ، وأرنبة مفلطحة ،

(١) هكذا « السلم » رسمت في المخطوطة ، وهو رسم يمكن أن تكون
 الام فيه ساكنة كما يمكن أن تقرأ مفتوحة ممدودة . ولم أجد ترجمته فأحدد
 رسم الكلمة على الوجه المألوف لدينا اليوم .

(٢) الآيات ١ ، ٢ ، ٣ في معاهد التنصيص ٥٣/١ برواية تختلف عما
 هنا ، وهي منسوبة هناك لابن الراوندي . والبيتان ٢ ، ٤ في طبقات الشافعية
 للسبكي ٣ / ٩٧ منسويين لأبي العلاء المعري .

(٣) المأموني ، نسبة إلى الخليفة المأمون لأنه كان من ذريته ، وهو
 عبد السلام بن الحسين أبو طالب المتوفى سنة ٣٨٣ هـ ، ورد الري على صاحب
 ومدحه وحظي عنده ، ثم اتهمه حسدته بنظم شعر يذهب فيه إلى الدعوة لبني
 العباس ، والنلو في النصب واعتقاد تكفير الشيعة والمعتزلة ، وبهجهاء صاحب ،
 وحلفوا له على صحة نسبة هذا الشعر الى المأموني فسأدت صلته بالصاحب وسقطت
 منزلته عنده فتركه . ترجمته في الوافي (شهيد علي ١٩٦٩ الورقة ١٩١ ب) ،
 عيون التواريخ حوادث سنة ٣٨٣ هـ ، فوات الوفيات ١ / ٢٧٣ .

ولحية مسرّحة ، وفقحة مسلحة ، وجبهة موقّحة ، وجملة مقبّحة ،
 يناظرني في المصلحة^(١) ، فهمت والله أنّ أصله على باب المسلحة . وباب
 المسلحة بالري سوقٌ معروفة .

وهذا الكلام الثاني هو الأول يشقّق^(٢) ويؤذي ، ويصيح ويهذي ،
 ٥ ويوهم ويدّعي ، وقاحة وجهلاً وازدراء للناس ، وحقراً لكلّ من يرى
 من أهل الفضل والأدب ، والحرية والحسب .

وكان كلفه بالسّجع في الكلام والعلم عند الجدّ والهزل يزيد على
 كلف كلّ من رأيناه في هذه البلاد .

قلت للمسيبي : أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسّجع ، قال : يبلغ به
 ١٠ ذلك أنه لو رأى سجمة تنجلّ بموقعها عروة الملك ، ويضطرب بها حبّل
 الدّولة ، ويحتاج من أجلها إلى غُرمٍ ثَقِيلٍ وكلفةٍ صعبة ، وتجنّش أمور ،
 وركوب أهوال ، لكان يخفّ عليه أنّ لا يُفرج عنها ويخلّيها ، بل
 يأتي بها ويستعملها ، ولا يعبا بجميع ما وصفت من عاقبتها .

وقال علي بن القاسم الكاتب^(٣) : السّجع لهذا الرجل بمنزلة العصا

(١) المصلحة هي : « الأصلح » الذي سبق شرحه ص ١٢٢ .

(٢) يشقّق : يورث الصداق المعروف بالشقيقة .

(٣) أبو الحسن علي بن القاسم الكاتب من معاصري أبي حيان وقد سمع -

للأعمى ، والأعمى إذا فقد عصاه فقد أقعد ، وهذا إذا ترك السَّجْعَ
فقد أفجم .

وقلتُ للخليلي : كيف كان ابن العميد أبو الفضل يقدم هذا ويرشحه
وهذا عقله ولفظه وشماله ؟

فقال : كان يَسْتَرْقِعُهُ ويَضْحَكُ منه ولا يَغْتَاظُ لَأَنَّهُ كان تحت تدبيره . ٥
والرَّقَاعَةُ الخالية من القدرة مقبولة ، وإِذَا تَضَاعَفَ اليوم حديثه في
الرَّقَاعَةِ لَأَنَّهُ أصبح بسيط اللسان بالدولة ، مُطَاعَ الأَمْرِ في القريب والبعيد ؛
ونعوذُ بالله من جُنُونِ موصول بانقيادِ الأمور وطاعة الرجال . وكان
يقول : هو مع هذا الطَّيِّشِ والخِفَّةِ ، والتفُّلِ والتَّثْنِي أَفْضَلُ من أبيه ؛
فإنَّ أباه كان ثوراً خواراً ، وحماراً نهاقاً . ١٠

وكان أيضاً يَقْدَحُ ابنه أبا الفتح به ، ويبعثه عَلَى الحركة والنُّطْقِ ،
وكان أيضاً مَظْنُوناً به (٤) وهو غلام ما بَقَلَ وجهه .

قال : وأسبابُ الجَدِّ عجيبة ، وكما لا يدري الإنسان من أين يُخْفَقُ
كذلك لا يدري من أين ينال .

— منه ، وأورد في « الصداقة » ٦٨ (مصر) حديثاً له مع أبي الفضل ابن العميد
في شأن مقتل الحاجب النيسابوري منافس ابن العميد لدى ركن الدولة .
(٤) مَظْنُوناً به : مُنْتَهَمٌ به .

فقلت للخليلي : أما كان ابن العميد يسمع كلامه ؟

قال / : بلى ، وكان يقول : سجعُه يدلُّ على الخلاعة والمجانة ،
وخطه يدلُّ على الشلل والزَّمانة ، وصياحُه يدلُّ على أنه قد غلب بالقيمار
في الحانة ، وما نظرتُ إليه قطُّ في وقتٍ إلَّا خِلْتُ أَنَّهُ قد سَقاه العباره^(١)
دواء مذ ساعة .

وهو أحق بالطبع إلَّا أَنَّهُ طيبٌ ، وإن كان له يومٌ تَضَاعَفَ حَقُّهُ ،
وَذَهَبَ طَبِيبُهُ ، وَضُرَّ أَهْلُ النعم والمروآت والأدب بالحسد
والكِبَر والإعنات .

قلت للخليلي : هل عرفت طالعة ؟

قال : حدثني أصحابنا منهم الهروي أن طالعه الجوزاء كط ، والشعرى^{١٠}
اليمانية كط ، وكان رحله في الحادي عشر في الحمل كح ، والقمر فيه يط
والشمس في السنبلة يح ، والزهرة فيها ي ، والمشتري في الميزان كد ،
والمرخ في العقرب ز ، وسهم السعادة في القوس يد ، وسهم الغيب في
الجدي يد ، والرأس في الثالث في الأسد يا . قال : وخفي عليَّ عطارد .
وذكر أَنَّهُ ولد سنة ثلاثمائة وست وعشرين من الهجرة لأربع عشرة^{١٥}

(١) كذا بالأصل .

ليلة بقيت من ذي القعدة روز سروش من ماه شهرير^(١).

قلت : فأين ولد ؟

فقال : كان عندنا أنه ولد بطالقان^(٢) ، وقال لنا قوم^(٣) : بل بإصطخر .
وقال لي غير الخليلي : كان عطاردي السنبلة طي .

وكنْتُ بالري سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وابن عبَّاد بها مع
مؤيد الدولة قد وردا في مهمَّاتٍ وحوائج ، وعقد ابنُ عبَّادٍ مجلسَ جدلٍ
وكنَّا نبِيتُ عنده في داره بيباب سين^(٤) ومعنا الضَّريُّ أبو العباس
القاصَّ^(٥) وأبو الحوراء الرقي^(٥) ، وأبو عبد الله النحوي الزعفراني ،
وجماعةٌ من الغرباء فرأى ليلةً في مجلسه وجهًا غريبًا صاحبَ مرقعة ،

(١) ويقال « شهر يور ماه » اسم لأحد الشهور الفارسية ، وروز سروش أصله
اليوم السابع عشر من شهر النوروز ، وهو - فيما بعد - يوم مبارك في كل
شهر لان سروش اسم رقيب الليل من الملائكة ويقال إنه جهيل وهو أشد
الملائكة على الجن والسحرة . الآثار الباقية ٢١٩ .

(٢) يعني طالقان الديلم كما مر .

(٣) في الإرشاد : « يوما » .

(٤) في الإرشاد : « شير » .

(٥) في الارشاد : « القاضي وأبو الجوزاء البرقي » .

فأراد أن يفهمه^(١) ويعرف ما عنده ، وكان الشاب من أهل سمرقند زعم^(٢)
أنه يعرف بأبي واقد الكرايسني .

فقال له^(٣) : يا أخ انبسط واستأنس وتكلم ؛ فلك منا جانبٌ ووطيٌّ
ومشربٌ روي^(٤) ، ولن ترى إلا الخير ، بهم تُعرف ؟
قال : أعرف بدقاق .

قال : تدقّ ماذا ؟

قال : أدقّ الخصرَ إذا زَاغَ عن سبيل الحقّ . فلما سَمِعَ هذا تنكّر
وعجِب ، لأنه فُجِئ . بيديمة .

فقال له دَعْ ذا ، تكلم .

قال : أتكلّم سائلا ؟ والله ما بي حاجةٌ إلى مسألة ، أم أتكلّم
مُسؤولاً ؟ فوالله إني لأكسل عن الجواب ، أم أتكلّم مقررّاً ؟ فوالله
إني لأكره أن أبثّ الدّر في غير موضِعه ، وإني لكما قال الأول :

لقد عَجَمْتَنِي العَاجِاتُ فلم تَجِدْ هَلُوعاً ولا لَيْنَ المَجَسَّةِ في المَعْجَمِ

(١) يفهمه : بكشفه ويمتحنه . وفي الارشاد : « يعرفه » .

(٢) سقطت « زعم » من الإرشاد .

(٣) في الارشاد : « قال له » .

(٤) كتب فوقها بنفس الخط : « مرى » ، وهي رواية الارشاد .

وَكاشَفْتُ أَقْوَامًا فَأَبْدَيْتُ وَصْمَهُمْ وما لِلْأَعَادِي فِي قَنَاتِي مِنْ وَصْمٍ

فقال له : يا هذا ، ما مَذْهَبُكَ ؟

قال : مذهبي أَنِّ لَا أَقَرُّ عَلَى الضَّيْمِ ، وَلَا أَنَامُ عَلَى الْهُوْنِ ، وَلَا أُعْطِي سَمْتِي^(١) لِمَنْ لَمْ يَكُنْ وَلِيًّا نِعْمَتِي ، وَلَمْ يَصِلْ عِصْمَتَهُ بِعِصْمَتِي .

قال : هذا مذهبٌ حَسَنٌ ، وَمَنْ هَذَا الَّذِي يَأْتِي الضَّيْمَ طَائِعًا ، ٥
وَيَرْكَبُ الْهُوْنَ سَامِعًا ؛ وَلَكِنْ مَا نَحَلْتُكَ الَّتِي تَنْصُرُهَا ؟

قال : نِحَلْتِي طَوِيَّةَ صَدْرِي ، وَلَسْتُ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى مَخْلُوقٍ ، وَلَا أُنَادِي عَلَيْهَا فِي سُوقٍ ، وَلَا أَعْرِضُهَا عَلَى شَاكٍّ ، وَلَا أَجَادِلُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنَ .
قال : فَمَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ ؟

قال : وما أَقُولُ فِي كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي يَعْجِزُ عَنْهُ الْخَلْقُ إِذَا ١٠
أَرَادُوا الْإِطْلَاعَ عَلَى غَيْبِهِ ، وَبَحَثُوا عَنْ خَافِي سِرِّهِ ، وَعَجَائِبِ حِكْمَتِهِ ،
فَكَيْفَ إِذَا حَاوَلُوا مُقَابَلَتَهُ بِمِثْلِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ مِثْلُ مَظْنُونِ فَكَيْفَ عَنْ
مِثْلٍ مُتَيَقِّنٍ ؟

قال ابن عَبَّاد : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ أَغْلُوقُ هُوَ أَمْ غَيْرُ غْلُوقٍ ؟

فقال : إِنْ كَانَ مَخْلُوقًا كَمَا تَزْعُمُ فَمَا يَنْفَعُكَ ؟ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَخْلُوقٍ ١٥
كَمَا يَزْعُمُ خَصْمُكَ فَمَاذَا يَضُرُّكَ ؟

(١) فِي الْأَصْلِ : « أُعْطِي ضَمْتِي » .

فقال : يا هذا أهدأ العقل تناظر في دين الله وتقوم على عبادة الله؟
[قال] ^(١) : إن كان كلام الله فينبغي إيماني به وعملي بمحكمه ،
ونسليمي لمُتشابهه ، وإن كان كلام غيره ، وحاش لله من ذلك [ما] ^(٢)
ضرني .

ه فأمسك عنه ابن عباد وهو مغيظ ، ثم قال له : أنت لم تخرج من
خراسان بعد ^(٣) . فمكث الرجل ساعة ثم نهض . فقال له ابن عباد : إلى
أين يا هذا قد تكسر الليل ، بت هاهنا .

فقال : أنا بعد لم أخرج من خراسان ، فكيف أبيت بالري ،
وخرج . فارتاب به ابن عباد ، فقفاه بصاحب له ، ووصاه بأن يتبع خطاه
١٠ ويبلغ مده من حيث لا يظن له ولا يراه ، فما راغ ^(٤) الرجل عن باب
رُكن الدولة حتى دخل ، ووصل في ذلك الوقت الفأيت إليه .

فقال لابن عباد ذلك فطار نومه من عينه ، وقال : أي شيطان

(١) عن الإرشاد . وهي إضافة لازمة .

(٢) كان أهل خراسان يسمون بالخشونة والبلادة ، وقد صرح بذلك أبو
الحسن العامري (منتخب صوان الحكمة ٩٥ ب) عند المقارنة بين البغداديين
والخراسانيين ، وأشار إلى ذلك أيضاً أبو حيان في الصداقة ٢٩ . وإلى هذا
المعنى يهدف ابن عباد هنا .

(٣) راغ : حاد ومال . وفي الإرشاد « زاغ » .

هَبُطَ عَلَيْنَا وَأُحْصِيَ مَا كُنَّا فِيهِ يَبْنَانَا ، وَبَلَغَ أَرْبَهُ مِنَّا ، وَأَخَذَ حَاجَتَهُ مِنْ عِنْدِنَا ، بِلِسَانٍ سَلِيطٍ وَطَبَعَ مَرِيدٌ^(١) .

فحدثني الهروي ، وكان يبيتُ عند رُكن الدولة : أن ركن الدولة قال للخراساني : كيف رأيت كاتب ابننا ؟

قال : رأيت وجهه وجهَ خنزير ، وعقله عقل سنّور ، وكلامه كلامٌ مُبرَسَمٌ^(٢) ، وحركته حركةٌ مَخْنَثٌ ، ونظره نظرٌ فاجر ، ورأيه رأيٌ مُوسَّوسٌ ، وأعضائه أعضاءٌ مفلوج ؛ ولقد عشنا وتعيشي معنا فما زال يذكر القدرَ والخبزَ والأدمَ والبوارد^(٣) والغضائر^(٤) والمطايخ حتى عرقت جباهنا من الحياء والانخزال ، واسترخت أيدينا من الخجل .

فقال له ركن الدولة : لو علمت أنك هكذا تنقلب عن مجلسه لما أذنتُ لك في لقائه ، ولكن قد فات .

قال الهروي : وكان هذا الكرايسي عينا لركن الدولة بخراسان ،

(١) طبع مرید : خبيث .

(٢) المبرسم : المصاب بالبرسام ، وهوداء يفقد المصاب به سيطرته على قواه العقلية فيجعل يهذي .

(٣) البوارد : كل مستطاب .

(٤) الغضائر جمع غضارة ، وهي الصحيفة المتخذة من الغضار وهو الطين الحر . والصحفة : قصبة تشبع الخمسة من الناس .

فلذلك كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ وَكَانَ أَحَدَ رَجَالِ الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَتِمَّكَنْ ^(١) مِنْ مُكَائِرَتِهِ .

وَقُلْتُ لِلْخَلِيلِي : بِمَ انْفَرَجَ مَا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ ، أَعْنِي ابْنَ عَبَادٍ وَصَاحِبِهِمْ أَعْنِي أَبَا الْفَتْحِ ذَا الْكَفَايَتِينَ ؟

٥ فَقَالَ : كَانَ صَاحِبُنَا غِرًّا صَعْبَ الْقِيَادِ شَدِيدَ الزَّهْوِ ؛ وَهَذَا عَلَى رِفَاعَتِهِ الَّتِي تَرَى ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا عَاقِلٌ يَرَأُبُ الْمَصْدُوعَ ، وَيَصِلُ الْمَقْطُوعَ ، وَيَرْفَعُ الْمَوْضُوعَ ، وَيَضَعُ الْمَرْفُوعَ ، وَيَرُدُّ هَذَا عَنْ حَدِّهِ بِلِسَانِهِ ، وَيَكْفُ ذَاكَ عَنْ تَيْهِهِ وَاعْتِنَانِهِ . وَقَدْ كَانَ رَكْنُ الدَّوْلَةِ يَكْنُفُهُمَا بِظِلِّهِ ، وَيَكْفُهُمَا بِفَضْلِهِ ، وَيُخَفِّضُ لُهُمَا جَنَاحَ إِحْسَانِهِ ، وَيَعْزُجُ بَيْنَهُمَا فِي اسْتِخْدَامِهِ ، وَيَجْمَعُهُمَا عَلَى طَاعَتِهِ لِحَصَّةِ رَأْيِهِ وَحُسْنِ مَدَارَاتِهِ ؛ وَنَفُوسُهُمَا عَلَى ذَلِكَ تَغْلِي ، وَصُدُورُهُمَا تَفِيضُ ، وَالْأَلْسِنَةُ تَكْنِي ، وَالْحَوَاجِبُ تَتَمَازُ ، وَالشَّفَاهُ تَلْتَوِي ، وَالْأَعْيُنُ تَخْتَلِجُ ، وَالْوُشَاةُ تَدِبُّ ، وَالزَّمَانُ يَعْمَلُ عَمَلَهُ ؛ فَلَمَّا مَضَى سَائِسُهُمَا تَقَارَفَا الْقَرْحَةَ ^(٢) ، وَتَنَازَعَا الرِّبَةَ فَكَانَ مَا كَانَ .

١٥ قُلْتُ : مَا الَّذِي كَانَ يَنْقِمُ هَذَا مِنْ ذَاكَ ، وَذَاكَ مِنْ هَذَا ؟

(١) يَعْنِي لَمْ يَتِمَّكَنْ ابْنُ عَبَادٍ مِنْ مَغَالِبَتِهِ وَشَفَاءِ نَفْسِهِ مِنْهُ .

(٢) رَمَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا صَاحِبَهُ بِمَا يَمِيهِ وَيَكْرَهُهُ لِلنَّاسِ .

فقال : كان صاحبنا يقول : أشد ما عليَّ أن خَصَمِي مُعَلِّمٌ مأبُون .
 وكان هذا يقول : كيف أُسَامِي حَدَثًا صغيرَ الرأس ، كليلَ اللسان ،
 قليلَ الهِمَّة ، الخَيْرُ عنده حَرٌّ ^(١) والدَّرْهَمُ في نفسه رَبٌّ ؛ وكان
 يُنْشِدُ فيه :

فَتَيَّ يَمْنَعُ الطَّعْمَا م وَلَا يَمْنَعُ الْحُرْمَ
 فجميع النساء في الـ حِلِّ والمطبخ الحَرَمَ

فهذا هذا .

قلت لأبي عُبَيْد الكاتب النصراني ^(٢) ببغداد ، وكان سهل البلاغة
 حلوا اللفظ ، حسن الاقتضاب ، غريب الإشارة ، مليح الفصل والوصل :
 كيف ترى كتابة ابن عباد ^(٣) ؟

(١) الحرُّ : حرقه في القلب من الوجد . ويحتمل أن تقرأ (حر) بكسر
 الحاء بمعنى أن الخير عنده عورة لا يراها الناس .

(٢) هكذا « لأبي عبيد » ، وفي الإمتاع في مواضع متعددة (انظر الفهارس) ،
 والصدقة ٢٨ : « ابن عبيد » . وقد وصفه أبو حيان (صدقة ٢٨) بقوله :
 « وأما ابن عبيد فكلفه بالخطابة والبلاغة والرسائل والفصاحة قد طرحه في عمق
 لج لا مطمع في انتقاده منه ، ولا طريق إلى صرفه عنه ، هذا مع حركات
 غير متناسبة وشمائل غير دمتة ومناظرة مخلوطة بذلة أهل الذمة ودالة أصحاب
 الحجة » . وأورد له رسالة من إنشائه في ٣٢ من الصدقة .

(٣) السؤال والجواب عنه مقتضياً في الإمتاع ١ / ٦١ .

فقال : هي شوهاء فيها شيء في غاية التنقيح ، وفيها شيء في غاية الركافة ،
و بينهما فتور راكد ، بمذاهب المعلمين الحمقى المتعاقلين أشبه منها بمذاهب
السلف الأولين من الكتّاب وأصحاب الدواوين .

قال : السجع الذي يُلَهَّج به هو مما يقع في الكلام ، ولكن ينبغي
ه أن يكون كالطراز في الثوب ، والصنفة ^(١) في الرداء ، والخط في
المصنّب ^(٢) ، والملح في الطعام ، والخال في الوجه ؛ ولو كان الوجه كله
خالاً لكان مقلّياً .

قال : وبديعه في هذا الفن لا تُستَرَكَا كُتبه في سائر فنون الكلام ،
فإن فنون الكلام محصلة ^(٣) على التقريب بين البدّد ^(٤) والسجع والوزن ،
وما يُسمّيه قوم تجنيساً وتطبيقاً . ١٠

قال : ومنها شيء يجب أن يُسمّى المسلسل ، وأمثله في كلام أبي
عثمان ^(٥) موجودة . ثم قال : والذي ينبغي أن يُهَجَّرَ رأساً ، ويُرَغَبَ عنه

(١) صنفة الإزار بكسر النون : حاشيته وطرقه التي عليها الهدب .

(٢) المصنّب : ضرب من برود اليمن المخططة .

(٣) محصلة : منحصرة .

(٤) البدّد : المتفرق ، ويعني به النثر الخالي من السجع .

(٥) يعني عمرو بن بحر الجاحظ .

مُجَلَّةُ التَّكَلُّفِ وَالْإِغْلَاقِ ، وَاسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ وَالْعَوِيسِ ، وَمَا يَسْتَهْلِكُ
الْمَعْنَى أَوْ يُفْسِدُهُ أَوْ يُحِيلُهُ ، وَيَجِبُ ^(١) أَنْ يَكُونَ الْغَرَضُ الْأَوَّلُ فِي صَحَّةِ
الْمَعْنَى ، وَالْغَرَضُ الثَّانِي فِي تَخْيِيرِ اللَّفْظِ ، وَالْغَرَضُ الثَّالِثُ فِي تَسْهِيلِ النُّظْمِ
وَحُلَاوَةِ التَّأْلِيفِ ، وَاجْتِلَابِ الرَّوْنَقِ ، وَالْاِقْتِصَادِ فِي الْمَوَاحِظِ ، وَاسْتِدَامَةِ
الْحَالِ ، لِيَسْتَمِرَّ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ ، وَالثَّالِثُ عَلَى الثَّانِي ، وَأَنْ يَتَوَقَّى الْفَضَاءُ
الَّذِي يَعْرِضُ بَيْنَ الْفَصْلِ وَالْفَصْلِ .

قلت : ما معنى الفضاء ؟ قال : عَدَمُ الرِّبَاطِ بَيْنَ الْمُتَقَدِّمِ وَالْمُتَأَخِّرِ ،
وهو النَّبْوَ الْعَارِضُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ سَمَاعِهِ وَتَحْصِيلِهِ .

قال : وَالْمُجَنَّةُ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا هُجْنَةٌ ، وَالرَّكَائَةُ الَّتِي لَيْسَ
فَوْقَهَا رَكَائَةُ ، الْوَلَوْعُ بِالْغَرِيبِ ، وَمَا يُشْكَلُ فِيهِ الْإِعْرَابُ ، وَيَتَجَاذِبُهُ
التَّأْوِيلُ ؛ فَإِنَّ هَذَا وَمَا شَاكَلَهُ كُلْفَةٌ عَلَى النَّفْسِ عِنْدَ سَمَاعِهِ ، وَمُؤُونَةٌ عَلَى
الطَّبْعِ عِنْدَ تَخْيِيرِهِ ، وَمَشَقَّةٌ عَلَى اللِّسَانِ عِنْدَ اللَّفْظِ بِهِ .

ثم قال : فَخَيْرُ الْكَلَامِ — عَلَى هَذَا التَّصْفِيحِ وَالتَّحْصِيلِ — مَا أَيْدَهُ
الْعَقْلُ بِالْحَقِيقَةِ ، وَسَاعَدَهُ اللَّفْظُ بِالرَّقَّةِ ، وَكَانَ لَهُ سُهُولَةٌ فِي السَّمْعِ ، وَوَقَعَ
فِي النَّفْسِ ، وَعَذُوبَةٌ فِي الْقَلْبِ ، وَرَوْحٌ فِي الصَّدْرِ ^(٢) ؛ إِذَا وَرَدَ لَمْ

(١) كَتَبَ فِي الْأَصْلِ فَوْقَ « وَيَجِبُ » كَلِمَةً : « وَيَنْبَغِي » .

(٢) - الرُّوحُ : بَرْدُ النَّسِيمِ .

يُحَجَّبُ ، وَإِذَا صَدَرَ لَمْ يُنْسَ ، وَإِذَا طَالَ لَمْ يُعَلَّ ، وَإِذَا قَصُرَ لَمْ يُحَقَّرْ ،
 لَهُ غَنَجٌ كَغَنَجِ الْعَيْنِ ، وَدَلٌّ كَدَلِّ الْحَبِيبِ ، وَلَذَّةٌ كَلَذَةِ الْغَنَاءِ ، وَانْقِيَادُ
 كَانْقِيَادِ الدَّلِيلِ ، وَتِيهٌ كَتِيهِ الْعَزِيزِ ، وَجَمَشٌ كَجَمَشِ^(١) الْغَانِيَةِ ، وَوَقَارٌ
 كَوَقَارِ الشَّيْخِ ، وَحَلَاوَةٌ كَحَلَاوَةِ الْعَافِيَةِ ، وَلَيْنٌ كَلَيْنِ الصَّبِيِّ^(٢) ، وَأَخَذٌ
 ٥ كَأَخَذِ الْحَزْزِ ، وَوُلُوجٌ كَوُلُوجِ النَّسِيمِ ، وَوَقَعٌ كَوَقَعِ الْقَطْرِ ، وَرِيحٌ كَرِيحِ
 الْعِطْرِ ، وَاسْتَوَاءٌ كَاسْتَوَاءِ السَّطْرِ ، وَسَبَكٌ كَسَبَكِ الثَّبَرِ ، يَجْمَعُ لَكَ
 بَيْنَ الصَّحَّةِ وَالْبَهْجَةِ وَالتَّامِّ .

فَأَمَّا صِحَّتُهُ فَمِنْ جِهَةِ شَهَادَةِ الْعَقْلِ بِالصُّوَابِ ، وَأَمَّا بَهْجَتُهُ فَمِنْ جِهَةِ
 جَوْهَرِ اللَّفْظِ وَاعْتِدَالِ الْقِسْمَةِ ، وَأَمَّا تَمَامُهُ فَمِنْ جِهَةِ النَّظَرِ الَّذِي يَسْتَعِيرُ
 ١٠ مِنْ النَّفْسِ شَعْفَهَا^(٣) ، وَيَسْتَشِيرُ / مِنْ الرُّوحِ كَلَفَهَا .

ثُمَّ قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ^(٤) : « الْكِتَابُ سَبْعَةٌ^(٥) : الْكَامِلُ ، وَالْأَعَزُّ ، وَالْمُبْهِمُ ،
 وَالرَّقَاعِيُّ ، وَالْمُخِيلُ ، وَالْمُخْلَطُ ، وَالسَّكِّيتُ . »

(١) الْجَمَشُ : الْمَازِلَةُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « كَلَيْنِ الصَّبِيِّ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ النَّفْسِ شَعْفَهَا » .

(٤) مُحَمَّدُ بْنُ اللَّيْثِ الْخَطِيبُ الْكَاتِبُ الْبَلِيغُ الْمُرْسَلُ الْفَقِيهَ الْمُتَكَلِّمُ . ذَكَرَهُ
 ابْنُ النَّديمِ ١٨٣ فِي الْبُلْغَاءِ ، وَتَرْجَمَ لَهُ فِي ١٧٥ .

(٥) هَذَا التَّقْسِيمُ - بِصُورَةٍ أَوْضَحَ - فِي مَطَالِعِ الْبَدْرِ ٢ / ١١٨ مَنْسُوبًا
 إِلَى وَزِيرِ الْقَائِمِ الْفَاطِمِيِّ أَبِي طَالِبِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ سُلَيْمَانَ عَمِيدِ الرُّؤَسَاءِ
 الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٦٤٨ هـ .

فأما الكامل فهو الذي له في الإنشاء والإملاء حظٌ . والأعزلُ :
الذي يُعْلِي ولا يُكْتَب . والمبهم : الذي يَكْتُبُ ولا يُعْلِي . والرقاعي :
الذي يَبْلُغ في الرُّقاع حاجته ، ولا يصلحُ اعظم الكتابة ؛ والمُخِيلُ :
الذي لَهُ عارضةٌ وبيان ، وروايةٌ وإنشاء ، وتعرُّفٌ بالآداب ، ولا طبعٌ
له في الكتابة ؛ وإذا كان عاقلاً صلحاً لمنادمة الملوك . والمخلط : الذي ٥
يُرى له في الكتاب الواحد بلاغةٌ جيدةٌ وفدامةٌ عجيبة . والسكيت :
المتخلف المتبلد ، وربما جاء بالشيء المحتمل إذا تعنى فيه .

قلت فمن أيهم ابنُ عباد ؟ قال : هو مُشْكِل ، لا يجوز أن تهضمه
فتضعه في أسفل سافلين ، ولا يجوز أن تغلط فيه فترفعه إلى أعلى عليين ،
ثم ضعه بين هذين أين شئت ، على أنه على كلِّ حال جبلي . ١٠

قلت له : قد استمرَّ قولك بما لو كان تصنيفاً لك لسأغ ، وبقي تمامه
في كلمةٍ هذا وقتُ المسألة عنها ومعرفةُ الحال فيها .

قال : قل ، فقد استرسلنا في الحديث ، وتبائننا كلَّ ضمير .

قلت : كيف ترى كتابنا أعني القرآن ؟ وأنت رجلٌ قد أشرفت
على غاية هذا الباب ، واستوعبت جميع ما فيه . ١٥

قال : ذلك كلامٌ ليس فيه أثرٌ للصنعة ، ولا علامة للتكلف ، وهو

كَلَامٌ مَنْسَكِبُ انْسِكَابًا ، وَجَارٍ جَرِيًّا يَزِيدُ لُطْفَهُ عَلَى الطَّبْعِ ، بِقَدَرِ مَا يَزِيدُ الطَّبْعُ عَلَى التَّصَنُّعِ ، قَلِيلُهُ كَثِيرٌ ، وَكَثِيرُهُ غَزِيرٌ ، وَمَعْنَاهُ أَقْوَمُ مِنْ لَفْظِهِ ، وَلَفْظُهُ أَرْشَقُ مِنْ وَزْنِهِ ، وَوَزْنُهُ أَعْدَلُ مِنْ نَظْمِهِ ، وَنَظْمُهُ أَحْلَى مِنْ نَثَرِهِ ، وَجَمْعُهُ أَهْيَى مِنْ مُفَرَّقِهِ ، وَمُفَرَّقُهُ أَظْرَفُ مِنْ جَمْعِهِ ، وَبَعْضُهُ أَغْرَبُ مِنْ كَلَامِهِ ، وَكَلَامُهُ أَعْجَبُ مِنْ بَعْضِهِ ؛ وَهُوَ شَيْءٌ يَسْتَوِي فِيهِ تَعْجُبُ الْجَاهِلِ ، وَتَحْيِرُ الْعَالِمِ ، وَيَسْتَعْمِلِي الذَّهْنَ وَيَسْتَفِرْقُ الْفَهْمَ^(١) ، وَيَحْجُبُ الرُّؤْيَا عَنْ الْإِدْرَاكِ ، وَيَرُدُّهَا إِلَى الْبَدِيْهِةِ فِي التَّسْلِيمِ ، وَهَذَا يَصِحُّ وَيَبِينُ لِمَنْ كَانَ ذَا أَدَاةٍ تَامَةٍ ، وَعَقْلٍ ثَابِتٍ ، وَعِلْمٍ غَزِيرٍ ، وَطَبْعٍ سَجِيحٍ ، وَبَصَرٍ بِالْجَوْهَرِ صَحِيحٍ ، وَمَعْرِفَةٍ بِالصُّوْرَةِ وَالصُّوْرَةِ ، وَتَمْيِيزٍ بَيْنَ الْحَالِ وَالْحَالِ ، وَرَفْقٍ فِيمَا يَزِيدُ الْبَيَانَ عَنْهُ ، لَا يُحْمَلُهُ مَا لَا يُطِيقُ ، وَلَا يَحْتَمِلُ لَهُ مَا لَا يَحِبُّ ، فَيَكُونُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ كَالطَّبِيبِ الْحَاذِقِ ، وَالنَّاصِحِ الْمُسْتَفِيقِ .

قُلْتُ لَهُ : إِنَّمَا يَكُونُ هَذَا كُلُّهُ وَمَا هُوَ عَتِيدٌ عِنْدَكَ دَاعِيًا إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ ، وَالتَّصَدِيقِ لِصَاحِبِهِ .

١٥ فَقَالَ : أَتُرَانِي لَا أَنْصَحُ لِنَفْسِي فِي قَضَاءِ الْحَقِّ عَنْهَا نُجْتَلِبُهَا لِلْسَعَادَةِ ، كَمَا لَا أَنْصَحُ لَهَا فِي اقْتِضَاءِ الْحَقِّ لَهَا مُكْتَسِبًا لِلزِّيَادَةِ ؟ بَلَى وَاللَّهِ ! وَلَكِنْ وَرَاءَ هَذَا مَا يُشْكَلُ وَيُعْضِلُ ، وَيَطُولُ وَيُمِلُّ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَيَسْتَفِرْقُ الْفَهْمَ » .

وكان هذا الرجلُ ممن يُدَوِّنُ كلامه كما يُدَوِّنُ كلام ابن هلال
الصَّابِي^(١)^(٢) صاحباً له : يا هذا ! انفع صاحبك على كل حال
وإن ضُرَّكَ ، وزَيَّنَه وإن عَرَّكَ ، وحَسَّنَ به ظَنَّاكَ وإن عَرَّكَ .

^(٣) ومما يدلُّ على ولوع ابن عباد بالسَّجع ومجاوزة الحدِّ فيه بالإفراط
قوله يوماً : حدَّثني أبو علي ابن بابش ، وكان من سادة النَّاش ، جعل
السِّينَ شِينًا ومَرَّ في الحديث وقال : هذه لُغة . وكذب وكان كَذُوباً .
^(٤) وكان أبو مالك يَكْتُبُ^(٥) بين يديه [فقال له]^(٦) : إنما

(١) إبراهيم بن هلال بن زهرون أبو إسحاق ، كاتب بليغ له رسائل ،
وشاعر مجيد ، وشعره غير مجموع ، وله إلى هذا علم بالهندسة . ولد سنة ٣٢٠
وتوفي قبل سنة ٣٨٠ أو سنة ٣٨٣ وقيل سنة ٣٨٤ هـ . ترجمته في الفهرست
١٩٣ - ١٩٤ ، عيون التواريخ حوادث سنة ٣٨٣ ، الوفيات ١ / ١٤ - ١٥ ،
الإرشاد ١ / ٣٢٤ - ٣٥٨ ، تاريخ أبي الفداء ٢ / ١٣٦ ، مسالك الأبصار
(أيا صوفيا ٣٤٢٥ - ٢ / ٢ - ١٣ ب) وقد أورد نماذج من نثره ونظمه ،
البداية ١١ / ٣١٣ ، اليتيمة ٢ / ٢٣ - ٨٦ (بيروت) .

(٢) هنا نقص في الكلام .

(٣) نقله باقوت في الإرشاد ٢ / ٢٩٤ .

(٤) نقله باقوت في الإرشاد ٢ / ٢٩٤ .

(٥) في الأصل « د أت » . وفي محاضرات الراغب ١ / ٥٣ : « وقال

الصاحب لكاتب في مجلسه » ليس لك في مجلسي إلا القُط فقط .

(٦) تكملة عن الإرشاد ، وهي لازمة .

أَنْتَ خَطٌّ وَقَطٌّ فَقَطٌّ . وَفَتَّ (١) أَطْرَافَهُ بِحَرَكَاتِهِ تَخَنُّشًا وَتَأَنُّشًا .
وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ الْمَعْلَمِ ، وَقَدْ أَنْشَدَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ! أَنْتَ طَوِيلُ النَّفْسِ ،
عَتِيقُ الْقَوْسِ ، شَدِيدُ الْمَرْسِ .

وَقَالَ لِشَيْخٍ مِنْ خُرَاسَانَ فِي شَيْءٍ جَرَى : وَاللَّهِ لَوْلَا شَيْءٌ لَقَطَعْتُكَ
تَقْطِيعًا ، وَبَضَعْتُكَ تَبْضِيعًا ، وَوَزَعْتُكَ تَوْزِيعًا ، وَمَزَعْتُكَ تَمْزِيعًا ،
وَجَرَعْتُكَ تَجْرِيعًا ، وَأَدْخَلْتُكَ فِي حِرَامِكَ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ وَقَفَةً وَقَالَ : جَمِيعًا .
وَمِلْحٌ (٢) هَذِهِ الْحِكَايَةُ يَنْتَثِرُ فِي الْكِتَابَةِ ، وَبَهَاؤُهَا يَنْقُصُ
بِالرَّوَايَةِ دُونَ مُشَاهَدَةِ الْحَالِ وَسَمَاعِ اللَّفْظِ ، وَمِلَاحَةِ الشَّكْلِ فِي التَّحْرُكِ
وَالْتَشَنِّيِّ ، وَالتَّرْنُحِ وَالتَّهَادِي ، وَمَدِّ الْيَدِ ، وَلَيِّ الْعُنُقِ ، وَهَزِّ الرَّأْسِ
وَالْأَكْتَاكِ ، وَاسْتِعْمَالِ جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ وَالْمَفَاصِلِ . ١٠

وَقُلْتُ لِابْنِ الْقَصَارِ الْفَقِيهِ (٣) : لَوْ نَاظَرْتَهُ ، وَكَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ
الْقَلَانِسِيِّ (٤) . فَقَالَ : الرَّجُلُ كَلِفٌ بِالْمَذْهَبِ ، وَالْكَلِفُ لَا يُفْهِمُكَ مَا
يَقُولُ اسْتِكْبَارًا عَلَيْكَ ، وَلَا يُفْهِمُ مَا تَقُولُ اسْتِحْقَارًا لَكَ .

(١) التفتت : التكرس . وفي الأصل : « ومست » .

(٢) الملح : الحسن .

(٣) لعله أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد المعروف بابن القصار المتوفى
سنة ٣٩٧ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٢ / ٤١ - ٤٢ .

(٤) أحمد بن إبراهيم بن عبد الله أبو العباس متكلم على مذهب الأشعري ، -

وطلع^(١) عليَّ يوماً في داره وأنا قاعد في كسر^(٢) رواق أكتب له
شيئاً قد كادني به ، فلما أبصرته قتت قائماً ، فصاح بحلق مشقوق :
اقعد ! فالوراقون أخس من أن يقوموا لنا ، فهيمت بكلام ، فقال لي
الزعراني الشاعر : احتمل ذل الرجل رقيق ، فغلب علي الضحك ،
واستحال الغيظ تعجباً من خفته وسخفه ، لأنه قال هذا وقد لوى شدة
وشمخ^(٣) أنفه وأمال عنقه واعترض في انتصابه وانتصب في اعتراضه ،
وخرج في مسك^(٤) مجنون / قد أفلت من دير حنون^(٥) . والوصف [٩٥-ب]
لا يأتي على كنه هذه الحال لأن حقائقها لا تدرك إلا بالخط ، ولا يؤتى
عليها باللفظ

أف هذا كله من شمائل الرؤساء وكلام الكبراء وسيرة أهل العقل ١٠
والرزانة ؟

لا ، والله ! وترباً^(٦) لمن يقول غير هذا .

— وله تصانيف زادت على ١٥٠ مصنف . انظر شرح الاحياء ٢ / ٥ ، وأصول الدين
للبنفاددي ٣١٠ ، إشارات المرام ٢٤ .

(١) نقله ياقوت في الارشاد ٥ / ٣٩٢ .

(٢) الكسر : جانب البيت .

(٣) في الأصل : « وشمخ » .

(٤) المسك ، بالفتح : الجلد .

(٥) لم أجد له ذكراً في المظان .

(٦) كلمة تقال في الدعاء ، أي لأصاب من يقول هذا خيراً .

وسمعت الخثعمي الكاتب كاتب علي بن كامة^(١) يقول : ما رأيت في طول عمري مع علو سني وكثرة تجاربي وشدة تبغي رجلاً أجمع المخازي والمقايح والرقاعات والجهالات والخسّاسات والفواحش والخبائث من ابن عبّاد ؛ أفيلّ الناس رأياً إذا أرتأى ، وأنكلمهم عن الخصم إذا تراءى ، وأقلّم وفاء لمن جعله الله وليّ نعمته ، وأوقحهم وجهاً مع كلّ إنسان ، وأحدّم لساناً بكلّ خني^(٢) وفحش ، وأحسدّم لنظير ولن دون النظير ، وأسعاهم بالفساد على الصغير والكبير ، وأخطبهم^(٣) على الدين ، وأضرهم للمسلمين ، وأفجرهم من بين العالمين . فقلت له : ما الذي يمدّه على ما هو فيه ، وبأيّ شيء يطرد له ما هو عليه ؟

١٠ فقال : لم يبقَ فيمن فوقه من ينتقد ، ولا فيمن دونه من يُزاحم ؛ فقد خلا له الجوُّ فهو يبيض ويصفّر^(٤) ، ويتمطى ويَبُوع^(٥) ، ويقول

(١) تأتي ترجمة ابن كامة عند أبي حيان .

(٢) في الأصل : « خنا » .

(٣) أخطبهم : أخطرهم .

(٤) هو معنى قول طرفة :

« خلا لك الجو فيضى واصفيري »

وانظر لسان العرب (قبر) .

(٥) يتمطى : يتبختر ، ويُبوع : يبسط باعه .

سبعاً في ثمان^(١) ؛ لم يَذِلْ لأحدٍ وذِلَّ له كلُّ أحدٍ ، وأمر كلُّ إنسانٍ
وما نهاه إنسانٌ ، وضرع إليه كلُّ محتاجٍ ، وما احتاج إلى غير ، ونشأ
على البطر والجنون ، وعلى الخلاعة والمجون ؛ فبهذا وأشباهه فسدت
أخلاقه ، وساء أدبه ، وبذو لسانه ، ووقع وجهه ، وغلظ في نفسه
غلظاً شديداً ؛ وأعجب بعريته إعجاباً بعيداً ؛ وهكذا يفسد كل
من فقد المخطيء له إذا أخطأ ، والموبخ له إذا أساء ، والمقوم له إذا
اعوج ؛ لا يسمع إلا : صدق سيدنا ، وأصاب مولانا ؛ وماله في الزمان
ثانٍ ، ولم يعرف فيمن تقدم له نظير .

رجل في هذه المملكة الواسعة العريضة على ما ترى من الثمكن
والاستعلاء ، وهو لا يحصل شيئاً من خرابها وعمارتها ، ولا ينظر في
مصلحتها ومفسدتها ، ولا يعرف المختلس منها ولا الضائع بين الناظرين
فيها . أعمال بائرة ، وبلاذ غامرة ، وأموال محتجنة^(٢) ، وطمع
مستحكم ، وضعف غالب وعدو راصد ، ووقت فائت بالفرص ،
وخوف مؤذن بسوء العاقبة ؛ وهو قاعد في صدر مجلسه يقول :

(١) المعنى — فيما أرجو — أنه يسمي الثمانية سبعة ، ولا يجد من يرد

(٢) محتجنة : مسروقة .

قال شيخنا أبو علي^(١) وأبو هاشم^(٢) ، تارة يتقلّس^(٣) ويتعمّم ويتلحّى^(٤) وينظر العامة ؛ هذا البقال وهذا الخباز وهذا الخلقاني^(٥) وهذا الإسكاف بالفارسية إما بالدريّة ، وإما بالرازية^(٦) وإما بنيرهما ؛ ويرى أنه في شيء مهمّ ، وأنه في نشر مذهب ونصرة دين ؛ وتارة يناغي هذا الأمر ، ويعاتب هذا الخادم ، وينشد الشعر البارد الذي يورث الفالج :

أبا يوسف إن العثانين^(٧) آفة على حاملها فاتخذ حية قصدا
ولاتك مشغولاً بسحب فضولها ولا تولها إلا الإبادة والحصد
وينشد :

قد استوجب في الحكم سليمان بن مختار ١٠

-
- (١) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي الممتزلي المشهور . توفي سنة ٣٠٣ هـ .
ترجم له ابن شاکر في عيون التواريخ (نسخة أحمد الثالث — ١١ / ٣٧ ط)
(٢) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي ابن أبي علي ، ممتزلي أيضاً .
ترجمته في الوافي (نسخة أحمد الثالث ٢٧ / ٨٩ — ٩٠ ط) البداية ١١ / ١٦٧ .
(٣) في الأصل : « يتطلّس » . والمعنى يلبس الطيلسان .
(٤) يتلحّى : يدير كورا من عمامته تحت لحية .
(٥) نسبة إلى الخلقان جمع خلّق وهو البالي .
(٦) الدرية والرازية : لغتان أو لهجتان فارسيّتان .
(٧) جمع عثون ، وهو اللحية .

بما طول من لحيته التحريق بالنار
أو النتف أو الجزأ أو النشر بمنشار
فقد صار بها أشم ر من راية ييطار

فإذا ملّ الشعر قال :

قال سعيد بن حميد لأبي هفان: إن ضرت^(١) عليك ضرطة لأبلغنك
إلى فيد^(٢) فقال أبو هفان: زدني أخرى تبليغي مكة، فإني صرورة^(٣).
أتدري يا أبافلان ما الصرورة، وكم لغة فيها، وما أصلها،
وما نظيرتها؟

ويقول: ضرب المتوكل^(٤) على فقحة عبادة^(٥) فضرط، فقال:

(١) في ثر الدرر ص ٧٢١: «... وكان سعيد بن حميد من المعروفين
بالضراط»، ثم ذكر النادرة، وهي عند الصغد في الوافي (شهد على ١٩٦٨
- الورقة ١٨).

(٢) فيد: موضع بطريق مكة.

(٣) رجل صرورة: لم يحج قط.

(٤) هو جعفر بن الوائق المقتول سنة ٢٤٧ هـ (المعارف ١٧٢).

(٥) عبادة من الخنثين أصحاب النوادر الحبان، توفي سنة ٢٥٠ هـ تقريبا
وكان من ندماء المتوكل الذي كان شديد البغض لـعلي بن أبي طالب ولأهل
بيته، فكان عبادة يشد على بطنه تحت ثيابه مخدّة ويكشف رأسه وكان أصلع،
ويرقص ويقول: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين — يعني بذلك علي

ويحك ما هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، خليفةٌ يقرع باب قومٍ فلا يجيبونه ؟

ويقول : مرَّ بعليّ بن الحسين العلويّ رجلٌ عبّاسيّ مأبون ، فقال : من هذا ؟

فقيل : هذا تيس الجنّ .

فقال : ينبغي أن يقالَ له نَعَجَةُ الْإِنْس .

ويقول : جمع مُزَبَّد^(١) بين قَحْبَةٍ وصَدِيقِهَا في بيتٍ فتعاتبَا ، فأراد أن يُجامعَهَا فامتنعت وقالت : ليس هذا موضعَ ذا ، فسمِعَهَا مُزَبَّد فقال : يا زانية فأينَ موضعهُ أَبينَ القبرِ والمِنبرِ^(٢) والله ما بُنيَ هذا البيتُ

— بن أبي طالب ض — والمتوكل بضحك ويشرب . ترجمة عبادة وأخباره في : تاريخ أبي الفداء ٤٠ / ٢ ، نثر الدرر ٥٦١ ، محاضرات الراغب ١ / ٢٠٨ ، الكنايات للجرجاني (نسخة ولي الدين ٢٦٢٨ ، الورقات ٤٨ ب ، ٤٩ ب ، ٥٩ ب ، ٦٠ ب) ، فوات الوفيات ١ / ٢٠١ - ٢٠٢ .

(١) مزبد (بوزن محدث ومعظم ، وبسكون الزاي أيضاً) : اسم رجل من بجان المدينة أصحاب النوادر المضحكين ، وذكر الآبي في نثر الدرر ٣١٢ - ٣١٨ نبذة من فواده ؛ وانظر محاضرات الراغب ١ / ٢٣٤ ، تاج العروس ٢ / ٣٦١ ، ثمار القلوب ٣٧٢ ، الحيوان ٥ / ١٨٤ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، المقابسات (مصر) ٥٥ ، زهر الآداب ١ / ٢٨٦ وقد صحف إلى مزيد .

(٢) يعني قبر الرسول عليه السلام ومنبره ، وهما من القدسية والرفعة بالمكان المعروف .

إِلَّا مِنْ جَذْرِ الْقِحَابِ ، وَلَا وَزْنَ ثَمْنٍ خَشَبِهِ ^(١) إِلَّا مِنْ أَمَانٍ نِعَالٍ
اخْتَطَطَتْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْمَسَاجِدِ ، وَمَا أُشْتَرِيَتْ أَرْضُهُ ^(٢) إِلَّا مِنَ
السَّرْقَةِ ؛ وَمَا أَعْرِفَ مَوْضِعًا أَحَقَّ بِالزَّانَا فِيهِ مِنْهُ .

وَكَانَ يَنْشُدُ لَابْنَ الْحَجَّاجِ ^(٣) كُلَّ سُخْفٍ وَيُسْتَجِيدُهُ وَيُعْجَبُ بِهِ ؛
أَنْشُدَ لَهُ يَوْمًا :

يَسْأَلُنِي مُحَمَّدٌ عَنْ أَخِيهِ وَعَنْهُ وَقَدْ بَلَوْتُهُمَا شَدِيدًا
فَقُلْتُ كَلَّا كَمَا جِئْتُ ^(٤) وَلَكِنْ أَخُوكَ ، الْحَقُّ ، أَكْثَرُ مِنْكَ دُودًا
وَيَقُولُ : امْرُؤُ الْقَيْسِ ^(٥) وَالنَّابِغَةُ ^(٦) يَقْصِرَانِ عَنْ هَذَا الْفَنِّ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « خَشَبًا أَرْضًا » .

(٢) الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّاجِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
الكَاتِبُ الشَّاعِرُ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٣٩١ هـ . أَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ ، وَقَدْ جَمَعَهَا أَبُو بَكْرٍ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَمْدُونَ فِي مَجْلَدٍ ، وَشَعْرُهُ كَثِيرٌ مُجْمُوعٌ فِي دِيْوَانٍ ضَخْمٍ
كَثِيرِ الْمَجُونِ وَالْفَحْشِ ، وَقَدْ أَفْرَدَ الشَّرِيفُ الرُّضِي مِنْ شَعْرِهِ مَا خَلَا عَنِ السُّخْفِ .
وَقَدْ عَنِيَ ابْنُ حَجَّاجٍ بِاسْتِمَالِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَجْرِي عَلَى لِسَانِ الْعَامَةِ بِبَغْدَادَ ،
وَالَّتِي لَمْ تَسْجُلْهَا الْمَعَاجِمُ ؛ فَدِيْوَانُهُ سَجَلٌ حَافِلٌ بِهَا . تَرْجُمَتُهُ فِي عَيُونِ التَّوَارِيخِ
حَوَادِثُ سَنَةِ ٣٩١ هـ ، الْمُنْتَظَمُ ٧/٢١٦ - ٢١٧ ، يَتِيمَةُ الدَّهْرِ ٣ / ٢٥ - ٨٤
(مَصْر) ، مَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ ٢/٦٢ . وَانْظُرِ الصَّدَاقَةَ وَالصَّدِيقَ ٣١ - ٣٢ .

(٣) الْجَمْسُ : الرَّجِيعُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « أَكْر » مَهْمَلَةٌ ، فَتَحْتَمِلُ : « أَكْبَر » .

(٥) امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حَجْرٍ - مَرَاجِعُ تَرْجُمَتِهِ فِي الْمَكَاثِرَةِ ٣٠ .

(٦) النَّابِغَةُ الدِّيَّانِي - فِي الْمَكَاثِرَةِ أَيْضًا ٣١ .

وينشد أيضاً له :

ومصرّف أنفاسٍ ليثٍ خادِرٍ يصُدُّرن عن لهواتٍ كلبٍ رابضٍ
ذِي لثَّةٍ غرويةٍ الريا^(١) وذِي لحمٍ مُصِلٍّ في لمابٍ حامِضٍ
رث الثيات^(٢) يخر منبته دما فكأنما شفتاه شفراً حائضٍ
لم أدِر ماذا قالَ إلا أَنه مازال يفسو ضرسه في عَارِضٍ هـ

ومن أحاديثه السَّخِيفَةِ التي يتنزّه عنها الرؤساء ، قال : قديم أبو
فرعون الأعرابي^(٣) / وكان يسمّى سلمان البصرة ، فنظر إلى بعض آل
المهلب على بابِه قد فُرش له ، ووَصِيفَةٌ أدماء كأنها ظبيّة قائمة تذبُّ عنه ،
فجملَ يجمَحُ^(٤) إليها ويُحدُّ النظرَ ، فقال له صاحبُها أتشتيهيها ؟

١٠ قال : إي والذي خلَقها .

قال : فهل لك أن تكشف عما مَعَكَ بين يَدَيّ وتنكحها وأنا أنظر ؛
فإن فعلتَ ذلك فبي لك .

(١) كذا بالأصل .

(٢) كذا بالأصل .

(٣) أبو فرعون الساسي التيمي المدوي ، من عديّ الرباب . اسمه شويس ،
وهو بدوي قدم البصرة يسأل الناس بها ، وله أشعار ظريفة . كتاب الورقة
٣٥ وما بعدها ، طبقات ابن المعتز ٣٧٦ - ٣٧٩ ، تاج العروس (مستدرک -
سوس) ؛ وله ذكر في الامتاع (الفهارس) .

(٤) في الأصل : « جمح » .

فلما ألقاها وأخرج متاعه كأنه عمود البيت ، وبرك عليها صاح
به الناس : زَرَّ ، زَرَّ ، فأكثرُوا عليه ، فاستحيَا وفتر وولَّى هارباً
والناس في إثره يصيحون ، وأخذ برأس متاعه وقال :

يا لك^(١) من أيرٍ جُزيتَ شراً
أَقْتُهُ حتى إذا أَكْفَهَرَا
واضطربت أعراقه ودرًا
عادَ إلى وجهه مُزَوَّرَا
أريدُ جُوءاً ويريدُ برًّا
كأنه صاحبُ ذنبٍ فرّا
كأنما أَلْقِمَ شيئاً مُرّاً
وما عليك أن يُقالَ زَرّاً ؟

وحدّث أيضاً :
قال عبادة : اختصم الحر والحجر في الجلدة التي بينهما ، فكان كلٌّ
يدّعيها ، فتقدّما إلى الأير . فقال ليست لأحدكما .
قالاً : فلن هي ؟

قال : هي لي إذا دخلتُ حططتُ عليها رجلي ، وإذا خرجتُ
استرختُ عندها من كربي .

(١) في الأصل : « فيالك » .

وحكى يوماً عن جَحْظَة ^(١) قال : كانت لي جارية فحببت ، فقلتُ لها : يا مَلْعُونَة مَنْ أَحْبَلَكَ !
 قالت : مَنْ غَرَّقَهُ يا مَوْلَايَ .

قال : وقيل لعبادة : لم صار الصَّفع بالقرع على القفا ثقيلًا ، وفي الجوف خفيفًا ، قال : لأنه ينزل على القفا جُملَة ويدخل في الجوف تفاريق .
 وكان ديدنه السُّخفَ والخلاعة والمجون ، والرواية عن مُزبد المدني وأبي الحرث حمين ^(٢) وعُبادَة ، وجَحْظَة ونُضلة بن البك ^(٣) ومن أشبه هؤلاء . وكان يضع أحاديث من الفواحش على بني ثوابة ^(٤) ويرويها عنهم

(١) أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك أبو الحسن المعروف بمحظلة البرمكي ، أديب راوية أخباري شاعر صانع للغناء ، وكان مع هذه الفضائل كلها بعيداً عن أدب النفس وسخا مثها في دينه . توفي بواسط سنة ٣٢٦ أو ٣٢٤ هـ . ترجمته في الفهرست ٢٠٨ - ٢٠٩ ، المنتظم ٦ / ٢٨٣ - ٢٨٦ ، البداية (سنة ٣٢٤) ، الإرشاد ١ / ٣٨٣ .

(٢) تقدم ضبط اسمه والتعريف به .

(٣) كذا في الأصل . وفي البصائر ١ / ٢٢١ : « بن اليد » .

(٤) بيت بني ثوابة من البيوت المريقة في الكتابة والبلاغة والشهرة . وأخارهم في الإرشاد ٢ / ٣٦ - ٥١ ، ٤ / ١٤٤ ، ٢٤٣ ، ٧ / ١٧٨ ، والفهرست ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٨٧ - ١٨٨ .

ومع هذه الشهرة فقد لهجت الألسن بثلبيهم . انظر الإرشاد : ٢ / ٨٩ ، ٤٠ ، ٤١ - ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، الأغاني ١٨ / ١٧٠ ، اليتيمة ٣ / ٢٩ (مصر) .

وَيَسْمُهُمْ بِهَا . وَكَانَ الْقَوْمُ مُعَاذِينَ مِنْهَا ، عَلَى مَا حَدَّثَنَا شَيْوخُ جِلَّةِ كَرَمَاءِ
لَهُمْ دِينَ وَمَرْوَةَ . وَكَانَ يَتَكَذَّبُ عَلَى الْيَزِيدِيِّينَ ^(١) وَغَيْرِهِمْ . وَكَانَ أَكْثَرُ
هَذَا فِيهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَحَدَّثُ بِمِثْلِهِ تَبَرُّؤاً وَنَزَاهَةً ، وَكَانَ أَدْنَسَ مِنَ
الْخَنزِيرِ .

وَمِثْلُ هَذِهِ الْخُصَالِ كُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو رَاغِبٍ ، فَتَى مِنْ آلِ أَبِي جَعْفَرٍ ٥
الْقُتَيْبِيِّ الْوَزِيرِ بِخُرَاسَانَ رِسَالَةً هَتَكَهَ بِهَا ؛ وَأَنَا أَرَوِيهَا لَتَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَتَقَرَّدُ ^(٢)
بِتَهْجِينِهِ وَالنَّكِيرِ عَلَيْهِ ، بَلْ كُلُّ حُرٍّ كَرِيمٍ ، وَكُلُّ دِينَ مَذْكُورٍ ،
وَكُلُّ ذِي مَرْوَةٍ ظَاهِرَةٍ مَعِيَ فِيمَا نَثَوْتُ ^(٣) عَنْهُ وَكَرِهْتُهُ مِنْهُ ؛ فَإِنْ لَمْ
تَعْبَأْ بِمَا تَسْمَعُ مِنِّي فَاغْبَأْ عَنِّي ^(٤) لَعَلَّهُ عِنْدَكَ أَشْفَى مِنِّي ، وَلَا تَتَسَرَّعَ إِلَى
عَيْبِي هَذَا الرَّجُلَ بِمَا قَدْ دَوَّنْتُهُ حَتَّى تَتَبَيَّنَ الْأَمْرَ عَلَى حَقِّهِ وَصَدْقِهِ . ١٠
كُتِبَ أَبُو رَاغِبٍ :

أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الرَّجُلُ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا صَلَحْتَ لِنَفْسِكَ
صَلَحْتَ لِقَرَيْبِكَ وَبَعِيدِكَ .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ بَعْدَ صَيْتِكَ بَعَثَنِي عَلَى تَصَفُّحِ شَأْنِكَ ، وَتَصَفُّحِي لَذَلِكَ

(١) تقدمت الإشارة إلى بيت اليزيديين .

(٢) في الأصل : « انعد » ، فتحتمل : « انقرد » .

(٣) ثنا الحديث : أشاعه .

(٤) في الأصل : « لمن » .

وَقَفَنِي عَلَى أَحْوَالٍ كَرِهْتُهَا لَكَ ، وَأَنْفَيْتُ مِنْهَا لِمَنْ بَلَغَ دَرَجَتَكَ ، وَالْعَيْبُ
مِنْكَ مُضَاعَفٌ ، وَاللِّسَانُ فِيكَ جَوَّالٌ ، وَالْحَقْدُ عَلَيْكَ سَرِيعٌ ؛ وَلَوْلَا الْحَالُ
الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا مِنَ الْقُدْرَةِ وَالتَّمَكُّنِ لَكَانَ الْعَذْرُ يَنْاضِلُ عَنْكَ ، وَالتَّوْبِيخُ
يَتَبَدَّدُ دُونَكَ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ شَاعِرٌ عَصْرُكَ فِي نَظْمِهِ :

هـ ولم أَرِ فِي عِيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّامِ^(١)

قَدْ خَوَّلَكَ اللَّهُ مَا يَفُوتُ ذِرْعَ هَمَّتِكَ ، وَآتَاكَ مَا يَتَجَاوَزُ اشْتِطَاطَكَ
فِي حُكْمِكَ ، مِنَ الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ وَالرِّيَاسَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُوَّةِ وَالْمَكَانَةِ ؛ وَلَمْ
يُخَصِّصْ بِهَذَا كُلَّهُ بِسَابِقَةٍ لَكَ عِنْدَهُ ، وَلَا حَقٌّ لَكَ عَلَيْهِ ، بَلْ كُلُّهُ تَفَضُّلٌ
فِي الْأَوَّلِ ، وَاخْتِبَارٌ فِي الثَّانِي ، وَثَوَابٌ أَوْ عِقَابٌ فِي الثَّالِثِ .

١٠ ولقد شَدَدْتُ وَسْطِي فِي تَعْرِفِ أَخْبَارِكَ ، وَاسْتَعْنْتُ كُلَّ عَيْنٍ وَأُذُنٍ
فِي مَعْرِفَةِ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، فَلَمْ أَجِدْ فِي تَفْصِيلِ ذَلِكَ إِلَّا مَا يَعْصِبُ بِرَأْسِكَ
الْعَارَ ، وَيَحْشِدُ عَلَيْكَ أَسْبَابَ الدَّمَارِ ، وَتَكُونُ عَاقِبَتُكَ مِنْهُ دُخُولَ النَّارِ ؛
لَأَنَّكَ تَظْهَرُ الْقَوْلَ بِالْوَعِيدِ^(٢) ثُمَّ تَرْكَبُ كُلَّ كَبِيرٍ ، مِنْ أَخْذِ الْمَالِ

(١) البيت للمتنبي ، وهو في ديوانه (بشرح المكبري ٢ / ٣٧٣) من قصيدة
يذكر فيها المرض الذي كان يعتره بمصر .

(٢) يقصد بـ « الوعيد » - في ميدان إيضاح المعتقدات الإسلامية - وعيدٌ
وإنذار الآيات القرآنية التي توعد المنحرفين عن أوامر الإسلام بعقوبات معينة
تُلحقهم ، من جراء انحرافهم ، في الحياة الأخروية . وبين الفرق الإسلامية

المحرّم ، واستباحة الحريم المصّون ، وقتل النفس المؤمنة ، ومُساهمة
الفسقة الفجرة ، وخدمة الظلمة الغشمة ، وتقديم أهل المجون والعيارة^(١)
وفي عُشر هذا سقوطُ المروّة ، والإنسلاخُ من الديانة .

فيا أيها المُدِلُّ بالتّوحيد^(٢) والعَدَلُ^(٣) أهذا كلُّه في مذهبك أو

— اختلاف في أن هذه الانذارات تتخلف فيغفر الله للعاصي المرتكب للكبيرة بعد
وعيده وإنذاره ، أو إنها يجب أن تتحقق ، وأن تنفذ على العصاة أحكامها .
والمعتزلة ترى أن العدل الاسمي يقضي بوجوب إنفاذ هذه الانذارات ، وباستحالة
تخلفها ؛ ومن هنا كان من أسماء المعتزلة « الوعيدية » .

والسكاتب أبو راعب يشير بهذه الجملة إلى أن صاحب — مع إيمانه كمعتزلي —
بأن هذه العقوبات التي تنذر بها آيات الوعيد يجب أن تطبق — يرتكب كل
كبيرة وموبقة .

(١) العيارة : العيث والفساد .

(٢) يرى المعتزلة أن أخص صفات الله تعالى هي صفة القدم ؛ فهي الصفة
التي لا يشاركه فيها موجود ، وقد اتفق المسلمون على استحالة إلهين اثنين
قديمين ؛ ومن أثبت صفة قديمة فقد أثبت لإلهين قديمين . ولما رأوا أن فرقا
من المتكلمين قد أثبتوا لله تعالى مجموعة من الصفات الالهية (وهي : صفات
المعاني) التي لها وجود ذهني مستقل عن الذات الموصوفة بها ، وهي مع ذلك
قديمة قدم الذات الالهية نفسها ، قالوا : إن قبول هذه الصفات معناه قبول
عدة من الموجودات تشارك الله تعالى في قدمه ، ثم في ألوهيته ؛ والقرآن يقول :
لاتتخذوا لإلهين اثنين (النحل ٥١) . ولأجل هذا ، ولأن هذه الصفات
(صفات المعاني) لم ترد صيغها في القرآن (ماعدا « العلم ») ، نفوها وأبوا أن
يصفوها بها الله عز وجل ، واقتصروا على ما جاء به القرآن (وهي الصفات
المانوية) . —

في مذاهب أسلافك ؟ مثل واصل بن عطاء^(١) وعمرو بن عبيد^(٢) ،
وأبي موسى المردار^(٣) ، والجعفرين^(٤) ؟

— وهذا الإيمان في التنزيه عن الشريك والشبيه — حتى ولو كان مجرد تصور ذهني — سموا أنفسهم أهل التوحيد .

(٣) الإنسان مكثف ؛ أمر بأشياء ونهي عن أشياء أخرى ، وعلى فعله واجتنابه رتب ثوابه وعقابه في الآخرة . ومن هنا رأى المعتزلة : أن العدل الإلهي يوجب أن يكون هذا المكلف حراً في إرادته خالفاً لأفعاله ؛ يفعل منها ما يفعل ويترك ما يترك حراً مستقلاً ومتحملاً لمسؤوليته ، وعلى هذا الاستقلال وهذه الحرية يبنى الثواب والعقاب في الآخرة .

هذا — وإليه ما قدمته في شرح «الأصلح» ، و «الوعيد» — هو معنى العدل عند المعتزلة .

(١) واصل بن عطاء أحد مؤسسي مذهب المعتزلة . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٣١ هـ ، الوفيات ٢ / ٢٧٠ ، الفوات ٢ / ٩٦ ، الارشاد ٧ / ٢٢٣ .

(٢) عمرو بن عبيد بن باب من رؤساء المعتزلة أيضاً . ولد سنة ٨٠ هـ ، وتوفي سنة ١٤٤ هـ . الوفيات ١ / ٤٨٥ .

(٣) هو عيسى بن صبيح رئيس الفرقة «المردارية» من المعتزلة . والمردار ، بضم الميم وراءين مهملتين بينها ألف : كلمة فارسية معناها نجس أو قذر ، وإلى هذا المعنى يشير البغدادي في الفرق (وهو كمادته مع المخالفين متحامل) ١٠٠ بقوله : «واقعة المردار لائق به» . وترد كثيراً في كتب «الملل والنحل» : «المزدار» ، بالزاي ، وهو تحريف . وفي شرح المواقف للسيد الشريف الجرجاني ٣ / ١٨٤ : «والمزدار هو من باب الافتعال من الزيارة» . وهو خطأ شنيع . انظر أنساب السمعاني ٥٢١ ، الباب ٣ / ٢٢٧ ، خطط المقرئ ٤ / ١٦٦ ، لسان الميزان ٤ / ٣٩٨ .

(٤) الجعفران هما :

أَمَّا كَانُوا - مع بدعتهم التي شَانُوا بها وجهَ الإسلام، وكادوا بها
 أهله - مجتهدين^(١) في غير ما أنتَ به راضٍ لنفسِكَ ومُصِرٌّ عليه^(٢)
 باغترارك؟ إن الله لا يخادع، ولا منجاة للعبد إلا بالطاعة الخالصة،
 والتوبة النصوح؛ هذا إذا كان الإيمان ساكن صَدْره والخوف من
 الله متردداً في أقطار فكره، واليقين بالمعاد عمود دينه، والعلمُ بالجزاء
 راسخاً في فؤاده؛ فأما إذا كان عارياً من هذا كله / فهو الكافرُ بعينه
 الذي سمعتَ به، وعاقبة الكافرين « جهنم يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ
 الْمَصِيرُ »^(٣).

والله ماحرٌ كَتَبَ لِنَبْذِ هذا الكلام إليك حِيبَةً^(٤) عليك؛ لآني

— (١) جعفر بن حرب الهمداني المتوفى سنة ٢٣٦ هـ، وهو مترجم له عند الخطيب
 البغدادى ١٦٢/٧.

(ب) جعفر بن مبشر الثقفي المتوفى سنة ٢٣٤ هـ، وترجمته في لسان الميزان
 ١٢١/٢. وكلاهما من رؤوس المعتزلة، ويوافقان النظام في كثير من آرائه.
 انظر الملل والنحل للشهرستاني ٤١/١.

(١) اتفقت المراجع التي تحدثت عنهم - على اختلاف نزعات مؤلفيها - على
 وصفهم بالعبادة والزهد والاستقامة.

(٢) في الأصل: « عليها ».

(٣) سورة المجادلة ٨.

(٤) الحِيبَةُ، بكسر الحاء: التوجع والحزن. وفي الأصل: « حسبته ».

لم أَتَجَمَّعْ ، ولم أَطْمَعْ في مالِكَ ، ولا عرفتَ وجهي ، ولا سمعتَ بأسمي
 لكنْ أَبَتَ نَفْسِي أَنْ تَقَرَّ عَلَى الْجَهْلِ بِحَالِكَ ، وبِدُخْلَةٍ ^(١) ما يكون عليه
 أمثالك ^(٢) ، فَأَثَرْتُ نَصِيحَتَكَ ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ :
 « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » ^(٣) . وما أَخَوْفَنِي أَنْ تَكُونَ جِرَأَتُكَ عَلَى هَتِكَ
 حُرُمَاتِ الدِّينِ ، ومُعَارَضَةِ الصَّالِحِينَ ، مع المَكُوفَةِ ^(٤) عَلَى الْخُسْرَانِ
 الْمُبِينِ ، إِنَّمَا قَوَيْتَ وَرَبَّتَ ^(٥) لَأَنَّكَ شَارِدٌ عَلَى رَبِّكَ ، نَافِرٌ مِنْ دِينِ نَبِيِّكَ ،
 مُدَّعٍ لَهُ بِلِسَانِكَ ، شَاكٍ فِيهِ بِفُؤَادِكَ ، مُتَعَجِّبٌ مِمَّنْ لَهُ إِخْلَاصٌ ، أَوْ لَهُ
 بِالدِّينُونَةِ اخْتِصَاصٌ ؛ وَالْوَيْلُ لَكَ إِنْ كُنْتَ بِهَذَا قَانِعًا مِنْ نَفْسِكَ فِي
 الْخَالِ الْأَوَّلَى ، ثُمَّ الْوَيْلُ لَكَ مَعَ الثُّبُورِ إِنْ كُنْتَ جَاهِلًا بِمَا عَلَيْكَ فِي الْحَالِ
 الْآخِرَى . ١٠

حَدَّثَنِي أَيُّ أَمْرِ أَنْتَ فِيهِ عَلَى رَشْدٍ ، وَآخِذٌ مِنْهُ بِاحتِطَاطٍ ؟ أَمَا أَنْتَ
 عَلَيْهِ مَعَ الْعِلْمَانِ الْمُرْدِ الْجُرْدِ ؟ أَمْ مَا أَنْتَ مَشْهُورٌ بِهِ مِنَ الْمَجَانَةِ وَالسُّخْفِ ؟
 ثُمَّ تَدَّعِي الإِطْعَامَ لِلْخَاصِّ وَالْعَامِ ، وَقَدْ شَاهَدْنَا فَوَجَدْنَا عَلَى بَابِكَ قَوْمًا
 يَضْرِبُونَ بِالْمِقَارِعِ وَجُوهَ النَّاسِ ، وَيُحْطَوْنَ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الْعَذَابَ ، طُرْدًا

(١) الدخلة ، مثلثة الدال : باطن الأمر .

(٢) في الأصل : « اممالك » .

(٣) الحديث في سنن أبي داود ٥٨٣ / ٢ ، مسند الإمام أحمد ٣٥١ / ١ .

(٤) كذا بالأصل ، ويريد المكوف . ولم أجده « المكوفة » فيما بين يدي من المعاجم

(٥) في الأصل : « ونرت » .

لهم وإبعاداً . أفما هذا بأمرِك وعينِك وأذنِك ؟ فلمَ تتكَلَّفَ مالا تُقَرُّ به ؟ ولمَ تدَّعي مالا تسَلِّم فيه ؟ لقد وقفنا عياناً من استخفافِك بالأحرار ، ووضعك من ذوي الأقدار ، وكُفرك بوليِّ نعمتك ، وتعرِّيك^(١) من كل شبهة في أمرِك ، مالمو تنفَسْنَا به بين الناس ، أو رَسَمْنَا بالقلم في القُرطاس ، لكان ذلك زائداً على تمرُّدِ فرعون ، وكفر أبي جهل^(٢) .
وجُرأة ديك الجن^(٣) .

لقد قيسَت مروَّتُك إلى مُروات قوم قُرفوا بالزندقة فوجِدَت مروَّاتهم فوق دياتك ، ولقد رأينا قوماً لم يتحلَّوا بالدعوى تحلِّيك استنفَدوا قوتهم في طلب مرضاة مؤمِّلهم ومُنتجعي قَطرهم ، وبلغوا من ذلك المبالغ ، وأنتَ مع تمكُّنك ويسارك لم تسمَح من الشاة بظلفِها ، ثم ١٠ ملأت الدنيا بقباقاً^(٤) بالامتنان على الصَّغير والكبير ، كأنك خالقُ الخلق

(١) في الأصل : « ونعدك » .

(٢) عمرو بن هشام المخزومي ، كان من أشد الناس إداية لرسول الله فقالوا فيه إنه أشد الناس كُفراً ، وأنه فرعون هذه الامة . انظر سيرة ابن هشام ٢٨٣/١ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، شرح الزرقاني على المواهب ١/ ٢٩٤ .

(٣) عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي أبو محمد شاعر مجيد ماجن من شعراء الدولة العباسية وكان يتشيع في اعتدال . ولد سنة ١٦١ هـ ، وتوفي أيام المتوكل سنة ٢٣٥ أو ٢٣٦ هـ . الوفيات ١/ ٢٦٨ - ٣٧٠ .

(٤) كذا بالأصل . والاولى : « بقيقاً أو بقبقة » بمعنى : كثرة الكلام . أما « بقباق » فهو كثير الكلام .

وباسِطِ الرِّزْقِ.. انظر أيها الرجل أيَّ آخرٍ سوءٍ لك ! والله إنك شديد
الثقة ، وقد قيل : رب واثق خَجَلٍ ^(١) . أيها الرجل !
ما طار طَيرَ فارتفعَ إلا كما طار وقعَ

أما تعتبرُ بما آل إليه أمرُ ذي الكفائتين ^(٢) مع ذلك البأو ^(٣)
والخزوانة ^(٤) ؟ أما رأيتَ بعينِكَ في هذه السنين ما يحدوك على الأخذ
بالوثيقة لنفسِكَ ؟ وكف اليد عن كثير مما يوتغ ^(٥) دينك ، ويهشم أنفَ
مُروتك ، ويقطع عرق أبوتك ، ويهيج الألسنة على تبكيتك ، وينسط
الأيدي في الدماء عليك ، ويحشوا القلوب تمَنِّي زوالِ دولتك .

فاتعظ بقول الشاعر :

يا أيها الباغي على الأحرار ثقةً بِلينٍ مَقَادَةِ الأقدار ١٠
لا تنقرزَ بعدى تطاولَ حينه فالظلمُ يقصر من خطي الأعمار
والعيشُ نهلةً واردٍ ولربما سُدت عليه مدارجُ الإصدار

(١) من الأمثال المولدة وهو في مجمع الأمثال ١ / ٢١٥ .

(٢) أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين بن العميد المقتول سنة ٣٦٦ .
وتأتي ترجمته .

(٣) البأو : الفخر والترفع

(٤) الخزوانة : الكبر . وكذلك وصف أبا الفتح مترجوه .

(٥) يوتغ : يفسد ويهلك .

وَأَخْتَمُ قَوْلِي هَذَا بِمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ لِأَصْحَابِهِ ، قَالَ : أَحَذِّرْكُمْ
الدُّنْيَا وَأَخَوْفْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ لَا يُعْرَفُ لِخَيْرٍ أَمَدٌ ، وَلَا يَنْقُطَعُ لَشَرٍّ
أَمَدٌ ، وَلَا يَعْصِمُ مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ .

وَأَرْجُو أَنْ تَسْمَعَ مَا صَدَقْتُ الْقَوْلَ فِيهِ بِإِنْتِصَاحٍ ، وَتَعْرِفَ مَا تَوَثَّيْتَهُ
بَارْتِيَا حَ ، وَالسَّلَامَ .

٥

قَالَ : وَيَقُولُ أَيْضًا : قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ ^(١) لِحُجَّاجِ الْكَاتِبِ : ابْنُكَ
فِي أَيِّ شَيْءٍ هُوَ مِنَ النَّحْوِ ؟ قَالَ : هُوَ فِي بَابِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ . قَالَ :
هُوَ إِذَنْ فِي بَابِ الْوَلَدِيَّةِ .

وَيَقُولُ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : اشْتَرَى الْأَمِيرُ سِرَاوِيلَ مِنْ فَنَكٍ ^(٢) . قَالَ :
التَّقَى الثَّوْبَانِ .

١٠

وَيُنْشَدُ :

شَيْخٌ لَنَا يُعْرَفُ بِالْخُلْدِيِّ يُرِيدُهُ فِي غُلْظِ الْمُرْدِيِّ ^(٣)

(١) فِي نثر الدرر للآبِي ص ٣٠٠ : « ... وَقَالَ [أَبُو الْعَيْنَاءِ] يَوْمًا لَوْلَدِ خُجَّاجِ بْنِ
هَارُونَ ، « ثُمَّ أورد النادرة . وانظر البصائر ١/٣٧ ب - ٣٨ م .

(٢) الْفَنَكُ : جلد يلبس . والنادرة فِي لسان العرب (فَنَك) عَنْ أَبِي عبيد ؛ وَقَدْ
عَلَّقَ ابْنُ مَنْظُورٍ عَلَى كَلِمَةِ « الثَّوْبَانِ » الَّتِي صَحَّفَتْ فِي اللِّسَانِ إِلَى « الثَّرِيَانِ » - بِقَوْلِهِ :
« يَعْنِي وَبِرَ الْفَنَكِ وَشَعْرَ اسْتِهِ » .

(٣) الْمُرْدِي : خَشْبَةٌ يَدْفَعُ بِهَا الْمَلَأَحُ سَفِينَتَهُ .

أَدْخَلَنِي يَوْمًا إِلَى دَارِهِ فَنَاكَتَنِي وَالْأَيُّرُ مِنْ عِنْدِي
 قَالَ الْخُثَمِيُّ : وَهُوَ فِي هَذَا أَكَلَهُ عَلَى نَزَقٍ^(١) فِيهِ شَدِيدٌ ، وَقَهْقَهةٌ
 عَالِيَةٌ ، وَتَفْسُكُ قَبِيحٌ ، وَسَيَّلَانٌ مَنكَرٌ ، وَشِمَائِلٌ مَنْدَثَةٌ .
 الْوَيْلُ لَهُ ! هَلَّا تَرَكَ هَذِهِ السَّخَافَاتِ وَالْحِمَاقَاتِ عَلَى قَوْمٍ يَلِيقُ
 ٥ هَذَا النَّمَطُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الدَّوْلَةِ فَنَظَّمَ مِثْلَهَا ، وَسَدَّدَ الَّتِي لَيْسَ
 لَهَا مَحْصُولٌ .

يَا قَوْمُ !

أَيُّ دِينٍ يَصِحُّ لَهُ وَقَدْ قَتَلَ آلَ الْعَمِيدِ ؟ وَأَيُّ وِفَاءٍ يَسْلَمُ لَهُ
 وَقَدْ سَمَّ أَوْلَادَ بُوَيْهِ الَّذِي هُوَ وَلِيُّ نِعْمَتِهِ ، وَحَافِظُ مُهْجَتِهِ ، وَبَاسِطُ
 ١٠ يَدَيْهِ ، وَبِهِ نَالٌ مَا نَالُ ، وَبَلَغَ مَا بَلَغَ ؟

وَأَيُّ مُرُوءَةٍ تَبَقَى لَهُ ، وَهُوَ يَمُنُّ بِالْقَلِيلِ إِذَا أُعْطِيَ ؟ وَأَيُّ كَرَمٍ يُعْتَقَدُ
 فِيهِ ، وَهُوَ يَغُرُّ الْأَمِلَ وَيَسْتَحِبُّهُ عَلَى الْوَعْدِ حَتَّى إِذَا انْتَهَى فَقَرَأَ أَوْ ضَجَرَ
 حَرَمَهُ حَرْمَانًا يَابِسًا ، وَرَدَّهُ رَدًّا مُرًّا ، وَأَعْطَاهُ شَيْئًا قَلِيلًا وَقَحًّا ؟
 وَهَلْ تَجِدُ فَيَمُنُ تَقَدَّمَ عِنْدَهُ وَنَفَقَ عَلَيْهِ غَيْرُ ابْنِ الْمُنْجَمِ^(٢) وَهُوَ

(١) كُتِبَ فِي الْأَصْلِ حَرْفٌ : « ف » فَوْقَ حَرْفِ الْقَافِ مِنْ كَلِمَةِ « نَزَق » ،
 وَكَأَنَّهَا تُشِيرُ إِلَى رَوَايَةٍ أُخْرَى هِيَ : « نَزَف » . وَالنَزَفُ : ذَهَابُ الْعَقْلِ .

(٢) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ كَبِيرُ بَنِي الْمُنْجَمِ ، شَاعِرٌ مُوَهَّوبٌ جَالِسُ الْوُزَيْرِ —

يَعْبَثُ بِلَحِيَّتِهِ وَهَامَتِهِ ، وَيَسْخَرُ مِنْهُ وَيَضْحَكُ بِهِ ؛ وَيَعْمَلُ لَهُ الشَّعْرُ
فِي النَّوْزُوزِ وَالْمَهْرَجَانِ وَغَيْرِهِمَا ، وَيَسْمَعُهُ فِي هَيْئَتِهِ^(١) يَوْمَ الْمَحْفَلِ ، وَيَطْرَبُ
عَلَى إِنْشَادِهِ وَيَقُولُ : مَا أَحْسَنَ شَعْرَكَ ! وَمَا أَسْلَسَ طَبْعَكَ ! وَيُعْطِيهِ
عَلَى ذَاكَ ، وَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ بِالْقِيَادَةِ وَبِكُلِّ مَا لَا يُحِيزُهُ الدِّينُ وَالْمَرْوَةُ^(٢) ؛
وكَذَلِكَ ابْنُ الْمَنْجَمِ الْآخِرُ أَبُو مُحَمَّدٍ^(٣) جَبَسُ جَاهِلٍ صُلْفٍ ، وَسَبِيلُهُ
وَحَدِيثُهُ / أَنْ يَقُولَ : وَرَدْتُ عَلَى مَوْلَانَا الصَّاحِبِ ، وَأَنَا كَالْبَدْرِ إِذَا
طَلَعَ ، فَمَعِشَتِي وَعَشَقُ عِذَارِي وَهَامُ بَسْبِي وَرُزِقْتُ مِنْهُ ، وَخَفَفْتُ عَلَى
قَلْبِهِ ، وَحَظِيتُ عِنْدَهُ ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ مِنِّي مَا لَا يَجُوزُ التَّحَدُّثُ بِهِ .

وَصَدَّقَ الْخُشْعَمِيُّ فِي هَذَا كَلَامَهُ ؛ كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَقُولُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِمَّا
قَالَ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ فِي مَسْكٍ^(٤) كَلْبٍ خِسَّةً وَلَوْ مَأً وَنَزَقًا وَطَمْعًا ؛ رَأَيْتُهُ
يَوْمًا وَقَدْ كَتَبَ لِإِنْسَانٍ كِتَابًا بِمَكْنَسَةٍ^(٥) أَخَذَهَا مِنْهُ وَجَعَلَهَا فِي كُمِّهِ .

— الملهبي والصاحب ، وكان لبني المنجم اختصاص بالصاحب ، وقد دون في كتاب
« الروزنامة » نبذ من أخبارهم كانت منبعاً استقى منه الثعالبي ما ذكره في اليتيمة من
أخبار بني المنجم . انظر اليتيمة ١٠/٣ — ١٠٤ ، ٣٥٩ — ٣٦٠ ، الوفيات ١/٤٤٩ .

(١) في الأصل : « ويسمعه في نفسه » .

(٢) أبو محمد بن المنجم شاعر مجيد أيضاً . وقد ذكره الثعالبي في اليتيمة ٣/١٠١ ،

٣٥٨ ، ١٨٩ .

(٣) في الأصل : « والمرءة » .

(٤) المسك بالفتح : الجلد .

(٥) يعني : كانت أجرة الكتاب مكلسة .

وقضى لآخر حاجةً بمشر باذنجاناتٍ ، والباذنجانُ إذ ذاك بالري
مائة بدائق .

وقال أيضاً الخشعمي :

هـ وهل يتقدم عنده إلا هؤلاء الهُوج الطغام الذين يجوبون الدنيا ،
ويدخلون كلَّ ميدان ، ويسخرون [منه] ^(١) فيقولون : فعلَ مولانا ،
وكان مولانا ، وما رأينا مثل مولانا ؛ وإن رأى مولانا أمكننا من
نسخ رسائله وكتبِ ألفاظه ، فإذا سمعَ هذا وأشباهه ماعَ وسالَ
وترجرج وذابَ وأعطى عليه وجاد .

وقال أيضاً :

١٠ كيف يُدعى له التبريزُ في كلِّ علمٍ وهو لا يعرف النحوَ إلا ما جَلَّ
منه ، ومن الكلام إلا ما وضح ؛ ثم هو في اللغة على تصحيفٍ شديد ،
وتخليطٍ كثير ، وفي الأخبار على تمويهٍ لا يخفى على مُميزٍ ؛ وقد أفسدَ
رسائله بطريقة المتكلمين ، وأفسدَ طريقة المتكلمين بطريقة الكتاب ،
وكذلك النحو واللغة والحديث ، وهذا وصفٌ ظاهر لا يدفعه إلا المُكابر .

(١) إضافة يتضح بها الكلام .

وصدق هذا الشيخ ، فإني رأيت ابن^(١) ثابت البغدادي المحدث^(٢) ،
وقد سأله عشية يومٍ عن قول النبي صلى الله عليه : « قَوْمُوا صُفُوفَكُمْ
فَتَرَأَوْهَا ، لَا تَتَخَلَّلْكُمْ الشَّيَاطِينُ كَأَنَّهَا بَنَاتُ الْحَذَفِ^(٣) » :
ما الحذف ؟ فلم يُجِبْهُ وقال : سأقول لك ، وأخذ في حديث آخر .

قال الخثعمي :

وهو مع هذا كذبه صراحاً في كل شيء ، يقول : كان
عندنا معلم ، وسُئِلَ عن « يوسف » أذكر هو أم أنثى ؟ فقال :
« يوسف » يذكر ويؤنث ، ألا ترى إلى قول الله عز وجل : « يُوسُفُ
أَعْرِضْ عَنْ هَذَا^(٤) » ، ثم قال : « وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ^(٥) » ، وقد
اجتمعت له علامتان .

(١) في الأصل « بن » .

(٢) لعل المقصود هنا : محمد بن ثابت أبو بكر الواسطي المتوفى سنة ٣٦٤ هـ . تاريخ
بغداد ٢٨٤/١ ، المتظم ٨٠/٧ ، عقد الجمان للعيني سنة ٣٦٤ . وانظر تاريخ بغداد
٤٠٢/٤ أيضاً .

(٣) الحذف : الغنم الصفار تكون بالحجاز ، وقيل يجاء بها من جرش اليمن (النهاية
— حذف) ، ورواية اللسان (حذف) « سوا الصفوف » . والحديث بالفاظ أخرى
في سنن أبي داود ١٥٤/١ .

(٤) سورة يوسف ٢٩

وكان هذا ينسبه إلى إنسان معروف بالأدب ، لكنه كان يُحمَق
ابن عبادٍ ويُنْتَفَخِزِيهِ ، فكان هذا يضعُ عليه نوادرَ باردة .
قال :

ويقول : دَخَلْتُ بِنْدَاذَ فَلَقَيْتُ أَبَا سَعِيدِ السَّيرافي ^(١) ، وعليَّ بن
عيسى ^(٢) ، والمِراغي ^(٣) ؛ وناظرتُ المِراغيَّ في « عَمَى » و « لعلَّ »
و « كَادَ » وغيرِ ذلك فَأَبْرَزْتُ ^(٤) وذكُرتُ ، وأشيرُ إليَّ بالأصابع ،
وفسح لي في الجامع ؛ وكذلك ناظرتُ فلانًا وفلانًا ، وأفدَّتْهُمُ أَكْثَرُ
مِمَّا اسْتَفَدْتُ مِنْهُمُ .

وسألتُ أنا أَبَا سَعِيدٍ عن هذا فقال : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وسَكَتَ
استعظاماً لهذا الحديث ونفيًا له . وهو كما أومأ إليه . ١٠

(١) تقدمت ترجمة السيرافي .

(٢) علي بن عيسى بن عبد الله الرماني أبو الحسن المتوفى سنة ٣٨٤ هـ . ترجمته في
الفهرست ٩٤ ، البغية ٣٤٤ ، المسالك ٣٢/٦ .

(٣) المِراغي ، ويقال ابن المِراغي : هو أبو الفتح محمد بن جعفر بن محمد الهمداني
المتوفى سنة ٣٧٦ هـ . حافظ نحوي بليغ . ترجم له في الفهرست ١٢٧ ، الارشاد
٤٦٦/٦ ، الانباء للقفطي ٥٧/٢ ، ٦١/٢ - ٦٢ (نسخة أحمد الثالث) ، البغية ٢٨ ،
تاريخ بنداذا ١٥٢ - ١٥٣ ، المنتظم ١٣٤/٧ .

(٤) أبررت : غلبت وعلوت .

وقلتُ للمراغي : أكان لهذا الحديث أصلٌ فقال : لا ، والله .

وقال الخشمي : وهل يدلُّ ولوعه بالعروض^(١) إلا على سوء الطبع وقلة التأني ؟ وكان أخذها عن البديهي^(٢) ، وإنما ردُّ شعر البديهي أيضاً لمثل هذا ، وبلغ من جنونه عليها أعني العروض أنه كان يلقيها على كل إنسان ، ويطلب به^(٣) كل شاعر وكاتب ، حتى أخذ في هذه الأيام يلقن غلاماً تركياً وآخر قوهمياً وآخر زنجياً ؛ وكان يُظهر بهذا وما أشبهه الحذق والبراعة والتخريج .

ثم ينظر في كتاب « الفصيح^(٤) » ، « ومختصر » الجرمي^(٥) ، ويقول : ما رأيت كاتباً يُخطئ إلا من هذا ، ولا يلحن إلا من هذا . وهذا — حفظك الله — منه مُغالطة ، إن الكاتب قد يُخطئ من غيرها ١٠

(١) وألف الصاحب كتاب « الاقناع وتخريج القوافي » ، ومنه نسخة في مكتبة جامعة استانبول A. Y. ١٣٧١ .

(٢) مر في ترجمة البديهي أنه كان يُعنى بالعروض والقافية وإقامة الوزن .

(٣) « به » يعني بعلم العروض . وفي اللسان (عرض ٤٦/٩) : أن العروض ربما ذكّرت .

(٤) كتاب الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ . مشهور كثرت واستمرت عناية العلماء به .

(٥) أبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ . وقد ذكر له ابن النديم وابن خلكان كتاب « مختصر نحو » للمعلمين .

أَيْضاً ، وَهُوَ ذَاكَ الْمَخْطِئُ الْمَحْرُفُ إِذَا وَزَنَتْ كَلَامَهُ بِالْقِسْطِ ،
واعتبرته بالقياس على ما أوضّحه العلماء والنحويون ، قال : وَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ
يَنْتُ لَهُ ، فَلَيْسَ الْبَابُ دُونَهُ مُخْلَقًا وَلَا الطَّرِيقُ إِلَيْهِ مُتَعَسِّفًا .

ثم قال الخثعمي :

وهل مداره إلا على الشخف والجبه والمكابرّة والبّهت . يقول فيمن
هو أكتب منه وأعف وأسرّ :

حجر أبي نصر بن كوشاذ^(١) أوسع من مصر وبغداد
قلت له : هل لك في فيشة فقال مولاي وأستاذي
ينشد هذا وهو يتطير ، ويفتل يده وينسبل ويصفق .

أف هذه تخاليل ذوي الأقدار والرياسة ؟ أم تخاليل أصحاب الرّعاع
والسفلة ؟

وهل شاع القول بتكافؤ الأدلة^(٢) في هذه الناحية إلا به ؟
وكثرا المراء والجدل والشك إلا في أيامه ، لأنه منع أهل القصص من
القصص والذكر والزجر والمواعظ والرقائق ، ومنع من رواية الحديث

(١) لعله أبو نصر بن خوشاده ، من أعيان قواد عضد الدولة وقد توفي
سنة ٣٨٥ هـ ، ابن الأثير ٩/٤١ ، الارشاد ٢/٣٢٥ .

(٢) تكافؤ الادلة : تماثلها وتساويها ، وحينئذ يسقط الاستدلال بها .

— وقال : « الحديث » حشو^(١) — وتفسير القرآن ، ونشر التأويل ،
وسماع قول الصحابة والتابعين ، وما يُعنى به من الحلال والحرام ، ويتعلّق
بجلائل الأحكام ، وطردّم ونفّاهم ؛ منهم : ابن فارس^(٢) ، والرّويانيّ ،
وابن بابويّه^(٣) ، وابن العطار ، وابن شاذان^(٤) ، والبلخيّ ، وفلان
وفلان ؛ وأجلس النّجّار يخذع الديلم بالزّيدية ، وزعم أنّه على مقالة
زيد بن عليّ^(٥) ورأيه ودينه ومذهبه ، وزيدّه — يعلم الله منه —

(١) الحشو : الجهل ، والاعتقاد بجواز أن يكون في الكتاب والسنة ما لا معنى له ،
والقائلون بهذا هم الحشوية .

(٢) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (أو : أحمد بن زكرياء بن فارس)
المتوفى سنة ٣٩٠ أو ٣٩٥ هـ ، وقيل ٣٦٩ ولعله تصحيف . كان منسوباً إلى خدمة ابن
المعبد فأنحرف — لذلك — عنه صاحب مدة ، ثم عاد فقربه ووصله وباسمه ألف
كتابه « الصحاحي » في فقه اللغة . الارشاد ٦/٢ - ١٥ ، البيهقي ٣/٣٦٥ (مصر) ،
عيون التواريخ (حوادث سنة ٣٩٠) ، الشذرات ٣/١٣٢ ، تاريخ أبي الفداء ٢/١٤٢ .
(٣) ابن بابويه القمي : علي بن الحسين بن موسى ، من فقهاء الشيعة الإمامية
ومصنفيهم الكثيرين . ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٧٧ .

(٤) بكر بن شاذان بن بكر أبو القاسم الواعظ المقرئ . ولد سنة ٣٢٢ هـ ، وتوفي
سنة ٤٠٥ هـ ، المنتظم ٧/٢٧٠ - ٢٧١ .

(٥) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الإمام الشهيد في سنة ١٢١ هـ ،
وهو رئيس الفرقة الزيدية ، الشذرات ١/١٥٨ ، فوات الوفيات ١/١٦٤ - ١٦٦ ،
خطط المقرئ ٢/٣٥٢ .

برى ، لفسقه وفجوره وتهشكه وظلمه وغصبه ونهبه / وقتله النفس
المحرمة ، وأخذة الأموال المحظورة . أترانا لا نعرف مذهب زيد ،
وأن جميع ما هو فيه مخالف للدين والإسلام ؟

وقال الخثعمي :

زعم أنه إنما منع المذكرين ^(١) والقصاص لئلا يفشو الحشؤ والتشبيه
ولئلا ينشئوا عليه الصغير والكبير ، فهلا منع من الكلام والجدل لئلا
يفشو الإلحاد ، ولا تكثر الشبه ؟

ثم يجلس لأصحاب الحديث ، ويروي ويفسل ^(٢) ويكذب ويختلق
الإسناد ويبتك المتن ^(٣) . فأئي عيب لم يظهر به ولم يغلب عليه ؟ وأي
خزي لم يبين ولم يكتر ؟ وأي فعل سيء لأفعله ^(٤) ؟ أليس هو سبب
كل قبيحة ، وفاتح كل باب شر ؟

فما هذا الغلط فيه ؟ وما هذا التعصب له ؟ وما هذا اللجاج بسببه ؟
أمن « العدل » الذي يدل به في مذهبه أن يجور ويفصب

(١) المذكرون : الوعاظ .

(٢) في الأصل : « وروى ويفسد » .

(٣) يبتك المتن : يقطعه .

(٤) المؤلف : « لم يفعله » .

ويقتل ؟ أم من التدين بـ « التوحيد » أن يركب الفواحش ويأتي القاذورات ؟ ويخلو بالأبن^(١) والسوءات ؟ ويتسّم الكبائر المبيرات ؟ ثم يبني داراً يسميها دار التوبة^(٢) استهزاء وسخرية وسُخنة عين ؟ أم من المعروف أن يتعاطى كل منكر قولاً وفعلًا ؟

إني لأظن أن من ينصر هذا الرجل لأعمى أصم قد أسلمه الله من يده ، وألجأه إلى الشيطان قرينه .

أم من العقل والمرّة والكرم والفتوة أن يقول : أين مائدة من مائدة مطرف ؟ يعني أبا نصر مطرف بن أحمد وزير مرداويج الجلي^(٣) ، وكان أكرم الناس ؛ ومن مائدة المهلب^(٤) ؟ ومن مائدة ابن العميد^(٥) ؟

(١) في الأصل ؛ « ويخلوا » . الأبن ، جمع ابنة وهي : التهمة والعيب .
(٢) قصة توبة الصاحب ، وجلوسه للاملاء والتحديث ، واتخاذ بيتاً للتوبة وأخذه خطوط العلماء بذلك — رواها أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بكيا . وهي في المنتظم ١٨٠/٧ .

(٣) قتله مرداويج سنة ٣٢١ هـ .

(٤) أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون الوزير . ولد سنة ٢٩١ بالبصرة ، وتوفي سنة ٣٥٢ هـ ، ابن النديم ١٩٤ ، المنتظم ٩/٧ - ١٠ ، عقد الجمان (سنة ٣٥١) ، اليتيمة ٢٠٢/٢ ، الوفيات ١٧٨/١ .

(٥) يعني أبا الفضل ، ويأتي الحديث عنه .

وَأَيْنَ طَعَامُنَا مِنْ طَعَامِهِ ؟ وَأَيْنَ إِطْعَامُنَا مِنْ إِطْعَامِهِ ؟ وَكَانَ ^(١) أَبُو
الْفَضْلِ سَيِّدًا ، وَلَكِنْ لَمْ يَشُقَّ غُبَارَنَا ، وَلَا أَدْرَكَ شِوَارَنَا ^(٢) ، وَلَا
مَسَحَ ^(٣) عِذَارَنَا ، وَلَا عَرَفَ غَرَارَنَا ^(٤) لَا فِي عِلْمِ الدِّينِ ، وَلَا فِيمَا يَرْجِعُ
إِلَى مَنَافِعِ الْمُسْلِمِينَ . فَأَمَّا ابْنُهُ فَقَدْ عَرَقْتُمْ قَدْرَهُ فِي هَذَا وَفِي غَيْرِهِ ؛ طِيَّاشُ
قَلَّاشٍ ، لَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا قَاشٌ وَقَمَاشٌ ، مِثْلُ ابْنِ عِيَّاشٍ وَالْمَهْرُويِّ وَالْحَوَاشِ ^(٥) .

يَا قَوْمُ ! هَذَا كَلَامٌ مِنْ لَهُ عَقْلٌ وَيَرْجِعُ إِلَى رِزَانَةٍ ؟

ثُمَّ يَقُولُ فِي مَجْلِسِهِ : أَنَا الذُّعَافُ ^(٦) لِمَنْ حَسَانِي ، وَالْجُرَافُ ^(٧) لِمَنْ
عِصَانِي ، وَالْجُحَافُ ^(٨) لِمَنْ عَنَانِي أَوْ حَرَّكَ عِنَانِي ؛ أَخْصِي فَوْقَ هَامَةِ
الدَّهْرِ ، أَيْنَ ابْنُ الزِّيَّاتِ ^(٩) مِنَّا ؟ أَيْنَ ابْنُ خَاقَانَ ^(١٠) مِنْ غُلَامِنَا ، يَعْنِي أَبَا

(١) نقله ياقوت في الارشاد ٢ / ٣٠٣ .

(٢) كَذَا فِي الْإِرْشَادِ . وَفِي الْأَصْلِ وَالْوَافِي : « شِرَارَنَا » .

(٣) فِي الْإِرْشَادِ : « فَسَحَ » . وَفِي الْوَافِي : « فَسَخَ » .

(٤) كَذَا فِي الْإِرْشَادِ ، وَفِي الْوَافِي : « غَرَارَنَا » .

(٥) فِي الْوَافِي : « وَالْمَهْرُويِّ الْحَوَاشِ » .

(٦) الذُّعَافُ : سَمِ سَاعَةً .

(٧) الْجُرَافُ وَالْجَارُوفُ : الَّذِي يَكْتَسِحُ كُلَّ شَيْءٍ مَرَّ بِهِ .

(٨) الْجُحَافُ : الْمَوْتُ .

(٩) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَبُو جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ الْبَلِيغُ . قَتَلَهُ الْمُتَوَكِّلُ سَنَةَ ٢٣٣ هـ ،

الْفَهْرَسْتُ ١٧٠ الْمَسَالِكُ (أَيَّاصُوفِيَا ٣٤٢٣ صَحِيفَةُ ٤٨٨ — ٤٩٠) ، ذِيلُ تَجَارِبِ

الْأُمَمِ ٣ / ٨٢ ، الشُّذْرَاتُ ٢ / ٧٨ .

(١٠) تَوَلَّى الْوِزَارَةَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ : الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ الَّذِي قَتَلَ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ —

العباس الضبي^(١)، ومَنْ عليُّ بن عيسى^(٢) الحشوي^(٣)، ومَنْ ابن الفرات^(٤) الأرعن، ومَنْ ابن مُقَلَّة الخطَّاط^(٥)، ومَنْ الحسن بن وهب^(٦) الضراط؟

— سنة ٢٤٧ هـ . وعبد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى أبو القاسم الذي وُزِرَ للمقتدر بعد ابن الفرات سنة ٣١٢ هـ ، وترجمة الفتح في فهرست ١٦٩ هـ ، المنتظم ٥ / ٤٥ وترجمة أبي القاسم في الوافي (شهيد علي ١٩٦٨ هـ ، الورقة ١٥٥ ب) ؛ وفي مسالك الابصار (أيا صوفيا ٣٤٢٣ صحيفة ٤٩٠ — ٤٩٢) ترجمة النابهن من هذا البيت . وانظر الفخري ٢١٦ — ٢١٧ هـ ، ٢٢٨ هـ ، ٢٤٠ — ٢٤١ هـ . (١) أحمد بن محمد بن إبراهيم الضبي الملقب بالكافي ، من مشاهير الوزراء ، توفي سنة ٣٩٨ هـ . عيون التواريخ (نسخة الفاتح ٦٦ ب ، ١٣١ ب) ، وانظر المنتظم ٢٤٠ / ٧ ، اليتيمة ٣ / ٢٦٠ — ٢٦٧ .

(٢) علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن وزير المقتدر والقاهر . ولد سنة ٢٤٥ هـ ، ومات سنة ٣٣٤ هـ ، وقيل سنة ٣٣٥ هـ . الفهرست ١٦٨ هـ ، المنتظم ٦ / ٣٥١ — ٣٥٥ هـ ، الإرشاد ٥ / ٢٧٧ هـ ، عقد الجمان (سنة ٣٣٥ هـ) ، دول الإسلام ١ / ١٥٣ هـ . (٣) الحشوي : من يقول بالحشو وقد مر تفسيره .

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن موسى المقتول سنة ٣١٢ هـ . وُزِرَ للمقتدر ثلاث مرات ، آخرها سنة ٣١١ هـ . دول الإسلام ١ / ١٣٣ هـ ، ١٣٨ هـ ، تحفة الأمراء لابن الحسن الصابي ١١ — ٧١ هـ ، المنتظم ٦ / ١٨٨ — ١٩١ هـ ، الفخري ٢٣٩ — ٢٤٠ هـ . (٥) تقدم التعريف به .

(٦) الحسن بن وهب بن سعيد أحد الكتاب المشهورين . كتب لمحمد بن عبد الملك الزيات وولي ديوان الرسائل . وكان شاعراً بليغاً . الوفيات ١ / ٢٧١ هـ ، فوات الوفيات ١ / ١٣٦ — ١٣٧ هـ .

والضراط هو وهب بن سليمان بن وهب ؛ فهو ابن أخي الحسن بن وهب وليس والده . وقصته في ثمار القلوب للثعالبي ١٦٤ وما بعدها . ولابن طيفور « كتاب اعتذار وهب من حقيقته » ذكره ابن النديم ص ٢٠٩ .

هل كانوا إلّا دوننا إذا ذُكرت سيادتُنا ، وشوهدت سعادَتُنا .

وُلدتُ والشَّعْرَى في طالِعي ، ولولا دَقِيقَةُ لَأدْرَكْتُ النُّبُوَّةَ ، وقد أدْرَكْتُ
النُّبُوَّةَ إذ قُمتُ بالذَّبِّ عنها والنُّصْرَةَ لها ؛ فَمَنْ ذا يُجارِينا ويُمارِينا
ويُبارِينا ويُعادِينا ويُضَارِينا ويُسَارِينا ويُشَارِينا ؟

٥ وكادَ الخُثْعَمِي لا يَقْطَعُ هذا المجلسَ لَطولَ ما مَرَّ فيه ، وشِدَّةَ ما
أهمَّته منه .

فهذا كما ترى .

وقلتُ للمسيَّبِي يوماً : لم انقطعْتَ عن هذا الرجل ، وقد كان مُحسناً
إليك ، مُقدِّماً لك ، مُعجِباً بك ؟

١٠ فقال : الصَّبْرُ عَلَى الرِّقَاعَةِ مُعَوِّزٌ^(١) ، ومُكَاذِبَةُ النَّفْسِ وخِداَعُ الْعَقْلِ
من السُّكْلَفِ الشَّاقَّةِ وَالْأُمُورِ الصَّعْبَةِ ، وَلَمَنْ اللَّهُ الرَّغِيفَ إِذَا لَمْ يُصَبِّ
إِلَّا بَضْعَةَ النَّفْسِ ، وَغَضاضَةَ الْقَدَرِ ، وَكَدَّ الرُّوحِ ، وَمَفارِقَةَ الْأَدَبِ
الْحَسَنِ ، وَدَنَسَ الْعِرْضِ النَّقِيِّ ، وَتَمْزِيقَ الدِّينِ الْمُعْتَقَدِ ، وَكَسْبَ الزَّوْرِ
الْمُخْبِطِ ، وَإِزَالَةَ الْمَرْوَةِ الْمَخْدُومَةِ ؛ وَإِنِّي لَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

١٥ وَإِنِّي عَلَى عُدْمِي لِصَاحِبِ هِمَةٍ لَهَا مَذْهَبٌ بَيْنَ الْمَجَرَّةِ وَالنَّسْرِ

* * *

(١) معوز : شديد على النفس .

وإنَّ امرأَ دُنْيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّهِ لَسْتَمْسِكُ مِنْهَا بِجَبَلٍ غُرُورٍ^(١)
وسمعه يقول لابن ثابت^(٢) :

جعلك الله ممَّن إذا خَرى شَطَرٌ ، وإذا بَلَ قَطَرٌ ، وإذا فَسَا غَبَرٌ ،
وإذا ضَرَطَ كَبَرٌ ، وإذا عَفَجَ عَبَرٌ .

وهذا سُخْفٌ لا يَلِيقُ بأَصْحَابِ الفُرْضَةِ ، والذين نَشِئُوا بِالْمَزْرِفَةِ ،
واخْتَلَفُوا إِلَى الْخُنْدَقِ وَدَارِ بَانُو كَهْ^(٣) وَالزَّبْدِ وَالْخُلْدِ^(٤)

وسمعه يقول : أَنَشَدَنِي صِقْلَابٌ ، وَابْنُ بَابٍ^(٥) ، وَقَرَأْتُ عَلَى

(١) البيت للشويمر الحنفي ، واسمه هانيء بن توبة الشيباني ، وهو في اللسان
٤ / ١٣٦ برواية :

« وإن الذي يُسمي ودنياه هم »

وانظر شرح المقامات ٢ / ٢٧٧ ، والامتناع ٣ / ٦٥ .

(٢) أبو الحسن أحمد بن محمد بن ثابت البغدادي ، أحد فضلاء بخارا ، وكان
من جلاس الصاحب . يتيمة الدهر ٤ / ١٣٧ .

(٣) لعلها مضافة إلى « البانوقة » ، ويقال « البانوجة » بنت المهدي العباسي .
انظر تاريخ بغداد ١ / ٩٥ ، المعارف ١٦٦ .

(٤) لعله موضع قصر الخلد الذي ذكر الخطيب البغدادي ١ / ٧٥ ، ٨٠ أن موضعه
كان وراء باب خراسان من مدينة بغداد على شاطئ دجلة .

(٥) الهدف الذي تكرر لأبي حيان أن يرمي إليه : أن الصاحب مفتون بالسجع
المقبول منه والمردول ، ولذلك نرى أنه من المحتمل أن لا يكون هناك من وراء
هذه الكلمات المسجوعة قصد إلى شخصيات عرفها التاريخ .

ابن البوّاب ، وسمعتُ من أبي الحُبّاب ، ورويتُ لأبي المرتّاب الدّباب
كلّ شيءٍ عَجاب .

ولقد تَحَيَّرَ المهلبيّ مَنّي ، وعَرَفَ مُعِزُّ الدولة ^(١) فَضلي وأدبي وأكبر
قَدَري ، وبلغ الحدّ الأقصى في أمري .

وأنشدني أبو دُلَفٍ الخَزرجيّ ^(٢) عندما رأى من كلفه بالمذهب ^(٣)
وإفراطه في التعصّب :

يا بنَ عَبَّادِ بنِ عَبَّاسٍ بنِ عَبْدِ اللَّهِ خُذْهَا ^(٤)

(١) هو أحمد بن أبي شجاع بويه بن فناخسرو الديلمي معز الدولة المتوفى سنة
٣٥٦ . دخل بغداد وحكمها وامتد حكمه بها ٢٠ سنة . ترجمته في المنتظم ٣٧ / ٧
— ٣٨ ، عقد الجمان (سنة ٣٥٦ وسنة ٣٣٤) ، دول الإسلام ١ / ١٦١ ،
البداية ١١ / ٢٦٢ .

(٢) هكذا عبارة ياقوت في الإرشاد ٢ / ٣٠٣ — ٣٠٤ . وفي البصائر ٣ / ٥٠ :
« لأبي دُلَفٍ الخَزرجي في ابن عباد » ، ثم روى البيهقي . ونسبها العباسي في
معاهد التنصيص ٢ / ١٦٠ للسلامي المتوفى سنة ٣٩٣ هـ .

وأبو دلف هو : مسهر بن مهمل اليربوعي ، كان شاعرا ويتطبب وينجم ،
وكان ينتاب حضرة صاحب ويكثر القيام عنده . وله القصيدة الساسانية وشرحها ،
أعجب بها صاحب وحفظها . وانظر يتيمة الدهر ٣ / ٣٢١ .
(٣) يعني مذهب الاعتزال .

(٤) هكذا في البصائر . وفي الأصل « حرها » . والبيتان يشيران إلى مسألة
حرية الإرادة . وقد قدمت القول فيها .

تُشْكِرُ الْجَبْرَ وَقَدْ أَخَذَ رَجَّتَ لِلْعَالَمِ^(١) كَرُّهَا

وكان إذا نشط واهتز لا يسمع منه إلا حديثُ عبادة^(٢)
وجَحَشَوِيه^(٣) وأمثال هؤلاء .

وكان يضع على بني ثوابه^(٤) كُلَّ حِكَايَةِ غَمَّةٍ فَاحِشَةٍ ؛ وكان إذا
أَرَادَ أَنْ يَنْفِي عَنْ نَفْسِهِ مَا يُقَرِّفُ بِهِ ، قال : قيل لقاضي الفتيان^(٥) : نيك
الرجال ريبة^(٦) . فقال : هذا من أراجيف الزُّناة .
وقيل لابن ماسويه^(٧) : الباقي^(٨) مقشورة أصح في الجوف .
فقال : هذا من طب الجياع .

(١) في الأصل : « في العالم » .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) شاعر ماجن عاصر الخليفة المأمون . انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ١٨٣ ،
تاريخ بغداد لابن طيفور ١٦٦ .

(٤) مر الحديث عن بني ثوابته .

(٥) النادرة في البصائر ١ / ٥٠ ب ، ونثر الدرر ٥٦٩ .

(٦) في البصائر المطبوع ١ / ١٦٥ : « زينة » ، وهو تصحيف .

(٧) المعروف بابن ماسويه أخوان : ميخائيل بن ماسويه ، ويوحنا بن ماسويه .
وكلاهما طبيب ذو شهرة . انظر الفهرس ٤١١ ، طبقات الأطباء ١ / ١٨٣ .

(٨) في شرح الفصيح للهروي ٦٨ : « وهو الباقي مشدد اللام مقصور —
للفول بلغة الشام ، وإذا خففت مددت فقلت الباقياء » ، ومثله في اللسان « بقل » .
والنادرة في البصائر أيضا ١ / ٥٠ ب .

وقيل للوطي : إن اللواط إذا استحكَم صار حُلَاقًا قال : هذا من توليد أصحاب القحَاب .

فأما الذي يدلّ عَلَى كَلَامِ الْمُبْرَسَمِينَ ^(١) والمجانين / ومن قد شُهر بالصَّرْع والماليخُوليا ^(٢) فما سَمِعْتُهُ يقول لشيخ خراساني قد دَعَا به وأَكْرَمَهُ وتَوَفَّرَ له وَكَلَمَهُ ؛ فَسَمِعْتُهُ يقول : مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَا يَقْتَضِي ، ٥ وما يَكُونَ مِنْهُ لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ، وقد يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَا يَكُونَ ، وَيَكُونَ مَا يَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ ، وَإِنَّمَا لَا يَكُونَ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ، وَيَكُونَ مَا يَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ ؛ لِأَن [مَا لَا] ^(٣) يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَيْسَ فِي وَزْنٍ مَا يَكُونَ ، وَالْكَوْنُ وَالْوُجُوبُ لَا يَتَلَازِمَانِ ، بَلْ يَحْتَمِلَانِ ١٠ ثُمَّ يَفْتَرِقَانِ ، وَالْاجْتِمَاعُ وَالْافْتِرَاقُ عَلَيْهِمَا جَارِيَانِ ، فَلِهَذَا يُرَى الْوَاجِبُ كَانًا وَالْكَائِنُ وَاجِبًا ، وَمَا أَكْثَرُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الْكَوْنَ مُتَضَمِّنٌ الْوُجُوبَ ، وَالْوُجُوبَ مُتَضَمِّنٌ الْكَوْنَ ، وَتَحْصِيلُ الْفَضْلِ بَيْنَهُمَا بِالنَّظَرِ مِنْ سِحْرِ الْعَقْلِ .

(١) المبرسم : المصاب بالبرسام ، وهو مرض يمتري الإنسان فيعدم التحكم في قواه العقلية ويأخذ يهذي .

(٢) هي MelanCholia ، وهي أن يغلب المزاج السوداوي على الإنسان فتكثر أوهامه وتخيلاته .

(٣) تكملة لا بد منها .

وهذا فنّ لم أجِد فيه لمشايخنا شوطاً محموداً ، ولمَليّ أُملي فيه كلاماً
بسيطاً بجميع ما يكون شرحاً له إن شاء الله .

فلما خرّجنا قلتُ للشيخ الخراسانيّ ، وقد أخذنا في المؤانسة وتجاوزنا
أطراف الحديث كما قال الشاعر :

أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا
وسألتُ بأعناقِ المَطِيِّ الأباطحِ^(١)

كيف سمعتَ اللّيلةَ ذلكَ الكلامَ في الكون والايجاب ؟

فقال : يا حبيبي ! إما أن يكونَ هذا الرَّجُلَ مَرْحُوماً^(٢) في
أيديكم أو تكونوا مرحومين في يَدِهِ . أمّا في بلدكم مارستان ؟ أمّا
للسلطان شفقةٌ على هذا الإنسان ، أمّا له من يأخذ بيده وينصَح له في
نفسه ويكسَح هذا الجزء من عقله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ غمّ^(٣)
عليّ باسمه عندنا بخُراسان ، وطُننَ بنا به في تلك البلدان ، وقد كان ،

(١) أطراف الأحاديث : ما يستطرف منها . والبيت في الشعراء ١١ ، أمالي
المرتضى ١١٠ / ٢ ، أمالي القالي ٢٦٦ / ١ ، معاهد التنصيص ٤٨١ / ١ ضمن أبيات
منسوبة لكثير عزة .

(٢) تكررت هذه الكلمة في استعمال أبي حيان ، ويعني بها أن هذا الرجل
في حالة عقلية يُرحم من أجلها .

(٣) يعني لبئس عليّ . وفي الأصل « هذا الحر ... عم » .

والله ، يَلُوح خَلَل كَبِيرٌ لِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ مِنْ رَسَائِلِهِ وَرِقَاعِهِ ، وَكَانُوا يَحْمِلُونَ الذَّنْبَ عَلَى الْوَرَّاقِينَ .

وَقَالَ يَوْمًا آخَرَ لَا بَنَ الْقَطَّانُ أَبِي الْحَسَنِ ^(١) الْفَقِيهَ الْمُتَكَلِّمَ :

أَيُّهَا الشَّيْخُ أَنْتَ عَلَى الْحَقِّ ؟

قال : نعم .

قال : وَاللَّهُ الْحَقُّ ؟

قال : نعم .

قال : فَأَنْتَ عَلَى اللَّهِ .

فَقَالَ الْقَصَّارُ ^(٢) : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى سُرْعَةِ هَذَا الْإِتِّطَاعِ ، وَسُطُوعِ هَذَا

الْبُرْهَانِ ، وَلُزُومِ هَذَا الْحُكْمِ .

فَلَمَّا خَرَجَ قُلْنَا لَهُ : هَلَّا فَصَّلْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ وَقَدْ عَرَّضَ بِكَ ،

وَتَضَاهَكَ عِنْدَ الْإِشَارَةِ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ : وَمَا مُنَا قَلْتِي ^(٣) رَجُلًا لَوْ كَانَ فِي

الْمَارِسْتَانِ مَغْلُولًا لَسَكَنْتَ لَا آمِنَ جَانِبَهُ إِذَا كَلَّمْتُهُ ، فَكَيْفَ وَهُوَ مُطْلَقٌ

(١) لعله أحمد بن محمد بن أحمد البغدادي المتوفى سنة ٣٥٩ هـ . له مصنفات في أصول الفقه وفروعه . الوفيات ١/ ٢٢ - ٢٣ ، الشذرات ٣/ ٢٨ ، طبقات الشيرازي ٩٢ .

(٢) كذا بالأصل . والسياق يقضي أن يكون الكلام : « قال ابن القطان ، .

(٣) المناقلة في الكلام : المثارعة والمجاوبة .

مطاع ، ونعوذ بالله من تجنّونِ قَادِرِ مُطَاع ، كما نعوذ به من جاقِلِ
 ضعيفٍ مَعْصِيٍّ ؛ ثم قال : وهذا الكلامُ من صاحبه سوء أدب ، وضعفُ
 عقل ، وجسارة نفس ، واجتلاب مَقْت ، وقِلَّة دين ؛ إن الحقَّ والحقَّ
 اسمان يقعان بالاشتراك في اللفظ على معنيين مختلفين ، وأنا على الحقِّ ،
 وليسكن الحقَّ الذي ضِدُّه الباطل ، ولستُ على الحقِّ الذي لاضدُّه ؛
 والحقُّ يُطلق على الله ويُراد أنه محقِّق ، والحقُّ يطلق على ما عدها ويُراد
 به أنه محقِّق ؛ والله الحقُّ المحقِّقُ ، وما جاوزَه فهو الحقُّ المُحقِّقُ
 المُحقِّقُ ؛ وإذا قيل في وجه آخر : الله محقِّق فالمراد به غير هذا ، لأنه
 يُراد به أنه مُثَبَّتٌ موجود ، ومعتقَدٌ مشهود له ^(١) بالوحدة والقدرة
 والحكمة والمشئمة ^(٢) .

١٠

وحدثنا ابن عبادٍ يوماً قال ^(٣) :

ما قطعني ^(٤) إلا شابٌّ وردَّ علينا إصْبَهانَ من بغداد ^(٥) ، فقصدني

(١) في الأصل : « معتقد مشهور له » .

(٢) قارن هذه المادة بما ورد في مفردات القرآن للراغب الأصبهاني ، ولسان

العرب (حق) .

(٣) هذا الحديث . . حتى قوله : « ولكن من شاء حتم نفسه » ، نقله ياقوت

في الإرشاد ٢ / ٢٩٤ ، وحتى قوله : « يصفني بها » ، نقله العباسي في معاهد
 التنصيص ٢ / ١٥٥ .

(٤) في الإرشاد « قطعني » ، وفي معاهد التنصيص : « أفظني » ، وكلاهما تصحيف .

(٥) في الإرشاد : « علينا إلى إصْبَهانَ بغداد » .

فأذنت له ، وكان عليه مُرَقَّة ، وفي رِجله ^(١) نعل طاق ^(٢) . فنظرت إلى حاجبي ، فقال له ، وهو يصمد إليّ : اخلع نعلك ، قال : ولم ؟ ولعليّ أحتاج إليها بعد ساعة ، فغلّبتني الضحك وقلتُ : أترأه يريد أن يصفعني بها .

٥ وقال لي علي بن الحسن السكاتب :

هَجَرَنِي فِي هَذِهِ ^(٣) الْأَيَّامِ هَجْرًا أَضَرَّ بِي ، وَكُشِفَ مُسْتَوْرِحَالِي ،
وَذَهَبَ عَلَيَّ أَمْرِي ، وَلَمْ أَهْتِدِ إِلَى وَجْهِ حِيلَةٍ فِي مَصْلَحَتِي ، وَوَرَدَ الْمَهْرَجَانُ
فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي غِمَارِ النَّاسِ ، فَلَمَّا أَنْشَدَ يُونُسَ ^(٤) تَقَدَّمْتُ وَأَنْشَدْتُ ،
فَلَمْ يَهَشَّ لِي وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيَّ ، وَكُنْتُ صَمَمْتُ أَيْبَاتِي بَيْتًا لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ عَلَى
١٠ رُويِّ قَصِيدَتِي ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِ الْبَيْتُ هَبَّ مِنْ كَسَلِهِ وَنَظَرَ إِلَيَّ كَالْمُنِكَرِ
عَلَيَّ ، فَطَأَطَأَتْ رَأْسِي ، وَقُلْتُ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ : لَا تَلُمُ ، وَلَا تَزِدْ فِي

(١) في الإرشاد : « رجليه » .

(٢) في اللسان (نعل) : « و [النمل] الفرد : هي التي لم تخفف ولم تطارق وإنما هي طاق واحد ، والعرب تمدح برقة النعال ، وتجعلها من لباس الملوك » .

(٣) في الإرشاد : « في بعض » .

(٤) هكذا في الأصل . وأقرب القراءات إلى صورة الكلمة التي لم تلجم حروفها : « يونس » ، وفي الإرشاد : « فلما أنشدت نوبتين تقدمت » . وهي قراءة غير صحيحة .

القرحة ، فما عليّ تحمّل^(١) ؛ وإنما سرقتُ هذا البيت من قافيتك لأزين بها^(٢) قافيتي ، وأنت بحمد الله تجود بكلِّ علقِ ثمين ، وتهب كلَّ جوهر مكنون ، أتركُ تشاؤني على هذا القدر ، وتفضّحني في هذا المشهد ؟

فرفع رأسه وصوته وقال : يا بُنيّ أعد هذا البيت. فأعدته ، فقال : ه طنانُ والله ! يا هذا ! ارجع إلى أول قصيدتك ، فقد سرّونا عنك ، وطارَ الفكرُ بنا في شيءٍ آخر ؛ والدُّنيا مشغلةٌ ، وصار ذلك ظمأً لك لا عن قصدٍ منا ولا تعمُد .

قال : فأعدتها وأمرزتها وأطربتُ بإنشادها ، وفغرت فمي بقوافيها ؛ فلما بلغت آخرها قال : أحسنتَ ، الزم هذا الفنَّ فإنه حسن ١٠ الديباجة ، وكان البُخترى^(٣) قد استخلفك ، واكثرُ بحضرتنا وار تفع

(١) يقال : ما عليه محمل ، أي موضع لتحميل الحوائج . والمعنى : لم أعد قادراً على تحمل الائمة . وفي الأصل : « على محمل » .

(٢) في الإرشاد : « لأزين به » .

(٣) الوليد بن عبيد بن يحيى أبو عبادة السطائي الشاعر المشهور . ولد سنة ٢٠٦ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ على خلاف . طبقات ابن المعتز ١٨٦ ، المنتظم ١١/٦ - ١٤ ، البداية ٧٦/١١ ، شرح المقامات ٣٦/١ ، معاهد التنصيص ٨١/١ .

بخدمتنا ، وابدل نفسك في طاعتنا نكن من وراء مصالحك بأداء حقك
والجذب بضبعك^(١) / ، والزيادة في قدرك على أقرانك . [٦٢ ب]

قال : فلم أرَ بعد ذلك إلا الخير ، حتى عراه ملل آخر ، فماد إلى
عادته ، ثم وضعني في الحبس سنة ، وجمع كُتبي وأحرقها بالنار ، وفيها
٥ كتبُ الفراء^(٢) والنكسائي^(٣) ، ومصاحفُ القرآن ، وأصول كثيرة
في الفقه والكلام ، فلم يميزها من كتب الأوائل ، وأمر بطرح النار فيها
من غير تثبت ، لفرط^(٤) جهله وشدة نزقه .

أف هذا يا قوم من سيرة أهل الدين ، أو أخلاق ذوي الرياسة ، أو
من جنس ما يعتاد ممن له عقل أو تماسك ؟

١٠ وهلا طرح النار في خزانة كتبه على قياس هذا ؟ فإن فيها كتب

(١) الضبع : العضد ، وجذب بضبعه : أخذ بيده وأعانه .

(٢) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي أبو زكرياء النحوي اللغوي
المفسر المشهور ، توفي سنة ٢٠٧ ، المعارف ٢٣٧ .

(٣) علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان أبو الحسن ، نحوي مقرر لغوي ،
توفي سنة ١٨٩ هـ . المعارف ٢٣٧ .

(٤) في الإرشاد : « بل لفرط » .

ابن الرُّونْدِي^(١) ، وكَلَامَ ابنِ أَبِي العَوْجَاء^(٢) في مُعَارَضَةِ القرآنِ بَزْعَمِهِ ،
وصَالِحِ بنِ عَبْدِ القُدُّوسِ^(٣) ، وَأَبِي سَعِيدِ الحَصِيرِيِّ مع غَيْرِهِ من كُتُبِ
أَرَسْطَاطَالَيْسِ وَأَشْبَاهِهِ . وَلَكِنْ مِنْ شَاءَ حَقَّقَ نَفْسَهُ .

(١) الوارد في كتب التراجم : « الراوندي » ، و « الريوندي » ، وكان حرف
المد اختلس في الصورة الأولى فتولدت رواية مخطوطينا . وهو أحمد بن يحيى
ابن إسحاق أبو الحسين المتوفى سنة ٢٩٨ هـ . وصفه أبو حيان في البصائر ١ / ٥٦ م
بقوله : « متكلم بارع وجهيد ناقد وباحث جدل ونظار صبور » وابن خلكان
بقوله : « وكان من الفضلاء في عصره » .

وهو إلى هذه المزايا منبوز بالإلحاد والزندقة والكفر ، وله مؤلفات وكتب
تشهد — إن صحت نسبتها وما فيها إليه — بذلك . وترجمته في لسان الميزان
١ / ٣٢٣ ، المنتظم ٦ / ٩٩ ، الوفيات ١ / ٣٣ ، البداية ١١ / ١١٣ ، دول الإسلام
١ / ١٣٤ ، عيون التواريخ (نسخة أحمد الثالث ١٠ / ١٠ - ١٥ م) ، تلبس إبليس
١١١ - ١١٢ ، عقد الجمان (نسخة ولي الدين ٣٨٥ ورقة ٢٠٧) ، معاهد
التنصيص ١ / ٥٦ .

(٢) هو عبد الكريم بن أبي العوجاء خال معن بن زائدة ، من متكلمي
البصرة ، وكان من الزنادقة ينشر شُبُهَاتِهِ بين الأحداث فيفسد عقيدتهم . فهدده
عمرو بن عبيد بكشف أمره . فهرب إلى الكوفة فقبض عليه وألباه ، من قبل
المنصور ، محمد بن سليمان وقتله وصلبه . يقول ابن جحر : إنه قتل بعد سنة
١٦٠ هـ . وقد اعترف حين عاين الموت بأنه وضع أربعة آلاف حديث يحرم
فيها الحلال ويحلل الحرام . ترجمته في لسان الميزان ٤ / ٥١ - ٥٢ ، الأغاني
٣ / ٢٤ - ٢٥ ، أمالي الشريف المرتضى ١ / ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣) صالح بن عبد الله بن عبد القدوس شاعر مجيد تغلب على شعره الحكيم ، -

كان الأقطع^(١) المنشد الكوفي يقول كثيراً : لو لم تستدِلْ عَلَى
جنون هذا الرجل وقلة دينه وضعف عقله إلا بنفاقي عليه لكفى ؛
لأنني رجل قطعت في اللصرصية ، فما قولك في لصي مقامر ؟ أقودُ وألوط
وأزني وأنيمُ وأضرب^(٢) ، وليس عندي من خيرات الدنيا شيء ؛ لأنني
لا أصلي ولا أصوم ، ولا أزيّ ولا أحجّ ، ونشأت في المساطب والشطوط
والفُرُض والمواخير ، ومشيت مع البطالين سنين وسنين ، وجرحت
وخنقت وطررت^(٣) ونقبت^(٤) وقتلت وسلبت وكذبت وكفرت

- وكان من المتكلمين . اتهم بالزندقة فقتله المهدي العباسي . ترجمته وأخباره في
البيان ١ / ٢٠٦ ، نكتُ الهميان ١٧١ ، فوات الوفيات ١ / ٢٤٥ ، تاريخ بغداد
٩ / ٣٠٣ - ٣٠٥ ، لسان الميزان ٣ / ١٧٢ ، أمالي المرتضى ١ / ١٤٤ - ١٤٦ ،
عيون التواريخ (حوادث سنة ١٦٠) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٧ ، الإرشاد
٦ / ٢٨٦ ، وانظر حياة الحيوان (أفعى) .

(١) في محاضرات الراغب ٢ / ٣١٢ : « وقال الأقطع رفيق الصناديقي :
وقعت إلى بلدة قاصية في خراسان فسألوني : هل تعرف من شعر الصاحب ؟
فألشدتهم : « بودي لو يهوى العذول ويمشق ،

فقال فضولي : هذا للبحثري (ديوانه ١ / ٩٥) ، فقلت : لقد قال ذلك رجل
بنيسابور فضرب ثلاثمائة سوط فسكت » . فلعله الأقطع المنشد .

(٢) أضرب : من قولهم ضربت بين القوم في الشر : أغويتهم عليه .

(٣) طر الثوب : شقه وقطعه ، ومنه الطرار الذي يقطع كم الرجل ويسدل مفاهيه .

(٤) يعني نقبت البيوت بقصد السرقة . وفي خطبة زياد البتراء (البيان

٦٣ / ٢) : « من نَقَبَ منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب له . . . ومن نقب بيتاً
نقبتنا عن قلبه » ، وانظر عيون الأخبار ٢ / ٢٤٣ .

وشربت وسكرت وشابكت^(١) وساكت^(٢) وما حكت^(٣)
ودامكت^(٤). ولم يبق في الدنيا منكرٌ إلا أتيتُ ، ولا خفى إلا ركبتُ ؛
وهو على هذا يُعْزِي بي ويلجّ معي ويؤذيني ويعنّي من الرجوع إلى
بيتي وأمرأتي ، قد حبسني في داره هكذا ، فإذا اغتَلَمْتُ جَلَدْتُ
عُمَيْرَةَ ضُرُورَةً .

٥

وصدّق هذا الشيخ ، كذا كان مذهبه ، وعليه شاخ ، ولكن ابن
عبّاد كان يتعلم منه كلام المُكْدِين ، ومُنَاغَاة الشَّحَازِين ، وعِبارَةُ
المَقَامِرِين ومن يَصِرُّ في اللعب بالكَمْبِتَيْن ، ويضجّر ويكفر وينخر
ويشقّ المُنْزَر ، ويبزق في الجو ؛ وكان لا يَجِدُ هذا عند أحدٍ كما يَجِدُهُ
عنده ، فلذلك كان يَتَمَسَّكُ بِهِ .

١٠

وكان الكوفي هذا ، مع ما وصَفْنَاهُ ، طَيِّبًا مَلِيحًا نَظِيفًا ظَرِيفًا
فَصِيحًا ، وهو الذي حَدَّثَنَا عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي الْمُسْطَبَةِ .
قال : قلنا له : إِنَّكَ تُحِبُّ الطَّيِّبَ ، وتُلْهِجُ بِالنَّكاحِ وتُقْرِطُ .

(١) شابكت : خاصمت .

(٢) كذا بالأصل .

(٣) لا ججت .

(٤) نكحت .

قال : فقال لنا : والله ما أقتدي في هذا إلا بنبيِّنا صلى الله عليه ،
فإنه قال : « حُبِّبْ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثَةَ الطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ ^(١) » .
قال : فقلنا له : ففي الخبر : « وَجُمِلْتُ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ ^(٢) »
وَأَنْتَ لَا تُصَلِّي أَصْلًا .

هـ فقال : يا حَقِّي لو صَلَّيْتُ لَكُنْتُ نَبِيًّا ، وقد قال صلى الله عليه :
« لَا نَبِيَّ بَعْدِي ^(٣) » .

وَرَأَيْتُ الْأَقْطَعَ هَذَا وَاقِفًا بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ عَبَّادٍ فِي صَحْنِ الدَّارِ ،
وَذَاكَ أَيْضًا وَاقِفًا ، فَطَلَعَ [أَبُو ^(١)] صَالِحُ الْوَرَّاقِ ^(٥) ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّادٍ
حِينَ نَظَرَ إِلَيْهِ وَإِلَى لِحْيَتِهِ الْمَسْرُوحَةِ :

وَلِحْيَةٍ كَأَنَّهَا الْقِبَاطِي ١٠

فَقَالَ الْأَقْطَعَ بَلَا وَقْفَةٍ :

جَعَلْتُهَا وَقْفًا عَلَى ضِرَاطِي

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد ٣ / ١٢٨ ، ١٩٩ وسنن النسائي ٢ / ١٥٦ -
١٥٧ باختلاف يسير في ألفاظه .

(٢) الحديث في المسند ١ / ١٨٤ .

(٣) تكملة عن الفهرست والفخري .

(٤) عبد الله بن محمد بن يزيد بن سويد ، أحد الكتاب البلغاء . ذكره
ابن النديم ١٧٩ ، الفخري ٢٠٨ :

وكان [أبو] صالح هذا يقول : أنا من ولد محمد بن يزداد^(١)

الوزير .

وكان ابن عبّاد يطالب الأقطع بأن يحفظ قصائده في أهل البيت
وينشدها الناس على مذهب النّوح ، وكان يعطيه على كل بيت درهماً ،
وإذا لم يحكم ضربه لكل بيت ضربةً بمصاً عَجْراء^(٢) . فكان الأقطع
المسكين كل يوم يضرب .

فقلتُ له : من كلّفك الصبر على هذا الضرب ؟ احفظ كما كنتَ
تحفظ واربح الدّراهم ، وتخلص من الألم .

فقال : والله لو ضربني بكلّ عصاً في الأرض كان أخفّ عليّ من حفظ
شعره الغث ، وإنشاد قافيته الباردة ، والله وإن شعره في أهل البيت
خِراء . فهذا قوله .

وكان لا يدع الأقطع لينصرف إلى منزله ، وكان يشكو الشبق ،
وكانت امرأته تأتيه في كل قليل إلى دهليز الباب وتُغيّر ثيابه ،
وتُصلح أمره ، وتحدثه وتنصرف بشيء معه قد جمعه فصادف الأقطع

(١) محمد بن يزداد بن سويد أبو عبد الله ، وزير للمأمون . ترجمته في

الفخري ٢٠٨ ، الفهرست ١٧٩ .

(٢) عَجْراء : ذات عقده .

يوماً الدهليز خالياً ، وكانت الهاجرة منعت من الحركة ، فراودها وطرحها في المكان المتخبطى وتقممها وأخذ في عمله ، فرمقه بعض السّترين فعدا ورفع الحديث إلى ابن عبّاد ، وذكر الحال والصورة ، فهاج من مقيله البارد ومكانه الظليل ، وحشيتته التي قد استلقى عليها ، حاسراً حافياً ، قد جعل طرف كفه على رأسه بلا سراويل ، ولقَطَ قدمه لقطاً حتى وقف على الأقطع وهو يكوم يولج ويُخرج ويرهز ذاهب العقل .

فقال له : يا أقطع ويلك يا ابن الزّاتية إيش هذا في داري ! ؟
فقال : أيها الصاحب ! اذهب ليس هذا موضع النظارة ، هذه امرأتى بشهود وعُدول وعقد وقبالة ، اذهب اذهب ، يَهْذِي ولا يعقل حتى أفرغ ، وسيدي على رأسه يضحك ويصفق ويرقص . ثم أخذ بيده على تلك الحال ، وهو يشد تنكته ، وابن عبّاد يُعينه ، وأدخله إلى / مقيله يعاتبه ويسأله عن العمل والحال ؟ وكيف استطابه وكيف هاج ؟ ثم خلَعَ عليه ووهب له ، ووهب لامرأته ثياباً وطيباً .
أف هذا من المروّة والفضيلة وأدب الرياسة وآيين الوزارة ^(١) ؟

(١) آيين الوزارة : رسمها وما يوجه من سمت وزيّ وصورة . يقول أبو حيان في البصائر ١ / ٢٦ ب : د آيين : لفظ فارسي وهو يراد به السيرة والصورة والزي والرسم ، وما تعرفه العرب ؛ إنما ألقى الشيء على حد ما سمعته الأذن ووعاه الصدر . وانظر التنبيه والإشراف للمسمودي ٩١ .

أهكذا كانت البرامكة^(١) وهو لا يرضاهم ؟

أم هكذا كان حامد بن العباس^(٢) ، والعباس بن الحسن^(٣) ، وآل
الفرات^(٤) ، وآل الجراح^(٥) ، وهو لا يَزْنُهُمْ بشيء فيمن تأخر ؟

إن من يستحسن هذا وأمثاله ، ويعذر أهلَه في الرياسة والجلالة

(١) بيت البرامكة عريق في النباهة والذكر الحسن . وفي « معجم الأنساب
والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي » ص ١٣ من الترجمة العربية : ذكر
لرجال هذا البيت .

(٢) وزير المقتدر بعد عزل ابن الفرات ، وحين عاد ابن الفرات إلى الوزارة
قتله ، وذلك سنة ٣١١ هـ . الفخري ٢٤٢ ، المنتظم ٦ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٨٠ ،
— ١٨٤ ، الوافي (شهيد علي ١٩٦٧ ، الورقة ٧٢ ب — ٧٤ ب) ، ابن الأثير
٣٧ / ٨ — ٤٩ .

(٣) كتب للقاسم بن عبيد الله وزير المعتضد مدة ، ثم ولي الوزارة في
سنة ٢٩١ هـ . للكتفي ، ولكنه أهمل شؤون الدولة فوثبَ عليه جماعة فقتلوه
في أيام المقتدر . تحفة الأمراء ٣٨٧ — ٣٩٠ ، الفخري ٢٣٣ — ٢٣٤ .

(٤) الحديث عن بيت بني الفرات ومشاهيره في شرح المقامات ١ / ٣٣٥ —
٣٣٦ ، الفخري ٢٣٩ — ٢٤٠ ، معجم الأنساب والأسرات ص ١٧ ، الوفيات
٤٧٠ / ١ ، ٤٧١ .

(٥) ذكر هذا البيت ورجاله ابن النديم في الفهرست ١٨٥ — ١٨٦ ، وانظر
تاريخ بغداد ٥ / ٢٥٥ ، الفخري ٢٤١ ، ٢٥٣ ، فوات الوفيات ٢ / ٢٠٢ ،
الوفيات ١ / ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

لضعيف النجيزة^(١) سَلِيب المروّة ؛ وإن من ينظر هذا وشبهه لَصَفِيقُ
الوجه قليل المعرفة .

وقال لابن الزيات المتكلم يوماً في مناظرته : لَا تَعْبَثْ بِلِحْيَتِكَ .

فقال ابن الزيات : وما عليك منها ؟ هي لحيتي .

قال : أنا سلطان .

٥

قال : أفي عهدك النظر في لحيتي ؟

قال أصحابنا : بل قال له : أنا سلطان ، وإذا خرجت من عندي
ولحيتك على غير الشكل الذي دخلت عليّ به ظنّ الناس أنّي ظلمتك فيها
عند المناظرة والخلاف ، وأنا أحبّ صيانتك وصيانتني عند الناس بِسَمِيكَ .

وقلتُ لابن الزيات ببغداد : كيف رأيت ابن عبّاد ؟

١٠

قال : هو كالحر ، لا يرجع إليه من خرج منه .

وقلت للجيلوهي^(٢) الشاعر ، وكان شيخاً له تجربةٌ ومعرفةٌ بأيام

الناس ومُشاهدة : حَدِّثْنِي عن ابن عبّاد .

(١) النجيزة : الطبيعة .

(٢) في الأصل والامتناع ٣/ ٢٨ بالحاوية : « الجلولي » . وعادة ناسخ الكتاب

أن يضع تحت الحاء صغرة ، ولم يفعل هنا فقرأتها بالميم . ولم أعرف الشخص .

قال : مَعْرُورٌ مِنْ نَفْسِهِ لِمَوَاتَاةِ جَدِّهِ ، وَتَصَدِيقِ ذَوِي الْأَطْمَاعِ فِي
جَمِيعِ دَعْوَاهُ ، وَمَا أُحْرِجُهُ إِلَى إِنْصَافِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِهِ بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ : إِمَّا
بَأَن لَّا يَدَّعِي الْكَمَالَ ، أَوْ بَأَن لَّا يُبَكِّتُ الرِّجَالَ ؛ فَلَا هُوَ بَرِيٌّ مِنَ
النَّقْصِ ، وَلَا هُوَ غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ لِلتَّبَكُّيْتِ ؛ وَلَيْسَ مِنْ لَّا يُمْكِنُ أَنَّ
يُؤَاجَهَ بِالنَّقْصِ الَّذِي فِيهِ وَبِالتَّوْبِيخِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ عَلَى فِعْلِهِ ، لِيَدُلَّهُ فِي ٥
السلطانِ قَوِيَّةٌ ، وَشَمْسٌ لَهُ فِي الدَّوْلَةِ طَالِعَةٌ — يَنْبَغِي أَنْ يَرْكَبَ هَامَ النَّاسِ
وَيَأْكُلَهُمْ بِلِسَانِهِ ؛ فَرِيحُ الدَّوْلَةِ قَدْ تَرَكُدَ ، وَالضَّعْفُ يَزُولُ ، وَالْحَشَمُ
يَتَحَوَّلُ ، وَقَدْ يُقَالُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ مَا يُرْبِي عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ قَصَرَ يَدُهُ
عَلَى فَضْلِهِ الَّذِي لَهُ لَمْ تَشَلَّ ، وَلَوْ وَقَفَ قَدَمُهُ عِنْدَ غَايَتِهِ لَمْ تَزَلْ ، وَلَكِنَّهُ
يَجْرِي طَلَقًا^(١) ثُمَّ يَكْبُو ، وَيَنْصَلِتُ لِلْقِرَاعِ ثُمَّ يَنْبُو ، وَيَتَطَاوَلُ إِلَى ١٠
مَا لَا يَنَالُهُ ثُمَّ يَنْخَبُو ؛ وَهَذَا طَرِيقُ الْجَاهِلِينَ الْمَغْتَرِينَ .

ثُمَّ قَالَ : وَالْكَذِبُ مِنْ آفَاتِهِ ، وَهُوَ خُلِقَ يَمَرُّ^(٢) الْمُرُوءَةِ وَيَشِينُ
الدِّيَانَةَ ، وَيَسْقُطُ الْهَيْبَةَ ، وَيَجْلُبُ الْحَزْنَ ، وَيَسْتَدْعِي الْمَقْتَ ، وَيَقْرَبُ
المَوْتَ ؛ وَقَلَّ مَنْ لَهَجَ بِهِ إِلَّا كَانَ حَتْفُهُ فِيهِ ، وَمَا رُئِيَ شَيْءٌ أَنْحَى لِلنُّضَارَةِ^(٣)
الْوَجْهَ وَلِبَهْجَةِ الْعِلْمِ وَلزِينَةِ الْبَيَانِ مِنْهُ .

(١) الطَّلَقُ ، بِالْفَتْحِ : الشَّوْطُ .

(٢) يَمُرُّ الْمُرُوءَةُ : يَنْقُصُهَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « أَحْمَا لِلنُّضَارَةِ » .

قال : وَعَلَى ذَلِكَ فَمَا رَأَيْتُ رَئِيسًا يُحَسِّنُ مَا يُحْسِنُ مِنَ الْإِحْسَانِ
[إِلَّا وَهُوَ] ^(١) مردودٌ بالتشكك ، لأنه ما هنا قَطُّ بنعمته ، ولا أَمْتَع
بإحسانه . ولا تَرَكَ لَهُ يَدًا يَبِضُّهُ عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا وَكَرَّ عَلَيْهَا بِالتَّسْوِيدِ .

قال : وقد شاهدتُ النَّافِقِينَ عَلَيْهِ ، وَالْمُتَقَدِّمِينَ لَدَيْهِ ، وَوَقَفْتُ عَلَى
مَوَاتِهِمْ ^(٢) ووسائلهم وأسبابهم وذرائعهم فلم أجِدْ فِيهِمْ إِلَّا نَخْشِيَّ اللِّسَانِ
استكفَّ شَرَّهُ بِالْإِحْسَانِ كَالْخَوَارِزْمِيِّ ^(٣) وَغَيْرِهِ ، أَوْ مَرْتَبَطًا لِأَمْرِ يُرَادُ
مِنْهُ لَا يَفِي بِهِ سِوَاهُ كَالْهَمْدَانِيِّ ^(٤) وَمَنْ جَرَى تَجْرَاهُ ، أَوْ مَلْعُوبًا بِهِ قُرْبَ
عَلَى ظَنَّةٍ وَرِيَّةٍ وَحَالٍ زَائِدَةٍ عَلَى الْقُبْحِ وَالْفُضِيحَةِ ، كَفُلَانٍ وَفُلَانٍ وَهُمْ
الدُّهُمُ ؛ وَلَمْ أَجِدْ فِي ضُرُوبِ الْمُتَوَسِّلِينَ إِلَيْهِ ، بَعْدَ هَؤُلَاءِ ، مَنْ وَصَلَ إِلَى
١٠ دَرَاهِمٍ مِنْ مَالٍ إِلَّا يَبْذُلُ النَّفْسَ وَإِذَالَةَ ^(٥) الْعَرِضِ ، وَمُواصَلَةَ الْبُكُورِ

(١) تكملة تقتضيها صحة الكلام .

(٢) المائة : الوسيلة ، والجمع : الموات .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) الظاهر أنه بديع الزمان أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٣٩٨ هـ ؛ إذ له

صلة بالصاحب . الوفيات ١ / ٤٧ - ٤٨ ، معاهد التنصيص ٢ / ٣٤ .

(٥) إذالة المرض : إهانتة وإبتذاله .

والرّواح واستنشاق الغبار والرياح وتجرع العَبْط ^(١) والكَد ، ومزاحمة
أهل الجَهْل والنقص ، ومُغالبة ذلّ الحِجاب وسوء أدب البَوَّاب والرّضا
بالهزم والسخرية ؛ وما ابْيَضَّتْ له يَدٌ عند أَحَد ، وَلَا تَمَّتْ له نعمة على
أَحَد ، لَمَلَّة وحَسَد ، وضَجَره ونسكده ، وامتنانه وكثرة ذكره لفضله
ومدحه لنفسه . والعربُ تقول في حِكْمها : المنة تُزْرِى بالألباء . ٥

عَلَى أَنْ ^(٢) عطاءه لا يزيد على مائة درهم وثوب إلى خمسمائة ،
وما يبلغ إلى ألفٍ نادر ، وما يُوفى على الألف بديع ^(٣) ، بل قد ^(٤) نال
به ناسٌ من عرض جاهه على السنين ما يزيد قدره على هذا بأضعاف ،
وعددٌ هؤلاء قليلٌ جدّاً ، وذلك أيضاً بابتدال النفس وهتك السّتر ،
والإفراج عن الدين والمرّة والعرض والأنفة . ١٠

قال : وأيّ عقلٍ يكون لمن يقول : لم يكن في الدّولتين الأموية
والعباسية مثلي ، وهذا الكلام قد دوّنَه في بعض كتبه ؛ وقد حكيتُ
هذا بمدينة السلام فسمِعَه قومٌ كرامٌ يرجعون إلى فضلٍ كثيرٍ وبصائرٍ

(١) العَبْط : التنقص والشم .

(٢) نقله ياقوت في الإرشاد ٢ / ٣٠٤ .

(٣) يعني إذا جاوز عطاؤه الألف كان حدثاً مبتدعاً لم يسبق له نظير .

(٤) في الإرشاد « بلى » .

حَسَنَةُ مِنْهُمْ ابْنُ الْبَقَالِ الشَّاعِرُ ^(١) ، وَمَحْسَنُ ابْنُ التَّنُوخِيِّ ^(٢) ، وَابْنُ قَنَاشٍ الْمِصْرِيُّ ^(٣) فَضَحِيحُكُوا وَهَزُوا ، وَشَعَثُوا عِرْضَهُ ، وَجَحَدُوا مُحَاسَنَهُ الَّتِي لَوْ سَكَتَ عَلَيْهَا لَسَكَمَتْ لَهُ ؛ وَلَادَعَى فِي جَمَلَتِهَا أَكْثَرَ مِمَّا يَدَّعِيهِ لِنَفْسِهِ ؛ وَلِعَمْرِي مَا كَانَ لَهُ فِيمَنْ تَقَدَّمَ فِي الدَّوْلَتَيْنِ مِثْلٌ وَلَا شَبِيهِ ، وَلَكِنْ فِي الْخَلَاعَةِ وَالْمَجُونِ ، وَالرَّقَاعَةِ وَالْجُنُونِ .

قال : وَمَنْ الْعَجَبُ أَنَّهُ يَدَّعِي « الْمَدَلَ وَالتَّوْحِيدَ » ^(٤) وَهُوَ لَا يُفِيقُ مِنْ قَتْلِ / مَنْ ظَنَّ بِهِ عِدَاوَتَهُ وَالْوَقِيعَةَ فِيهِ ، أَوِ الْقَدْحَ فِي رُقْعَةٍ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ مِنَ الصَّالِحِينَ الْعَابِدِينَ .

(١) علي بن يوسف البغدادزي أبو الحسن ابن البقال ، شاعر مجيد ناقد ؛ يقول المتنبي ، وقد أنشد ابن البقال بحضوره قصيدة : « مَا رَأَيْتُ بَغْدَادَ مِنْ يَجُوزُ أَنْ يَقْطَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الشَّاعِرِ إِلَّا ابْنَ الْبَقَالِ » . ترجمته في الإرشاد ٥٠٧ / ٥٠٨ - ١٥٧ / ٥٠٨١٧ .

(٢) المحسن بن علي بن محمد أبو علي التنوخي أخباري أديب شاعر ، وكان قاضياً بامرهمز والأهواز . ولد بالبصرة سنة ٣٢٧ أو ٣٢٩ هـ ، وتوفي سنة ٣٨٤ أو ٣٨٣ هـ . الإرشاد ٢٥١ / ٦ - ٢٦٧ ، عيون التواريخ (حوادث سنة ٣٨٣) .

(٣) في الإرشاد ١٢٣ / ٢ : « وَحَدَّثَ أَبُو جَعْفَرٍ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَنَاشٍ سَاحِبَ كِتَابِ الْقَضَاءِ قَالَ : كُنَّا بِمَحْضَرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ نَدَمَائِهِ ، فَلَعَلَّهُ « ابْنُ قَنَاشٍ » هَذَا صَحَفَ إِلَى « قَنَاشٍ » .

(٤) مر تفسير المدل والتوحيد ص ١٥٣ - ١٥٤ في الحواشي .

ولقد^(١) بلغ من ركاكته أنه كان عنده أبو طالب العلويّ ، فكان
إذا سمع منه كلاماً يسجّع فيه ، وخبراً يثمقه ويرويه ، يبلق^(٢)
عينيه وينشر^(٣) منخريه ، ويُرِي أنه قد لحقه غشيّ حتى يُرَشَّ عَلَى
وجهه ماء الورد . فإذا أفاق قيل له : ما أصابك ؟ ما عراك ؟ ما الذي
نابك^(٤) وتغشاك ؟

٥

فيقول : ما زال كلام مولانا يروقي ويوتقي حتى فارقتي لبي
وزايلني ذهني^(٥) واسترخت^(٦) له مفاصلي وتحللت^(٧) عرى قلبي وذهل
عقلي^(٨) وحيل بيني وبين رُشدي ؛ فيتهلّل وجهه ابن عبّاد عند ذلك ،
وينتفش ويضمحل^(٩) عجباً وجهلاً ، ثم يأمر له بالسكرمة والحباء
والصلّة والعطاء ، ويقدمه على بني^(١٠) عمه وبني أبيه .

١٠

(١) نقله ياقوت في الإرشاد ٢ / ٣٠٤ .

(٢) يفتحها فتحاً شديداً .

(٣) يسطها وينشرهما .

(٤) في الإرشاد : « نالك » .

(٥) في الإرشاد : « عقي » .

(٦) في الإرشاد : « وانشرحت » تصحيف .

(٧) في الإرشاد : « وتخاذلت » .

(٨) في الإرشاد : « ذهني » .

(٩) كذا بالأصل ، وفي الإرشاد : « ويضحك » .

(١٠) في الإرشاد : « على جميع بني » .

ومن يَنخدع هكذا فلا يكون ممن له في الكتابة قسط ، أو في التماسك نصيب ، وهو بالنساء الرُّغن والصبيان الضعاف أشبه ^(١) منه بالرؤساء والكبار .

وحدثني الشاذلي قال : حُجبت مدةً عنه فضِقت ذرعاً بذلك ، ه فإن الجاه الذي كنت مَدَدْتُهُ انزوى ، والأمر الذي قَوَّمْتُهُ تَأَوَّدَ ، وأخذت المادَّةُ تقِفُ ، والحال ينقُصُ ، والذكر يقلُّ ، فأحييتُ الليلَ أرقاً وفكراً فيما أعتلّ فقدَح لي الخاطر بحيلة ، فأصبحتُ وكتبتُ رقعةً ذكرت فيها :

« إني رجل امْتُحنتُ بما لم يمتَحَن به أحدٌ غشي بآبك ، ونال إحسانك ١٠ واستمرَّع فناءك ، واستحصَد جنابك ؛ إني بعدَ هذا الدأب الشديد ، والنَّصَب المتَّصل ، والقراءة والنَّسخ ، والبحث والمناظرة ، والصَّبْر والمناصحة ، قد شكَّكتُ في مسائل « الأصول الخمسة » ^(٢) التي عليها مدار المذهب ^(٣) ، وركن المقالة ، وهذه مِحَنَةٌ بل فِتْنَةٌ ، بل شيء فيه

(١) في الإرشاد : « أمثل » .

(٢) هي : « العدل - التوحيد - المنزل بين المنزلتين - الوعد والوعيد - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

(٣) يعني مذهب الاعتزال .

هَلَاكِي وَخُسْرَانِ عَمَلِي ، وَذَهَابِ عَمْرِي ، فَاللهَ اللَّهُ فِيَّ ، تَدَارَكْنِي فَإِنِّي
مِنَ الْأَمْوَاتِ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ ، غَرِيبُ الدَّارِ ، خَائِبُ الْأَمَلِ ، بَائِرُ الْبِضَاعَةِ ،
خَاسِرُ الصِّفْقَةِ ، طَلَبْتُ الزِّيَادَةَ عَلَى مَا كَانَ عِنْدِي فَأَتَلَفْتُ مَا كَانَ مَعِي .

قال : فلما قرأ الرُّقْعَةَ قَلِقَ فِي نِصَابِهِ ^(١) ، وَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ
وَقَالَ : مَسْكِينُ الشَّاذِيَاثِيِّ لَقَدْ نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَحَلَّ بِهِ خَطْبٌ
جَسِيمٌ ، وَدُهِِي فِي دِينِهِ ، وَأُصِيبَ بِيَقِينِهِ ؛ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ .
عَلَيَّ بِهِ ، هَاتُوهُ الْبَائِسُ . وَدُعِيتُ فَأَذْنَانِي وَلَا طَفَنِي ، وَقَالَ لِي : مَا هَذَا
الشَّكُّ الَّذِي اعْتَرَاكَ ، وَأَيْنَ أَنْتَ عَنِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ حَتَّى يَحْلَلَ ذَاكَ ؟
قُلْتُ : لَسْتُ أَتَّقُ إِلَّا بَيَانَ مَوْلَانَا ، وَلَا عَجَبَ مِنْ بَيَانِهِ ، وَلَكِنْ الْعَجَبُ
مِنْ إِنْصَافِهِ مَعَ سُلْطَانِهِ ، وَحُسْنِ إِقْبَالِهِ مَعَ أَشْغَالِهِ .
١٠

قال : فَانْفَسَخَ عَقْدُهُ ، وَابْتَلَّ شَنُّهُ ^(٢) ، وَاسْتَحَالَ ذَلِكَ الْمَلَلُ
اسْتِطْرَافًا وَذَلِكَ النَّبِيُّ ^(٣) اسْتِعْطَافًا ، وَأَقْبَلَ يَقُولُ : هَاتِ ، وَأَنَا

(١) النصاب والمنصب : العلو والرفعة ، وما يتولاه الإنسان من العمل كأنه
عمل ينصب فيه للحكومة . وانظر شفاء الغليل ٢٠٤ .
(٢) الشن : القربة البالية . وابتلال الشن كناية عن ابن الجانب .
(٣) النبو : الجفوة .

أَهَاتِيهِ^(١) هَكَذَا أَيَّامًا وَلِيَالِي ، أَتَأَطَّرُ^(٢) لَهُ تَارَةً بِالْإِسْتِحْسَانِ وَالْقَبُولِ ،
وَأَتَعَسَّرُ عَلَيْهِ تَارَةً بِالتَّوَقُّفِ وَالْفَتُورِ ، وَلَا أَفَارِقُ الْكَيْسَ وَالْحِيلَةَ ،
حَتَّى اسْتَنْفَدْتُ قُوَّتَهُ وَقُوَّتِي لَهُ ، ثُمَّ قَبَّلْتُ أَطْرَافَهُ وَتَبَاكَيْتُ ، وَقُلْتُ :
يَا مَوْلَانَا أَسَلِمْتُ عَلَى يَدِكَ ، وَنَجَوْتُ مِنَ النَّارِ بِإِرْشَادِكَ .

٥ فقال : يَا أَبَا عَلِيٍّ ! أَكْثَرُ عِنْدَنَا ، وَاقْتَبَسْ عَامِنًا . قَدْ ذَلَّلْنَا لَكَ
الْحِجَابَ ، وَتَقَدَّمْنَا بِذَلِكَ إِلَى الْحِجَابِ ، فَاسْكُنْ وَاطْمَئِنَّ ، وَطَبِّ نَفْسًا
وَارْقَنَنَّ^(٣) ، وَلَا تَقْلُقْ فَتَرْجَحَنَّ^(٤) .

قال : فَانصرفتُ مِنْ مَجْلِسِهِ قَرِيرَ الْعَيْنِ ، تَمْدُودَ الْجَاهِ ، تَمْلُوءَ
الْيَدِ ، وَنَفْسِي رِيًّا بِكُلِّ أَمَلٍ ، وَتَفْتَحَتْ عَلَيَّ أَبْوَابُ الرِّزْقِ ، وَجُمِعَتْ
إِجَانَةٌ^(٥) كَبِيرَةٌ خَضَاءَ دَنَانِيرٍ . ١٠

قال الجليلوهي : وَحَدِيثُ هَذَا الرَّجُلِ ذُو شَجَوْنَ ، عَلَى أَنَّكَ إِذَا
أَنْصَفْتَ لَمْ تَجِدْ لَهُ نَظِيرًا فِي دَهْرِكَ ، وَمَتَى بُلِيتَ بِهِ طَلَبْتَ الْخُلَاصَ مِنْهُ
وَلَوْ بِفَقْرِكَ .

(١) أَهَاتِيهِ : أَعَاطِيهِ .

(٢) أَتَأَطَّرُ وَأَتَمَائِلُ لَهُ ، أَظْهَرَ لَهُ الْمَجْزَ عَنْ الْفَهْمِ .

(٣) أَرْقَنَنَّ : سَكَنَ .

(٤) أَرْحَجَنَّ : سَقَطَ .

(٥) إِجَانَةٌ : إِهَانَةٌ .

قال : وما أخوفني أني إذا دُفِعت إلى غيره بعده تَمَيُّتُهُ ، فأكون
كما قال الأول ^(١) :

عَتَبْتُ عَلَى بَشَرٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى بَشَرٍ
هَكَذَا أُنْشِدَ ، وَغَيْرُهُ يُنْشَدُ : « عَلَى عَمْرٍو » ؛ وَالصَّحِيحُ « عَلَى
سَلَمٍ » وَلَهُ حَدِيثٌ ^(٢) .

قال : وَمِنْ خَوَاصِّ مَا فِيهِ حُبُّهُ لِلْعَامَّةِ ، وَذَاكَ يَقْدَرُ بِمُخَيِّهِ لِلْخَاصَّةِ .
وَقَدْ قَالَ يَوْمًا : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْحِجَابَ قَبِيحٌ وَبَغِيضٌ ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ
مُتَعَذِّرٌ ، وَهُوَ الَّذِي يُورِثُ الْمَدَاوَةَ الشَّدِيدَةَ ، وَيَبْعَثُ عَلَى الْقَالَةِ الشَّنِيعَةِ ،
وَيَمْحُو كُلَّ حَسَنَةٍ ، وَيُهْجِنُ كُلَّ نِعْمَةٍ ، وَيُثِيرُ كُلَّ نِقْمَةٍ ، وَيُبْدِي كُلَّ
عَوْرَةٍ ، وَيُبْرِزُ كُلَّ سَوَاءَةٍ ؛ وَقَدْ دُهِيَ النَّاسُ مِنْهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، لَسَكُنِي ١٠

(١) هُوَ هَارِ بْنِ تَوْسَعَةَ كَمَا فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ٢ / ٤ وَالصَّدَاقَةُ ٥٠ ، وَالرَّوَايَةُ
فِيهَا : « عَلَى سَلَمٍ » ، وَعَقِبَ عَلَيْهِ ابْنُ قَتَيْبَةَ بِقَوْلِهِ : وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ : مَا بَكَيتُ
مِنْ زَمَانٍ إِلَّا بَكَيتُ عَلَيْهِ .

(٢) فِي زَهْرِ الْأَدَابِ ص ١٠٦٤ : « وَكَانَ ابْنُ أَبِي عَرَادَةَ (وَفِي شَرْحِ
الْمَقَامَاتِ ١ / ١٠٥ : ابْنُ أَبِي عِزَّازَةَ) السَّعْدِيُّ مَعَ سَلَمِ بْنِ زِيَادٍ بِخُرَاسَانَ ، وَكَانَ
لَهُ مَكْرَمًا فَتَرَكَ وَصَحْبَ غَيْرِهِ فَلَمْ يَحْمَدْ أَمْرَهُ فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ :

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بَكَيتُ عَلَى سَلَمٍ
رَجَعْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ تَجْرِبِ غَيْرِهِ فَكَانَ كَبْرًا بَعْدَ طَوْلٍ مِنَ السَّقَمِ

أَتَلَذَّذَ بِهِ ، وَلَسْتُ أَجِدُ طَعْمَ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْعَلِيَّةِ ، وَلَا أَعْرِفُ ثَمَرَةَ هَذِهِ الْحَالِ السَّنِيَّةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُحْتَجِبَ وَيَقِفَ النَّاسُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ بِالْبَابِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ صُدُورَهُمْ تَغْلِي بِالْغَيْظِ ، وَالسِّنْتَهُمْ تَجْرِي بِالْعَيْبِ ، وَأَهْوَاءُهُمْ تَأْتَلِفُ عَلَى الْقِلَى وَالْبُغْضِ ؛ فَإِنَّ الْحَدِيثَ يَنْخَرِقُ بِكُلِّ مَعْنَى إِلَى سُوءٍ ، وَلَكِنْ لَا أَسْتَحِبُّ بِحُلَاوَةَ / الدَّوْلَةِ ، وَبِجَلَالَةِ الصُّوْلَةِ ، وَبِهَيْبَةِ الْمَكَانَةِ ، وَبِمَا إِنْ سَهَوْتُ عَنْهُ صِرْتُ إِلَى الْمَهَانَةِ .

قال هذا الشيخ :

وَهَذَا قَوْلٌ مِنْ نَصِّ اللَّهِ عَلَى خِيَذْلَانِهِ ، وَأَسْلَمَهُ إِلَى حَوْلِهِ ، وَأَنْطَقَهُ بِلِسَانِ إِبْلِيسَ الَّذِي هُوَ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْمَذْهَبَ مِنْ عِلَامَاتِ الشَّقَاءِ فِي الدُّنْيَا ، وَآيَاتِ الْخُسْرَانِ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَلَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ قَدْ سَمَحَ بِعَرِضِهِ ، وَاسْتَهَانَ بِشَنْعِ الْقَالَةِ فِي نَفْسِهِ وَأَيِّهِ وَعَمِّهِ وَأُسْرَتِهِ ، وَجَمِيعِ مَنْ ضَرَبَ فِي مَذْهَبِهِ بِسَهْمٍ ، وَشَابَهَهُ بِوَجْهِ .

وَحَدَّثَنِي ابْنُ الثَّلَاجِ الْمُتَكَلِّمُ^(١) ، وَكَانَ ذِي نَأْيٍ صَدُوقًا ، قَالَ : الْعَجَبُ

(١) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبَغْدَادِيِّ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّاهِدُ ، وَلَدَ سَنَةِ ٣٠٧ هـ ، وَتُوفِيَ سَنَةَ ٣٨٧ هـ . تَرْجَمَتْهُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ ١٠ / ١٣٥ - ١٣٨ ، الْمُتَنْظَمُ ٧ / ١٩٢ - ١٩٣ ، الْوَاقِي (شَهِيدٌ عَلَى ١٩٦٨ ، الْوَرَقَةُ ١٦١ ب) ؛ الشُّذْرَاتُ ٣ / ١٢٢ .

أن ابن عبّاد يدّعي أنه قرأ على شيخنا أبي عبد الله البصري^(١) ، ولقد كذب في دعواه وفجّر في قوله ؛ لقد ورد علينا بغداد وهو ينصر ابن كلاب^(٢) على حدّ المبتدئين ، فحمله مسكويه إلى ، ثم دخل الواسطي عليه وفتح باب المذهب له ، ولم يكن غير ذلك .

وكان أبو عبد الله^(٣) لا يعرفه ولا يعلّمه ، لأنه كان لا يدرى ما يكون منه ويصير إليه في الثاني .

(١) الحسين بن علي بن إبراهيم البصري أبو عبد الله المعروف بالجمل وبالكاغدي ، متكلم معتزلي نابه الذكر ، وله مصنفات . ولد سنة ٢٩٢ (الذهبي ٢٩٣) ، وتوفي سنة ٣٦٩ هـ . تاريخ بغداد ٧٣/٨ ، المنتظم ١٠١/٧ ، طبقات الشيرازي ١٢١ ، عيون التواريخ (سنة ٣٦٩) ، الجواهر المضية ٢/٢٦٠ ، الشذرات ٣/٦٨ . وعمره نحو ثمانين سنة (تاريخ الاسلام أيا صوفيا ٣٠٠٨ ، ١٢/٩١) .

وفي الفهرست ٢٤٨ ، الفوائد البهية (طبع الحجر) ٣١ ، لسان الميزان ٢/٣٠٣ : أنه توفي سنة ٣٩٩ هـ ولعله تصحيف .

(٢) عبد الله بن محمد القطان أبو عبد الله ، متكلم جدلي ، له مناظرات مع المعتزلة وربما وافقهم . توفي في حدود سنة ٢٤٠ . الفهرست ٢٥٥ - ٢٥٦ ، الوافي (شاهد علي ١٩٦٨ ، الورقة ١٦٠ ، ١٦٥ ب) ، طبقات السبكي ٢/٥١ - ٥٢ ، شر الدرر ٨٠٠ .

(٣) يعني أبا عبد الله البصري .

وما قدّر كوثب يرد مع صاحبه ، لاسن له ولا شهرة ، ولا
إفضال ولا توسع ، ولا حاشية ولا حشم ؟

ودارت الأيام ودالت الأحوال ، فكتب هذا الشيخ^(١) إلى هذا
الإنسان بعماد الدين ؛ وأنا أبرأ إلى الله من دين هذا عماده ؛ وكتب
هذا إلى ذاك بالشيخ المرشد ، وأيُّ إرشاد كان عنده ؟ وكيف يكون
مرشداً من ليس برشيد ؟ وكيف يكون رشيداً من لا يفارق الغي ؟
إن كنت تشك في أمره فانظر إلى غلمانه : الرازي ، وابن الغازي ،
وابن طرخان ، والبزاز ، والنصبي أبي إسحق^(٢) والصيرفي ، والهمداني
والدامغاني ؛ عصاة الكفر ، ما فيهم من يرجع إلى وزع وتقى ،
أو إلى مراقبة وحياء أو هدى . ١٠

ولقد رأيت أبا عبد الله البصري في مجلس عز الدولة^(٣) سنة ستين
في شهر رمضان ، والجماعة هنا : أبو حامد المروزي^(٤) وأبو بكر

(١) يعني أبا عبد الله البصري .

(٢) تأتي ترجمته .

(٣) عز الدولة أبو منصور بختيار بن ماز الدولة المتوفى سنة ٣٦٧ هـ . وانظر
ترجمته في الوفيات ١ / ١٠٨ - ١٠٩ ، عقد الجان (سنوات ٣٥٦ ، ٣٥٧ ،
٣٦٧) ، أبي الفداء ٢ / ١١٢ - ١٢٥ ، المنتظم ٧ / ٨٩ - ٩٥ ، عيون التواريخ
(سنة ٣٦٧) ، الينمة ٢ / ٤ - ٥ (بيروت) .
(٤) تأتي ترجمته .

الرازي^(١)، وعلي بن عيسى^(٢)، وابن نهان، وابن كعب الأنصاري^(٣)
والأبهري^(٤) وابن طرارة^(٥)، وأبو الجيوش شيخ الشيعة وابن معروف^(٦)
وابن أبي شيبان، وابن قريعة^(٧)، وناس كثير، وهو في إيوان

(١) أحمد بن علي الحنفي أبو بكر المعروف بالخصاص؛ من أصحاب الرأي،
وكان يميل إلى الاعتزال. توفي سنة ٣٧٠. الفهرست ٢٩٣ - ٢٩٤، تاريخ
الاسلام للذهبي (أيا صوفيا ٣٠٠٨، ١٢/٩٧) ، المنتظم ١٠٥/٧ - ١٠٦،
عيون التواريخ ١١/١٦٢ (أحمد الثالث).

(٢) هو الرماني وتقدمت ترجمته

(٣) علي بن كعب الأنصاري المعتزلي أبو الحسن. وصفه أبو حيان في
الصدقة ٣٩ بقوله: «الداهية التي لا ترام» وفي البصائر ٢/٨ ب بقوله:
«... وكان أديباً متكلماً جاحظياً قوياً، وكان يذهب مذهب ابن الإخشيد».
وانظر عيون التواريخ (نسخة الفاتح الورقة ٦ ب).

(٤) لعله أبو سعيد الأبهري، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) هو المعافى بن زكرياء بن يحيى بن حماد النهرواني أبو الفرج الجريري
العلامة، ولد سنة ٣٠٥ أو ٣٠٣، وتوفي سنة ٣٩٠ هـ. الارشاد ٧/١٦٢ -
١٦٤، الفهرست ٣٢٨ - ٣٢٩، الوافي (شيد على ١٩٧١ الورقة ٦٨ ب -
٧٠). عيون التواريخ (سنة ٣٩٠)، ذيل التجارب ص ٣٧٥، تاريخ الاسلام
(أيا صوفيا ٣٠٠٨، ١٢/٢٠٨) ، المنتظم ٧/٢١٣ - ٢١٤.

(٦) أبو محمد عبيد (عبد) الله بن أحمد بن معروف القاضي البغدادي المعتزلي
المتوفى سنة ٣٨١ هـ. المنتظم ٧/١٦٦، اليتيمة ٢/٢٦٩، تاريخ الاسلام
(٣٠٠٨، ١٢/١٦٠)، دول الاسلام ١/١٧٠، الوافي (شيد على ١٩٦٨
الورقة ٢١ ب)، عيون التواريخ (سنة ٣٨١).

(٧) محمد بن عبد الرحمن بن قريعة (مصرفاً) أبو بكر البغدادي القاضي -

فسيح في صدره مَنْ حَضَرُوا مِنْ أَجَلِهِ ، وَأَبُو الْوَفَاءِ الْمُهَنْدِسُ ^(١) تَقِيَّبُ
المجلس ومُرْتَبِ القوم .

فَسُئِلَ الْبَصْرِيُّ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَظْهَرَ أَنَّ فِي بَقِيَّةِ عِلَّتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ
عَلَى الْكَلَامِ .

٥ ثم قام عليّ بن عيسى الشيخُ الصالح وقال : هذا مجلسٌ يُنْتَهَى ^(٢)
بَحْضُورِهِ لَشَرَفِهِ ، وَيُفْتَخَرُ بِالْكَلامِ فِيهِ لَكثْرَةِ مَنْ يَعْرِفُ وَيُنْصَفُ ،
وَالْمُغَالَطَةُ فِيهِ مَأْمُونَةٌ ، وَلَيْسَ فِي كُلِّ أَوَانٍ يَتَّفَقُ هَذَا الْجَمْعُ ، وَبَيْنَنَا
وَبَيْنَ هَذَا الشَّيْخِ ، يَعْنِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، مَسْأَلَةٌ مِنْ أَجْلِهَا وَمِنْ أَجْلِ
نَظَائِرِهَا قَدْ اسْتَجَازَ تَكْفِيرَنَا وَتَفْسِيقَنَا وَالتَّشْنِيعَ عَلَيْنَا وَتَنْفِيرَ الْمُقْتَبِسِينَ

— المتوفى سنة ٣٦٧ أو ٣٦٨ هـ . المنتظم ٧ / ٩١ - ٩٢ ، عقد الجمان (سنة ٣٦٧)
اليتيمة ٢ / ١٤ (بيروت) عيون التواريخ (١١ / ٤٩ . أحمد الثالث) تاريخ الإسلام
(أيا صوفيا ٣٠٠٨ ، ١٢ / ٨١ ب) ، الهداية ١١ / ٢٩٢ ، أبو الفداء ٢ / ١٢٢
— ١٢٣ ، الوفيات ١ / ٦٥٥ .

(١) محمد بن محمد بن يحيى البوزجاني المتوفى سنة ٣٨٧ هـ . وصفه أبو حيان
في الصداقة ٣٢ . وترجمته في فهرست ٣٩٤ - ٣٩٥ ، تاريخ أبي الفداء ٢ /
١٤٠ ، تمة صوان الحكمة ١٤٧ | (نسخة كوبريني) ، أخبار الحكماء ١٨٨
— ١٨٩ ، الوفيات ٢ / ١٠٦ .

(٢) انتهى بالشئ : أنس به وأحب القرب إليه .

منا ، وها أنا قد ابتديتُ سائلاً فليُنصُرْ مذهبه كيف شاء ، وإنما هو دينٌ ، فيجب أن نبحث عنه من العارفين .

فقال عز الدولة : كلامٌ منصف ، ما أسمع بأساً ولا أرى ظنةً ، يَحْتُ بذلك على الجواب .

فاصفرَّ أبو عبد الله وقلق ، وفطن أبو الوفاء وكان ضلعه^(١) معه ، وصفوه له ، فحال بينه وبين الأمير وقال : الشيخ عليل ، وإنما حضر للخدمة ، وبعض غلمانه ينوب عنه ، ولا ينبغي أن يتعب فيحمي جسمه ، ويخاف نكسه ، ويصير ما قصد من قضاء حقه في التجميل بحضوره سبباً للتألم .

ثم أقبل أبو الوفاء على علي بن عيسى فقال : يكلمك أيها الشيخ ١٠ من غلمانه من تحب .

فقال : لا حاجة إلى الكلام مع غلمانه ، إنما كان الكلام معه هو القصد ، لأن الاجتماع بيننا يقل ، ولأن الخُصومة تكون معه الفيصل ، وذاك أنه يكتب كلامي سائلاً ، وكلامه مجيباً ، ثم لا نزاع .

فأما أصحابه فإنهم يكلمون أصحابي وذلك قائم بينهم ، وكانت ١٥

(١) ضلعه : ميله .

البغية قطع المادّة ، وحسنم الشّعب ، وبلوغ الحدّ ، وإذا وقع الإباء
فلا لجّاج ، وإذا عُرف المراد فلا حجاج .

ثم قال عز الدولة : هاتوا شيئاً آخر قبل أن يتصرّم النهار بما ليس
له درّ ، وكان فصيحاً .

ه فأعرض ^(١) أبو الجيش الخراساني وكان متكلم الشيعة ، فسأل عن
القرآن وقال : أروني من القرآن تنزيلاً على هيئته الأولى حين نزل به
جبريل على قلب محمد صلى الله عليه ، فتلاه على أمته بلسانه ، فإني أجد
عند حملته اختلافاً كثيراً في تحريفه وتصحيفه ، ونقصه وزيادته ،
وإعرابه وغريبه ووضعه وترتيبه ؛ ولهذا وأشباهه اختلف في تأويله ،
١٠ وشك في تنزيله ، وكثر خوض الناس فيه وفي تفسيره ، والاحتجاج
له ؛ وقد سبق علمي أن كلام الله لا يكون في حكم كلام عباده ، وأن
ما يجوز على ذلك لا يجوز على هذا ، لأن الله حكيم كريم رحيم ،
والحكمة والكرم والرحمة تأبى ما تصفون به كتاب ربكم ،
وتستجيزونه في كلام خالقكم .

[٦٤-ب] ١٥ قال : وهذا الذي قلت بين معروف ؛ القراءة تختلف / ضرباً

(١) أعرض : ظهر .

من الاختلاف ، والنقطة تختلف ضرباً آخر ، والفقهاء تختلف على قدر ذلك ضرباً آخر ، وكذلك أصحاب الكلام ؛ وحتى أفضى هذا إلى طعن الزنادقة فيه ، وانجرّ عليه قدح الملحدين به ، وقال كلاماً كثيراً من هذا الجنس ، فكلمهم كاع^(١) عن الجواب ، وكاد أبو الجيش بعد تذرّعه بالقول يَشمّت ويبالغ في التشنيع .

٥

فقال عزّ الدولة : يا أبا الجيش أنت في معركة لا مبار لك فيها ، فأفر كيف شئت وذر ، والله المستعان .

فانبرى أبو حامد وتكلم بلاء فيه ، ومحقّ أبا الجيش ويبيّض وجوه الناس .

فلما خرج قال له محمد بن صالح الهاشمي : لقد دعمت الاسلام ١٠ بدعامة لا يُزعزعها الزمان ، ولقد حصّنت الدين حصانة الله يحزيك عنها ، ورسوله صلى الله عليه يُكافئك عليها .

ولولا أن هذه الرسالة لا تتحمل المسألة والجواب بما فيها من فنون القول لأتيت بالجلس على وجهه .

(١) كاع : جبن .

فهذا كان اقتدار البصريّ جُعِلَ^(١) في المناظرة ، وقوّته عند لقاء الخصم ونُصرة المذهب والدين .

ولقد ذكّرنا عينا عشرين سنةً على صاحب بغداد لصاحب^(٢) حتى آلت الأمور إلى ما عرفه الصّغير والكبير بأصحابه أصحاب المحابر والأقلام والكراريس .

ولقد بلغ من قلّة دينه أنه صنّف رسالة ذكر فيها الدّلالة على أنه^(٣) هو المهدي المنتظر. [قال] ^(٤) : فإن معنى المهدي أن الله هدّاك ، وهدى أهل العدل والتوحيد لك ؛ وأمّا المنتظر فلأنّا كنّا ننتظرُك بالعراق ؛ وهذه الرسالة مشهورة آخر ما رأيتها عند أبي عبد الله المذهب مكتوبةً بالذهب ، وحملت في جُملة الهدايا إلى قابوس^(٥) .

(١) بوزن هبل : لقب أبي عبد الله البصري . ذكره ابن حجر في « الألقاب » ، ويأتي في شعر الصاحب .

(٢) بياض بالأصل .

(٣) يعني الصاحب ابن عباد .

(٤) تكملة لا بد منها .

(٥) شمس المعالي قابوس بن وشمكير الديلمي صاحب جرجان ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ . عيون التواريخ (سنة ٣٦٦ ، ٣٠٤) أبو الفداء ٢ / ١٢٥ ، ١٥٠ ، المنتظم ٧ / ٢٦٤ - ٢٦٥ ، الإرشاد ٦ / ١٤٣ - ١٤٤ ؛ وفي الامتاع ٢ / ١١٧ إشارة إلى الهدايا وشهرتها .

وسمعتُ أبا محمد الفرغانيّ الحنفي يقول : ما خلوتُ بفكري في
أمرٍ ومُلازمتي هذا الرجلَ — يعني البصريّ — إلا ظننتُ أن الله
تعالى يُرسل عليّ صاعقةً أو يجعلني آيةً وعبرةً باقية .

وأما ابن أبي كانون ^(١) فإني قلتُ له يوماً : مالي أراك واجماً من
غير عارضٍ ، وطويل السكوت من غير عيٍّ ، وكثير الفكر من
غير وسواس ، وشديد الحزن من غير إفلاس ؟ ليس لك أنسٌ بالجماعة ،
ولا تفكُّ بالمحادثة ، ولا استمتاعٌ بالمجالسة ، بعد ما عهدتُك في حديثانٍ
مقدمك وأنت تتقد كالنار ، وتزخر كالبحر ، وتأرن ^(٢) كالهمر ، وتذكو
كالعنبر .

فقال : ومن أولى بالبال الكاسيف والغمّ الطويل والأرق الدائم
مني ؟ فارقتُ وطني وأهلي وإخواني ومعارفي وجميع ما كنتُ آلفه وأحيا
به ، وأشتّم روح العيش منه ، وتجرّعتُ مرارة بُعدي عنهم ، وصبرتُ
نفسي على ما نالهم بخروجي من بينهم وسلوتي دونهم ، وما نزل بي بعدهم
من جفاء الغربة ووحشة الوحدة ، وشظف العيش بالقلّة — كلُّ ذلك طمعا
فيما أبرّد [به] ^(٣) غليل قلبي في الدين والمذهب ، وأنفي به الحرج ١٥

(١) ورد ذكره في الصداقة ٢٤ .

(٢) أرن : مرح ونشط .

(٣) تسكّلة يدل عليها ما بعدها .

من صَدْرِي وَأَسْعَدَ ، وَأَنْ آخِذٌ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ مَا أَهْتَدِي بِهِ وَأَسْكُنُ
إِلَيْهِ ، وَأَجْعَلُهُ عُدَّةً لآخرتي . وَالآنَ قَدْ حَصَلْتُ — بَعْدَ الدَّرَاسَةِ الطَّوِيلَةِ
وَالْمُنَازَعَةِ الشَّدِيدَةِ وَبَعْدَ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ وَالْكَشْفِ وَالْجَدَلِ ، وَبَعْدَ
اعْتِبَارِ هَذَا الشَّيْخِ فِي نَفْسِهِ وَسِيرَتِهِ وَمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَالْمُقَدِّمِينَ^(١)
عِنْدَهُ — عَلَى حَالِ عَسْرَاءَ ، وَغَايَةِ تَحْيَاءَ ، وَمَا أَرَاهُ إِلَّا صَاحِبَ دُنْيَا يَعْمَلُ
لِلْعَاجِلَةِ ، وَلَا أَرَى أَصْحَابَهُ الْمُطِيفِينَ بِهِ إِلَّا كَذَلِكَ ، وَإِنْ هَذَا مِمَّا يُؤْلِمُ
الْقَلْبَ ، وَيُفَرِّقُ الْبَالُ ، وَيَحْشِدُ الْهَمَّ ، وَيَنْفِرُ النَّاسَ ، وَيُوقِعُ الْيَأْسَ ؛
فَلِذَلِكَ مَا تَرَانِي عَلَى غَيْرِ مَا عَهَدْتَنِي عَلَيْهِ .

وَأَمَّا ابْنُ بُنَانَ الْوَرَّاقُ فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ :

لَقَدْ خَطَبَ الْبَصْرِيَّ عَلَى الْإِسْلَامِ بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الرُّومُ وَالتُّرْكُ . ١٠

قُلْتُ : وَكَيْفَ ذَاكَ وَأَنْتَ لَا تَرَى الْيَوْمَ بَغْدَادَ مَجْلِسًا أَهْبَى مِنْ
مَجْلِسِهِ ، لَمَّا يَجْتَمِعُ فِيهِ مِنْ مَشَايِخِ الْعِرَاقِ وَشَبَّانِ خُرَاسَانَ ، وَفُقَهَاءِ كُلِّ
مِصْرَ ، وَمَا فِي هَؤُلَاءِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ دَاعِيَةً صُتِّعَ
وَأِمَامَ بَلَدٍ ؟

فَقَالَ لِي : صَدَقْتُ ، فَهَلْ تَعْرِفُ فِيهِمْ مَنْ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّ قَلْبُهُ ١٥

(١) لَعْلُ الْأَوَّلَى : « وَالْمُقَدِّمُونَ » .

واقشعَرَّ جِلْدُهُ ، واطْمَأَن صَدْرُهُ ؟ أَوْ إِذَا سَمِعَ مَوْعِظَةً دَمَعَتْ عَيْنُهُ وَخَشَعَتْ
نَفْسُهُ أَوْ سَمِعَ نَشِيجَهُ ؟ وَإِذَا عَرْضَتْ لَهُ مَنَالَةٌ عَفَّتْ نَفْسُهُ ؟ أَوْ إِذَا هَاجَتْهُ
شَهْوَةٌ ^(١) اتَّقَى عِنْدَهَا رَبَّهُ ؟ أَوْ إِذَا لَزِمَهُ إِنْكَارُ أَمْرٍ بَذَلَ فِيهِ وَسْمُهُ ؟

أَمَّا تَرَى اللَّعِبَ وَالْمِزَاحَ وَالسَّفَهَ وَالْقِحَّةَ وَالتَّجْلِيحَ ^(٢) وَالْفُسْقَ
وَالْفُجُورَ فَاشِيَةً فِيهِمْ ، وَغَالِبَةً عَلَيْهِمْ ، وَظَاهِرَةً بَيْنَهُمْ ؟

أَمَّا لَكَ فِي الرَّازِي أَبِي الْفَتْحِ عِبْرَةٌ ؟
أَمَّا لَكَ بَابُ طَرْخَانَ خَبْرَةٌ ؟ فَمَا زَالِ يَقُولُ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ حَتَّى
سَدَدَتْ وَقَطَعَتْ عَلَيْهِ .

وَكَانَ أَبُو إِسْحَاقَ النَّصِيبِيِّ ^(٣) مِنْ أَفْسَقِ الْفَاسِقِينَ ، وَهُوَ يُلَقَّبُ

بِمُقَدَّمَةٍ ^(٤) ، لَا أَعْلَمُ فِي الدُّنْيَا قَاذُورَةً إِلَّا أَتَاهَا / ، وَلَا خَسَاسَةً إِلَّا أَظْهَرَهَا ١٠ [٦٥-١]

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَوْ إِذَا هَاجَهُ شَهْوَةٌ » .

(٢) التَّجْلِيحُ : الْإِقْدَامُ عَلَى الشَّرِّ ، وَالْمُسْكَابَةُ .

(٣) إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ الْمُتَكَلِّمِ الْمُعْتَزَلِيِّ ، كَانَ مِنْ غُلَامَانِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيِّ
جُمُلًا ، وَكَانَ الصَّاحِبُ قَدْ طَلَبَ مِنْ جُمُلٍ أَنْ يَنْفِذَ إِلَيْهِ رَجُلًا يَدْعُو بِعِلْمِهِ وَعَمَلِهِ
إِلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزَلَةِ ، فَأَنْفِذَ إِلَيْهِ النَّصِيبِيَّ هَذَا ، وَكَانَ حَسَنَ اللَّفْظِ وَالْحِفْظِ ، وَكَانَ
لَمْ يَنْفُقْ عَلَى الصَّاحِبِ لِشِرَاسَةِ خَلْقِهِ ، فَأَكْرَمَهُ وَأَمَرَهُ بِالْإِنْصِرَافِ . وَيَقُولُ
أَبُو حَيَّانَ (الْإِمْتَاعُ ١ / ١٤١) فِي وَصْفِهِ : وَأَمَّا أَبُو إِسْحَاقَ النَّصِيبِيُّ فَدَقِيقُ
السَّكَلَامِ ، يَشْكُ فِي النَّبَوَاتِ كُلِّهَا ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ فِيهَا شُبُهَاتًا ، وَلَهُ أَدَبٌ وَاسِعٌ .
الْوَافِي (شَهِيدٌ عَلَى ١٩٦٩ ، الْوَرَقَةُ ٤٦ ط) ، الصَّدَاقَةُ ٢٣٣ ، الْمُنْتَظَمُ ١٧٩ / ٧ ، الْمَقَابِسَاتُ
٣٣ ، ٣٢ .

(٤) صَحَّفَتْ فِي الْإِمْتَاعِ ١ / ١٤١ إِلَى : « وَلَفْتُهُ مَعْقُودَةٌ » .

وجاهر بها ، هكذا كان ينفذ ، ثم بالدينور عند أبي عمرو كاتب فخر الدولة الإصبهاني ، وحديثه بإصبهان مشهور ، وكذلك بالصيمرة ، وكيف أكل في نهار شهر رمضان من غير عُذر ، وكيف تهتك بجماعة من الأحداث . نعوذ بالله من الخذلان .

٥ وحديثنا أبو سليمان محمد بن ماهر السجستاني ، وكان بعيداً من التزيّد شديد التّوقي ، قال : حضرت وليمةً في قطعة الربيع ، فلقيني فيها البصريُّ أبو عبد الله ، فجلس إلى جانبي ، وتصرف في الحديث معي ، وأرّخى عنائه إليّ إلى أن قال لي : يا أبا سليمان ، هل وجدتم في فلسفتكم شيئاً تسكنون إليه ، وتعتمدون عليه ؟ فأنا من الكلام ومذاهب أهل الجدال على غرور^(١) .

قال : فسكت^(٢) من أجل الموضوع ، وقلت :

الناس أخفاف وشقي في الشيم وكاهم يجمعهم بيت الأدم^(٣)

فقال : آخر ما عندي أن الأدلة تشككنا ، وأن المذاهب والآراء

(١) الغرور : الأباطيل .

(٢) في الأصل : « قال : فسكت منه من أجل » .

(٣) البيت في اللسان (أدم) ، ويعبرون الأسماء ٢ / ٢ برواية

« الناس أسواء »

والأخفاف : المختلفون . في الأصل : « وكلهم يجمعهم » .

والنَّحْلُ جَارِيَةٌ بَيْنَ أَرْبَابِهَا عَلَى قُوَّةِ النَّتَائِجِ وَضَعْفِهَا^(١)، وَجَوْدَةِ الْعِبَارَةِ وَرَدَائِعِهَا .

قال : وَقُلْتُ لَهُ : مَا بَعْدَ نَظَرِكَ نَظَرَ ، وَلَا بَعْدَ تَحْصِيلِكَ تَحْصِيلَ ، وَانْتَهَى .

وَأَمَثَلُ مَنْ شَاهَدَنَاهُ عِنْدَنَا بِنِغْدَاذٍ : الْوَاسِطِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ^(٢) . وَكَانَ هَـ
يَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْبَصْرِيِّ جُعَلٌ ، وَيَلْعَنُهُ عِنْدَ الْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ تَقَرُّبًا
إِلَى اللَّهِ .

وَكَانَ ابْنُ الثَّلَاجِ يَقُولُ : حَكَّمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ عَبَّادٍ وَفُلَانٍ ،
فَانْهَمَا سُلْطَا هَذَا الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الْمَكَانِ حَتَّى أَفْسَدَ مَنْ أَجَابَهُ إِلَى
الْمَذْهَبِ ، وَنَفَرَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ فِي « الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ » . ١٠

وَسَمِعْتُ الْفَرَّغَانِيَّ يَقُولُ : لَوْلَا أَنِّي لَا أَعْرِفُ فِي جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ أَقْوَى
مِنْ مَذْهَبِ الْمُعْتَزَلَةِ لَنَادَيْتُ عَلَى أَصْحَابِي بِمُخَازِيهِمُ الَّتِي يَشْتَمَلُونَ عَلَيْهَا
وَيُجَاهِرُونَ بِهَا ، فِي الْأَسْوَاقِ وَالشُّوَارِعِ ، بَلْ فِي الْمَحَاضِرِ^(٣) الْمَشْهُورَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « قُوَّةُ السَّامِخِ وَضَعْفُهَا » .

(٢) فِي الْبَصَائِرِ ٣ / ٤٤ ط : « . . . كَانَ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى بِخَيْلًا جَعَدَ الْبَنَانِ ،
هَكَذَا قَالَ لَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْوَاسِطِيُّ الْكَاتِبُ ، وَكَانَ شَيْخُ أَصْحَابِ الْجِرَاحِ ، وَزَعَمَ
أَنْ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى كَانَ شَدِيدَ النِّفَاقِ كَثِيرَ الْحِيلِ ، وَلَيْتَ زَمَانَنَا يُسَمِّحُ بِمِثْلِهِ » .

(٣) الْمَحَاضِرُ : الْمَجْتَمَعَاتُ وَالْمُحَافِلُ .

والمنابر الرفيعة ، ولكن لهم حُرمة الدعوى وذِمَام النَّسَب إلى المقالة ،
ورجاء في الإقلاع والتَّوبَة ، فإن اليأس غيرُ غالبٍ مادامت الاستِطاعةُ
موجودةً ، والنزوع ممكناً ، والتَّلافي مَظنوناً .

ه ذاك حديثُ ابنِ عَبَّاد ، وهذا حديثُ شيخه وإمامه ومُرْشده
بزعمه ، وهو المرشد والهَادِي لمن أَخَذَ عنه واقتدى به . يا قوم ! أين
يُذهَبُ بكم ؟ ! ما هذا العمى الذي قد غلبَ عليكم ، والهوى الذي
قد أَصَمَّ آذانكم وأعمى أَبْصَاركم ؟ وما هذا الأمرُ الذي قد حالَ
دونَ العَيَان ، وطمسَ وجهَ الرُّشد ، وقلبَ أثرَ الحِسِّ ؟ أليس هذا
القائلُ في مجونه وتلعُّبه بِدينه :

١٠ مِنْ عَمَلِي مِنْ عَمَلِي نِيكَ الرِّجَالِ الْبُزْلِ
وَإِنَّا أَنَا أَنْيَكُكُمْ لَأَنِّي مُعْتَزِلِي
تَأْمِيذُ شَيْخِ فَاضِلٍ مُلَقَّبٍ بِالْجُعَلِ (١)

أفَهكذا يَكُونُ مَنْ كَانَ عِمَادَ الدِّينِ ، وناصرَ الإسلامِ والمُسامين ؟
الويلُ لَهُ ، ثم الويلُ لمن يتولاه وينصُرُهُ .

(١) في اليقظة ٣ / ١٧٩ والارشاد ٢ / ٣٢٧ - ٣٢٨ : قال صاحب : قال
لي فخر الدولة يوماً ، وقد خرج عن الحشمة على غير عادته : بلمني أنك تقول :
« المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال » ؛ فأظهرت الكراهة ونهضت
كالمغاضب ، فاعتذر إليّ .

قال يوماً لابن فشيша صاحب مصطبة المكدن بالري :

لا تُبْطِئَنَّ عن اللذات إن حضرت لكن تَبَنِّكَ ولا تحفل بتأنيب
ولا تَزُقَّ إذا مانلت ذاك وبت مع شَوَزَرِ^(١) وافر الأرداف محبوب
فالصمي^(٢) والمتر من^(٣) بعد القشام به طيب الحياة فلا تعدل عن الطيب
خذ في القشام وخذ في الصمي بالكوب

٥

فالدهر يمزج تكسيحاً بتهريب
أفهدا كلام من يدعو إلى الله ، ويحب أن يستجاب له ، ويُجرى^(٤)
على طريقته ، ويكون ذريعة بين الله والعبد ؟

هذا — خافك الله — باللعنة أولى ، وبالبراءة منه ومن أصحابه

أحق . ما أقل حياء هؤلاء وأشد تكاذبهم ومكابرتهم !

١٠

وإذا ضربت عن باب الدين ، ورجعت إلى الكفاية التي زعم أنه
بها تكفى ، وأنه كافي الكفاة ، وأنه واحد الدنيا .

هل كان يعرف من الحساب باباً ؟

هل عقد جماعة ؟

(١) الشوزر : الغلام الأمرد .

(٢) الصمي : الصبياء من الخمر .

(٣) المتر : النيك .

(٤) في الأصل : « ويجزى » .

هل عُقدت له فتكلم عليها ؟

هل قرأ مؤامرة ^(١) ؟

هل عرف منها حد ^(٢) ؟

هل أمكنه أن يحتج على عامل أو يناظر ناظراً ؟

هـ أو يُخاطب مُشرفاً ، أو يرسم في العمل رسماً ، أو يُجيب عن

كتاب واحد في العمالة ؟

وفيما يتعلق بأبواب النظر في العمارة ، هل ناظر خائناً مُقتطعاً ،

أو استدرك مالا مُختلساً ؟

هل فصل حكومة بين كاتبين ، أو قطع خصومة بين جُنديين ؟

١٠ هل رأينا ثمَّ إلا الرقاعة والتدفق ^(٣) ، والجنون والهديان ، والتسائل ^(٤)

والتمايل ، والببقة ^(٥) والطققة ^(٦) ، والقرقرة والبربرة ؟ إلا أنه غلط

(١) في مفاتيح العلوم ٣٨ : « المؤامرة : عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة

في مدة أيام الطمع (رزق الجند) ، ويوقع السلطان في آخره بأجازه ذلك ، .

(٢) كذا

(٣) التدفق : الاعوجاج .

(٤) كأنه يعني : المبع والخنث .

(٥) الببقة : كثرة الكلام .

(٦) الططققة : الضجيج والضوضاء .

فيه ووثق به ، ووكل إليه الرأي ، ولم يؤذن لأحد في تحريكه بكلمة ، ولا في مضاداته بحرف ، حتى تم له ذلك كله بأسهل وجه مع الجدل المواتي ، والأمر المنقاد ، وحسب أن يعتقد أن ذلك عن كفاية في الصناعة وحذق في العمل ، وسعة علمه بالسكتابة الديوانية والرُسوم الخراجية .

وُسئل يوماً عن قول الشاعر ^(١) :

سَقَوْنِي النَّسِيَّ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
فَقَالَ : الحُرُّ تَسْمَى نَسِيًّا .

فَقِيلَ لَهُ : وَلَمْ ؟

فَقَالَ : لَيْسَ لِلْأَسْمَاءِ عِلَلٌ .

/ فلما خلوت بالزغفراني الشاعر قال لي : أخطأ ، فإن الأسماء ضرب ^(١) [٦٥-ب]
منها مُبتدأ ^(٢) ، فالغرض فيه اختصاصُ العين به ليقع التمييز بينه وبين
غيره ، وضرب آخر يؤخذ من أصل الفعل ^(٣) وهو الذي سمي مُشتقاً ^(٤)

(١) هو عروة بن الورد ، أو النمر بن تولب ، اللسان (نساء) ، وديوان

عروة ٨٩ ، وكتاب سيبويه ١ / ٢٥٢ .

(٢) يعرف اليوم في كتب النحو : « المرتجل » .

(٣) في الأصل : « العقل » ، تصحيف .

(٤) هو المعروف في كتب النحو : « المنقول » .

لِتَكُونَ^(١) فِيهِ دَلَالَتَانِ : دَلَالَةٌ كَدَلَالَةِ الْأَوَّلِ فِي اخْتِصَاصِ الْعَيْنِ ،
وَدَلَالَةٌ عَلَى النِّعَةِ .

وَالنَّسْبُ فِي أَسْمَاءِ الْخَمْرِ مِنَ الضَّرْبِ الثَّانِي ، لِأَنَّ الْخَمْرَ تَنْسَأُ الْعَقْلَ أَيُّ
تُؤَخِّرُهُ ، وَقَالَ : هَذَا قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ .

فَقُلْتُ لَهُ : هَلَّا قُلْتَ هَذَا فِي الْمَجْلِسِ ؟ ٥

فَقَالَ : لَوْ قُلْتُ هُنَاكَ لَمَّا وَجَدْتَنِي عَنْدَكَ قَاعِدًا مَطْمَئِنًا .

قُلْتُ : صَدَقْتَ ، الرَّجُلُ حَسُودٌ .

فَقَالَ : وَلِرَبِّهِ كَدُودٌ^(٢) ، وَلِآيَاتِهِ عَنِيدٌ^(٣) ، كَأَنَّهُ مِنَ الْيَهُودِ ،
أَوْ مِنْ بَقِيَّةِ نَحُودٍ .

١٠ وَلَقَدْ غَضِبَ يَوْمًا مِنْ شَيْءٍ رَوَاهُ الْمِصْرِيُّ ، وَحُجِّبَهُ أَيَّامًا ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ
رَوَى أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ^(٤) ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وَعَاءٌ ،
وَحَجَرِي لَهُ حِوَاءٌ ، وَثِدِّي سِقَاءٌ ، وَزَعَمَ أَبُوهُ أَنَّهُ يَنْزِعُهُ مِنِّي .

(١) فِي الْأَصْلِ « لِيَكُونَ » .

(٢) إِمَارَةٌ إِلَى الْآيَةِ ٦ مِنْ سُورَةِ الْعَادِيَّاتِ .

(٣) إِمَارَةٌ إِلَى الْآيَةِ ١٦ مِنْ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ .

(٤) بَعْضُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي اللِّسَانِ ١٨ / ٢٣٧ ، وَالنِّهَايَةِ ١ / ٢٧٣ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ^(١) أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكُحِي .
وكان غضبه من الحسد، لأنه رَوَى هذا في عُرْضِ حَدِيثٍ بِفَصَاحَةٍ
وتسهّل .

وله مثلُ هذا كثير ، كان لا يستطيع أن يسمع من أحدٍ
كلاماً منظوماً .

قال لأبي السلم مسلم الأعرابي يوماً : ما خبرك مع فلان ؟
قال : انقلبتُ عنه خاسئاً وأنا حَسِيرٌ .
قال : لا تلتجع أمثاله .

قال : أيها الصّاحب ، ما أعامني بمطان الرجاء والخيبة ! ولكنني
ربما اغتررتُ بالشكِّ اغتراراً ، وانجرتُ على الشوكِ انجراراً ، وآخر ١٠
دعواي أن الحمد لله الذي لم يقطع أملي من خيره حتّى غمرني بأيادي غيره ،
وذاك أنت .

وكان حسده لغيره على فصلِ حسن ، ولَفْظِ حُرٍّ ، بقدر إعجابه
بما يقوله ويكتبه ؛ كتب يوماً إلى إنسان :

« وأقسم أنك لو كتبتَ بأجنحة الملائكة المقربين على جباهِ الحُورِ ١٥
العين، مستمداً من أحداق الولدان المخلّدين، جوازاً على الصّراط المستقيم
إلى جنّات النّعيم لما حسنَ هذا البخل » .

(١) « وسلم ناقصة من الأصل . »

فَأَخَذَ يُعِيدُ هَذَا وَيُبْدِيهِ ، وَيَقُولُ : كَيْفَ تَرَوْنَ ؟ وَكَيْفَ تَسْمَعُونَ ؟
وَهَلْ قَرَأْتُمْ شَبِيهَهُ ؟

وَرَوَى فِي مَجْلِسِهِ يَوْمًا ابْنُ ثَابِتِ الْبَغْدَادِيِّ ^(١) حِكَايَةَ الْخَلِيلِ ^(٢) ،
فَأَحْسَنَ سِيَاقَتَهَا وَإِمَارَهَا ، فَحَجَّجَهُ أَيَّامًا وَأَخَّرَ عَنْهُ رُسْمَهُ . وَقَالَ :
تَبَسَّطَ فِي مَجْلِسِنَا ، وَاسْتَحْفَرَ ^(٣) بِحَضْرَتِنَا ، وَتَرَكَ تَوْقِيرَنَا وَهَيْبَتَنَا ،
حَتَّى تَشْفَعَ فِي أَمْرِهِ أَبُو الْحَسَنِ الطَّبِيبُ وَغَيْرُهُ فَعَادَ لَهُ عَلَى تَشَفٍّ .
وَأَنَا أَسُوقُ حِكَايَةَ الْخَلِيلِ حَتَّى تَكُونَ فَائِدَةً فِي هَذَا الْكَلَامِ
الَّذِي قَدْ نَشِينَا فِيهِ .

قَالَ الْخَلِيلُ : دَخَلْتُ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ^(٤) وَهُوَ وَالِي الْبَصْرَةِ
١٠ فَوَجَدْتُهُ يُسْقِطُ فِي كَلَامِهِ ، فَجَلَسْتُ حَتَّى انصَرَفَ النَّاسُ .

(١) أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتِ الْبَغْدَادِيِّ أَحَدُ الْفَضَلَاءِ .

(٢) أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ النَّحْوِيُّ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ١٧٠ هـ
عَلَى خِلَافٍ . الْوَفَايَاتُ ١ / ٢١٦ ، أَخْبَارُ النَّحْوِيِّينَ لِلْسَّيْرَانِيِّ ٣٨ ، الْمَعَارِفُ ٢٣٦ ،
الْفَهْرَسْتُ ٦٣ - ٦٤ ، طَبَقَاتُ ابْنِ الْمَعْتَزِ ٩٦ - ٩٩ .

(٣) اسْتَحْفَرَ : اتَّسَعَ فِي كَلَامِهِ .

(٤) هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَالِي الْبَصْرَةِ وَعُمَانُ وَالْبَحْرَيْنِ
مَنْ قَبْلَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٤٢ . الْمَعَارِفُ ١٦٤ ، وَانْظُرْ طَبَقَاتُ
الزُّبَيْدِيِّ (نُورُ عُثْمَانِيَّةٍ ٢٢) . وَفِي طَبَقَاتِ ابْنِ الْمَعْتَزِ ٩٩ : أَنَّهُ سُلَيْمَانُ بْنُ قَبِيصَةَ بْنِ يَزِيدَ
ابْنِ الْمُهَلَّبِ وَالِي السَّنَدِ ، وَكَذَلِكَ فِي الْأَنْبَاءِ ١ / ٣٤٤ ، وَانْظُرْ الْوَفَايَاتُ ١ / ٢٤٣ .

فقال : هل من حاجةٍ أبا عبد الرحمن ؟

قلت : أ كبرُ الحوائج .

قال : قل ، فإن مسائلك^(١) مقضية ، ووسائلك قوية .

قلت : أنت سليمان بن عليّ ، وكان عليّ في العلم عليا ، وكان
عبد الله بن العباس الحَبَرُ والبحر ، وكان العباس بن عبد المطلب إذا تكلم
أخذ سامعه ما يأخذ النشوان على نقر العيدان ؛ وأراك تُسقط في كلامك ،
وهذا لا يشبه منصبك ومختدك .

قال : فكأنما فقيء في وجهه الرمان خجلاً .

فقال : لن تسمعه بعدها ، فاحتجب عن الناس برهة ، وأكب على
النظر ، ثم أذن للناس في مجلس عام ، فدخلت عليه في ثمة من الناس ،
فوجدته يفصح حتى خيلته معذ بن عدنان . فجلست حتى انصرف
الناس .

فقال : كيف رأيت أبا عبد الرحمن ؟

قلت : رأيت كل ما سر في الأمير ، وأنشدته^(٢) :

(١) بالحاشية : « قل فإن حوائجك » .

(٢) الأبيات في طبقات النحويين للزبيدي ٢٤ (نور عثمانية) ، وانظر عيون

الأخبار ٣ / ١٨٩ ، وأمالى القالي ٢ / ٢٦٩ .

لا يكون السَّرِّيُّ مثلَ الزَّرِّيِّ لا ولا ذو الذِّكَاةِ مثلَ الغَبِّيِّ
 لا يكون الأَلَدُ ذو المِقْوَلِ المُرِّ هَفَّ عند الخِصَامِ مثلَ العَبِيِّ
 قيمةُ المرءِ كلُّ ما يُحَسِّنُ المَرْءَ قَضَاهُ من الإمامِ عَلِيٍّ
 أيُّ شيءٍ من اللِّبَاسِ عَلَى ذِي السَّـمْرِ أَرْوَاهُ من اللِّسَانِ السَّرِّيِّ
 ٥ ينظم الحجة الشَّيْخَةُ في السُّنْدِ من القَوْلِ مثلَ نَظْمِ الهَدْيِ
 وَتَرَى اللَّحْنَ فِي لِسَانِ أَخِي الهِمَّةِ مِثْلَ الصَّدَا عَلَى المَشْرِفِ
 فَاطِلِبِ النُّحُوِّ لِلْقُرَآنِ وَلِلشَّعْرِ مُقِيمًا والمُسْنَدِ المُرْوِيِّ
 وَالخَطَابِ البَلِيغِ عِنْدَ حِجَابِ قَوْمٍ يُزْهِى بِمِثْلِهِ فِي النَّدِيِّ
 كُلُّ ذِي الجَهْلِ بِالفُنُونِ يُعَادِي هَا وَيُزِرِي مِنْهَا بَغِيرَ الزَّرِيِّ
 ١٠ قال : وانصرفتُ . فشيَّعني غلامُهُ عَلَى كَتِفِهِ بِدَرَّةٍ فَرَدَدْتُهَا عَلَيْهِ ،
 وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ (٣) :

أَبْلِغْ سَلِيحَانِ أَنِّي عَنْهُ فِي سَعَةٍ وَفِي غِنَى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالٍ
 سَخَى بِنَفْسِي أَنِّي لَا أَرَى أَحَدًا يَمُوتُ هَزَلًا وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ

* * *

وَالرُّزْقُ عَنْ قَدَرٍ لَا الْعَجْزُ يَدْفَعُهُ وَلَا يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلٌ مُحْتَالٍ
 ١٥ وَقَالَ يَوْمًا : « فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ » قَلِيلٌ ، وَزَعَمَ أَصْحَابُنَا النَّحْوِيُّونَ

أَنَّهُ مَا جَاءَ إِلَّا زَنْدٌ وَأَزْنَادٌ^(١) ، وَفَرَخٌ وَأَفْرَاخٌ ، وَفَرْدٌ وَأَفْرَادٌ .
فَقُلْتُ : أَنَا أَحْفَظُ ثَلَاثِينَ حَرْفًا كُلَّهَا « فَعَلٌ وَأَفْعَالٌ » .

قال : هَاتِ يَا مُدَّعِي ! فَسَرَدْتُ الحُرُوفَ / وَدَلَّلْتُ عَلَى مَوَاضِعِهَا
من الكتب .

ثم قلتُ : وَلَيْسَ لِلنَّحْوِيِّ أَنْ يَجْزِمَ مِثْلَ هَذَا الْحُكْمِ إِلَّا بَعْدَ
التَّبَحُّرِ وَالسَّمْعِ الْوَاسِعِ ، وَلَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ وَجْهٌ إِذَا كَانَتِ الرَّوَايَةُ
شَائِعَةً ، وَالْقِيَاسُ مَطْرَدًا ، وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ : فَعِيلٌ عَلَى عَشْرَةِ أَوْجُهٍ ،
وَقَدْ وَجَدْتُهُ أَنَا عَلَى أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ وَجْهًا ، وَمَا انْتَهَيْتُ فِي التَّبَعِ
إِلَى أَقْصَاهُ .

فَقَالَ : خُرُوجُكَ مِنْ دَعْوَاكَ فِي فَعْلٍ يَدُلُّنَا عَلَى قِيَامِكَ بِالْحُجَّةِ فِي
فَعِيلٍ ، وَلَكِنَّا لَا نَأْذَنُ لَكَ فِي اقْتِصَاصِكَ ، وَلَا نَهَبُ آذَانَنَا لِكَلَامِكَ ،
وَلَمْ يَفِ مَا أَتَيْتَ بِهِ بِجُرْأَتِكَ فِي مَجْلِسِنَا وَتَبَسُّطِكَ بِحَضْرَتِنَا .
فَهَذَا كَمَا تَرَى .

وَسَأَلَنِي عَنْ أَبِي حَامِدٍ الْمُرُورُوثِيِّ^(٢) . فَوَصَفْتُ لَهُ نِبَاهَتَهُ وَتَقَدُّمَهُ
وَحِفْظَهُ وَبَيَانَهُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « زَيْدٌ وَأَزْيَادٌ » ، تَصْغِيفٌ .

(٢) أَحْمَدُ بْنُ بَشْرٍ بْنُ عَامِرٍ (عَامِرُ بْنُ بَشْرٍ) الْعَامِرِيُّ الْقَاضِي الْبَصْرِيُّ —

وقال : ما تحفظ عنه ؟ قلت : أشياء مختلفة ، فإنه أقام عندنا ببغداد في آخر أيامه سنتين ، ولقد رأيته في مجلس أبي الفرج محمد بن العباس في أيام وزارته ، بعد أبي الفضل العباس بن الحسين ^(١) ، وهو يتدقق بالكلام مع ابن طرارة .

٥ فلما انتهى قال له أبو الحسن إسحاق الطبري : ارسم لنا كلاماً خفيفاً في الدليل ، والحجة ، والبرهان ، والبيان ، والقياس ، والعلة ، والحكم ، والاسم ، والفعل ، والحرف ، والنص ، والظاهر ، والباطن ، والتأويل ، والتفسير ، والفحوى ، والاستحسان ، والتقليد ، والاعتداء ، والإجماع ، والأصل ، والفرع ، والجوب ، والجواز .

١٠ فاندفع فقال :

الدليل : ما سلكك إلى المطلوب .

— أبو حامد الشافعي المصنف الجيد . كان من شيوخ أبي حيان المفضلين ، أكثر النقل عنه في كتبه ، ووصفه بالعلم الواسع والذبل . توفي سنة ٣٦٢ هـ . الفهرست ٣٠١ ، طبقات السبكي ٢ / ٨٢ — ٨٣ ، البداية ١١ / ٢٥٩ ، الشذرات ٣ / ٤٠ .

(١) العباس بن الحسين بن الفضل الشيرازي المتوفى سنة ٣٦٣ هـ . الوافي (شاهد غلي ١٩٦٨ الورقة ٦٦) ، تاريخ الاسلام (أيا صوفيا ٣٠٠٨ ، ١٢ / ٦٠ ب ، سنة ٣٦٣) ، المنتظم ٧ / ٧٣ — ٧٤ ، الفخري ٢٣٣ — ٢٣٤ ، تحفة الأمراء للصابي ٣٨٧ — ٣٩٠ .

- والْحِجَّةُ : ما وثَّقَكَ من نفسه .
- والْبُرْهَانُ : ما أَحدث اليقين .
- والبَيَانُ : ما انكشف به الملتَمَس .
- والْقِيَاسُ : ما أَعَارَكَ شِبْهَهُ من غَيْرِهِ ، أو اِسْتَعَارَ شِبْهَهُ غَيْرَهُ
من نفسه . ٥
- وَالْعَلَّةُ : ما اقْتَضَى أبدأً حَكماً بِاللُّزُومِ .
- وَالْحُكْمُ : ما وَجَبَ بِالْعَلَّةِ .
- وَالِاسْمُ : ما صَحَّتْ بِهِ الإِشَارَةُ إِلَى مُشَارٍ إِلَيْهِ .
- وَالْفِعْلُ : ما شَاعَ فِي الزَّمَانِ .
- وَالْحَرْفُ : ما اِئْتَلَفَ بِهِ اللفظ . ١٠
- وَالنَّصُّ : ما أَغْنَى بِنَفْسِهِ لاسْتِقْلَالِهِ .
- وَالظَّاهِرُ : ما سَبَقَ إِلَى النِّفْسِ بِالْجَالِبِ .
- وَالْبَاطِنُ : ما غِصَّ عَلَيْهِ بِالتَّفْسِيرِ .
- وَالتَّأْوِيلُ : الجِهَةُ الْمُتَبَاعِدَةُ عَنِ الْمَرَادِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ مَشْمُولَةٌ تَارَةً
بِالْقَصْدِ ، وَتَارَةً بِغَيْرِ الْقَصْدِ . ١٥
- وَالْفَحْوَى : الجِهَةُ الْقَرِيبَةُ .

والتفسير : عبارة عن عبارة على طريق الخلافه .

والاستحسان : القول الأول والأشبه في ظاهر الحال .

والتقليد : قبول بلا بيان .

والاقتداء : سلوك مع عالم سالف .

والإجماع : اتفاق الآراء الكثيرة .

٥

والأصل : ما لم ينظر إلى ما قبله ، لأنه بنفسه قبل غيره .

والفرع : ما انشعب عن الأول .

والجواب : ما لم يسمع الإضراب عنه .

والجواز : ما وقف بين الواجب وبين غير الواجب .

وكاد لا يسكت .

١٠

فقال له أبو الفرج : ما كان أبو محمد المهلب يثني عليك جزافاً ، ولا

يشغف بك على طريق الهوى .

فقال لي : كيف حفظت هذا ؟

قلت : كنا جماعة نتعاون على ذلك ، ونرسم في ألواح .

فقال لي : إني لشديد الحسرة على فوت لقائه ، ومما يزيدني عجباً

١٥

به أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ أَصْحَابِنَا ، وَلَوْ نَصَرَ فِي الْأَحْكَامِ مَذْهَبَ أَبِي حَنِيفَةَ لَكَانَ قُدُورَةً لِأَهْلِ زَمَانِهِ .

وَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْغُرَبَاءِ :

إِذَا قُلْتَ عَشِيَ الرَّجُلُ كَمَا تَقُولُ : عَمِيَ الرَّجُلُ ، وَتَقُولُ : يَعْشَى كَمَا تَقُولُ يَعْمَى ، وَقُلْتَ أَعْشَى كَمَا تَقُولُ : أَعْمَى ، فَهَلَّا قُلْتَ : امْرَأَةٌ عَشِيَاءٌ كَمَا قُلْتَ عَمِيَاءٌ ، وَلَكَ مَعَ ذَلِكَ شَفْعَةٌ لَعَمِيَاءٍ وَفَاءُ ^(١) ظَمِيَاءٍ ؟
قَالَ : فَهَكَذَا أَقُولُ .

قَالَ لَهُ : قَدْ خَالَفتَ الْعُلَمَاءَ ، لِأَنَّهُمْ نَصُّوا عَشَوَاءَ كَمَا قَالُوا : نَاقَةٌ عَشَوَاءٌ .
فَقَالَ : فِي هَذَا نَظَرٌ .

وَأَخْطَأَ . وَأَيُّ نَظَرٍ فِي الْمَسْمُوعِ ؟

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ قَالَ : كُنَّا بَيْنَ يَدَيْهِ لَيْلَةً فَنَعَسَ ، وَأَخَذَ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ « وَالصَّافَاتِ » ، فَاتَّفَقَ أَنْ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْأَجْلَافِ مِنْ أَهْلِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ نَعَسَ أَيْضًا ، وَضَرَطَ ضَرْطَةً مَنْكَرَةً ، فَانْتَبَهَ وَقَالَ : يَا أَصْحَابَنَا نَعْمَا عَلَى « وَالصَّافَاتِ » ، وَانْتَبَهْنَا عَلَى « وَالْمُرْسَلَاتِ ^(٢) » .
هَذَا مِنْ مَلَاحِظَاتِهِ .

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَعَلَّهَا : « وَشَفَاءُ » .

(٢) النادرة في المعاهد ٢/١٥٦ ، محاضرات الراغب ١/٦٦ .

وحدثني أيضاً قال :

انفلتت ليلةً أخرى ضَرْطَةً من بعض الحاضرين ، وهو في الجدل ، فقال عَلَى خِدَّتِهِ وجنونه : « كَانَتْ بَيْعَةً أَبِي بَكْرٍ ^(١) » ، خُذُوا فِيهَا أَنْتُمْ فِيهِ ، يعني « كَانَتْ فَلْتَةً » لِأَنَّهُ قِيلَ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ « كَانَتْ فَلْتَةً » .

أَفَهَذَا من المجنون المستطاب ؟ أو من جنس ما يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ مُحْكِيًا عن الرؤساء الدِّيَّانِينَ والكُبراء المستبصرين ، والذين يدَّعون لأنفسهم الفضلَ والمروءة والديانة ، واحتقار الناس ؟

وقال له ابن ثابت الحوسي ^(٢) يوماً : أَنَا آكِلُ التَّمْرِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ ١٠ مرةً رُطْبًا ، يَتَمَلَّحُ معه ، أَيَّ أَمِيلٍ إِلَى الْحَدَثِ وَإِنْ بَقَلَ وَجْهُهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ مرةً أَمْرَدَ .

فقال له : فَكُلِ الْخَرَّاءَ عَلَى أَنَّهُ مرةً كَانَ هَرِيْسَةً .

(١) كلمة أثرت عن عمر بن الخطاب ض . وقد أفاض في إيضاح ما اكتنفها — ابنُ أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١ / ٢٢٣ . والنادرة في معاهد التنصيص ١٥٦ / ٢ أيضاً .
(٢) كذا بالأصل .

وسمعه يُنشد في الشاعر الملقب بالمشوق^(١) :

وذيوثٍ يقال له المشوق له من عرسه كسبٌ وسوقُ
فكم خير يساق إليه منها وكم أير إلى حرها يسوقُ
وكان يُنشد في شيخ كاتب من أهل جرجان :

جزعتُ من أمرٍ فظيع قد حدث
ابن تميم وهو شيخ لا حدث
قد حبس الأصلع في بيت الحدث^(٢)

ورأيتُ شيخاً قدم مع الحاج من خراسان يُعرف بالخشوعي ، من
الكرامية^(٣) أصحاب البرانس ، حضر مجلسه وناظره في مسألة الجسم ،

(١) أبو الحسن المشوق الشامي الشاعر . ذكره الثعالبي في اليتيمة (ج ١ ، ورقة ١٦٥ ب - ١٦٦ ، نسخة كوبريلي) وقال : لست أتحقق اسمه ، وذكر بعض شعره .
(٢) نسب الثعالبي في اليتيمة ٤ / ٤٠ هذا الشعر لعلي بن أحمد الجوهري ، ونسبه الشريشي في شرح المقامات ٢ / ٣٦٦ لأبي الفتح البستي ، وهو في محاضرات الراغب ٢ / ١١٤ غير منسوب . وفي شرح نهج البلاغة ١ / ٤٣٥ ، وشرح المقامات ٢ / ٣٨١ - ٣٨٢ أبيات وحولها قصة تشبه هذه مع اختلاف الأشخاص .

(٣) الكرامية فرقة من المجسمة ، وزعيمها محمد بن كرام وأتباعه يسمون الله جسماً ، ويفسرون الجسم بأنه القائم بذاته (الشهرستاني ١ / ٣٩ - طبع الحجر) ، ويقولون هو جسم لا كالأجسام (شرح الفقه الأكبر ٢٠) . وانظر تليسن إبليس ٨٩ ، الفصل لابن حزم ٤ / ٢٠٤ ، الباب ٣ / ٣٢ - ٣٣ ،
١. التصير في الدين ٦٥ - ٦٦ .

وكان يقول ، وهو مذهب هشام بن الحكم ^(١) في المتكلمين المتقدمين :
لما كان مُثَبَّتًا بالعقل دون غيره ، وكنتُ لا أُثَبِّتُ بالعقل إلا مَعْقُولًا ،
كما لا أُثَبِّتُ بالسَّمْعِ إلا مَسْمُوعًا ، وكما لا أُثَبِّتُ بالبَصَرِ إلا مُبْصَرًا ؛ وكان
إثباتُ العقل لمن ^(٢) هو غيرُ جسمٍ في المشاهدة غيرَ معقول ، وجَبَّ
أن يكونَ جسمًا لأنه قد كان دخل في قِسْمَةِ المعقول ؛ وإن بطل أن
يكون جسمًا بطل أن يكون معقولًا ، وقد ثبت أنه معقول ؛ فإذا قد
ثبت أنه جسم .

فقال ابن عباد : هاتوا مسألةً أخرى ، فسمعُ كلام الحَكَمي ^(٣)
أرجعُ بالفائدة من هذا ، وأخذَ في مسألةٍ أخرى .
وَحَكى قومٌ منهم أبو طاهر الأنطاقي والقطَّان أنه قد شُدَّه ولم
يَحْضُرْه في الحالِ شيء ، وكان الخَصْمُ أَلَدَّ ذا سُلْطَةٍ قليلَ الاكْتِرَاثِ ،
حَضَرَ غير طائِع ، وتكلم / غير مَتَرَوِّع .

(١) هشام بن الحكم أبو محمد مولى بني شيبان ، من أكابر متكلمي الشيعة ،
توفي سنة ١٩٩ أو ١٧٩ هـ . وكان يقول : معنى الجسم أنه موجود ، وإنما
أريدُ بقولي إنه (الله) جسم : أنه موجود ، وأنه شيء ، وأنه قائم بنفسه .
انظر عنه الفهرس للطوسي ١٧٤ - ١٧٥ ، مروج الذهب ٢ / ٢٧٠ ، الفهرست
٢٤٩ - ٢٥٠ وانظر أيضًا البصائر ٣ / ٥٠ ، مقالات الاسلاميين .
(٢) كذا . وكان « لا » أولى .
(٣) الحَكَل : العجم وما لا يسمع صوته من الحيوان ، والصاحب يستعمل
هذا التعبير كثيرًا .

وعاد هذا الشيخ في مجلس آخر ، فقال له :

أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ ؟

قال : نَعَمْ .

قال : فَإِذَا كَانَ جِسْماً جَازِئاً أَنْ يَكُونَ فَوْقَهُ شَيْءٌ أَوْ تَحْتَهُ شَيْءٌ ،

أَوْ عَنْ يَمِينِهِ شَيْءٌ ، أَوْ عَنْ يَسَارِهِ شَيْءٌ . ٥

قال : نَعَمْ .

قال : فَمَا تُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ مَعْبُودُكَ الْآنَ فِي هَذَا الصَّنَدُوقِ ؟

فخمد الخراساني نخدة ثم اشتمل فقال : أليس عندك أن الله متكلم

بكلامٍ يفعله في الأحوال المختلفة ؟

فقال : بلى . ١٠

قال : فَمَا تُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحِمَارُ يُنْعِظُ ، فَيُجِلُّ اللَّهَ كَلَامَهُ فِي

جُرْدَانِهِ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ، وَتَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُ .

فانخزل^(١) ابن عبّاد وقال : خذوا في غير هذا .

والسُخْفُ وَالْجُرْأَةُ وَسُوءُ الْأَدَبِ وَإِطْلَاقُ اللِّسَانِ بِمَا لَا يَجُوزُ دِينًا

ومروّة غالبية على أصحاب الكلام ؛ والتثقي والرهبة والورع بعيدة ١٥

من هذه الطبقة .

(١) انخزل : انقطع .

وحكى يوماً في نوادره الفاترة ما يدلُّ على قلة دين القوم وسوء
استبصارهم وشدة استهانتهم بما يقولونه مُحَقِّقِينَ ومُبْطِلِينَ ، وأن الدَّيْدَنَ
هو الهذيان والرقاعة والتعصب والإيهام ، وليس لوجه الله في ذلك شيء ؛
لا فيما يحدُّون به ، ولا فيما يهزلون فيه ، لاحشمة ولا تقوى ، ولا مراقبة
ولا بَقِيَّةً ^(١) ؛ قد جعلوا الله عرضةً للخصومات بالوساوس ، ودينه
منديلاً لكل يد .

سأل ملحد ^(٢) موحداً فقال : ما الدليلُ على أن للعالم صانعا ؟
فقال : الدليلُ على ذلك شجرة أمك ، لأنها كلما نتفتها بالدُّبُق ^(٣)
نبتت ؛ فلو لم يكن هناك مُنْبِتٌ لما نبتت .

فقال الملحد : هذا ينتاب عليك لأنه يقال لك : الدليل على أن
العالم ليس له صانع نواة أمك ، [لأنها] ^(٤) إذا قُطعت مرة لم
تنبت بعد ذلك .

(١) البقية والإبقاء : الرعاية .

(٢) في ثر الدرر ٧٩٩ : « ناظر بختويه النيسابوري عافية بن شبيب البصري .
فقال بختويه : ما دليلك على إثبات الخالق » — إلى آخر النادرة .

(٣) الدبُق بكسر الدال : الغراء .

(٤) إضافه نرى أنها توضح الكلام .

وحكى يوماً آخر فقال : اجتمع رجُلان ؛ أحدهما يقول بقول
هشام^(١) ، والآخر يقول بقول الجوالقي^(٢) .

فقال صاحب الجوالقي لصاحب هشام : صِف لي ربك الذي تعبده .
فوصفه ، فقال في وصفه : هو جِسْم ولكن لا يد له ولا جارية ولا آلة .
فقال له [صاحب]^(٣) الجوالقي : أيسرُك أن يكون لك بهذه
الصفة ابنٌ ؟

قال : لا .

قال : أفما تستحي أن تصف ربك بصفة لا ترضاها لولدك ؟
ثم قال صاحب هشام : قد سمعت قولنا ، فصِف لي أنت ربك .
فوصف فيما وصف : أنه جَمَد قَطِطٌ في أتمِّ تمامٍ وأحسنِ حُسنٍ وأحلى
صورةً وأعدل هيئةً وأجمل شارة^(٤) .

(١) هشام بن الحكم الذي مر ذكره قريبا .

(٢) هشام بن سالم الجوالقي أبو محمد من متكلمي الشيعة ، وهو مجسم ؛ كان
يقول : إن الله على صورة الإنسان وينكر أن يكون لحماً ودماء ، بل يقول : هو
نور ساطع يتلألأ بياضاً ، وله حواس خمس كحواس الإنسان : (يد . وأنف .
وعين . وأذن . وفم) ، وله وفرة سوداء ، وذلك نور أسود . انظر مقالات
الإسلاميين ٣٤ ، ٢٠٩ ، فهرس الطوسي ١٧٤ ، الفهرست ٢٥٢ .

(٣) إضافة نرى أنها توضح الكلام .

(٤) في الأصل : « إشارة » .

فقال له صاحب هشام : أَفَيَسْرُكُ أَنْ تَكُونَ لَكَ جَارِيَةٌ بِهَذِهِ
الصِّفَةِ تَطَوُّهَا ؟

قال : نعم .

قال : أَفَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ عِبَادَةٍ مِنْ تُحِبُّ مُبَاضَعَتَهُ ؟ وَذَلِكَ أَنْ
هـ مِنْ أَحَبِّ مُبَاضَعَةٍ مِثْلِهِ فَقَدْ أَوْقَعَ عَلَيْهِ الشَّهْوَةَ . تَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذِهِ
السَّخَافَاتِ وَالْجَهَالَاتِ ، وَإِنْ قَوْمًا يَلْهَجُونَ بِهَذَا وَأَشْبَاهِهِ لَنِي بَعْدَ مِنْ
الْهُدَى وَالنُّهَى .

وسَمِعْتُهُ ^(١) يَسِبُّ أَصْحَابَ الْهِنْدَسَةِ وَيَقُولُ : جَاءَنِي بَعْضُ هَؤُلَاءِ
الْجُمُحَى وَرَغِبَنِي فِي الْهِنْدَسَةِ ، فَابْتَدَأَ ، وَقَالَ : [فَأَثْبَتْ خَمْسَةً وَعَشْرِينَ ، وَخَطَّ
١٠ خَطًّا ، وَوَضَعَ شَكْلًا ، وَطَوَّلَ وَزَعَمَ أَنَّهُ يَعْمَلُ بُرْهَانًا عَلَى ذَلِكَ . فَقُلْتُ
لَهُ : إِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ ^(٢)] أَنَّ خَمْسَةً فِي خَمْسَةِ خَمْسَةٍ وَعَشْرُونَ ضَرْوَةً ،
[وَقَدْ شَكَّكَتِ الْآنَ ، فَأَنَا ^(٣)] مَجْتَهِدٌ حَتَّى أَعْلِمَهُ بِالِاسْتِدْلَالِ . وَهَذَا
هُوَ الْخَسَارُ وَالذَّمَّارُ .

وَلَوْ كَانَ لَهُ سَهْمٌ يَسِيرٌ مِنَ الْعَقْلِ مَا بَاحَ عَلَى نَفْسِهِ بِهَذَا الْقَوْلِ ، وَلَوْ

(١) نقله ياقوت ٥١ / ٢ .

(٢) تكملة عن الإرشاد ٥١ / ٢ .

سَمِعَ مِنْ غَيْرِهِ لَوْجَبَ إِنْكَارِهِ ، وَلَوْ ^(١) حَقَّقَ قَوْلَ الْقَائِلِ : مِنْ جَهْلٍ شَيْئًا عَادَاهُ . أَتَرَاهُ مَا سَمِعَ كَلَامَ ابْنِ ثَوَابَةِ ^(٢) فِي مِثْلِ هَذَا ، وَكَيْفَ نُسِبَ فِيهِ إِلَى الرَّقَاعَةِ ، وَكَيْفَ رَحِمَهُ أَهْلُ الْحِكْمَةِ ، وَكَيْفَ هَزَىءَ بِهِ قَوْمٌ وَجَدُوا طَرِيقًا إِلَى ذَلِكَ .

وَأَنَا أَحْكِي لَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ذَلِكَ الْكَلَامَ وَإِنْ تَنَفَّسْتَ الرِّسَالَةَ ، ه
لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ مَنْ شَاءَ تَحَقَّقَ نَفْسَهُ ، وَأَنَّ اللَّهَ إِذَا شَاءَ خَذَلَ عَبْدَهُ وَأَشْمَتَ بِهِ أَطَادِيَهُ .

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الصِّمَيْرِيُّ ^(٣) قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ سَمَكَةَ ^(٤) قَالَ :
حَدَّثَنَا ابْنُ مُحَارَبٍ ^(٥) قَالَ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ الطَّيِّبِ ^(٦) يَقُولُ : إِنْ

(١) « لو » هنا للتعني فلا جواب لها .

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن خالد بن ثوابة الكاتب المشهور المتوفى سنة ٢٧٧ أو ٢٧٣ هـ ، ترجمته في الإرشاد ٢ / ٣٦ - ٥١ ، الفهرست ١٨٧ .

(٣) ذكر عنه أبو حيان في المقابسات ٣٥ ، ٥١ مقابستين ، وأظن أنه المكبي أبا زكرياء الصيمري أيضا وصحفت « بكر » إلى زكريا . وقد تقرر النقل عنه في المقابسات .

(٤) أحمد بن إسماعيل بن سمكة بن عبد الله القمي من أساتذة أبي الفضل ابن العميد ، وهو علامة مصنف شهير . « فهرسة الطوسي » ٣١ ، وانظر المقابسات ٨٠ ، اليتيمة ٨ / ٣ (بيروت) .

(٥) وصفه أبو حيان في المقابسات ٨ بأنه فيلسوف .

(٦) أحمد بن محمد بن الطيب السرخسي العلامة الشهير ، قرأ على الكندي الفيلسوف . وقتله المعتضد سنة ٢٨٦ هـ . الفهرست ٣٦٥ - ٣٦٧ ، الإرشاد ١٥٨ / ١ - ١٦٠ .

صديقاً لابن ثوابة الكاتب أبي العباس يُسكني أبا عبيدة قال له
ذات يوم :

إنك رجلٌ — بحمد الله ومنه — ذو أدب وفصاحة وبراعة
وبلاغة ؛ فلو أكملت فضائلك بأن تضيف إليها معرفة البرهان
القياسي ، وعلم الأشكال [الهندسية] الدالة على حقائق الأشياء ،
وقرأت كتاب « أقليدس ^(١) » وتدبرته ؟

فقال له ابن ثوابة : وما « أقليدس » ؟

قال له : رجل من علماء الروم يُسمى بهذا الاسم ، وضع كتاباً
فيه أشكال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الأشياء المعلومة والمغيبية ،
يشحذ الذهن ويدقق الفهم ، ويلطّف المعرفة ، ويصفّي الحاسة ، ويثبت
الرؤية ؛ ومنه انفتح الخط وعُرفت مقادير حروف المعجم .

فقال له أبو العباس ابن ثوابة : وكيف ذلك ؟

قال : لا تعلم كيف هو حتى تشاهد الأشكال وتعاين البرهان .

(١) Euclides رياضي شهير ، عاش في الاسكندرية ، وأسس مدرستها الرياضية ،
وله مؤلفات أشهرها كتاب « الأصول » أو « الأركان » Elements الذي ألفه في
حدود سنة ٣٠٠ قبل الميلاد . أخبار الحكماء ٤٥ . وانظر

قال له : فافعل ما بَدَأَ لك . فَأَتَاهُ بِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ قُوَيْرِي^(٢) مشهورٌ
مقدم ، ولم يعدْ إليه بعد ذلك .

قال أحمد بن الطيّب : فاستطرفت ذلك وعجبت منه ، وسألت المخبر
عن انصراف قُوَيْرِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ سَبَبُهُ ؟ فَأَجَابَنِي بِأَنَّهُ لَا أَعْلَمُ ، فَكُتِبَتْ
إِلَى ابْنِ ثَوَابَةِ رَقْعَةٌ تُسَخِّطُهَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .
اتَّصَلْ بِي — جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ — أَنَّ رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِكَ أَشَارَ عَلَيْكَ
بِتَكْمِيلِ فَضَائِلِكَ وَتَقْوِيَتِهَا بِعَمْرِفَةٍ شَيْءٍ مِنَ الْقِيَاسِ الْبُرْهَانِيِّ ، وَطَمَأْنَيْتَكَ
إِلَيْهِ ، وَأَنَّكَ أَصْغَيْتَ إِلَى قَوْلِهِ وَأَذِنْتَ لَهُ ، وَأَنَّهُ أَحْضَرَكَ رَجُلًا كَانَ
غَايَةً فِي سُوءِ الْأَدَبِ ، مَعْدِنًا مِنْ مَعَادِنِ الْكُفْرِ ، وَإِمَامًا مِنْ أُمَّةِ
الشَّرِكِ / ؛ لَا سَتِفَازَكَ وَاسْتِغْوَائِكَ ، يَخَادِعُكَ عَلَى عَقْلِكَ الرَّصِينِ ،
وَيُنَازِلُكَ فِي ثِقَافَةٍ فَهْمِكَ الْمَتِينِ ، فَأَبَى اللَّهُ الْعَزِيزُ إِلَّا جَمِيلَ عَوَائِدِهِ
الْحُسْنَةَ قَبْلَكَ ، وَمِنْهُ السَّوَابِقُ لَدَيْكَ ، وَفَضْلُهُ الدَائِمُ عِنْدَكَ ، بِأَنَّهُ أَتَى
عَلَى قَوَاعِدِ بُرْهَانِهِ مِنْ ذُرُوتِهِ ، وَحَطَّ عَوَالِي أَرْكَانِهِ مِنْ أَقْصَى مَعَاقِدِ
أُسُسِهِ ، فَأَحْبَبْتُ اسْتِعْلَامَ ذَلِكَ عَلَى كَهْنِهِ مِنْ جِهَتِكَ ، لِيَكُونَ شُكْرِي ١٥

(٢) إبراهيم قويري أبو إسحاق . أخبار الحكماء ٥٥ ، الفهرست ٣٦٧ .

لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ حَسْبُ لَوْ مَي لِصَاحِبِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَلِأَتْلَفَنِي
الْفَارَاطُ فِي ذَلِكَ بِتَدْبِيرِ أُسُسِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ : فَأَجَابَنِي ابْنُ ثَوَابَةِ بِرُقْعَةٍ نُسَخْتُهَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،

وَصَلَّتْ رُقْعَتَكَ — أَعَزَّكَ اللَّهُ — وَفَهِمْتُ فُحْوَاهَا ، وَتَدَبَّرْتُ
مُضْمَنَهَا ، وَاخْبِرْ كَمَا اتَّصَلَ بِكَ ، وَالْأَمْرُ كَمَا بَلَغَكَ . وَقَدْ خَلَصْتَهُ وَبَيَّنَّتَهُ
حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَنَا وَشَاهِدُنَا .

فَأُولُ مَا أَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيِّ النِّعَمِ ، وَالْمُتَّوَحِّدِ بِالْقِسَمِ ، إِلَيْهِ يُرَدُّ
عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ؛ وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ إِيزَاعَ الشُّكْرِ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى
مَا مَنَحَنَا مِنْ وَدِّكَ وَإِتْقَامِهِ بَيْنَنَا بَيْنَهُ .

وَمَا أَحْبَبْتُ إِعْلَامَكَ وَتَعْرِيفَكَ مِمَّا تَأْدَى إِلَيْكَ ، أَنْ أَبَا عُبَيْدَةَ
— عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ تَتَرَى — بِنَحْسِهِ وَدَحْسِهِ اغْتَالَنِي لِيَسْكُمَ دِينِي
مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ ، وَيَنْقُلَنِي عَمَّا أَعْتَقِدُهُ وَأَرَاهُ وَأُضْمِرُهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَوَطَّدَ لِي الزَّندَقَةَ بِتَزْيِينِهِ الْهِنْدَسَةَ ،
وَأَنَّهُ يَأْتِينِي بِرَجُلٍ يُفِيدُنِي عِلْمًا شَرِيفًا تَكْمُلُ بِهِ فَضَائِلِي — فِيمَا زَعَمَ —
فَقُلْتُ : عَسَى أَنْ أَفِيدَ بِهِ بَرَاعَةً فِي صِنَاعَةٍ ، أَوْ كَمَالًا فِي مُرَوَّةٍ ، أَوْ
نُسْكًَا فِي دِينٍ ، أَوْ فُخَارًا عِنْدَ الْأَكْفَاءِ . فَأَجَبْتُهُ بِأَنْ هَلُمَّ بِهِ !

فَأَتَانِي بِشَيْخٍ دِيرَانِيٍّ شَاخِصِ النَّظَرِ ، مَنْتَشِرِ عَصَبِ الْبَصَرِ ، طَوِيلِ
مَشْدَبٍ ، مَحْزُومِ الْوَسْطِ ، مَتَزَمِّلٍ فِي مَسْكِهِ ، فَاسْتَعَدَّتْ بِالرَّحْمَنِ إِذْ
نَزَعَنِي الشَّيْطَانُ ، وَمَجْلِسِي قَدْ غَصَّ بِالْأَشْرَافِ مِنْ كُلِّ الْأَطْرَافِ ، كُلُّهُمْ
يَرْمُقُهُ وَيَتَشَوَّفُ إِلَى رُفْعِي مَجْلِسَهُ وَإِدْنَائِهِ وَتَقْرِيْبِهِ ، وَيَعْظُمُونَهُ وَيُحْيُونَهُ ،
وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ .

٥

فَأَخَذَ مَجْلِسَهُ ، وَلَوَّى أَشْدَاقَهُ ، وَنَتَحَ أَوْسَاقَهُ ، فَتَبَيَّنَتْ فِي مُشَاهَدَتِهِ
النِّفَاقُ ، وَفِي أَلْفَاظِهِ الشَّقَاقُ .

فَقُلْتُ لَهُ : بَلِّغْنِي أَنَّ عِنْدَكَ مَعْرِفَةً بِالْهَنْدَسَةِ ، وَعِلْمًا وَاصِلًا إِلَى
فَضْلِ يَفِيدِ النَّاضِرَ فِيهِ حِكْمَةً وَتَقْدُّمًا فِي كُلِّ صِنَاعَةٍ ؛ فَهَلُمَّ أَفِدْنَا شَيْئًا
مِنْهَا عَسَى أَنْ يَكُونَ عَوْنًا لَنَا عَلَى دِينٍ أَوْ دُنْيَا ، وَزَيْنًا فِي مُرُوءَةٍ أَوْ
مُفَاخَرَةٍ لَدَى الْأَكْفَاءِ ، وَمُفِيدًا نَسْكَأَ وَزُهْدًا ، « فَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ^(١) » ، « فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ^(٢) » ،
« وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ^(٣) » .

قَالَ : فَأَحْضِرْنِي دَوَاةً وَقَرْطَاسًا ، فَأَحْضَرْتُهُمَا ، فَأَخَذَ الْقَلَمَ فَنَكَتَ

(١) سورة التوبة ٧٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة فاطر ١٧ .

به نَكْتَةً تَقَطُّ مِنْهَا نَقْطَةٌ ، فَخَيْلُهَا بَصْرِي وَلَحْظُهَا طَرْفِي كَأَصْغَرٍ مِنْ
حَبَّةِ الذَّرِّ ، فَرَمَزَ عَلَيْهَا بَوَسْوَاسِهِ ، وَتَلَا عَلَيْهَا مِنْ مُحْكَمِ أَسْفَارِ
أَبَاطِيلِهِ ، ثُمَّ أَعْلَنَ عَلَيْهَا جَاهِرًا بِإِفْسَاكِه ؛ وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ !
إِنْ هَذِهِ النُّقْطَةُ شَيْءٌ مَا لَا جُزْءَ لَهُ .

٥ فقلت : أَضَلَلْتَنِي وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ! وَمَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا جُزْءَ لَهُ ؟

فَقَالَ : كَالْبَسِيطِ . فَأَذْهَلَنِي وَحَيَّرَنِي ، وَكَادَ يَأْتِي عَلَى عَقْلِي وَحِمَامِي لَوْلَا
أَنْ هَدَانِي رَبِّي ؛ لِأَنَّهُ أَتَانِي بِلُغَةٍ مَا سَمِعْتُهَا وَاللَّهِ مِنْ عَرَبِيٍّ وَلَا عَجَمِيٍّ ،
وَقَدْ أَحَطْتُ عِلْمًا بِلُغَاتِ الْعَرَبِ ، وَقُمْتُ بِهَا وَاسْتَشْرْتُهَا جَاهِدًا وَابْتَحَرْتُهَا
حَامِدًا ، وَصِرْتُ فِيهَا إِلَى مَا لَا أَحْسِبُ أَحَدًا يَتَقَدَّمُنِي إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِهِ ،
١٠ وَلَا يُسَبِّقُنِي إِلَى دَقِيقِهِ وَجَلِيلِهِ .

فقلت له : وَمَا الشَّيْءُ الْبَسِيطُ ؟

فَقَالَ : كَاللَّهِ تَعَالَى وَكَالنَّفْسِ .

فقلت له : إِنَّكَ مِنَ الْمُلْحِدِينَ ، أَتَضْرِبُ لِلَّهِ أَمْثَالًا ؟ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَقُولُ : « فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ^(١) » .

(١) سورة النحل ٧٤ .

لَعَنَ اللَّهُ مُرْشِدًا أَرَشَدَنِي إِلَيْكَ ، وَدَالًا دَلَّنِي عَلَيْكَ ، فَمَا سَأَلَكَ
إِلَى إِلْقَاءِ سَوْءٍ وَلَا كَسَحَكَ نَحْوِي إِلَّا الْحَيْنُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَيْنِ ،
وَأَبْرَأُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَمِمَّا تُلْحِدُونَ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ « إِنِّي بَرِيءٌ
مِمَّا تُشْرِكُونَ ^(١) » ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَتِي كَرِهَ اسْتِعَاذَتِي فَاسْتَخَفَّهَ الْغَضَبُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ ٥
مُسْتَبْسِلًا فَقَالَ : إِنِّي أَرَى فِصَاحَةً لِسَانِكَ سَبَبًا لِعُجْمَةٍ فَهَمَكَ ، وَتَذَرُّعَكَ
بِمَوْلِكَ آفَةً مِنْ آفَاتِ عَقْلِكَ .

فَلَوْلَا مَنْ حَضَرَ — وَاللَّهِ — الْمَجْلِسَ وَإِصْغَاؤُهُمْ إِلَيْهِ مُسْتَصَوِّبِينَ
أَبَاطِيلَهُ ، مُسْتَحْسِنِينَ أَكَاذِبِيهِ ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ اسْتَهْوَائِهِ إِيَّاهُمْ بِخُدَعِهِ ،
وَمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ تَوَازُرِهِمْ ^(٢) لَأَمَرْتُ بِسَلِّ لِسَانِهِ اللَّكْعَ الْأَلَكْنَ . ١٠
وَأَمَرْتُ ، بِإِخْرَاجِهِ إِلَى حَرِّ نَارِ اللَّهِ وَسَقَرِهِ وَغَضَبِهِ وَلَعْنَتِهِ .

فَنَظَرْتُ إِلَى أَمَارَاتِ الْغَضَبِ فِي وَجْهِهِ الْحَاضِرِينَ ، فَقُلْتُ :
مَا غَضِبُكُمْ لِنَصْرَانِي يَشْرِكُ بِاللَّهِ وَيَتَّخِذُ لَهُ مِنْ دُونِهِ الْأَنْدَادَ ، وَيُعْلِنُ
بِالْإِلْحَادِ ؟ وَلَوْلَا مَكَانُكُمْ لَنَهَكَتُهُ عَقُوبَةٌ .

(١) سورة الأنعام ٧٨ .

(٢) تَوَازُرُهُمْ : تَنَازَرُهُمْ .

فقال لي رجل منهم : إنه إنسان حكيم ، ففاظني قوله .

فقلت : لعن الله حكمة مشوبة بكُفْرٍ .

فقال لي آخر : إن عندي مُسَلِّماً يتقدّم أهل هذا العلم .

فرجوت^(١) — مع ذكره الإسلام — خيراً فقلت : اثني به ،
فأتاني برجل قصير دحاح مجدور آدم أخفش العينين أجلع أفضس سيئ
النظر قبيلح الزبي ، فسلم فرددت عليه السلام ، ورفعت مجلسه
وأكرمته ، وقلت له : ما اسمك ؟

فقال : أعرف بكنية قد غلبت عليّ .

فقلت : أبو من ؟

فقال : أبو يحيى . ١٠

فتفاءلت بملك الموت عليه السلام ، وقلت : اللهم إني أعوذ بك
من الهندسة ، فاكفني اللهم شرّها ، فإنه لا يصرف السوء إلا أنت ،
وقرأت « الحمد » ، و « المعوذتين » ، و « قل هو الله أحد » ثلاثاً ،
وقلت له : إن صديقاً لي جاءني بنصراني يتخذ الأنداد ، ويدّعي أن
الله الأولاد ليُعويني ويستغفروني « وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ ١٥

(١) في الأصل : « فرجوت » ، تصحيف .

المُحْضَرَيْنَ^(١) ، فَصَرَفْتُهُ أَقْبَحَ صَرَفٍ . ثُمَّ ذُكِرَتْ لِي فِرَجَوْتُ^(٢)
— بِذِكْرِ إِسْلَامِكَ — خَيْرًا .

[٦٧ ب] . فَهَلُمَّ أَفِدْنَا شَيْئًا مِنْ هِنْدَسَتِكَ ، وَأَقْبِسْنَا / مِنْ طَرَائِفِ حِكْمَتِكَ
مَا يَكُونُ لَنَا سَبَبًا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَوَسِيلَةً إِلَى غَفْرَانِهِ ، فَإِنَّمَا أَرْبَحُ
تِجَارَةً وَأَعُودُ بِضَاعَةً .

فَقَالَ : أَحْضَرْنِي دَوَاءَ وَقَرْطَاسًا .

فَقُلْتُ : أَتَدْعُو بِالْأَدْوَاءِ وَالْقَرْطَاسِ ، وَقَدْ بُلِيتُ مِنْهُمَا بِبِلِيَّةٍ كَلَّمَهَا
لَا يَنْدَمِلُ عَنْ سُوَيْدَاءِ قَلْبِي ؟

قَالَ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قُلْتُ لَهُ : إِنْ النَّصْرَانِي تَقَطَّ لِي نَقْطَةٌ كَأَصْغَرَ مِنْ سَمِّ الْخِلْيَاطِ ، وَقَالَ ١٠
لِي : إِنَّهَا مَعْقُولَةٌ كَرَبَّكَ الْأَعْلَى ، فَوَاللَّهِ مَا عَدَا فِرْعَوْنُ فِي إِفْكِهِ وَكُفْرِهِ .

فَقَالَ لِي : فَإِنِّي أَغْفِيكَ ، لَعَنَ اللَّهُ قُوَيْرِي وَمَا كَانَ يَصْنَعُ بِالنَّقْطَةِ ؟
وَهَلْ بَلَغْتَ أَنَّكَ أَنْ تَعْرِفَ النَّقْطَةَ ؟

فَقُلْتُ : اسْتَجَلَّهَنِي وَرَبُّ السَّكْمَةِ ، وَأَنَا قَدْ أَخَذْتُ بِأَزْمَةِ الْكِتَابَةِ ،

(١) سُورَةُ وَالصَّافَاتِ ٥٧ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فِرْجَوْتُ ، تَصْحِيفٌ .

ونَهَضْتُ بِأَعْبَائِهَا ، وَاسْتَقَلَلْتُ بِثِقَلِهَا يَقُولُ لِي : لَا تَعْرِفُ فَحَوَى النُّقْطَةَ ،
فَنَازَعْتَنِي نَفْسِي فِي مَعَاجِلَتِهِ بِغَلِيظِ الْعُقُوبَةِ ، ثُمَّ اسْتَعْطَفَنِي الْحِلْمُ إِلَى
الْأَخْذِ بِالْفَضْلِ .

وَدَعَا بِغُلَامِهِ وَقَالَ : ائْتِنِي بِالتَّخْتِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مُخْلُوقًا بِأَسْرَعَ
إِحْضَارًا لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْغُلَامِ ، فَأَتَاهُ ، فَتَخَيَّلْتُ بِهِ هَيْئَةً مُنْكَرَةً وَلَمْ
أَدْرَمَا هُوَ ، وَجَعَلْتُ أَصَوِّبَ الْفُسْكَرَ فِيهِ تَارَةً وَأُصَمِّدُ أُخْرَى ، وَأُجِيلُ
الرَّأْيَ مِليًا وَأُطْرِقُ طَوِيلًا ، لَا أَعْلَمُ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ ، أَصُنْدُوقُ هُوَ ؟
فَإِذَا لَيْسَ بِصُنْدُوقٍ ، أَتَخْتُ هُوَ ؟ فَإِذَا لَيْسَ بِتَخْتٍ ، فَتَخَيَّلْتُهِ كِتَابُوتٍ
لِحَدِّ . فَقُلْتُ : لَحْدُ الْمَلْحَدِ يُلْحَدُ بِهِ وَبِالنَّاسِ عَنِ الْحَقِّ . ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ
كُمِّهِ مِيلًا عَظِيمًا فَظَنَنْتُهُ مُتَطَبِّيًا وَإِنَّهُ لَمِنْ شِرَارِ الْمُتَطَبِّينِ . ١٠

فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ أَمَرَكَ لِعَجَبٍ كُلُّهُ وَلَمْ أَرِ فِي أَمِيَالِ الْمُتَطَبِّينِ كَمِيلِكَ ،
أَتَفْقَهُ بِهَ الْأَعْيُنِ ؟

فَقَالَ : لَسْتُ مُتَطَبِّيًا وَلَكِنِّي أَخْطُ بِهَ الْمُهَنْدِسَةَ عَلَى هَذَا التَّخْتِ .
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّكَ وَإِنْ كُنْتَ مُبَايِنًا لِلنَّصْرَانِيَّ فِي دِينِهِ ، إِنَّكَ لَمُوَازِرُهُ
فِي كُفْرِهِ ، أَتَخْطُ عَلَى تَخْتِ بَيْمِكَ لِتَعْدَلَ بِي عَنْ وَضِيعِ الْفَجْرِ إِلَى غَسَقِ
اللَّيْلِ ؟ وَتَمِيلَ بِي إِلَى الْكَذِبِ بِاللُّوْحِ الْمُحْفُوظِ وَكَاتِبِيهِ الْكَرَامِ ؟ أَلَا يَأِيَّ
تَسْتَهْوِي ؟ أَمْ حَسِبْتَنِي مِمَّنْ يَهْتَزُّ لِمَكَايِدِكُمْ ؟ ١٥

فقال : لستُ أذكرُ لكَ لوحاً محفوظاً ولا مُضيئاً ، ولا كاتباً كريماً
ولا لثيماً ، ولـسـكـنـي أخطُ به الهندسة ، وأقيم عليها البرهانَ بالقياس
والفلسفة .

فقلت : اخطُط .

وأخذ يخطُ وقلبي مُروّع يجب وجيباً . ٥

فقال لي غير مُستعظم : إن هذا الخطُّ طولٌ بلا عرض ، فذكرت
صراطَ ربِّي المستقيم ، وقلتُ له : قاتلك الله ! أتدري ما تقول ؟ تعالى
صِراطُ ربِّي عن تخطيطِكَ وتشبيهِكَ وتبديلِكَ وتحريفِكَ وتضليلِكَ ،
إنَّه لصِراطُ مُستقيم ، وإنَّه لأحدُّ من السِّيفِ الباتِر ، والحُسامِ القاطِع ،
وأدقُّ من الشَّعر ، وأطولُ مما تمسَّحون ، وأبعدُ مما تذرَّعون ، ومدَّاه ١٠
بعيد ، وهولُه شديد ؛ أنطمع أن تُرخِزِحني عن صِراطِ ربِّي أم حَسبتَني
عُمرّاً غيبياً لا أعلم ما في باطن ألفاظِكَ ومَكْنُونِ مَعَانِيكَ ؟ والله
ما خطَّطت الخطَّ وأخبرت أنه طولٌ بلا عرض إلا حيلةً ^(١) بالصراطِ
المستقيم لتزِلَّ قدَمي عنه ، وأن تُرديني في نار جهنم .

أعوذُ بالله وأبرأُ إليه من الهندسة ، ومما تدُلُّ عليه وتُرشدُ إليه ، ١٥
وإني بريء من المهندسين وما يُعلنون ويُسرُّون ، ومِمَّا به يعملون ؛

(١) في الإرشاد : « إلا ضلة » .

وَلَبِئْسَ مَا سَوَّلَتْ لَكَ نَفْسُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ خَزَنَتِهَا بَلْ مِنْ وَقُودِهَا ،
وَلِإِنَّ لَكَ فِيهَا لَأَنْكَالًا وَسَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا ، « وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا
أَلِيمًا » ^(١) . قُمْ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ !

فَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ . فَقُلْتُ : سُدُّوا فَاهَ مَخَافَةً أَنْ يَبْدُرَ مِنْهُ ^(٢) مِثْلُ
مَا بَدَرَ مِنَ الْمُضَلَّلِ الْأَوَّلِ ، وَأَمَرْتُ بِسُجْبِهِ فَسُجِبَ إِلَى أَلِيمِ عَذَابِ اللَّهِ
وَنَارِ « وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ
اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » ^(٣) .

ثُمَّ أَخَذْتُ قِرْطَاسًا وَكَتَبْتُ بِيَدِي يَمِينًا آلَيْتُ فِيهَا بِكُلِّ عَهْدٍ
مُؤَكَّدٍ ، وَعَقْدٍ مُرَدَّدٍ ، وَيَمِينٍ لَيْسَتْ لَهَا كَفَّارَةٌ — أَنْ ^(٤) لَا أَنْظُرَ فِي
الْهِنْدَسَةِ أَبَدًا ، وَلَا أَطْلُبُهَا ، وَلَا أَتَعَلَّمَهَا مِنْ أَحَدٍ سِرًّا وَلَا جَهْرًا ،
وَلَا عَلَى وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَلَا بِسَبَبٍ ^(٥) مِنَ الْأَسْبَابِ ؛ وَأَكَّدْتُ
بِمِثْلِ ذَلِكَ عَلَى عَقْبِي وَعَلَى أَعْقَابِ أَعْقَابِهِمْ : أَنْ لَا يَنْظُرُوا ^(٦) فِيهَا

(١) سورة الزمل ١٢ - ١٤ .

(٢) في الإرشاد : « ييدر من فيه » .

(٣) سورة التحريم ٦ .

(٤) في الإرشاد : « أَنِّي لَا أَنْظُرُ » .

(٥) في الإرشاد : « وَلَا عَلَى سَبَبٍ » .

(٦) في الإرشاد : « أَنْ لَا تَنْظُرُوا ... وَلَا تَعْلَمُوهَا ... مَا دَامَتْ » .

ولا يتعلموها ما قامت السموات والارض ، إلى أن تقوم الساعة
« لِيَقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ^(١) » .

فهذا بيانُ ما سألتَ - أعزك الله - [عنه] ^(٢) مما دُفعتُ إليه
وامتُحنتُ به ، ولتَعلَمَ ما كان مِنِّي ، ولولا وَعَكَّةُ أَنَا فِي عَقَائِلِهَا ^(٣)
لَحَضَرْتُكَ مُشَافِهَا ، وَأَخَذْتُ بِحَظِّي الْمُتَمَنَّى مِنَ الْأَنْسِ بِكَ ، وَالِاسْتِرَاحَةِ ه
إِلَيْكَ ؛ فَهَدَّ عَلَى ذَلِكَ عُذْرِي ، فَإِنَّكَ غَيْرُ مُبَايِنٍ لِفَكْرِي ، وَالسَّلَام .

رسالةُ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ^(٤) بن محمد بن ثَوَابَةِ إلى أَبِي
الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الطَّيِّبِ هَذِهِ ، فِيهَا مُعْتَبَرٌ وَاسِعٌ ، وَإِشْرَافٌ عَلَى عَقْلِ
مَدْخُولٍ ، وَهِيَ شَقِيقَةُ قَوْلِ ابْنِ عَبَّادٍ فِي الْحِكَايَةِ الَّتِي جَرَتْ قَبْلَ هَذِهِ ؛
وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِالْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ فَصِيحَ الْعِبَارَةِ ، كَثِيرَ التَّشْقِيقِ ، ١٠
مَدِيدَ النَّفْسِ ، قَادِرًا عَلَى السَّجْعِ ، / سَهْلَ الْإِزْتِجَالِ ؛ فَقَدْ يَأْتَلِفُ هَذَا [١٦٨]
كُلُّهُ وَالْعَقْلُ نَاقِصٌ ، وَقَدْ يُفْقَدُ هَذَا كُلُّهُ وَالْعَقْلُ رَاجِحٌ .

(١) سورة الشعراء ٣٨ .

(٢) تكملة عن الإرشاد .

(٣) العقابيل : بقايا المرض وأعقابه .

(٤) في ترجمته في الإرشاد ٢ / ٣٦ ، والفهرست ١٣٠ (أوربا) : أن اسمه

أحمد بن محمد .

وقلتُ لأبي سَعِيد السيرافي شيخ الدنيا : قال أبو زيد : يقال
إنه لكثيرُ فُضِيضِ الكلام^(١) ، أيرادُ بهذا مدحُ المذكور أم
الزَّرايَةُ عليه ؟

فقال لي : هو إلى الزَّراية أقرب ؛ لأنَّ الفُضَّ كُسرٌ ، ومنه :
فُضِضَتْ ختمَ الكتاب ، ومنه : ضَرَبَهُ فَضَارَ فُضاضاً ؛ والصَّحِيحُ
خيرٌ من المكسور ، وكأنَّه يُرادُ بهذا أنَّه يرمي بالكلام مكسراً
غيرَ صحيح .

وإنما أتيتُ بهذا لأنني سألتُ مرةً أبا السلم عن ابن عبَّاد ، فقال :
إنه لكثيرُ فُضِيضِ الكلام ، ثم مرَّ بي لأبي زيد^(٢) .

وكان ابنُ عبَّادٍ يقول كثيراً : ما مدحني شاعرٌ بأوجزٍ وأملحَ من
أبياتٍ وافقتني من شاعرٍ ينتسب لِسِجِسْتان ؛ فإنها تدلُّ على قُدرة صاحبها
وغزارة قائلها وحُسن تصرُّفه فيها ، وهي :

يا مَنْ أعادَ رَميمَ الملكِ منشورا وضمَّ بالرأي أمرَ آ كان منشورا
أنتَ الوزيرُ وإن لم تُؤتَ منشورا والأمرُ بعدك إن لم يؤتَ شُورى

(١) يقال ذلك حين يراد وصف الشخص بالهذر وكثرة الكلام .

(٢) هو سعيد بن أوس الأنصاري اللغوي المتوفى سنة ٢١٤ هـ . الإنباء ٢ / ٣٠ .

وقال ابن نباتة^(١) والخاليع^(٢) وابن الجلبات^(٣) : ليس في هذه
الآيات ما وجب له هذا الإعجاب كله ، ولكن الرجل طريف
المرأى والمخبر ، عجيب المبشر^(٤) والمنظر ؛ مداره على الهوى ، كيفما
سنح له جنح إليه ، وأينما برّح به طرّح عليه .

وكان ابن عباد إذا تكلم في مسألة ثم رأى في خصمه فتوراً نفّس
لحيته بأصابع يده وعبت بها ، وقتل رأسه ولوى عنقه ، وشنّج أنفه ،
وعوّج شدقه ، وقال منشداً^(٥) :

إِذَا الْمَشْكِلَاتُ تَصَدَّيْنِ لِي كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا بِالنَّظَرِ

(١) عبد العزيز بن عمر بن نباتة السعدي أبو نصر الشاعر المتوفى
سنة ٤٠٥ هـ . ترجمته في الوفيات ١ / ٣٧٠ ، ٢ / ٧٥ ، اليتيمة ٢ / ٣٤٩ ، المنتظم
٧ / ٢٧٤ ، الامتاع ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) الحسين بن أبي جعفر علي بن محمد الخاليع الراقعي . نحوي أديب شاعر
وله مصنفات . توفي سنة ٣٨٠ هـ . ترجمته في اليتيمة ٣ / ١٠٧ - ١١٣ ، عيون
التواريخ (سنة ٣٨٠ هـ) ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ٢٠٦ (أيا صوفيا) .
وانظر الامتاع ١ / ١٣٦ .

(٣) أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي الشامي الشاعر ، من أهل مرة
النهان . انظر اليتيمة ٣ / ٨٨ - ٩١ ، والإرشاد ٦ / ٢٥٦ ، والامتاع ١ / ١٣٥ .
وانظر شرح سقط الزند ١ / ٩٩ ، ١٠٢ .

(٤) كأنه مفعول من البشارة ، وهي هيئة الإنسان وسحناءه .

(٥) الأبيات في أمالي القاضي ٢ / ١٠١ ، زهر الآداب ١ / ٤٠ ، من إنشاد
علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وانظر الشريشي ٢ / ١٤٣ .

وإن برزت في تخيل^(١) الصَّوَا بَ عَمِيَاءَ لَا تَجْتَلِيهَا الْفِكْرُ
مُقْنَعَةً بِحَقِّي الشُّكُو لِ وَضَعْتُ عَلَيْهَا حُسَامَ النَّظَرِ
لِسَانًا كَشِقْشِقَةٍ^(٢) الْأَرْحَبِي^(٣) أَوْ كَالْحُسَامِ الْيَمَانِيِّ الذَّكْرُ

* * *

وَلَسْتُ بِذِي وَقْفَةٍ فِي الرَّجَا لِ أَسْأَلُ هَذَا وَذَا مَا الْخَبَرُ
وَلَكِنِّي مِدْرَهُ^(٤) الْأَصْغَرِي^(٥) نَ أَقِيسُ بِمَا قَدْ مَضَى مَا غَبَرُ ه
وكان لا يبعثه على هذا النمط إلا الذَّهَابُ بِنَفْسِهِ ، والشيء الذي
يحول بينه وبين عقله ؛ والعجيب أنه كان يعيب غيره بجزء من هذا
الباب لا يتجزأ ، ويقول : انظروا إلى تيهه وصلفه ومدحه لنفسه
واستبداده برأيه — وعلى هذا ، حتى إذا صار إلى نفسه وحديثه
وخواص أمره جهل وذهل ، وخرج في مُسْكٍ مَنْ لم يسمع بشيء من ١٠
ذلك ، ولم يفطن له ، ولم يأبه لِقَبِيحِهِ ، ولم يأنف من شنيعه .
وهذا من الأسرار في الأخلاق ، ولهذا طال كلامُ الأولين في

(١) الخيل : السحاب يخال فيه المطر .

(٢) الشَّقْشَقَةُ : ما يخرج الفحل من فيه عند هياجه .

(٣) أَرْحَبَ : بطن من همدان ، تنسب إليه النجائب الأرحبية .

(٤) المِدْرَةُ : المقدّم عند الخصومة ، الجري .

(٥) الْأَصْغَرَانِ : القلب واللسان .

الأخلاق ، وجاءت الشريعة واللغة واضحة كلاً في موضعها^(١) ، وناعته لمختارها ومردؤها ، وباعثة على حسنها وجميلها ، وداعية إلى رفض قبيحها ومُنكرها .

والكلام في هذا طويل الذيل مَيَّاس^(٢) ، وما أحسن ما قال الشاعر :

لا تَلَمْ المرءَ عَلَى فعلِهِ وَأَنْتَ مَنْسُوبٌ إِلَى مِثْلِهِ
من ذَمٍّ شَيْئًا وَأَتَى مِثْلَهُ فَإِنَّمَا يُزْرِي عَلَى عَقْلِهِ

والبيت السائر :

لَا تَنْهَ عَن بَخْلٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ - إِذَا فَعَلْتَ - عَظِيمٌ^(٣)

فهذا هذا

حدثني العتّابي قال^(٤) : قال قومٌ من أهل أَصْفَهان لابن عَبَّاد : لو كان القرآن مخلوقاً لجاز أن يموت ، ولومات القرآن في آخر شعبان بماذا كنا نصلي التراويح في رمضان ؟

(١) الأشبه : « موضعه » .

(٢) مَيَّاس : مائل ، والمراد : متشعب متسع .

(٣) المشهور أن البيت لأبي الأسود الدؤلي ، وقيل لغيره ؛ وهو من قصيدة

في الخزانة ٣ / ٦١٨ ، وانظر عيون الأخبار ٢ / ١٩ .

(٤) نقله ياقوت في الإرشاد ٢ / ٢٩٦ .

فقال : لومات القرآن كان رمضان أيضاً يموت ، ويقول : لاهياة بعدك ، ولا نُصلي التراويح ، ونستريح ^(١) .

وسأله الدامغاني يوماً عن قوله عز وجل ^(٢) : « وَلَقَدْ نَهَجْتُمْ بِهِ ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ^(٣) » ، أأقول إن يوسف هم بالمعصية ؟
 فقال : الكلام معطوف بمضه على بعض بالتقديم والتأخير ^(٤) ، فكانه قال : لولا أن رأى برهان ربه لقد كان يهيم بها ، ولكنه لم يهيم ، وهذا كقول القائل : إني غرقت لولا أنه خلصني فلان .

فحدثت بهذه الجملة ابن المراغي ^(٥) ببغداد ، فقال : لو سكت عن هذا كان أحسن به ، هذا تقدير لاعب بكتاب الله ، لا يحل نظم

(١) النادرة في طبقات السبكي ١ / ٢٢٠ منسوبة لعبادة الخنث ، وهي تجسيم لإحساس جماهير المسلمين نحو مسألة القول بخلق القرآن التي قال بها المعتزلة ، وتشدد القاضي أحمد بن أبي دواد في حمل الناس على اعتناقها ، وهي هنا في مجلس ابن عباد المعتزلي ترمي إلى الهدف نفسه .

(٢) في الأصل : « عن قوله عز وجل عن قوله » .

(٣) سورة يوسف ٢٤ .

(٤) هذا التوجيه منقول عن أبي عبيدة في لسان العرب (هم) ، وهو مع مناقشته في كتاب الأضداد لابن الأنباري ٣٦١ - ٣٦٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٥ / ٢٩٥ .

(٥) هو أبو الفتح محمد بن جعفر بن محمد وقد تقدمت ترجمته .

الكلام على تحريفه ؛ لأنّ ذلك جرأة ؛ أما سمعت الله يقول : «لَا تَقْدُمُوا
بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» ^(١) ؟

إنّما المراد به على سجية الكلام : ولقد همت به همها اللائق ،
وتمّ بها تمّ البشر الذي لا براءة له من همه إلا بتوفيق الله ، والبرهان
كان ذلك التوفيق .

٥

وما في الهم ؟ الله أكرم من أن يؤاخذ به ، وإنما ذكر ذلك
ليعلم أن النبي صلى الله عليه في نبوته غير مُكْتَفٍ بها دون أن يكفّه
الله بمصمته ، ويتغمده برحمته .

وسئل ابن عباد يوماً عن قوله عز وجل : « يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
شَوْاطِئُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » ^(٢) ،
فقيل : كيف يجوز أن يُعدّ هذا في الآلاء والنعم ، وهو إحراق بالنار ،
ولاً ألم بعده ، ولا عذاب فوقه ؟

فقال : أقول ما قال شيخنا أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري
رحمه الله ، فإنه قال : إن الله جعل جهنم سوطاً ساق به عباده إلى الجنة ؛

(١) سورة الحجرات ١ ، والمعنى : لا تتقدموا إلى أمر من أمور الدين
إلا بعد أن يحكم الله ورسوله ، ويأذنا فيه .
(٢) سورة الرحمن ٣٥ .

واللفظُ عنِ الحَسَن — عَلَى مَا عُنِينَا بِجَمْعِ كَلَامِهِ عَنِ الرَّوَاةِ — : « إِنَّ
اللَّهَ خَلَقَ جَهَنَّمَ لِيَجْشُرَ بِهَا الْخَلْقَ إِلَى طَاعَتِهِ » .

فَقَالَ أَصْحَابُنَا : فَزَعَهُ إِلَى الْحِكَايَةِ عَنِ الْحَسَنِ حَاكِمٌ بِأَنَّهُ مُفْلِسٌ ،
وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا قَوْلُ الْحَسَنِ تَرْقِيقٌ ^(١) ، وَكَلَامٌ يَدْخُلُ
فِي الْوَعظِ وَلَوْ حُقِّقَ لَقَلِّقَ . ٥

وَسَأَلَهُ الدَّامِغَانِيُّ يَوْمًا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى
الْغَضَبُ ^(٢) » أَيُّ مَوْضِعٍ لِهَذَا السَّكُوتِ ، وَالسَّكُوتُ ضِدُّ الْكَلَامِ
كَمَا أَنَّ السَّكُونَ ضِدُّ الْحَرَكَةِ ؟ فَمَا أُحْلَى وَلَا أَمَرٌ ، وَتَغَافَلُ إِذَا كَبُرَ
وَأَمَّا جَهْلًا .

١٠ وَسَمِعْتُ ابْنَ بَابُويَةَ ^(٣) يَقُولُ فِي هَذَا : هُوَ مِمَّا حُرِّفَ لِأَنَّهُ نَزَلَ :
« وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ^(٤) » بِالذُّنُونِ .

(١) تَرْقِيقُ الْقُلُوبِ : تَلِينُهَا لِتَقْبَلِ الْمَوْعِظَةَ .

(٢) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ١٥٤ ؛ وَفِي الْكَشَافِ ١ / ٥١١ : كَانَ الْغَضَبُ كَانَ
يُخْرِجُ مُوسَى وَيَقُولُ لَهُ قُلْ كَذَا ، وَافْعَلْ كَذَا ، وَمِنْ هُنَا حَسَنٌ « سَكَتَ » .

(٣) لَمْ يَلُكْهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى الْقَمِي ، مِنْ فُقَهَاءِ الشَّيْعَةِ وَثِقَاتِهِمْ ،
وَهُوَ مُصَنِّفُ مَكْتَبِ الْفَهْرَسْتِ ٢٧٧ . وَانْظُرْ لِسَانَ الْمِيزَانِ ٢ / ٢٠٦ .

(٤) فِي الْكَشَافِ ١ / ٥١١ : أَنَّهَا قِرَاءَةُ مَعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةٍ ، ثُمَّ قَالَ الرَّخْشَرِيُّ
إِنَّ النَّفْسَ لَا تَجِدُ لَهَا الرُّوعَةَ وَالْهَزَةَ الَّتِي تَجِدُهَا الْمَكَلَمَةُ « سَكَتَ » .

[٦٨ ب]

/ فقلت له : ومادركُ المحرّف في هذا ؟

فقال : هو ما قلتُ لك ، وقد صَحَّ عندنا ذلك عن الصادق .

فأمسكتُ عنه ؛ والجوابُ أَيْبُنُ من ذلك .

وقال يوماً الحصري : أيها الصاحب ! ما أقول لخصمي إذا قال

لي : حَدُّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه ؟

قال : قل له يَجِبُ عَلَى هذا إذا أخذَ الرجلُ عمامته المَكْوَرَةَ

فوضَعها عَلَى رُكْبته أن يكون ظالماً .

قال أبو سليمان : أخطأ ، لأنَّ العمامة قد تُوضَع عَلَى الركبة لغرضٍ

صَحِيح وحاجةٍ بادية ، في وقتٍ مُقتَضٍ لذلك ، وزمانٍ يليقُ به ذلك ،

ويكون حسناً عَدَلاً ، ويكون ذلك مكانها ؛ والرأس أيضاً جُعل

مكانها لغرضٍ معروف ، والأغراض تختلف وتأتلف .

وقيل له يوماً : ما أنكرتَ أن يكون الرِّزْقُ ما يأكله المرزوق

دون غيره ؟

فقال : عَلَى هذا لَوْ رَزَقَكَ اللهُ خُفّاً لكنك تأكله .

حكيت هذا لأبي سليمان فصرّف القول في الرِّزْق وفي أقسامه وعِلله ١٥

وأسبابه وغرائبهِ ؛ وقد أَخَرْتُهُ لمكان آخر ، فإن هذا الكتاب يَضِيقُ

عنه ، ويُخْرِجُ عن الأمر المُتَحَرِّى به .

وقال له أبو حاصم البصري يوماً : أليس المتكبر هو الذي يتعظم
زائداً على ما يستحقّه ويحسُن به ، ومن أجل ذلك ذمّوه بهذا الاسم
إذا أطلقوه ؟

فقال : بلى !

قال : فما معنى وصف الله نفسه بالتكبر ؟ ونحن إنما نفينا عنه
التكبر لقبحه عندنا وعندَ المعروفِ به بيننا ، فلو ساغ أن يُنعتَ
بالتكبر ساغ أن يُنعتَ بالتكذب .

فاشتطَّ وانتفخ وتربّد وجهه ودرّ وريدُه^(١) وكاد يزبد^(٢) ، ثم
تدفّق بكلام كثير ليس من مسألة أبي حاصم في شيء ، حفظتُ
١٠ منه^(٣) قوله :

أحدّم لا يعرف اللغة على طرائقها ودقائقها وحقائقها من ناحية
مجازها وسعتها ، ولا من جهة سلامتها وصحتها ؛ ولا يفرّق بين ما يجوز
على الله وبين ما لا يجوز على الله ؛ ويقصّد إلى المسائل المُشكِلة ، والمعاني
المُعْضِلة ، والأبواب الغامضة ، والألفاظ المتعارضة ، فيسأل عنها ،

(١) الوريد : العرق الذي في صفحة العنق . ودرّ : انتفخ عند الغضب .

(٢) يزبد : يشتعل ويحترق ، أو : يماقب .

(٣) في الأصل « منها » .

وَيُعْجَبُ بِهَا^(١).

لَيْتَكَ عَرَفْتَ هَذَا بَعْدَ أَنْ تَعَرَّفَ مَعْنَى قَوْلِ الْعَرَبِ : « صَابَتْ بِقُر^(٢) » ، وما المراد بقولهم : « عَوْدُ يَعْلَمُ الْعَنْج^(٣) » ، وما معنى قولهم : « لِكُلِّ جَابِهِ جَوْزَةٌ ثُمَّ يُؤْذَنُ^(٤) » ، ومن جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ^(٥) ، وَمَتَّى تَوَفَّى الْمُبْرَمَانِ^(٦) ، وما البديع ، وما بديع البديع ، وما المخترع^(٧) ، وَمَنْ صَاحِبَ الْبَيْتِ السَّائِرِ :

وَبِي مِثْلَ الَّذِي بَكَ غَيْرَ أَنِّي أُلَامٌ عَلَى الْبُكَاءِ وَتُعَفَّرِينَا

(١) يزهي ويتكبر بها .

(٢) أي نزل الأمر في قراره ، فلا يُسْتَطَاعُ لَهُ تَحْوِيلٌ ؛ وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ عِنْدَ الشَّدَةِ تَصِيبُ الْإِنْسَانِ . وانظر مجمع الأمثال ١ / ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٣) العود : البعير المسن ، والعنج : ضرب من الرياضة يُعَلِّمُهُ الْبَعِيرُ ؛ وَهُوَ أَيْضًا مِثْلُ مَعْنَاهُ : جَلَّ الْبَعِيرُ - بِمَا أَسْنَّ - عَنْ تَعَلُّمِ الرِّيَاضَةِ . مجمع الأمثال ١ / ٣٠٩ .

(٤) الجابه : وارد الماء وليس معه أدواته ولا دلائله ، والجوزة : السقاية الواحدة ، ويؤذن : يُرَدُّ ، والمعنى : لِكُلِّ مَنْ وَرَدَ عَلَيْنَا سَقِيَةً ، ثُمَّ يُنْمَعُ مِنَ الْمَاءِ ؛ وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِلنَّازِلِ يَطِيلُ الْإِقَامَةَ . مجمع الأمثال ٢ / ١٠١ . فِي الْأَصْلِ : « ثُمَّ يُوْدِي » .

(٥) أسماء جماع القرآن في حياة رسول الله ﷺ في الحُبْرِ لابن حبيب ٢٨٦ ، ألفه رست ٤١ ، الإتيان ١ / ٧٤ .

(٦) هو محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر النحوي ، ومبرمان لقب له . توفي سنة ٣٤٥ هـ . الإرشاد ٧ / ٤٢ ، الانباء ٣ / ١٨٩ ، البغية ٧٤ ، تاج العروس ١ / ١١ ، ٨ / ١٨٦ ، ١٩٨ ، منتخب الألقاب لابن الغرضي ٦٦ ، طبقات الزبيدي ٨٤ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « وَمَا الْخُدْع » .

ولقد^(١) صدق الأعرابي في قوله : كُنْ كالضَّبِّ الأعورِ يَعْرِفُ قَدْرَهُ
ولا يفارق جُحْرَهُ ؛ وأصاب عُمرُ في قوله : لا تَحْمِلُوا النَفْسَ عَلَى المَهْجُورِ
فتتركوا المفروض ، ولا تتجنبوا المأذونَ لكم فيه فتركبوا المنهيَّ عنه .
يَحْضُرُنا قَوْمٌ لَهُمْ دَفْرٌ^(٢) كَصُنَّانٍ^(٣) التيوس أعياء على المسك
والغالية ، يَسْأَلُونَ عما لا يَعْنِيهِمْ ولا يَلِيْقُ بقدرهم ، ولو سألتَ
واحدًا منهم عن كُنْية أَعْشى تَهْمَدانٍ^(٤) أو عن دُعَيْمِيسَ الرَّمْلِ^(٥) ،
وما اسم النَّمُوذَجِ في كلام العرب ، وكيف يُجْمَعُ المِجَانُ^(٦) ، وكيف
يُصْرَفُ الهِجَانُ^(٧) ، وما الأَقْذُ والمَرِيشُ^(٨) ، وما الخِباءُ

(١) في الأصل : « ولو صدق » .

(٢) الدَفْرُ : النتن .

(٣) الصنَّان : رائحة معاطف الجسم .

(٤) عبد الرحمن بن ناعط ، وقيل : ابن مالك ، وكنيته أبو المصْبَح .
ترجمته ومراجعتها في « المكثرة سد المذاكرة » .

(٥) اسم رجل كان خريثًا ماهرًا ، فضرب به المثل فقليل : « أدل من
دُعَيْمِيسَ الرَّمْلِ » . مجمع الأمثال ١ / ١٨٤ ، اللسان (دعمص) .

(٦) المِجَان : الأست ، والجمع : أعجنة وعُجْن .

(٧) الهِجَان : البيض من الإبل ، يستوي فيه الذكر والمؤنث والجمع ،
وقيل : هِجَان وهِجَن وهِجَاتِن ؛ فمنهم من يُفْرده دائمًا ومنهم من يجمعه ويكسِّره .

(٨) الأَقْذُ : السَّهْم لا ريش له ، والمستوي البرِّي لاميلاً فيه ، والمَرِيشُ :
السَّهْم عليه ريش .

والعريش^(١)، وما المشوق والحريش^(٢)، وما المشوف والحريش^(٣)،
وما الرئية^(٤) والفريش^(٥)، وما الكصيصة^(٦) والقصيصة^(٧)،
والخرْبَصِيصَة والهلْبَسِيصَة^(٨)، وما الفرقُ بين : ما [أنت] ^(٩) أخانا
فنكرمك ، وبين ما أنت أخانا فنهينك ، الأول بالنصب والثاني بالرفع ،
ومن الذي يقول :

فأرميها يُجْلَمُودِ وترميني بُجْلَمُودِ
فأرميها وترميني وكل هالك مود

-
- (١) الخباء : البيت من الور أو الصوف ، والعريش : الخيمة من الخشب أو الثمام .
(٢) المشوق : المشتاق ، والحريش : نوع من الحيات ، ودابة تسميها
العامة الكركدن .
(٣) المشوف : المجلثو ، ومن الإبل : المطلي بالقطران ، والجلد الهائج .
والحريش : المجدوش .
(٤) الرئية : وجع المفاصل ، والفتور ، والحق .
(٥) الفريش من ذوات الحافر : التي أتى عليها من نتاجها سبعة أيام . ومن
النبات : ما انبسط على الأرض .
(٦) الكصيصة : حباله يصاد بها الظبي ، ومن وضعه الذي يكون فيه .
(٧) القصيصة : البعير أو الدابة يتبع بها الأثر ، والزاملة الضميفة يُحمل
عليها المتاع ، وشجرة يتخذ منها الفسيل ، ونبت يخرج إلى جنب الكمأة .
(٨) يقال : ما على المرأة هلبسيصة ولا خربصيصة : أي شيء من الحلي .
وقيل : الخربصيصة : الأتقى من بنات وردان .
(٩) تكلمة لا بد منها .

ولكن صدق عمرو بن عُبيد شيخنا وشيخ الاسلام ، وشيخ
« العدل والتوحيد » حين قال : لن يكون العبد مستكماً لاسم الولاية
حتى يسمع الكلمة الموراء فيجعلها دُبْرَ أُذُنِهِ .

هذا مع قوله : تَقْوِيمُ الجاهل بما يُنْكِرُ أيسرُ من تعريفه ما يجهل ،
ولولا أَنَّ عُدْرِي فِي تَقْوِيمِكَ وَتَأْدِيبِكَ وَتَهْذِيبِكَ وَتَرْبِيَّتِكَ يَنْمُضُ عَلَى
كثِيرٍ مِمَّنْ يَسْمَعُ هَذَا الْحَدِيثَ لَسَلَخْتُ شَوَاتِكَ ^(١) ، وَكَسَرْتُ عَلَى رَأْسِكَ
دَوَاتِكَ ، وَأَلْزَمْتُكَ دَكَانَكَ وَأَدَاتَكَ ^(٢) وَأَطْعَمْتُكَ بُولَكَ وَخِرَاتَكَ .
اذهب فَأَنْتَ طَلِيقُ الْجَهْلِ وَالْقِلَّةِ ، عَتِيقُ الْخِيْبَةِ وَالذَّلَّةِ .

وكان إذا انتهى كلامه مع خصم يقول : النَظَرُ شِعَارِي ، وَالْجَدَلُ
دِثَارِي ، وَالْحَقُّ مَنَارِي ، وَالْبَيَانُ مَدَارِي ، وَاللَّهُ جَارِي ^(٣) .

وقال يوماً للحسين المتكلم :

أَلِي تَقُولُ هَذَا ، وَالْجَدَلُ رِدَائِي ، وَالنَظَرُ جِذَائِي ، وَالْعِلْمُ وَطَائِي ،
وَالْبَلَاغَةُ غِطَائِي ، وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ عَطَائِي ؟

(١) الشواة : جلدة الرأس .

(٢) الأداة : الآلة .

(٣) الجار : الناصر .

وقال يوماً آخر لأبي صادق الطّبري :

أنت يا أبا صادق خفيفُ الرأس ، شديدُ الإفلاس ، إذا أبصرت
النّحّار^(١) هذيت بالوسواس ، وصدّعت رؤوس الناس ، بالتمويه
والإلباس^(٢) .

وسمّته يوماً يقول لابن شاذان : يا أبا الحسن ، توقّ الرسن^(٣) ،
وانظر إلى المسنّ^(٤) ؛ فما أخوفني أن تُسنّ^(٥) بالقبيح لا بالحسن .
فقال له : أيها الصاحب ! كرم طبعك أمان لي من بوائق^(٦) سجعك .
وقال يوماً لابن حمزة :

الجدل من قبلي ، والنظر من خوّلي ؛ هل هضبةٌ تُوفي على جبلي ؟
فاحفظ نفسك ، واعرف خصمك ، وراجع فهمك ، وجربّ بختك .
وكانت له تمسات^(٧) كثيرة ، لكنها كانت تدفن ولا تُذاع ،
رهبةً ورغبةً .

(١) النحّار : القتال .

(٢) الإلباس : التلبيس .

(٣) الرسن : الجبل تخطم به الدابة

(٤) المسنّ : الحجر يسن عليه .

(٥) تسن : تظعن بالسنان .

(٦) جمع بائقة ، وهي الداهية .

(٧) تمسات : عثرات .

[١٦٩] قال يوماً : « اطلع / عليه » ، ولا يجوز « إليه » ، والمعنى يقتضي عليه لا غير .

وقال له الضرير النحوي : فما نصنع بقوله عز وجل : « لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى ^(١) » ؟ فبرد .

ومن هذا الضرب قال يوماً : جَنَّ عليه الليلُ ، [أي] ^(٢) كدَّه الليل ، ولا يجوز غير هذا .

فقال له أبو عمران الحسني : هذا لعمري في الفصيح ، وإياه ذكر ثعلب ^(٣) واختاره ، ولكن أين نحن من المَرَّار الفَقْعَسِي ^(٤) ، وهو أفصح من عالم صاحب « الفصيح » ، فإنه قال :

١٠ آليتُ لا أخفي إذا الليلُ جَنَّنِي سَنَا النَّارِ عن سارٍ ولا مُتَنَوِّرٍ
فقال : يا أبا عمران ! أنت جاهل بالعلم ، ولذلك شوَّه الله وجهك ، ووكل المقت والإدبار بك .

(١) سورة القصص ٣٨ . وفي كلام الضرير مغالطة ؛ لأن معنى التعبيرين يختلف باختلاف حرف الجر .

(٢) تكملة للإيضاح ، ومكانها يياض في الأصل .

(٣) انظر الفصيح (مع شرح أبي سهل الهروي) ٢٦ .

(٤) المَرَّار بن سميد بن حبيب الفَقْعَسِي الأسدي ، شاعر إسلامي كثير الشعر .

الشمر ٦٨٠ — ٦٨٣ .

وَأَنشَدَ يَوْمًا لِشَاعِرٍ :

وَإِذَا قُلْتُ لَهَا : جُودِي لَنَا خَرَجْتَ بِالصَّمْتِ مِنْ لَا وَنَعَم

قُلْتُ : أَصْحَابُنَا كَذَا يُنْشَدُونَ^(١) ، وَيَقَالُ فِيهِ تَصْغِيفٌ .

فَقَالَ : اسْلَحْ عَلَى أَصْحَابِكَ .

ولو كان سأل عن وجه التصحيف لكان أشبه بالفضل وأخلق بأخلاق الرؤساء .

وقيل له يومًا : ما القرحان^(٢) ؟

قال : الذي لم يخرج به الجُدري .

قيل : ولم قيل ذلك ؟

قال : لِيُصْنَعَ اللَّهُ بِهِ عَيْنَ السَّائِلِ ، وَيُصْنَعَهُمْ وَجْهَهُ ، وَيَسْمَلَ عَيْنَهُ ، ١٠
وَلِيُقَلَّ دِينَهُ ، وَيُدَقَّ ظَهْرُهُ ، وَيَسْلَطَ عَلَيْهِ مَنْ يَسُدُّ دُبْرَهُ .

وَاسْتَوْذَنَ يَوْمًا لِلرَّاقِ الطَّرْسُوسِي فَقَالَ : الطَّرُّ^(٣) فِي لَحِيَّتِهِ ،

وَالسُّوسُ فِي حِنْطَتِهِ ، مَا أَصْنَعَ بَطْلَعَتَهُ ؟

(١) فِي الْأَصْلِ : « كَذَى يَنْشَدُونَ » .

(٢) رَجُلٌ قَرْحَانٌ : لَمْ يَمْسَسْهُ الْقَرْحُ ، وَهُوَ الْجُدْرِي ؛ كَأَنَّهُ الْخَالِصُ مِنْ ذَلِكَ ، وَمِنْهُ الْمَاءُ الْقَرْحُاجُ الَّذِي لَمْ يَخَالِطْهُ شَيْءٌ .

(٣) الطَّرُّ : الْقَطْعُ وَالْقَصُّ .

وتسكّم يوماً الخطيب في قول الرجل : « لاملّ له قليلٌ ولا كثير ،
ولا مال له قليلاً ولا كثيراً ^(١) » ، فلم يفهم عنه .

وقيل له : ما الفرق بين « با » و « تا » و « ثا » في مواضعها
المخصوصة ^(٢) ؟ فتحيّر . وكان السائل ابن المراغي .

وقيل له : لم جاز : إنّ زيداً منطلقاً وعمرو ، ولم يجز : ليت زيداً
منطلقاً وعمرو ، والحرفان متضاران في إيجاب النصب ^(٣) ؟
فلم يكن عنده جواب .

ولقد سهرت معه ليلة في معرفة الفرق بين : « زيدٌ أفضلُ إخوته
وزيدٌ أفضلُ الإخوة » وجواز أحدهما وبطلان الآخر ^(٤) ، فكان
١٠ كالحمار بلادة .

وقلت للحنبلوي ^(٥) : إنك تنال من عرض هذا الرجل جدّاً .

(١) انظر الفرق بين التمييزين في شرح ابن عقيل على الألفية (مع حاشية
الخصري) ١٤٧/١ .

(٢) كأن في الكلام نقصاً ؛ فالمنعى المراد من السؤال غير واضح .

(٣) يحكى عن الفراء جواز ذلك مع « ليت » أيضاً . وانظر حاشية
الخصري على شرح ابن عقيل ١٦٤/١ - ١٦٥ .

(٤) « زيد أفضل إخوته » لا يجوز ، وقد أوضح أبو حيان نفسه وجه
المنع نقلاً عن أبي سعيد السيرافي في الامتاع ١١٨/١ - ١٢٠ ، والبصائر ٥ - ٨٧ .
(٥) الكلمة في الأصل : للحنبلوي ، وكذلك هي في أصول الامتاع ٢٨/٣ .
وقراها ناشيرو الامتاع : « الحنبلوي » .

فقال : قال النبي صلى الله عليه : « لِيُ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَظَهْرَهُ ^(١) »
كما قال : « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ ^(٢) » .

قلت : إنما وردَ هذا في الواجب ، كالَّذِينَ وَالثَّمَنَ وما أَشَبَّهُمَا .
فقال : الأَمَلُ دِينٌ ، وَالسَّكْرَمُ مَطْلُوبٌ ، وما رَأَسَ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا
وَفَرَضَ عَلَيْهِ الْإِفْضَالَ وَالْإِحْسَانَ .

وقيل لعقيل بن علفة ^(٣) : لم تهجوا قومك ؟

فقال : إن الشاة إذا وردت الماء فلم يُصْفَرْ لها لم تشرب ، أي إذا
لم يُحَرِّضُوا عَلَى الْمَسْكَارِمِ لَمْ يَفْعَلُوا .

(١) اللّٰثِي : المَطْلُ في أداء الدين وتأخيرهُ ، و « ظهْرهُ » : يعني اغتيابه .
والحديث في النهاية بلفظ : « لي . . . يحل عقوبته وعرضه » . وانظر لسان
العرب (لوى) .

(٢) الحديث في المقاصد الحسنة لاسنخاوي ١٨٣ . والمطل : تأخير
أداء الدين .

(٣) عقيل بن علفة المري ، أبو الوليد وأبو الميس ، شاعر مجيد من
شعراء غطفان . كان شريف النفس كثير الفخر بنسبه ، فرغب الخلفاء والأشراف
في مصاهرته ، وتزوج إليه يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ويحيى بن الحكم
أخو مروان . ترجمته في المؤلف والمختلف للآمدي ١٦٠ ، معجم الشعراء
للدرزباني ٣٠١ — ٣٠٢ ، اللآلي ١٨٥ ، الأغاني ٨٥/١١ ، الخزائن ٢٧٨/٢ .

(٤) في الأصل : « لم تهجوا » .

قال : وأنا أستحسن قول الفضل بن يحيى ^(١) : ما حثني أحد على الكرم كرجلٍ أنشدني بيتين وهما :

عُذ لي بمادتك التي عودتني — روجي فداؤك — يا أبا العباس
إن الذخائر — إن أردت ذخيرةً — ممن يُقلدها — رقابُ الناسِ

قال : وأعجبُ من ذلك قولُ جرير فيما رواه الصولي : إذا مدحتم فاختصروا ، وإذا هجوتهم فأطيلوا ^(٢) ؛ فإن الناس لا يملئون الشر .

ورأيتُه يوماً ، وقد جرى وانقطع ظهره ؛ فإنه قال ^(٣) :

قولهم : « إنها لإبلٌ أم شاء » ، معناه : بل شاء ^(٤) .

فقال له الحسنكي : فما تصنع بقوله عز وجل : « أم اتخذ مما يخلقُ

(١) أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي الجواد المشهور . كان أخا الرشيد من الرضاع ، ووزر له قبل أخيه جعفر بن يحيى ، وولاه الرشيد خراسان فحسنت سيرته . توفي سنة ٢٠٨ هـ . انظر وفيات الأعيان ٥١٦/١ .
في الأصل : « بن يحيى قال : ما » .

(٢) في المدة لابن رشيقي ١٦٤/٢ : « وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود . . . إلا جريراً فإنه قال لبنيه : إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة ، وإذا هجوتهم فخالفوا » .

(٣) تفيد « أم » هاهنا معنى الاستفهام والإضراب معاً ، والمعنى : « بل أهني شاء » . انظر شرح المعنى للدمايني ٩٣/١ .

بَنَاتٍ ^(١) ؟ » أترأه أراد به : بل اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ، وهذا كفر؟
فما دارَ لسانه بشيءٍ على حدِّته وكثرة هذيانه .

وحدثني العباسي ، وقد جرى ذكر ابن عبَّاد :

لقد أتانا حديث ما نكذِّبه عن الرِّسُولِ رَوَيْنَاهُ بِإِسْتِادٍ
أَنْ تَطْلُبَ الْخَيْرَ مِنْ وَجْهِهِ حَسَنٌ فَكَيْفَ تَطْلُبُهُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّادٍ ٥
مَشُوهُ الْخَلْقِ لِادِينٍ وَلَا حَسَبٍ كَالْقِرْدِ مَا عِنْدَهُ خَيْرٌ لِمُرْتَادٍ
فقلت : لمن الشعر ؟ فإنه واقع جداً .

فقال : هو لإدريس بن أبي حفصة ^(٢) .

قلت له : كأنه ما عني غير صاحبنا .

وقال له يوماً ابن ثابت :

روى البخاري في « التاريخ » ^(٣) « أن سعداً ^(٤) مولى أبي بكرٍ روى

(١) سورة الزخرف ١٦ . و « أم » هنا معناها الاستفهام الإنكاري . كما في
البحر المحيط لأبي حيان ٨/٨ . فالمنى يختلف في الموضعين وقول صاحب في
معنى التعبير صحيح .

(٢) أبو سليمان إدريس بن أبي حفصة في الفهرست لابن النديم ٢٢٩ .
وانظر كتاب الورقة ٤٥ .

(٣) التاريخ الكبير ، الجزء ٢ ، القسم ٢ ص ٤٨ رقم ١٩١٨ .

(٤) هكذا اسمه في تاريخ البخاري ، وسماه ابن حجر في الإصابة ٢٥٠/٣
« سعيداً » .

أَن رَجُلًا شكا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفْوَانَ بْنِ الْمَعْطَلِ ^(١) ، وقال :
إِنَّهُ هَجَانِي .

فَقَالَ : دَعُوهُ ، إِنَّهُ خَبِيثُ اللِّسَانِ طَيِّبُ الْقَلْبِ .

فَمَا تَأْوِيلُ : « خَبِيثُ اللِّسَانِ وَطَيِّبُ الْقَلْبِ » ؟

فَقَالَ : الْبُخَارِيُّ حَشَوِيٌّ ^(٢) فَشَرِيٌّ ^(٣) ، لَيْسَ عَلَيْهِ مُعَوَّلٌ ، وَلَا
لِقَوْلِهِ مُتَأَوَّلٌ .

وَسُئِلَ يَوْمًا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّمَ عَلَى قَلْبِكَ
وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ » ^(٤) ، كَيْفَ نَظَّمَهُ وَتَمَامُهُ فِي الْمَعْنَى وَاللَّفْظِ ؟
فَصَاحَ عَلَى السَّائِلِ وَقَالَ : أَتَسْأَلُ عَنِ النَّظْمِ ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ الرَّقْمَ ^(٥)

(١) فِي الْأَصْلِ : « ابْنُ أَبِي الْمَعْطَلِ » ، وَالتَّصْحِيحُ عَنِ الْإِسَابَةِ وَتَارِيخِ
الْبُخَارِيِّ .

(٢) مَنْسُوبٌ إِلَى الْحَشَوِيَّةِ ، وَهِيَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَشَبَّهَةِ . وَحِينَ يَسْتَعْمَلُ كَلِمَةَ
« حَشَوِيَّةٌ » مَعْتَزِلِيٌّ ، وَالْأَمْرُ هُنَا كَذَلِكَ ، فَالْمُرَادُ بِهَا « أَهْلُ السَّنَةِ » . وَقَدْ
تَسْتَعْمَلُ وَيُرَادُ بِهَا مَا يَرَادُفُ كَلِمَةَ « جَاهِلٌ » . وَالنَّظَرُ شِفَاءُ الْغَلِيلِ ٨١ .

(٣) فَشَرِيٌّ : نِسْبَةٌ إِلَى الْفَشَارِ بِمَعْنَى الْهَذْيَانِ ، عَامِيَّةٌ . تَاجُ الْعُرُوسِ
٤٧٠ / ٣ ، شِفَاءُ الْغَلِيلِ ١٦٧ .

(٤) سُورَةُ الشُّورَى ٢٤ .

(٥) الرَّقْمُ : الْكِتَابَةُ .

ولا العقم^(١) ولا الصدم^(٢) ولا الرذم^(٣) ؟

وأوصل إليه الوليديُّ مسائلَ من جماعةٍ من أهل نيسابور ،

كان فيها :

ما معنى : « إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ^(٤) » ؟ قد علمنا أن من كذب فهو كاذب . ٥

وكان فيها :

ما معنى قوله تعالى : « لَا تَتَّخِذُوا الْهَيْنَيْنِ اثْنَيْنِ^(٥) » ، وقد علمنا أن الهَيْنَيْنِ لا يكونان إلا اثنين ؟ ولا قناعة لنا بقول من قال : هذا توكيد ؛ فإن المطالبة فوق التوكيد ؛ وأضعفُ المتكلمين في القرآن من زعم أن شيئاً منه زائد ، وأن كذا وكذا لغوٌ ، وأن هذا على وجه ١٠ التوكيد ، ونحن وإن كنا نعلم أن التوكيد مذهبُ العرب ، وكذلك الزيادة والحذف والإضمار ، فالحكمة المطلوبة غيرُ ذلك .

(١) العقم : ضرب من الوشي .

(٢) الصدم : الدفع .

(٣) الرذم : سد الباب أو الثلمة ، وما يسقط من الجدار ، والصوت .

(٤) سورة النحل ١٠٥ .

(٥) سورة النحل ٥١ .

وَعَرَضَ عَلَيَّ الْوَلِيدِيُّ الْمَسَائِلَ ، وَكَانَ فِيهَا :
 وما معنى قول الله عز وجل : لَا تَجْمَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(١) ؟
 وما وجه قول القائل : « لَا تَجْمَلْ » [في] ما ^(٢) لَا يَجْمَلُ ؟ أَوْ جَائِزُ
 أَنْ يَقَالَ لِلْإِنْسَانِ : لَا تَنْظُرْ بِرَجْلِكَ ، وَلَا تَمْشِ بِعَيْنِكَ ؟ [فَإِنْ] ^(٣)
 قيل : لا ، لأن هذا لا يُخَافُ ، قيل : وكذلك لَا يَجْمَلُ اللَّهُ ، أحداً مع
 القوم الظالمين ، لأن هذا لا يُخَافُ .

وما معنى قوله : « مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ » ^(٤) ،
 وقوله : « ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى » ^(٥) ، وقوله : « وَأَلْقَيْتُ
 عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي » ^(٦) ، وعن قوله عز وجل : « وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا
 يَبَيِّنُ النَّاسُ ^(٧) » ؟

وما معنى قوله : « لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ » ^(٨) ؟
 خَبَّرْنَا عَنْ « الْآيَاتِ » ، أَكَانَتْ فِي أَفْعَالِهِمْ أَوْ فِي أَبْدَانِهِمْ ؟

(١) سورة الأعراف ٤٧ .

(٢) تكملة يتضح منها الكلام .

(٣) سورة الحجر ٥ ، وسورة المؤمنون ٤٣ .

(٤) سورة طه ٤٠ .

(٥) سورة طه ٣٩ .

(٦) سورة آل عمران ١٤٠ .

(٧) سورة يوسف ٧ .

وما معنى : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ »^(١) ؟

وخبرنا عن قوله : « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا »^(٢) [٦٩ ب]

وعن قوله : « فَإِنَّا^(٣) قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ »^(٤) وما

معنى : « وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^(٥) »^٥ الاختلاف أم للرحمة ؟

فإن قيل : للرحمة ، قيل : فالمختلفون هم الذين خلقهم للرحمة ، فما

معنى : « وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ » ؟ فقد أخرج من رحم من الاختلاف وللرحمة خلقهم ، فإذا كان كلهم للرحمة خلقوا فكلهم

غير مختلفين ، لأنه نفى عنهم الاختلاف وهم الجميع ، فأين المراد بالآية ؟ ١٠

وقال : « إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي »^(٦) ، وقال :

« فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً

(١) سورة المائدة ٤١ .

(٢) سورة هود ٦ .

(٣) في الأصل : (إنا قد) .

(٤) سورة طه ٨٥ .

(٥) سورة هود ١١٩ .

(٦) سورة يوسف ٥٣ .

وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ^(١) . أفليس قد أخبر أنه لم يشأ أن يجمعهم على الهدى
إذ أمرهم ؟

وما معنى قوله : « كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ »^(٢) ؟
ه فإن كان عمَّ بهذا الكُفَّارَ وَالْمُؤْمِنِينَ فافضيلة يوسف ؟ وإن كان خصَّ
يوسف فهو قدح في النحلة .

وقال : « وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ »^(٣)
تأشأ الله فِعْلُهُ ؟ فإن قيل : نعم ، فكلُّ ما شاء الله كان ، فهذا قولنا ،
وإن كان [مما]^(٤) لم يشاء فلا يكون ، فما وجهه إيجاب الأمر بأن لا يقول
لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ؟ إذ العباد يفعلون وإن لم يشأ الله . ١٠

وما تأويلُ قوله : « أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ
وَأَبْصَارُهُمْ »^(٥) ، وقال : « وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ »^(٦) ؟

(١) سورة الشورى ٧ — ٨ .

(٢) سورة يوسف ٢٤ .

(٣) سورة الكهف ٢٣ .

(٤) تكملة لا بد منها .

(٥) سورة النحل ١٠٨ .

(٦) سورة محمد ١٦ .

فبدأ بالطبع ، ثم ثنى بالاتباع ، وهذا يدفع تأويلكم في قوله :
« فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ^(١) » .

وما تأويل قوله : « وَالَّذِينَ ^(٢) اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ^(٣) » ، وقال : « هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ^(٤) » ؟

فهو بيانٌ للكفار ، وهُدًى وموعظةٌ للمتقين دون الكافرين ، فلم
تعمون ما خص الله ، وتخصون ما عم الله ؟

وما تأويل قوله : « وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ،
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ^(٥) » ؟

وما تأويل قوله : « وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(٦) » ؟

وما تأويل قوله : « لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ^(٧) » فخص بهدايته ١٠
أهل التقوى ؟

(١) سورة الصف ٥ .

(٢) في الأصل : « الذين » .

(٣) سورة محمد ١٧ .

(٤) سورة آل عمران ١٣٨ .

(٥) سورة الإسراء ٨٢ .

(٦) سورة الحشر ٩ ، وسورة التغابن ١٦ .

(٧) سورة البقرة ٢ .

فإن قيل : هو هُدى للكافر أيضاً ، فكيف وقد ختم القصة
فقال : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذَرُ لَهُمْ ^(١) » ،
كيف يكون القرآن هدى لمن كان سواء عليه أأنذره أم لم يُنذر .
ويقال : قال الله تعالى : « خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى
أَبْصَارِهِمْ ^(٢) » ، فهل زال فرض الله بختمه على قلوبهم ؟

فإن قالوا : لا ، فقد كلفوا أن يُبصرو الهدى وقد ختم على قلوبهم ،
وأزالوا الفرض عن ختم الله على قلبه وعذروه بكفره ، وجعلوه ^(٣) بمنزلة
الصبي والمجنون .

وإن أبوا أن يقال : لو شاء الله لم يُعص ، لأن الله ذم الذين قالوا :
« لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا ... ^(٤) » الآية ،
قيل : فما تصنعون بقوله : « وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ^(٥) الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ
بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ^(٦) » ، واقتتلهم معصية ، ولو شاء
الله ما عصوا بأن يمنهم ، إذ خلى بينهم وبين معصيته ؟
وما معنى قوله : وَلَسَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ^(٧) .

(١) سورة البقرة ٦ .

(٢) أنزلوه منزلة الصبي .

(٣) سورة البقرة ٧ .

(٤) في الاصل : « بن مريم » .

(٥) سورة الأنعام ١٤٨ .

(٦) سورة البقرة ٢٥٣ .

قال الوليدي :

وترددت^(١) شهوراً ليُجيبَ عنه فما فعل .

وكان في المسائل أيضاً :

كيف يُنفى العلمُ عن الله وقد أثبتّه لنفسه في مواضع ، والنصُّ
لا يُحذف ولا يتأول ؛ قال الله تعالى : « أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ^(٢) » ، وقال : ه
« فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْلَمَ^(٣) » ، وقال : « وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ^(٤) » ،
وقال : « وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ^(٥) » ، وقال : « ... وَلَا تَضَعُ إِلَّا
بِعِلْمِهِ^(٦) » ، و « وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا^(٧) » .

ومن أعرض عن التنزيل فقد خلع رِبْقَةَ الدِّين .

وكان إذا رأى كاتباً يقول له : أأحكمت « الفصيح » ؟ هات : ١٠

قذتِ العَيْنُ^(٨) ماذا ، وهات : لَحْمُ الرَّجُلِ وشَحْمُ وما في بابِه

(١) تحتل في الأصل : « فترددت شهوراً » .

(٢) سورة النساء ١٦٦ .

(٣) سورة الأعراف ٧ .

(٤) سورة الجاثية ٢٣ .

(٥) سورة الدخان ٣٢ .

(٦) سورة فصلت ٤٧ ، وسورة فاطر ١١ .

(٧) سورة الأنعام ٨٠ .

(٨) قذت العين تقذى : وقع فيها القذى ، وتقذى : رمت بالقذى .

وإذا رأى صاحب لُغةٍ قال : ما معنى قول الشاعر ^(١) :

وأقدرُ مُشْرِفِ الصَّهَوَاتِ ساطِ كُمَيْتٍ لَا أَحَقُّ وَلَا شَيْئُ ^(٢)

وإذا رأى نحوياً يقول : على ماذا ينتصب « نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ » ^(٣) ؟

فإذا أكثر من هذا وشبهه أنشد :

أرى الناسَ أخلاطاً جميعاً وإِهم على ذاك شَتَّى والهَوَى مُتَفَرِّقُ ٥

ترى المرءَ إن جالسته ذا صِنَاعَةٍ وسائرُ ما فيه على ذاك أخرقُ

وتلقَى أَصِيلَ الرَّأْيِ ليس لسانُه بِمُخْرِجِ ما في قلبه حينَ يَنطِقُ

ورأيتُه مرةً يسألُ الحسَنِي :

ما الطَّائِيَّةُ ^(٤) ، والثَّائِيَّةُ ^(٥) ، والغَايَةِ ^(٦) ، والآيَةِ ^(٧) ، والرَّايَةِ ^(٨) ؟

(١) هو عدي بن خرشة الخطمي ، والبيت في اللسان (ساط ، شأت ، حَقَق) .

(٢) فرس أقدر : تجوز حافراه رجله عند العدو ، وذلك من صفات مدحه ، والساط : الذي يرفع ذنبه في عدوه ، وهو محمود فيه أيضاً ، والأحق : الذي يضع رجله موضع يديه ، والشئيت : المتثور ، وكلاهما من صفات الفرس المذمومة .

(٣) سورة المدثر ٣٦ .

(٤) هذه الكلمات في رسالة الملائكة لأبي العلاء (١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٧) .

الطائية : السطح ، والصخرة العظيمة ، وأرض لا حجارة فيها ، والقطعة من الإبل .

(٥) الثانية : مأوى الغنم والإبل والبقر . —

وما الناقة القاصية^(١) والعاصية^(٢) والعاطية^(٣) ؟

وكان سريع الرد على الانسان شديد التعجرف ، وكان ذلك ربما انقلب عليه .

وقال يوماً لبعض العلماء في كلام سمعته منه : « أَصْفِيَّتُهُ كَذَا وكذا » لا يجوز ، أما قرأت القرآن : ، أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ^(٤) » ٥
إنما يجب أن تقول : أَصْفِيَّتُهُ بِكَذَا وكذا .

فقال العالم : هذا صحيح فصيح ، وغيره جائز حسن ، أما قرأت في الحماسة قول الشاعر في النسيب :

لئن كنت أوطأتني عشوة لقد كنت أَصْفَيْتِكَ الْوَدَّ حِينَا

١٠ فقال بعجرفته : الشعر موضع ضرورة .

— (٦) الغاية : المنتهى ، ومدى الشيء . وفي الأصل : « الماية » ، والتصويب عن رسالة الملائكة ١٠١ ، ١٠٩ .

(٧) الآية : العبرة والعلامة .

(٨) الراية : العلم .

(١) القاصية : المنفردة عن القطيع :

(٢) العاصية : التي لا تتبع أمها .

(٣) العاطية : المنقادة .

(٤) سورة الأعراف ٤٠ .

وكذب ، ليس هذا من ذلك .

وحدثني الثقة قال : قال يوماً المسيبي في حديثه : « وكان يخفر من ذلك ويستحيي » .

فقال له : سخنت عينك ، لا يُقال للرجل يخفر ، الخفر للنساء .
 فقال المسيبي : أيها الصاحب ! التؤدة خير من العجالة ، أين نحن من قول الشمرذل في أرجوزته ، رواها أبو حاتم ^(١) :
 لا يسبق النائل منه المنكرُ فتى شتاء يستحي ويخفرُ
 فقال : أخذنا في الحماقة .

وقال مرة : « ضرّه وأضرّ به » ، ولا يجوز أضرّه ، كذا لا يجوز ضرّ به . ١٠

فقال له رجل / من خراسان : فما تقول في قوله عز وجل :
 « وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ^(٢) » ؟
 فقال للرجل : اخسأ ! أهذا من ذلك ؟

وأخجل الرجل في صوابه ، ولم يخجل هو من خطئه لسقوطه وجهه
 ومكابرته وحسده ١٥

(١) سهل بن محمد السجستاني اللغوي الناقد المتوفى سنة ٢٥٥ هـ على خلاف .
 الفهرست ٨٦ ، الإنباء ٥٨/٢ .

(٢) في الأصل : « فما تقول في قوله » .

(٣) سورة البقرة ١٠٢ .

وقال يوماً : التَّكْتُ للعهد ، والخُلْفُ للوعد ؛ ولا يجوز : نكث الوعد ، وكذا لا يجوز : أخلفت العهد .

وكان بيت القرآن والرواية حاضراً أبو الحسن ابن شاذان فقال : هذا مرفوض بقوله تعالى : « قُلْ : أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ^(١) » .

٥

فبرّد ، وكان بارداً ، لا رِحمَ الله صداه ولا بَلَّ ثراه .
وقال في بعض الليالي : الاعتراف لا يكون إلّا في القبيح ، أمّا سمعت الكلام الذي هو كالمثل : « الاعترافُ يمحُو الاعتراف ^(٢) » ؟
فقال له مُقرئٌ قد حضر : التنزيلُ يَأْبَى هذا الحكم وينطق بغيره .
قال : وما ذاك ؟

١٠

قال : قال الله تعالى : « وَمَنْ يَتَّخِذْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ^(٣) » ،
افخّزي وقام .

ورأيتُه يناظر أبا الفرج البغداديّ الصوفي ، وكان في أذنه وقرن ،

(١) سورة البقرة ٨٠ .

(٢) مثل في جمع الأمثال ٣٢١/١ . في الأصل : « يمحوا » .

(٣) سورة الشورى ٢٣ .

في وسأوس الصوفية وخطرَاتهم، فقال له: يا أبا الفرج! إذا كانت البيّنونةُ
مَشموراً بها في عَرصة الحقّ — حيث لآعبارة للخلق، وَلَا أمانَ للجِلِّ
والدّقّ — بطنّت وسائلُ المعرفة بمخائلي المراد، واشتبهتْ أعلامُ الحال
في تثبیت الإشارة، وبقيت العبارةُ على إلف الآلف، وعادة المتآلف.

ه فأجابه أبو الفرج: لا ثباتَ لِمَناسِبِ البيّنونة في نهاياتِ الاتحاد،
إزوال شرائطِ رسوم الخلق عند تصافي الأرواح بمخائلي الحق. قال ابن
عبّاد: ما أنكر تَلَاشِي المَناسِب في نهايات الاتحاد، إذا سطّعت
أنوارُ الحقيقة بالانقِداد؛ وإنما جَرَرْتُ الكلامَ إلى غايةٍ تَرَلَقَ فيها ^(١)
الأفهام، وتَسَيَّخَ فيها ^(٢) الأوهام، ولا يُشْرِفُ عليها ^(١) إلا مَنْ خَصَّصَهُ
١٠ الحقُّ بخصائص التّمام، ورَفَعَ معارفه عن مَعارف جُملة العوامّ؛ ولولا الحالُ
التي امتحنني الحقُّ بها، وسحبني على غرائبها وعجائبها، في عرض
صَوادقها وكَوادِبها، ممّا هو مَرْدودٌ إليه، ومتروكٌل فيه عليه، لشَقَقْتُ
مَعَكَ جِلِبَابَ صَدْرٍ قد حُشي ودائع، وفتحتُ لك أَبْوابَ خَزَائِنِ
قد جمعت فيها بدائع؛ ولكنّي بما تراني أَذْبَذْتُ ^(٢) عليه مأخوذ،

(١) في الأصل: «فيه ... فيه ... عليه».

(٢) أَذْبَذْتُ: أَرَدَدَ.

وبما تسمعي أَدْنِدُنْ حوله محذوذ^(١) . وإلى الله المشتكى ، فهو الغاية
والمنتهى .

ثم قال : يا أبا الفرج ! هل تعرف من أصحابك من يقول :
بُلَيْتُ بِمَالُو يُبْتَلَى أَحَدٌ بِهِ لَأَصْبَحَ كَالْعَيْنِ النَّفِيسِ يَطِيشُ
بِعِشْقِي وَإِعْرَاضٍ وَشَوْقٍ وَغُرْبَةٍ وَمَحْكٍ^(٢) الذي أهرى فكيف أعيشُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنِّي مَتَصَوِّفٌ وَلَكِنْ صُوفَ الْعَاشِقِينَ حَشِيشُ
وقلت^(٣) لأبي السلم نجبة بن عليّ [القحطاني الشاعر^(٤)] : قد
لَقِيتَ ابْنَ الْعَمِيدِ ، وَهَآأَنْتَ تُشَاهِدُ ابْنَ عَبَّادٍ ، فَصِفْهُمَا لِي ؛ فَإِنَّكَ رَجُلٌ
بَدَوِيٌّ ، وَتَنْظُرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ بِفِطْرَتِكَ ، وَتَنْطِقُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِسَابِقِ
فِطْنَتِكَ .

١٠

فقال : أَمَا ابْنُ الْعَمِيدِ — يعني أبا الفضل — فكان بحره لا يُنْزَفُ^(٥)
وَبُرُّهُ لَا يَنْسَفُ^(٦) ، وَغُبَارُهُ لَا يُشَقُّ ، وَنَسِيمُهُ لَا يُشَقُّ ، وَحَبِّهِ

(١) محذوذ : مقطوع .

(٢) المحك : عسر الخلق ، والاستمرار في الخصومة .

(٣) نقله ياقوت في الإرشاد ٣٠١/٢ .

(٤) عن الإرشاد ٣٠١/٢ .

(٥) لا ينزف : لا يفنى ماؤه .

(٦) لا ينسف : لا يختلج . المعنى : لا يثرام لعزه .

لا يفرك^(١) وأديمه لا يُعرك^(٢) ؛ عَلَى بُحْلِ كَانَ بِهِ أَحَالُ نَهَارِهِ لَيْلاً ،
وَأَلْصَقَ بِهِ ثُبُوراً وَوَيْلاً .

وأما هذا — يعني ابن عبّاد — فليس في استحسانه لإحسانه فضلٌ
لاستحسانه لإحسان غيره ، قد غرق في بحر نفسه ، فليس يرفع طرفه
إلى أحدٍ من بني جنسه ؛ وهذا الذي يدلّ عَلَى غايةِ نقصه . ٥

وقلتُ للحيلو هي يوماً : كيف ترى ابن عبّاد ؟

فقال : كما قال الشاعر^(٣) :

كَبْرَقِ لَاحَ يُعْجِبُ مَنْ رَأَاهُ وَلَا يَسْتَبِي الْحَوَائِمَ مِنْ لَمَاقٍ^(٤)

ونظر إليه يوماً وقد طلع في موكبه فتمثل بقول الشاعر :

١٠ وَأَنْتَ كَغَيْثِ السُّوءِ مِنْ يَرَّ بَرَقُهُ يَشِمُّهُ وَمَنْ يَحُلُّ بِهِ فَهُوَ جَادِبُهُ^(٥)

(١) حَبَّه لا يفرك : لا يدلك حتى ينقلع قشره عن لبه . أي لا يسام الخسف .

(٢) عرك الأديم : دلكه ، وعركته الحرب أتت عليه .

(٣) هو نهشل بن حرمي ، والبيت في اللسان (المق) ، وشرح الشريشي على

المقامات ١١٠/٢ برواية : « ولا يشفي » .

(٤) الحوائم : العطاش . الملق : اليسير من الشراب والطعام .

(٥) الجادب : الكاذب . وانظر لسان العرب (جذب) .

ومن شعر ابن عباد ، وهو يتملح به عند نفسه ، قوله في رجل تزوجت أمه :

عدلت تزويجه أمه فقال : فعلت حلالاً يجوز
فقلت : حلال كما قد زعم ولكن سمحت بصدع المعجوز

وقال أيضاً ^(١) :

زوجت أمك يا أخي فكسوتني ثوب القلاق
والحر لا يهدي الحر م ^(٢) إلى الرجال على طبق

وقلت لأبي الفرج الصوفي البغدادي : أنت شيخ صوفي ، ولك ذكر جميل ، لم تتعاطى لهذا الرجل — أعني ابن عباد — الكلام في الزهد والدقائق والأضمار والوساوس وتصفية الأعمال ؟ هذا علم يذكر ١٠ به أصحاب الخرق ، وأرباب الخرق .

فقال : هذا رجل رقيق رفيع ، وله جاه ومال وهو مُطاع ، ولست أصل إلى ما في يديه إلا بالرقاعة ، وأنا ثقيل الظهر بالعيال محتاج إلى

(١) البیان فی الیتیمه ٢٤٤/٣ ، وماهده التنصيص ١٦٠/٢ .

(٢) الحرم ، بضمتين جمع حريم ، وهو ما يحويه الرجل من أهله وأقاربه . وشددت الميم للوزن . ورواية اليتيمه « الحرام إلى » ، وفي الماهد : « اللحوم إلى » . وكلتاها تصحيف .

القوت ، فأخفق له ساعة حتى أنال منه هذا الحطام الذي ^(١) قد تهالك عليه الخاصّ والعامّ ، وقد قال الأول :

فحامقته حتى يقال سجيّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكنت أعاقله

وسمته يقول ، وقد جرى حديث ابن العميد أبي الفضل ، فقال :
 لم يكن له — مع فضله الشائع ، وأدبه البارِع — عِلْمُ الدِّين ، ولا كان
 عنده شيءٌ من الشريعة ؛ كان لا يعرف القرآن وأحكامه وغريبه
 وإعرابه ، واختلاف العلماء فيه بضروب التأويل وغرائب التفسير ؛
 والرئيس إذا عري من هذا السربال فهو ممقوت عند الله تعالى ، مقليٌّ
 عند الناس . وكان ^(٢) إذا سمع كلاماً في الدين ثقل عليه ، وخدس عنه ،
 وقطع على الخائض فيه ، وكان إذا احتفل في العلم والحكمة وما يدلُّ
 على الخصوصية قال :

لم صارت الأشياء المتعادية في حياتها تتعادي بعد مماتها أيضاً
 وتتنافر ؟ كيمى الذئب ^(٣) وجلد الشاة ، وكسّن السنور وعظم الفارة .

ولم الصبيُّ إذا ولد أزرق فأرضعته حبشيةً عاد أشهل ، فإن دامت
 عليه عاد أكل ؟

(١) في الأصل : « والذي » .

(٢) يعني أبا الفضل ابن العميد .

(٣) في الأصل : « كما الذئب » .

لَا يَتَغَلَّغَلْ شَعْرُهُ كَمَا اسْوَدَّتْ حَدَقَتُهُ ؟

وَلَمْ يُنْسَبِ الضَّبُّ إِلَى الْعُقُوقِ^(١) ، وَالْهَرَّةُ إِلَى الْبَرِّ ، وَهُمَا يَتَشَابَهُانِ فِي أَكْلِ أَوْلَادِهِمَا ؟

قَالَ : وَيَقُولُ فِي دَقِيقِ عِلْمِهِ وَغَامِضِ حِكْمَتِهِ : قِيلَ لِسَنُورَةٍ : لَمْ تَأْكُلِينَ جِرَاءَكَ عَلَى فَرْطِ حُبِّكَ لَهَا ؟ قَالَتْ : يُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّ أَكْبَادَنَا أَوْلَى ه .

بأن تكون فيها ، من الأماكن التي تحويها^(١) .

قَالَ : وَمِنْ مُجَلَّةِ ذَلِكَ أَيْضًا :

لَمْ تَمُوتِ السَّعْلَاءُ مِنَ الضَّرْبَةِ الْأُولَى ، وَتَعِيشُ بِالضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ ؟

وَلَمْ صَارَ الْفَرَسُ لَا طِحَالًا لَهُ^(٢) ، وَالْبَعِيرُ لَا مَرَارَةَ لَهُ^(٣) ، وَالظَّلِيمُ

لَا مَتَّحَ لِعَظْمِهِ^(٤) ؟ ١٠

وَلَمْ لَيْسَ فِي السَّبَاعِ أَطِيبُ أَفْوَاهًا مِنَ الْكِلَابِ^(٥) ، وَلَا فِي الْوَحْشِ

أَطِيبُ أَفْوَاهًا مِنَ الظُّبَاءِ^(٦) ؟

(١) انظر مجمع الأمثال ٣٣٣/١ . ورسالة الترييع والتدوير للجاحظ ٩٦ .

(٢) انظر الحيوان للجاحظ ٤٤٠/٦ - ٤٤١ . والترييع والتدوير ٩٣ .

(٣) الترييع والتدوير ٩٣ .

(٤) كذا في الحيوان ٣٢٦/٤ ، ٣٢٧ ، وفي حياة الحيوان ٣١٣/٢ أن له

نخا يورث آكلته داء السل .

(٥) الحيوان ٣٧٢/١ ، ٣٧٥ ، ١٥٤/٢ ، ١٧٦ .

(٦) الحيوان ١٥٥/٢ .

- وكيف صار الأسد أشدَّ الحيوان بَحْرًا ^(١) وكذلك الصَّقر ^(٢) ؟
- ولم صار الكلبُ أسبَحَ من سائر السَّبَاع ^(٣) ؟
- ولم صار حيتانُ البحر لا ألسنة لها ولا أديمغة ^(٤) ؟ ؟
- ولم صار صَفَنَ البعير لا بيضةَ فيه ^(٥) ؟
- ولم صارت السمكة لا رئة لها ^(٦) ؟
- ولم صار في فؤاد الثور عظم ^(٧) ؟
- ولم صارت البراغيث تجتمع على السَّوط متى دُهن بشَحْم قُنْفَذ أو
- مُسِيح بِمُضْرَانِ ابْنِ عِرْس ^(٨) ؟
- ولم صار الزَّنبور ^(٩) يموت في الزيت ويعيش في الخلّ ، كما تموت
- الخُنُفساء ^(١٠) في الورد وتعيش في الرّوث ؟

-
- (١) الحيوان ٢ / ١٥٤ .
- (٢) ✓ ٢ / ١٥٥ .
- (٣) ✓ ٢ / ١٨٠ ، ٥ / ١١٩ .
- (٤) ✓ ٦ / ٤٤١ .
- (٥) ✓ ٦ / ٤٣٩ — ٤٤٠ .
- (٦) التريبع والتدوير ٩٣ .
- (٧) الحيوان ٦ / ٤٤٠ — ٤٤١ .
- (٨) في الأصل : « بن » .
- (٩) حياة الحيوان ٢ / ٩٢٨ .
- (١٠) الحيوان ٣ / ٣٤٩ ، حياة الحيوان ١ / ١٧٠ .

ولم صار الضَّبُّ يأكل الجراد ويسالم العقارب^(١) ، وهي « أشبه بها من الماء بالماء^(٢) » ؟ — في حماقات كثيرة ، الجهلُ بها أحمد من العلم بها^(٣) .

هذا من تشنيعه على أبي الفضل ، وكان مع ذلك ربما قال : كان واحد الدنيا ؛ وهذا كما ترى ، وهو يدخل في باب المناقضة .

والأمر الذي تشدد فيه — أعني ابن عباد — وبلغ الحدَّ الأبعد منه ، وزاد على جميع الناس فيه : باب المخاطبات ، وأنه كان يطالب أصناف الناس بما ليس في الطاقة ولم تجر به عادة ، وكان يقول : هذا الذي به أجِدُ طعم ولايتي ، ولولا هذه اللذة والشهوة ما باليت أن أتقلب في مرقعة خلق ، وثوب رثّ بال ، أجوب بلاد الله ، وألقى عباد الله ، وآكل رزق الله .

ولقد خدع في هذا عن أموال خطيرة. إختلست فتغافل عنها ، إمّا عن جهل وجنون ، وإمّا عن غيرها ؛ وأفسد البيان والبلاغة على الناس بهذا السبب ، لأنه كان يسوم كل من كتب إليه أن يسكنني عن

(١) الحيوان ٥٨/٦ ، ٥٩ .

(٢) مثل ، في مجمع الأمثال ١/٢٦٣ .

(٣) إلى هنا ينتهي كلام ابن العميد .

نفسه بالمُبودية ، وعنه بالمولوية ، ثم يعرض في هاتين السكتين^(١) ،
وكذاية الحديث والأمر والشأن ، ومن الحديث عنه ، أو له ، أو فيه ، فربما
تشاجرت كنيات وتداعت معانيها على الكاتب فلا يتخلص إلى تحقيق
مراد ، واستبانة وجه ، وهذا الذي أقوله يعرفه الذي دفع إليه ودُهي به^(٢) .

وقال لي ابن ثابت :

قلت له : كيف كان الخليفة يَرْضَى بأن يقال له : أعزّه الله ،
وكذلك وليّ العهد ، والوزير ، ومن قاد الجيش وأغنى في الهبة^(٣) ،
ومن أمر على شطر الدنيا ؟

وكان ابن الزيات^(٤) يقال له يا أبا جعفر ، وابن أبي دُواد^(٥) يقال

١٠ له : يا أبا عبد الله .

(١) وهو اصطلاح كوفي ؛ وفي تاج العروس (كنى) : واستعمل سيبويه
« السكتية » في علامة المضمّر . وفي الأصل « السكتيتين » تصحيف .

(٢) انظر الإمتاع ٢٠/١ - ٢١ حيث يتكرر هذا الحديث .

(٣) الهبة : الغبار ، والمراد : الحرب التي تسيّته .

(٤) محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة ، وزير المتصم والوائق والمتوكل
كان مجيداً وكاتباً شاعراً وبلغياً . وقتل سنة ٢٣٣ هـ . ترجمته في الوافي ٧٠/٢ ،
مسالك الأبصار (٣٤٢٣) أياصوفيا - صحيفة ٤٨٨ - ٤٩٠) ، ذيل تجارب الأمم
٣/ ٨٢ ، تاريخ الطبري ٣/ ١٣٧٠ (ليدن) ، الأغاني ٤٦/٢٠ ، ألفخري ٢١٣ .

(٥) أحمد بن أبي دواد فرج بن جرير بن مالك ، أبو عبد الله القاضي
المتوفى سنة ٢٤٠ هـ . الوفيات ١/ ٢٦ - ٣٢ ، تاريخ بغداد ٣/ ١٤١ - ١٥٦ .

فقال : كان النَّاسُ في ذلك الوقت ضِعَافَ العقولِ صِغَارَ الهِمَمِ ، ولم تكن لهم مَرَاثِرُ مُغَارَةٍ ، ولا نفوس فيها غَزَاةٌ .

هكذا قال . وهذا — حفظك الله — كلامٌ جاهلٍ لا خبرة له بشيءٍ من أمور الدنيا والدين ، وهو مع ذلك دليل على النَّدَالَةِ والسَّقُوطِ .

- وَجَرَى يوماً حديثُ المَخَاطَبَاتِ عند القاضي أَبِي حامد المَرُورُوذِي^(١) .
- والتَّرتِيبُ فيها ، وامتَعاَضُ النَّاسِ مِنَ التَّصَارُفِ الجَارِي بين أهلها ، فقال : سبَّبَ هذا كُلُّهُ إِحْسَاسُ النَّاسِ بِنَقْصِهِمُ الْقَائِمَ بِهِمْ ، الرَّاكِدَ عليهم ، النَّابِتُ فيهِمْ ؛ وَطَلَبُ دَفْعِ ذلك بالتَّرتِيبِ ، وَنَفْيُهُ بِالْخُطَابِ ؛ وَلَيْسَ الطَّرِيقُ إِلَى ذلك هذا ، بَلِ الطَّرِيقُ إِلَيْهِ الْأَخْذُ بِأَخْلَاقِ مَنْ سَلَفَ : مِنَ الْحَيَاءِ وَالْكَرَمِ وَالدينِ وَالْمَرْوَةِ . انْظُرْ إِلَى السَّلَفِ الصَّالِحِ ١٠ كَيْفَ كَانُوا ، هَلْ خَاطَبُوا رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ — إِلَّا بِمَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

وَبَعْدُ فَهَلْ يَخَاطَبُ رَبُّنَا إِلَّا بِالتَّاءِ وَإِلَّا بِالْكَافِ ؟ وَهَلْ سَمِعْتَ عَبْدًا لِلَّهِ قَدْ أَخْلَصَ دِينَهُ لَهُ قَالَ : إِنْ رَأَى رَبُّنَا فَعَلَ بِعَبْدِهِ كَذَا وَكَذَا ؟ وَهَلْ

(١) أَحْمَدُ بْنُ عَامِرِ بْنِ بَشَرٍ (أَوْ بَشَرُ بْنُ عَامِرٍ) الْقَاضِي الْبَصْرِيُّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٣٦٢ هـ . طَبَقَاتُ السَّبْكِ ٨٢/٢ - ٨٣ . الْفَهْرَسْتُ ٣٠١ ، الْبَدَايَةُ ١١/٢٠٩ .

الخير كله إلا فيما خص الله به نبيه وأُمَّته، وأشاعَ فيهم حكمته وبركته .

ثم قال أبو حامد : وينبغي أن لا يكون بينك وبين أصدقائك صَرف^(١)، لأنَّ الصِّدَاقَةَ فوق ذلك ، بل المصارفةُ فيها تُقْذِيها وتُفْسِدُهَا^(٢)، وتحيل نضارتها ، وتبدل غضارتها ، وقد تستحيل الصِّدَاقَةُ بالمصارفة عداوة ، لأنَّ التَّجَنِّي والاستزادة يَعْتَوِرَانِها ، والاعتداد والاحتجاج^(٣) يَمْحَقَانِها ؛ فَأَمَّا النظراء والأكفاء فيكفي معهم أن يكون الجوابُ كالأبتداء ، والآخر كالأول .

وكان أبو محمد النبائي يقول في هذا الباب كلاماً طيباً ، وأنا أحكيه لأنَّه موضعه وإن تنفست الرسالة ، فالغرض الفائدة ، وإن كان سببُ إنشائها الغيظ الذي فاض الصِّدر به ، ومَرِحَ اللِّسانُ بوصفه ، وقد قال ابن الرومي^(٤) :

(١) صرف الحديث : تزيينه والتكلف فيه ، وهو منهي عنه في الحديث (النهاية ٢/٢٥٩ - ٢٦٠) لما يخالطه من الكذب والتزيد . الناج (صرف) .

(٢) في الأصل : يقذِيها ويفسدها .

(٣) في الأصل : « والاعتذار والاحتجاج » .

(٤) علي بن العباس بن جريج أبو الحسن ، الشاعر المكثر المجيد . توفي سنة ٢٨٣ هـ على خلاف في تاريخ وفاته . المنتظم ٥/١٦٥ - ١٦٨ ، الوفيات ١/٤٤٢ ، ٤٤٤ - ٤٤٤ ، معاهد التنصيص ١/٣٨ - ٤٢ .

وَمَا الْحِقْدُ إِلَّا تَوَهُّمُ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى

وبعضُ السَّجَايا يَنْتَسِبُنْ إِلَى بَعْضٍ ^(١)

فَحَيْثُ تَرَى حِقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ

فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرَضِ

٥ إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رَيْغَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ

مِنَ الْبَذْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ

فهذا هذا .

قال : جميعُ ما يتقلبُ النَّاسُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْفَاسِدَةِ وَالْأَحْوَالِ

الرَّدِيَّةِ ، يَرْجِعُ إِلَى أَصُولٍ أَرْبَعَةٍ ، وَهِيَ : الْحِمَاقَةُ وَالرَّقَاعَةُ

١٠ وَالرُّعُونَةُ وَالْجُنُونُ .

قال : فَأَمَّا الْحِمَاقَةُ فَمَا عَلَيْهِ الْكِتَابُ مِنَ الْمَخَاطِبَاتِ الْمَخْتَلِفَةِ الَّتِي لَيْسَ

فِيهَا حَقِيقَةٌ ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى صِحَّةٍ ، لَا مِنْ جِهَةِ الدِّيَانَةِ وَلَا مِنْ جِهَةِ

رَسْمِ الْأَوَّلِينَ السَّادَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يُؤَدِّي إِلَى الْقَالِ وَالْقِيلِ وَإِلَى

الْعَدَاوَةِ وَالْمَغَالِبَةِ ، وَيَبْعَثُ عَلَى الْوَحْشَةِ الشَّدِيدَةِ بِالِاسْتِشْعَارِ الرَّدِيِّ ،

١٥ وَالْوَسْوَاسِ الْمُوَدِّيِّ ؛ لِأَنَّ التَّرْتِيبَ إِنْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ هُوَ دُونَكَ

(١) الأبيات في ديوانه ١٦٣ ، وزهر الآداب ٦٦٠ - ٦٦١ بترتيب يخالف

رواية أبي حيان هنا .

فهو عَلَى الدَّلالة عَلَى محمّك ، وإن كان إلى نظيرك ، فهو عَلَى غايةِ المماثلة
بينه وبينك ، وإن كان إلى مَنْ قوِّك فهو عَلَى توفية ما يَسْتَحِقُّه منك .
قيل له : ها هنا قِسْمٌ آخَرُ ، والذَّاهِيَةُ كُلُّهَا منه .
قال : وما هو ؟

٥ قيل : الذي يدَّعي أَنه نظيرُك وهو دونك ، والذي هو فوقك
وتدَّعي أَنه في حدِّك ، وها هنا يشتدُّ النزاع والنِّزاع ، وتتحطَّم القنا
ويتطَّير الشرر ، ويَجِدُ الشَّيْطَانُ مَدْخَلًا مِنْهُ ، وتَسْوِيلاً بِهِ .
فقال : هذا من فقد التناصُّف في الأصل ، وإلا فالحالُ مُفضِيَةٌ في
التحقيق إلى الكلام الأول .

١٠ ثم قال :

وَأما الرَّقَاعَةُ فَاتِّفَاشُ الْقُضَاةِ وَالشُّهُودِ ، أَلَا تَرَاهُمْ كَيْفَ يُوسِّعُونَ
أَكْبَامَهُمْ ، وَيُعَرِّضُونَ جِيُوبَهُمْ ، وَيُرْخُونَ أَطْوَاقَهُمْ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى
الْأَرْضِ تَعْظُمًا عَلَى مَنْ يُكَلِّمُهُمْ ، وَتَبَرُّوْا مَنْ يَخَالِفُهُمْ ؟ أَلَا تَرَى إِلَى
دُنْيَاتِهِمْ وَقَرَامِعَتِهِمْ^(١) / وَقَلَانِسِهِمْ وَعَمَائِمِهِمْ وَتَحْنُبُلِهِمْ^(٢) . وَتَقْتُلُهُمْ^(٣) ؟
١٥ فهم كما قال الشاعر :

(١) كذا الأصل .

(٢) تحنبلهم : تذللهم .

(٣) تقتلهم : خضوعهم .

وَأَنْتَ بِاللَّيْلِ ذِئْبٌ لَّا حَرِيمَ لَهُ وَبِالنَّهَارِ عَلَى سَمْتِ ابْنِ سِيرِينَ ^(١)
وَإِذَا تَسَكَّلَ أَحَدُهُمْ خَفَضَ صَوْتَهُ ، وَقَطَعَ حُرُوفَهُ ، وَسَبَّحَ فِي خِلَالِ
ذَلِكَ ، وَقَالَ : عَافَاكَ اللَّهُ اَسْمَعْ ! وَيَا هَذَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! وَيَا عَبْدَ اللَّهِ الصَّالِحِ !
قُلْ خَيْرًا ، وَلَا قَلِيلَ مِنَ اللَّهِ ، وَيَا فُلَانُ ! اتَّقِ رَبَّكَ الَّذِي إِلَيْهِ مَعَادُكَ ،
أَمَّا عَلَيْكَ حَفْظَةُ مَنْ قَبْلَ اللَّهِ ؟ أَمَّا لِلْإِسْلَامِ عِنْدَكَ حُرْمَةٌ ؟ أَمَّا تَوْمِنُ ٥
بِاللَّهِ ؟ أَمَّا تَوْقِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ ؟

قال :

وَأَمَّا الرُّعُونَةُ فَمَا عَلَيْهِ الشُّطَارُ مِنْ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ الْجُلْدِ الَّذِينَ
يَرْفَعُونَ الْحَجَرَ ، وَيَدَّعُونَ الْفُتُوَّةَ ، وَيُكْثِرُونَ ذِكْرَهَا وَيَحْفَلُونَ بِهَا ،
وَيَسْمُونَهَا « الْجَوَامِرُ دِيَّةً » ^(٢) ، تَرَى أَحَدَهُمْ يُضَيِّقُ الْأَكْمَامَ وَيَحِلُّ الْأَزْرَارَ ، ١٠
وَيَفْتُلُ السَّبَالَ ، وَيَمْشِي مَتَحَامِلًا ، وَيَتَسَكَّلُ مَتَصَاوِلًا .

قال :

وَأَمَّا الْجُنُونُ فَمَا تَجِدُ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ قَوْلَهُمْ :
أَبُو بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ ، وَعَلِيٌّ خَيْرٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ؛ وَإِذَا حَلَفُوا قَالُوا :

(١) البت في المنتخب الميكائيلي (أحمد الثالث ٢٦٣٤ الورقة ١٣٥ ظ)
غير منسوب .

(٢) الجوامر دية : الكرم والفتوة ، وأصلها الفارسي : « جوامرد » .

وَقَدَّرَ عَلِيٌّ ، وَحَقَّ الصَّدِّيقُ ؛ ويقولون : بغدادُ أَطْيَبُ مِنَ البَصْرَةِ ، وبادية
البصرة أَخَفُّ مِنْ بادية الكوفة ، والرازقي^(١) خير من البارقي ، والسُّونائي^(٢)
أَحْلَى مِنَ السَّكْرَخِيِّ ، وسامرَّة^(٣) فوق « إِرَمَ ذاتِ العِمَادِ » ، وفلان
فَضْلِي ، وفلان مَرَعُوشِي^(٤) ؛ وترى لهم في هذا الطريق اهتماماً وإِنفاقاً
وقوة ومغالبةً ومشغبةً ومحاكمةً وملاطمةً ؛ وهكذا إِذَا جَرَى حديث
الشاعر والشاعر ، كالعوفي^(٥) والنَّاشِي^(٦) ، والسامح^(٧) ، والقاص^(٨)

(١) الرازي : ضرب من غيب الطائف ، وهو أبيض طويل الحب ،
ويقال للخمير المتخذة منه : الرازية .

(٢) السونائي : نسبة إلى سونايا قرية كانت ببغداد ، ينسب إليها الغنم
الأسود الذي يكر مجناه على سائر الغنم . معجم البلدان ١٢٩/٥ .

(٣) هي سر من رأى .

(٤) فضل ومرعوش : ساعيان كانا ينقلان البريد السريع يومياً عن
معز الدولة إلى أخيه ركن الدولة . وقد بلغت سرعتهما في السير مبلغاً لفت
إليهما أنظار العامة ببغداد ، وكان أحدهما سنياً والآخر شيعياً ، فانقسمت عامة
بغداد في التعصب لهما إلى « فضلي ومرعوشي » .

والنظر عقد الجمان للعيني (سنة ٣٣٤ هـ) ، تاريخ ابن الأثير ٢٠٦/٨ ،
أبي الفداء ١١٢/٢ ، الامتاع ١٨٨/٣ . وفي الأصل : « فصل . . . وفرعوش » تصحيف .
(٥) لعله أحمد بن محمد العوفي الذي ذكره الثعالي ٣١٩/١ (بيروت) . ويأتي
لأبي حيان أنه من غلاة الشيعة .

(٦) علي بن عبد الله بن وصيف أبو الحسن الحلاء المتوفى سنة ٣٦٦ هـ ،
شاعر ومتكلم على مذهب الإمامية . عيون التواريخ سنة ٣٦٦ ، البداية ١٠١/١١ ،
الإرشاد ٢٣٥/٥ — ٢٤٤ ، الوفيات ٤٤٧/١ .

(٧) كذا بالأصل ، ولم أهتم إلى وجه الرأي فيه .

(٨) في الأصل : « والقاص والقاص » .

كابرهاري^(١) والقسري^(٢) .

وقد صدق هذا الشيخ ، فقد سَمِعْنَا مِنْ هَذَا مَا لَا يُطْمَعُ فِي إِحْصَائِهِ .
وقال الزَّعفراني الشاعر : كيف يكون هذا الرجل — يعني ابنَ
عباد — ديانًا ومتألِّهاً ، وهو يَبْتَذِلُ العُلُوِيَّةَ والأَشْرَافَ ، وَيُهِينُهُمْ
[أَعْوَانُهُ]^(٣) ، وَهُمْ يَعْمُدُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يُنْكَرُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ؛ وَلَقَدْ قَالَ
يَوْمًا ، وَهُوَ يَرِيدُ الرُّكُوبَ ، لِبَعْضِ حُجَّابِهِ : نَظَفَ الطَّرِيقَ مِنْ هَذِهِ
الْخَنَافِسِ وَالْجُمَلَانِ وَالْحَرَابِيِّ وَالْغَرَبَانِ .

فَقُلْتُ لِبَعْضٍ مَنْ كَانَ إِلَى جَانِبِي : مَنْ يَعْنِي ؟

فَقَالَ : يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْوَارِدِينَ مِنَ الْحِجَازِ لِسَوَادِ أَلْوَانِهِمْ وَتَفْلُفِلِ
شُعُورِهِمْ ، وَذِمَامَةٌ^(٤) وَجُوهُهُمْ وَانْحِطَاطُ قُدُودِهِمْ ، وَقَلَّةُ ذِمَائِهِمْ وَاخْتِلَافُ
حَرَكَاتِهِمْ وَشِمَائِلِهِمْ .

قال : أفهَذَا مِنَ التَّشْيِيعِ وَالْوَلَاءِ وَمَا يَجِبُ لِهَذَا الْبَيْتِ ؟

(١) لعله أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري المتوفى سنة ٣٢٩ هـ .
البداية ٢٠١/١١ . وهناك برهاري آخر اسمه محمد بن الحسن بن كوثر ، وقد
توفي سنة ٣٦٢ هـ ، البداية ٢٧٥/١١ .

(٢) كذا في الأصل ، ولم أهدأ إلى وجه الرأي فيه .

(٣) هذه التكملة أو ما في معناها يرشد إليها الكلام الآتي .

(٤) في الأصل : « وذمامة » ، بالذال المعجمة ، تصحيف .

ثم يدعي أنه زَيْدِي ، فإذا قَرَضَ قَصِيدَةً غَلَا ، وزاد عَلَى المَوْفِي والنَّاشِي .

وأما أنا فمَارَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ خَلَقِ اللَّهِ فِي حَدِّتِهِ وَسَفِهِ لِسَانِهِ ؛
خرج يوماً مِنْ دَارِ مَوْيِدَةِ الدَّوْلَةِ ^(١) مِنْ بَابِ غَامِضٍ هَرَبًا مِنْ قَوْمٍ
كَانُوا يَرْقُبُونَهُ عَلَى الْبَابِ الْمَشْهُورِ مِنَ السَّحَرِ الْأَعْلَى ، وَهُوَ وَحْدَهُ بَيْنَ
يَدَيْهِ رِكَابِيٍّ ، فَمَرَقَتْهُ عَجُوزٌ فَقَامَتْ فِي وَجْهِهِ وَدَعَتْ لَهُ ، وَمَدَّتْ يَدَهَا
بِقَصِصَةٍ مَعَهَا فَقَالَ : مَا تُرِيدِينَ يَا بَظْرَاءَ يَا بَحْرَاءَ يَا قَفْلَاءَ يَا قَفْلَمَاءَ ^(٢) ؟
عَلَى هَذَا إِلَى أَنْ تَبَاعَدَ ، فَبَقِيَتْ الْعَجُوزُ مَبْهُوتَةً ، وَقَالَتْ : مَسْكِينُ هَذَا
الرَّجُلِ ، قَدْ جُنَّ .

١٠ فَقُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : مَا هَذَا النَّدْلُ ^(٣) وَالْفُحْشُ وَالْخِيفَةُ وَالطَّيْشُ ؟
فَقَالَ : هَذَا دَأْبُهُ إِذَا جَاعَ .

فَقُلْتُ : أَجَاعَ اللَّهُ كَبِدَهُ وَسَلَبَهُ نِعْمَتَهُ !
وَحَدَّثَنِي الْعَتَابِيُّ قَالَ :

الرَّجُلُ لَا دِينَ لَهُ ؛ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي الْخُلُوةِ ، وَقَدْ جَرَى حَدِيثُ

(١) أَبُو مَنْصُورٍ بُوَيْهِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ التُّوفِيُّ سَنَةَ ٣٧٣ هـ عَنْ ٤٣ سَنَةٍ .
عِيُونُ التَّوَارِيخِ (سَنَةُ ٣٧٣) ، الْمُنْتَظَمُ ١٢١/٧ - ١٢٢ ، أَبُو الْفَدَاءِ ١٢٩/٢ .
(٢) الْفَقَهَاءُ : الْمَوْجِئَةُ الذَّقْنِ .
(٣) النَّدْلُ ، بِالْمُهْمَلَةِ : الْقَذَارَةُ وَالْوَسَخُ . وَفِي الْأَصْلِ : « النَّدْلُ » .

المذهب : كيف أنزل عن هذا المذهب ، يعني الاعتزال ، وقد نصرته وشهرت به نفسي ، وعاديت الصغير والكبير عليه ، وانتفضى عمري فيه ؟

قلت للعتابي : ومن أين وقع في هذا الإلحاد ؟

فقال : لم يزل مترجحاً قليل الطمأنينة سيء اليقين ، ولكن أهلكه مُقَعَّدَة الذي يقال له النصيبي أبو إسحق .

٥

وصدق هذا الشيخ ؛ كان أبو إسحق شاكاً في النبوات ، وكان يُصادق بهذا من صافاه ووثق به ، وهو الذي قال بنكده وخُبثه : لو ظفر يومَ الجمل^(١) طلحة والزبير وعائشة بعلي بن أبي طالب ، دار الخلاف بينهما ، وكان لا يعول أحدهما في الاستظهار على صاحبه إلا بأن يتزوج عائشة ، ثم يكافح صاحبه بها وبشيعتها الذين فتوا بعر جملها ١٠ وتشافوا به ، وتحاثوا^(٢) عليه ، وكنا نحن نكور عمامنا ونرفع طيالسنا ونسرح لحانا ونكتحل ونحتفل ، ثم نجلس في المساجد والجوامع ونحتج لذلك التزويج ، وتأول كل قول ، ونخرج كل خبر ، ونبلغ كل غاية بكل حيلة .

(١) كانت وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ ، وحوادثها في حوليات التاريخ .

(٢) تحاثوا عليه : حث بعضهم بعضاً عليه . وفي الأصل : « وتحاثوا عليه » .

وحديث التاجر المصري^(١) من الطرائف ؛ قدِمَ شيخٌ له هيئةٌ ومعه ثيابُ مصر ، فدَعَا بِهِ ، واشترى منه ، وتقدَّم بِإِكْرَامِهِ ، ورفع الحجابَ عنه ، وقال له : أَهْلُ مصر ، أَيُّ شَيْءٍ يَغْلِبُ عَلَيْهِم من فنونِ العلم ، ورسائل مَنْ يَشْغُفُونَ ؟^(٢)

٥ فقال التاجر : لهم حرصٌ عَلَى كلِّ علمٍ ، ونصيبٌ من كلِّ أدبٍ ، وأما الرسائلُ فإنهم لَا يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا لَا بَنَ عِبْدِ كَانَ^(٣) الكاتبُ أَبِي جعفر شيئا ؛ وكان نَجَاحُ الخادمِ قائما ، فأَوَى إِلَى المصريِّ بَأَن قُل : رسائلُكَ هي الغريبةُ والمطلوبةُ ، وهي المشتهاةُ والمستعملةُ ، وكان إِيْمَاؤُهُ بِالْيَدِ ، وَالْإِصْبَعِ ، وَالْحَاجِبِ ، وَالشَّفَةِ ، وَهَذَا كُلُّهُ لَا يُفْصِحُ عَنْ حَرْفٍ ، فلم يَكُنْ يَفْهَمُ التاجرُ لَشَقَائِهِ مَعْنَى الْإِشَارَةِ ؛ وَاتَّقَبَضَ عَنْهُ ابْنُ عَبَّادٍ وَلَمْ يُحَاورِهِ ، وَقَامَ ذَاكَ عَلَى حَالِهِ قَدْ نَالَ فِيهَا فَتُورٌ لَا يَدْرِي مَا سَبَّبُهُ .

(١) نقله ياقوت في الإرشاد ٢/٣١٥ .

(٢) في الأصل : « من يشغفون » .

(٣) محمد بن عبد الله بن عبد كان أبو جعفر المتوفى سنة ٢٧٠ هـ ، كاتب الدولة الطولونية ، بليغ مترسل له — فيما ذكر ابن النديم — ديوان رسائل كبير ، يقول الصفدي إنه عشر مجلدات ، وكان أبو إسحاق الصائبي يقول في حديثه عن ابن عبد كان : « إمامي ابن عبد كان » . الفهرست ١٩٧ ، ٢٤٤ ، الإمتاع ٦٧/١ ، مسالك الأبصار (أحمد الثالث ٤١٣/٨) ، الوافي ٣/٣١٥ .

فلما كان بعد أيام حضر أيضاً وأعاد القول على الوجه ، فأعاد
المصريُّ الجواب المتقدم ، ونجاحُ الخادم على رسيه قائمٌ يُشير بمثل ما أشار
إليه في المجلس الأول ، وهذا لا يَفطن ، وفي أهل مصر سلامةٌ صدرِ
شبيهةٌ بعباوة^(١) طبع .

فالتفت ابن عبّاد إلى الخادم وقال : إذا كان صاحبك سَخِين العَيْن
قطيعَ الظَّهر ، ابنَ بَطْراء ، إيش يمكنك أن تعمل ؟ وطرد المصري .
أفهل هذا إلا رَقاعةٌ تحتها جُنونٌ صِرف ، وسرطانٌ / في الدماغ ،
وعلةٌ في العقل ، وفسادٌ في المزاج ؟

واسمع ماهو أعجب من هذا !

ناظر^(٢) بالريّ اليهوديّ رأسَ الجالوت^(٣) في إعجاز القرآن ، فراجعهُ ١٠
اليهوديّ فيه طويلاً ، وثابته قليلاً ، وتنكّد عليه حتى احتدّ وكاد
ينقذ ؛ فلما علم أنه سَجَر تنوره^(٤) وأسعط أنفه ؛ احتال طلباً لمصاداته^(٥) ،

(١) في الأصل : « شبه بعباوة » .

(٢) قصة هذه المناظرة في الوافي بالوفيات في ترجمة صاحب (شهيد علي
١٩٦٦ ، الورقة ٤٨/٩) ، والإرشاد ٢/٢٩٦ ، ٢٩٧ باختلاف في بعض كلماتها يسير .
(٣) رأس الجالوت : رئيس اليهود ، كما أن الأسقف رئيس النصارى .
نمار القلوب ٢٥٧ .

(٤) سَجَر تنوره : أوقده وأحماه . وفي الأصل : « شجر » .

(٥) المصاداة : المداراة .

ورققاً به في مُخاتلته ، فقال : أيها الصاحب ! ولم تتقَدِّ وتشتطَّ ، ولم تلتَهَب وتختلط ؟ كيف يكون القرآنُ عندي آيةً ودلالةً على النبوة ، ومعجزةً من جهة نظمهِ وتأليفهِ ؟ وإن كان النظم والتأليفُ بديعين غريبين ، وكان البُلغاء ، فيما تدَّعي ، عنه عاجزين ، وله مُدَّعين ، وهما أنا أَصْدُق عن نفسي وأقول : عندي أن رسائلَكَ وكلامَكَ وفِقْرَكَ وما تؤلِّفه وتبادِه به نظماً ونثراً هو فوق ذلك أو مثل ذلك ، أو قريبٌ منه ؛ وعلى [كلِّ] ^(١) حالٍ فليسَ يظهر لي أنه دونَه ، وأنَّ ذلك يستعلي عليه بوجه من وجوه الكلام ، أو بمرتبةٍ من مراتب البلاغة .

فلما سمع ابنُ عباد هذا فترَّ وخمد ، وسكَّن عن حركته ، وانخمسَ ١٠ ورمه به وقال : ولا هكذا أيضاً يا شيخ ، كلامنا حسنٌ وبلِغ ، وقد أخذ من الجزالة حظاً وافراً ، ومن البيان نصيباً ظاهراً ؛ ولكنَّ القرآنَ له المزيةُ التي لا تُجْهَل ، والشرف الذي لا يُخْمَل ؛ وأين ما خلقه الله تعالى على أتمِّ حُسْنٍ وبهاء ، مما يخلقه العبيدُ بتطلبٍ وتكلفٍ ؟ هذا كله يقولُه ، وقد خبأَ حِمْيَه ، وتراجعَ مزاجُه ، وصارت نارُه ١٥ رماداً ؛ مع إعجابٍ شديدٍ قد شاع في أعطافه ، وفرَجٍ غالبٍ قد دبَّ

(١) عن الإرشاد .

في أسارى وجهه ، لأنه رأى كلامه شُبْهَةً عَلَى الْيَهُود (١) وَعَلَى عَالَمِهِمْ
وَحَبْرِهِمْ ، مع سَعَةِ حَيْلِهِمْ وَشِدَّةِ جِدَالِهِمْ ، وَطُولِ نَظَرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ
لِخُصُومِهِمْ .

فكَيْفَ لَا يَكُونُ شُبْهَةً عَلَى النَّصَارَى ، وَهُمْ أَلْيَنُ مِنَ الْيَهُودِ عَرِيكَةً ،
وَأَطْفَوْهُمْ نَائِرَةً ، وَأَقْلَهُمْ مِرَاءً ، وَأَكْثَرُهُمْ تَسْلِيماً ؛ وَأَنَّهُ إِنْ جَازَ هَذَا
عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَهُمْ دَهْمَاءُ النَّاسِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْمَجُوسِ وَنَصِيبِهِمْ
مِنَ الْجِدَالِ أَقَلِّ ، وَهُمْ عَنِ النَّظَرِ أَعْجَزَ ، وَعَادَتُهُمْ فِي الْمَحَاجَّةِ أَفْسَدَ ؛
وَهَكَذَا الصَّابِئُونَ ؟

انظر — أَكْرَمَكَ اللَّهُ — إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الْعَظِيمِ الطَّاقِ الْفَسِيحِ
الرَّوَاقِ ، الَّذِي لَا يَرْضَى أَحَدًا ، كَمْ يَنْخَدِعُ وَكَمْ يَذُوبُ أَمْرَةً لِلشَّاذِيَاثِيِّ ، ١٠
وَمَرَّةً لِلْيَهُودِيِّ ، وَمَرَّةً لِلتَّاجِرِ الْمَصْرِيِّ ، وَمَرَّةً لِلخُرَاسَانِيِّ ، وَمَرَّةً
لِلبَمْدَادِيِّ .

فَهَلْ هَذَا إِلَّا النَّوْكَُ وَالرَّكَاسُكَةُ ، وَضَعْفُ النَّجِيزَةِ ، وَسُوءُ التَّخِيلِ ،
وَقَرْبُ النُّورِ ، وَقَلَّةُ الْعَقْلِ ؟

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْيَهُودِيِّ » ، تَصْغِيفٌ .

قال أبو سليمان المنطقي^(١) ، وعنده يومئذٍ أبو زكرياء الصيمري ،
وقد قرأت عليه هذه الأحاديث :

هذا رجلٌ قد سَعِدَ في الدنيا سعادةً عَجِيبَةً مُذْ وَلِيَ إلى الغاية ،
وهي شَقَّةُ عُمُرِهِ وَآخِرُ أَمْرِهِ ، لَمْ يُشَكْ بِشَوْكَةٍ ، وَلَمْ يَنْكَبْ بِنَكْبَةٍ ،
وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ كَلِمَةً عَوْرَاءَ ، وَلَمْ يُدْفِعْ فِي حَالَةٍ إِلَى آبِدَةٍ ، وَقَدْ
بَلَغَ فِي حَيَاتِهِ مَا شَاءَ .

فقال أبو زكرياء : النَّحْسُ الَّذِي لَحِقَهُ فِي عَقْلِهِ حَتَّى صَارَ لِذَلِكَ رَقِيعًا
أَهْوَجَ سَيِّءِ الْأَدَبِ ، حَدِيدًا كَثِيرَ الْكَذِبِ ، شَدِيدَ التَّلَوُّنِ ، عَسِيرَ
الْمَأْتَى ، مَمْقُوتَ الْعُجْبِ ، عَظِيمَ الْكِبَرِ ، طَوِيلَ الْخُصُومَةِ ، دَائِمَ الْمِرَاءِ ،
وَقَاعَةً فِي أَهْلِ الْفَضْلِ ، حَاسِدًا لِدَوِيِّ الْأَدَبِ ، مَفْتَظًا عَلَى ذَوِي الْمِرْوَآتِ ،
مَنَانًا بِالْقَلِيلِ ، مَعْظَمًا لِلتَّافِهِ النَّزْرِ ، وَذَوِي الدِّينِ ، مَقْرُونًا بِالْأَبْنِ —
هُوَ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ مَا أُعْطِيَهِ مِنَ الْمَالِ الْكَثِيرِ ، وَالْمَرْتَبَةِ الْعَالِيَةِ ، وَمِنْ
الْخَلِيلِ الْمَسُومَةِ ، وَمِنْ الثُّورِ وَالْقُصُورِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَيْنِ الْحُورِ ،

(١) محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني ، من شيوخ أبي حيان سمع منه
الكثير ، ووصفه في الإمتاع ٣٣/١ يبعد الغور وصفاء الخاطر وحسن الاستنباط .
وترجمته في الفهرست ٣٦٩ ، البيهقي التتمة ٨٢ ، الففطي أخبار الحكماء ١٨٥
وما بعدها . ولم يذكروا تاريخ وفاته .

والخزائن والذخائر ، والفضة والذهب ، والجواهر والخدَم والعبيد ؛
لأنَّ العقل إذا صحَّ فهو المنِيحة التي لا يُوازيها شيء ، وإذا اختلَّ فهو
البلوى التي لا يتلافها شيء ؛ ولو كان مع هذا العقل عارياً من جميع
ماعدَدناه ، لعلَّاهُ بعضُ المِائة بكينسه ولطفه ، ولبرزَ عليه بعض
أصحاب الخُلُقَان بمروته وظرفه ، « وَلَكِنَّ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ » . ولهذا ٥
أحسن الذي يقول ^(١) :

رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ ^(٢)	ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي
وإن أَمَسَى لَهُ كَرَمٌ وَخَيْرُ ^(٣)	وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ
حَلِيلَتُهُ ، وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ	وَيُقْصِيهِ النَّدِيُّ وَتَزْدْرِيه
يَكَادُ فَوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ ١٠	وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ
وَلَكِنَّ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ	قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ

وله مع الغنى أمرٌ ونَهْيٌ ، وقوةٌ وسلطان ، وجدُّ ودولة ؛ فكلُّ
عَيْبه مَسْتُور ، وكلُّ فَضله مَنشُور .

(١) هو عروة بن الورد .

(٢) الأبيات في البيان والتبيين ١/٢٣٤ ، عيون الأخبار ١/٢٤١ — ٢٤٢ ،

أُمالي المرتضى ١/٣٨ ، الإرشاد ٢/٢٨٠ ، الإمتاع ١/٦١ ، الشريشي ٢/٢٠٨ .

(٣) الخير ، بالكسر : الشرف والأصل .

قال له أبو سليمان : صدقت ، وهذا لأن الإنسان لا يكون في هذا العالم مالكاً للتّمام ، جامعاً لأدوات الكمال ؛ وسببهُ أنّه نتيجةٌ للكواكب العالية ، والأجرام الشّريفة ، من الموادّ المختلفة ، والعناصر الصّافية والكدرّة ؛ فمتى نالتْه سعادةٌ بالمُشتري ، وصلَ إليه نحسٌ من زُحل ، وكذلك الزّهرة والمريخ ؛ والعلماء المتقدّمون يقولون : المشتري والزّهرة سعدا الفلك ، والزّهرة مخصوصةٌ بالسّعادة العاجلة ، والمُشتري مخصوصٌ بالسّعادة الآجلة .

قال : وهذا وإن كان في الجملة كما قالوا ، فلا لتباسٍ الدُّنيا بالآخرة ، فما ^(١) يُستفاد من المشتري كثيرٌ من حظوظ الدُّنيا ، ويُستفاد من الزهرة كثير من حظوظ الآخرة .

ومن أسرار الزّهرة أنّها ربّما هيأت الوحي ، ومن أسرار المشتري أنّه ربّما هيأ اللّهو .

ومرّ له في هذا الفنّ كلام كثير مفيد ندّعي ، ولم يصحّب ذهني إلا ما تسمع .

قال : ولهذا كان نحسُ ابن العميد في بدّنه ، لانه فقد الصّحة في

(١) في الأصل : « بما » .

في وَسَطِ عُمْرِهِ ، وَحِينَ الْحَالُ حَوِيلَ ، وَالْمَالُ مَوِيلَ ، وَالْعِلْمُ نَزْرٌ ،
وَالْفَهْمُ نَاقِصٌ ، وَالْبَلَاغَةُ خَلْقٌ ، وَالْكِتَابَةُ شَمَطَاءٌ ؛ فَلَمَّا أَخَذَتْ
أَحْوَالُهُ تَتَسَيَّقُ ، وَأَسْبَابُ فَضْلِهِ تَسْتَوْسِقُ ضُرِبَ فِي بَدَنِهِ بِالْعِلَلِ الشَّدِيدَةِ ،
وَالْأَمْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَسُلِبَ لَذَّةُ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ ، وَبَقِيَتْ حَسْرَةُ
النِّعْمَةِ فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ عَطِبَ ؛ وَقَلَّةُ حِظِّهِ مِنْهَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَبْعَثُهُ عَلَى
قَلَّةٍ / الْإِنْعَامِ مِنْهَا .

[٧٢]

قال : وَلِهَذَا تَجَدَّ آخِرَ جَيِّدِ الْعَقْلِ ، صَحِيحَ الْبَدَنِ ، مَحْمُودِ الْبَيَانِ ،
وَلَكِنَّكَ تَجِدُهُ مَعَ ذَلِكَ شَدِيدَ الْفَقْرِ ، سَيِّئَ الْحَالِ ، مَرْحُومَ الْجُمْلَةِ .
وَعَلَى هَذِهِ الْجَدِيلَةِ كُلُّ مَنْ اعْتَبَرَتْ حَالَهُ ، وَعَرَفَتْ مَاسْئِلَهُ تَمَّاءُ وَهَبَ لَهُ ،
وَمَا أُعْطِيَهِ تَمَّاءُ حُرْمَهُ ، وَهَذَا لِيَكُونَ الْعَبْدُ أَبَدًا فِي مَنْزِلَةٍ مِنَ النِّقْصِ ،
وَحَالٍ مِنَ الْعَجْزِ يَكُونُ بِهِمَا ضَارِعًا إِلَى خَالِقِهِ ، طَالِبًا لِعِنَايَتِهِ مِنْ مَالِكِهِ ،
وَلِيَكُونَ بَيْنَ الْعَبْدِ الْمُعْجُونَ مِنَ الطَّيْنِ وَبَيْنَ اللَّهِ مُدَبِّرِ الْخَلْقِ فَرْقٌ .
وَذَهَبَ فِي هَذَا الْفَصْلِ كُلِّ مَذْهَبٍ ، وَشَفِيَ كُلُّ غَلِيلٍ ، وَأَبْكَى
كُلَّ عَيْنٍ ، وَكَانَ ذَا قُوَّةٍ عَجِيبَةٍ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، وَذَا اِطِّلَاعٍ عَلَى
أَسْرَارِ الْخَافِيَةِ^(١) .

١٥

فَأَمَّا حَدِيثِي مَعَهُ^(٢) ، فَإِنِّي حِينَ وَصَلْتُ إِلَيْهِ قَالَ لِي : أَبُو مَنْ ؟

(١) كَذَا « أَسْرَارُ الْخَافِيَةِ » فِي الْأَصْلِ . وَكَأَنَّهَا : « أَسْرَارُ الْخَلِيقَةِ » .

(٢) نَقَلَهُ يَاقُوتٌ فِي الْإِرْشَادِ ٣٩٣/٥ وَمَا بَعْدَهَا . وَالضَّمِيرُ فِي « مَعَهُ » ،

لَا بِنِ عِبَادٍ .

قلتُ : أبو حَيَّان .

قال : بلغني أنك تتأدّب .

قلتُ : تأدّب أهل الزمان .

قال : فقل لي ، أبو حَيَّان ينصرف أولاً ؟

قلتُ : إن قبله مولانا لا ينصرف . فلما سمع هذا تنمّر وكأنّه لم يُعجبه ، وأقبل على واحدٍ إلى جانبه فقال له بالفارسية سَفَهًا ، على ما فُسّر لي .

ثم قال لي : الزم دارنا ، والنسخ لنا هذا الكتاب .

فقلت : أنا سامعٌ مُطيع .

ثم قلتُ في الدار لبعض الناس مُسترسلاً : إنما توجهت من العراق إلى هذا الباب ، وزاحمتُ منتجعِي هذا الربع ، لأتخلص من خرزة الشؤم ؛ فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة .

فنمي إليه هذا أو بعضه ، أو على غير وجهه ، فزاده تنكراً ؛ وكان الرجلُ خفيفَ الدماغ ، لا يعرف الحلم إلا بالاسم ؛ والشؤدُدُ لا يكون ولا يكمل ولا يتم إلا بعد أن يُنسى جميع ما يُسمع ، ويتأول ما يُكره ، ويؤخذ بالأسدّ فالأسدّ .

وتال أبو سعيد السيرافي : الحِلْمُ مشارِكُ لِمَعْنَى الحُلُمِ ؛ فصاحب الحِلْمِ هو الذي يُعْرَضُ عَمَّا يَرَى وَيَسْمَعُ كالحالِمِ ، واللفظُ إِذَا وَاخَى اللفظَ كان معناه قريباً من معناه ، وهذا الخَلْقُ والخُلُقُ ، والمَدَلُ والمَدَلُ ، وبست^(١) الرجل ، وبست^(١) المرأة .

وقال لي يوماً آخر^(٢) ، أعني ابنَ عَبَّادٍ : يا أبا حَيَّان ! من كَنَّاكَ ه
أبا حَيَّان ؟

قلتُ : أَجَلُ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ ، وَأَكْبَرُهُمْ فِي وَقْتِهِ .

قال : من هو ويلك ؟

قلت : أَنْتَ .

قال : ومتى كان ذلك ؟ ١٠

قلتُ : حين قلتَ لي : يا أبا حَيَّان .

فَأَضْرَبَ عَنْ [هذا] ^(٣) الحديثَ وَأَخَذَ فِي غَيْرِهِ عَلَى كَرَاهَةٍ
ظَهَرَتْ عَلَيْهِ .

وقال لي يوماً آخر ، وهو قائم في صحن داره ، والجماعةُ قِيَامٌ ؛ منهم

(١) كذا في الأصل ، ولم أهتمد إلى قراءة الكلمتين .

(٢) نقله ياقوت في الإرشاد ٣٩٣/٥ .

(٣) عن الإرشاد .

الزُّعْفَرَانِي ، وكان شيخاً كثيرَ الفضل ، جَيِّدَ الشعر ، مُتَمَتِّعَ الحديث ؛
والنَّعِيمي المعروف بِسَبْطُل^(١) وكان من مِصر ؛ والأَقْطَع ، وصالح الوراق ،
وابن ثابت ، وغيرُهم من الكتّاب والندماء : يا أبا حَيَّان ! هل تعرف
فيمن تَقَدَّمَ مَنْ يُكْنَى بهذه الكُنية^(٢) ؟

قلت : نعم ، مِنْ أَقْرَبِ ذَلِكَ أَبُو حَيَّان الدَّارِمِي . ٥

حدثنا أَبُو بَكْرٍ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّقَاق ، قال : حدثنا ابن
الْأَنْبَارِيِّ ، قال : حدثنا^(٣) ابْنُ نَاصِحٍ ، قال : دخل أَبُو الْهَذِيلِ
الْعَلَّافُ^(٤) عَلَى الْوَائِقِ^(٥) ، فَقَالَ لَهُ الْوَائِقُ : لِمَنْ تَعْرِفُ هَذَا الشَّعْرَ :

سَبَّاحٌ مِنْ هَاشِمٍ سَلِيلُ لَيْسَ إِلَى وَصْلِهِ سَبِيلُ
مَنْ يَتَعَاطَى الصِّفَاتِ فِيهِ فَالْقَوْلُ فِي وَصْفِهِ فَضُولُ ١٠

(١) فِي الْإِرْشَادِ « سَبْطُل » .

(٢) الْقِصَّةُ فِي الْبَصَائِرِ (جَارِ اللَّهِ ١٦٤٧ الْجُزْءُ ١٠ وَرَقَةُ ١٦٩ ب) —
١٦٩ ب) .

(٣) فِي الْإِرْشَادِ : « حَدَّثَنَا أَبِي » ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي نَاصِحٌ .

(٤) مُحَمَّدُ بْنُ الْهَذِيلِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَكْحُولِ الْعَبْدِيِّ الْبَصْرِيِّ الْمُتَكَلِّمِ
الْمَعْتَزَلِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٢٦ أَوْ ٢٢٧ هـ . تَارِيخُ بَغْدَادٍ ٣/٣٦٦ ، الْوَفَايَاتُ ١/٦٠٧ —
٦٠٨ .

(٥) أَبُو جَعْفَرٍ هَارُونَ بْنُ الْمُعْتَصِمِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٣٢ هـ . الْمَقْدُ الْفَرِيدُ ٥/١٢١

— ١٢٢ ، تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ لِلْسَيُوطِيِّ ١٣٥ ، حَيَاةُ الْحَيَّوَانِ ١/٧٢ — ٧٣ .

لِلْحُسْنِ فِي وَجْهِهِ هِلَالٌ لَأَعْيُنِ الْخَلْقِ مَا يَزُولُ
وَطَرَّةٌ لَا يَزَالُ فِيهَا لِنُورِ بَذْرِ الدُّجَى مَقِيلُ
مَا اخْتَالَ فِي صَحْنِ قَصْرٍ أَوْسٍ إِلَّا تَسَجَّى لَهُ قَتِيلُ
فَإِنْ يَقِفُ فَالْعَيُونُ نُصَبُ وَإِنْ تَوَلَّى فَهِنَّ حَوْلُ

فَقَالَ أَبُو الْهُدَيْلِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! هَذَا رَجُلٌ مِنْ ^(١) أَهْلِ الْبَصْرَةِ ه
يُعْرِفُ بِأَبِي حَيَّانِ الدَّارِمِيِّ ، وَكَانَ يَقُولُ بِإِمَامَةِ الْمَفْضُولِ ^(٢) . وَلَهُ مِنْ كَلِمَةٍ
يَقُولُ فِيهَا :

أَفْضَلُهُ وَاللَّهُ قَدَّمَهُ عَلَى صَحَابَتِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ الْمَكْرَمِ
بَلَا بَعْضَةٍ — وَاللَّهِ — مِنْ لَغْوِهِ وَلَكِنَّهُ أَوْلَاهُمْ بِالتَّقْدِيمِ

وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا : أَنْشَدَنَا أَبُو قِلَابَةَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ ١٠
الرَّقَاشِيَّ ^(٣) لِأَبِي حَيَّانِ الْبَصْرِيِّ ^(٤) :

يَا صَاحِبِي دَعَا الْمَلَامَةَ وَاقْصُرَا تَرَكُ الْهَوَى يَا صَاحِبِي خَسَارَهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « هَذَا الرَّجُلُ مِنْ » .

(٢) يَعْنِي أَنَّهُ يُجِيزُ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ ، مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
أَفْضَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ .

(٣) تَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٦ هـ . وَتَرَجَمَتْهُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ ٢٥/١٠ — ٤٢٧ .

(٤) نَسَبُ الصَّفَدِيِّ فِي الْوَاقِعِ (أَحْمَدُ الثَّانِي ٢٩٦٠ ج ٢٢ الْوَرَقَةُ ١٤ ب

١٥) هَذِهِ الْآيَاتُ لِأَبِي حَيَّانِ التَّوْحِيدِيِّ . وَهُوَ خَطَأً ضَلَّلَ بَعْضَ الْحَدِيثِينَ .

كَمْ لَمْتُ قَلْبِي كِي يُفِيقَ فَقَالَ لِي : لَجْتُ يَمِينُ مَا لَهَا كَفَّارَه
 أَن لَا أَفِيقَ وَلَا أُفَتِّرَ لِحِظَةً إِنَّ أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ فَأَنْتَ حِجَارَه
 الْحَبِّ أَوَّلَ مَا يَكُونُ بِنَظَرَةٍ وَكَذَا الْحَرِيقُ بِدَاوَاهُ بِشَرَّارَه
 يَأْمَنُ أَحَبَّ وَلَا أُسَمِّي بِاسْمِهَا إِيَّاكَ أَعْنِي وَأُسَمِّي بِالْهَجَارَه

ه فلما رُوِيَ الإسناد ، وأنشدت الشعر ، وريقني بليلى ، ولساني
 طلق ، ووجهي مهلل ، وقد تكلفت ذلك وأنا في بقية من غرر الشباب
 وبعض ريعانه ، فملاّت الدار صباحاً بالرواية والقافية ، فحين انتهيت
 أنكرت طرفه ، وعلمت سوء موقع ما رويت عنده .

قال : ومن تعرف أيضاً ؟

١٠ قلت : روى الصولي — فيما حدثنا عنه المرزباني : أن معاوية^(١)
 لما حضر^(٢) أنشد يزيد عند رأسه متمثلاً :

لو أن حيّاً نجاً لفات أبو حيان لا عاجز ولا وكل
 الحول القلب الأريب وهل تدفع صرف المنية الحيل

قال الصولي : هذا من المعمرين المعقلين .

(١) توفي سنة ٦٠ هـ عن ٨٠ أو ٨٦ سنة ، ومدة خلافته ١٩ سنة .
 انظر الوافي ٧١/٢٣ — ٧٤ ب. (شاهد علي ١٩٧١) ، والحوليات (سنة ٦٠) .
 (٢) في الإرشاد . « احتضر » ، والمعنى واحد .

- وانتهى الحديث من غير هَشاشة منه عليه ، ولا هَزَّةٍ ولا أَرِيحية ،
 بل على اكْفِهَرار الوجه ، ونُبُوَّ الطَّرْف ، وقَلَّةِ التَّقْبُل . وجرت أشياء
 آخر ، وكان عَقْبَهاها أَنِّي فارقتُ بابَه سنةَ سبعين وثلاثمائة راجعاً إلى
 مدينة السلام^(١) ، بغير زادٍ ولا راحلة ، ولم يعطني في مُدَّةِ ثلاثِ سنين
 درهماً واحِداً ، ولا ما قيمته درهم واحد . فاجل هذا على ما أردت . ٥
 ولما نالني منه هذا الحِرمان الذي قصّدتني به ، وأحفظني عليه ،
 وجعلني من بين جميع غاشيةٍ ورِدِه فرداً ، أخذتُ أتلافِي ذلك بصِدقِ
 القول عنه ، في سُوءِ الثَّناء عليه ، والِبَادي أَظلم ، وللأُمور أسبابٌ ،
 وللأسبابِ أسرار ، والغيب لا يُطْلَع عليه ، ولا قارع لبابه .
 وسألت العماري عنه فقال : الرجل ذو خَلَّةٍ^(٢) ، ولقد سأله ليلةَ ١٠
 شيخٍ من خُرَاسان في الموسِم عن قوله عزّ وجلّ : « وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي
 الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ »^(٣) ما مرتبةُ الصَّلاح المذكور
 في الثاني مِنَ النُّبوة الثابتة في الدُّنيا ؟ فَأَضْرَبَ عن المسألة ودافعَ بِصَدْرِها ،
 ولم يُجِرْ^(٤) كلمةً فيها .
 وسأله هذا الشيخُ ليلةَ أُخْرى عن قوله عزّ وجلّ : « وَوَعَدْنَا ١٥

(١) في الأصل : « مدينة السلم » .

(٢) الخلة ، بالفتح : الخلل والنقص في الرأي .

(٣) سورة البقرة ١٣٠ .

(٤) في الأصل : « ولم يجز » .

مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ^(١) » ، وعن الفرق بين هذا
الاقتصاص وبين قوله : « وَوَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً^(٢) » ، فما أعاد
ولا أبدا .

ولما عاد من همدان ، قيل له :

كيف رأيت أبا الوفاء^(٣) ؟

٥

قال : سَرَابًا بَقِيْعَةً .

قيل : فكيف وجدتَ / عبدَ العزيز بنَ يوسف^(٤) ؟

فقال : نَكَدًا وَخَدِيْعَةً .

قيل : فكيف وجدتَ المجوسي ؟

قال : تَمَثَّلًا فِي كَنِيسَةٍ أَوْ بَيْعَةٍ .

١٠

(١) سورة الأعراف ١٤١ .

(٢) سورة البقرة ٥١ .

(٣) محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل البوزجاني المهندس المتوفى سنة ٣٨٧ هـ
من المشاهير في علم الهندسة . الفهرست ٣٩٤ ، أبو الفداء ٢ / ١٤٠ ، أخبار
الحكام ١٨٨ ، والظر الصداقة ٣٢ .

(٤) عبد العزيز بن يوسف الجكَّار (الحكار) أبو القاسم الشاعر المثنوي ،
من كتاب آل بُويه ، تقلد ديوان الرسائل لعُبد الدولة ، وكان يوقَّع بين
يديه ويعدُّ في وزارته ؛ ثم وزر لابنه بهاء الدولة . وتوفي سنة ٣٨٨ هـ .
اليتيمة ٢ / ٢٨٧ - ٣٠٠ ، المنتظم ٧ / ٢٠٣ ، الإرشاد ٦ / ٢٥٨ ، الوافي
(شهيد علي ١٩٧٠ ، ٤٤ ب) ، عيون التواريخ (سنة ٣٨٨) .

قيل : فابن سَعدان ^(١) ؟

قال : ضَخَم الدَّسِيعَة ^(٢) ، له من نفسه حَرَى ^(٣) وَسِيعَة .

فهذا حَدِيثُهُ في دينه ، ورأْيُهُ وعلمُهُ وعقلُهُ ومروءَتُهُ وصِنَاعَتُهُ ومذهبُهُ .
وقد طَالَ وكَثُرَ ، ولعلَّ التَّقْصِي لَوْ وَقَعَ لَازِدَاد طَوْلًا ، فَإِنَّهُ تَنَفَّسَتْ أَيَّامُهُ
وتردَّدت أحاديثُهُ .

٥

سألت ابن الجَلَبَات ^(٤) الشاعِرَ عنه ، فقال : ما أدري ما أقول في رجلٍ
من قرَنه إلى قَدَمِهِ عَيْبٌ وَخِزْيٌ وَنَذَالَةٌ وَرَقَاعَةٌ ، عَلَى أَنْ الطَّبَعَ النَكِدَ
أَمَلَكُ لَهُ ، وَالْعَادَةُ الْقَبِيحَةُ أَغْلَبَ عَلَيْهِ ؛ وَالْإِفْلَاعُ عَنِ الْمُنْشَأِ الْمُعَانِ
بِالطَّبَّاعِ صَنْبٌ وَعَسِيرٌ ، وَلَعَلَّهُ مُتَتَبِعٌ .

وسألت الحَاتِمِيَّ عنه ^(٥) ، فقال : رأيت رجلاً مدخولاً في جميع
الفضائل ، مردوداً عَلَى كُلِّ التَّأْوِيلَاتِ ؛ لَتِيهِهِ وَإِعْجَابِهِ ، وَحَسَدِهِ

(١) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان المتوفى سنة ٣٧٥ هـ . وزر
لصمصام الدولة بن عضد الدولة من سنة ٣٧٣ حتى سنة ٣٧٥ هـ . انظر ذيل
تجارب الأمم ٨٥ - ١٠٣ .

(٢) الدسيعة : مائدة الرجل ، والمعطية . ومن هنا يقال للرجل الجواد :
ضخم الدسيعة .

(٣) الحرا : جناب الرجل وساحته . وفي الأصل : « وشيعة » ، ولعل
ما أثبتته أنسب .

(٤) تقدمت ترجمته .

ولوثته ، وقلة مصافاته ، وسوء رعايته ، وفساد دخلته ، ووقاحة وجهه ، وشدة تعبيره ، وفشو أبنته ^(١) ، وقبح سيرته في مذهبه ، ونصرتة لما لا يعتد بقلبه .

وسألت البديهي ^(٢) عنه ، فقال : خذ حديثه بما تسمع مني ، وقس عليه ؛ رأيت يوماً على بابهِ شيخاً من أهل الكتابة والأدب ذكر أنه ورد من مصر ، وأنه أقام بها زمناً ، وأن أصله من بلاد العجم ؛ فلما خرج إليه رفع قصة كتب على رأسها : عباد بن أحمد ، فأخذ ونظر ، ثم قال :

من سَمَّاكَ عباداً باسم الأمين ^(٣) رضي الله عنه ؟

ومن يقول إن هذا اسمك الذي اختير لك عند الولادة ؟ ١٠

وما هذا التقرب بالتكذب ؟

وما بينكم وبين أسماء السادة الذين بانوا بها كالسماء بكوا كبها ، والأفلاك بمعجائبها ؟

أما كان لك بغير هذا الاسم الذي ادَّعيتَه درك ؟ ولا كان لك دون

(١) الأبنة : التهمة .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) الأمين : لقب والد الصاحب ، وتقدمت ترجمته .

التكثُر به سبب ؟ ما أحوجك إلى نقاف ^(١) يُوجع يا فوخك ^(٢) ،
ونتافٍ يقلع شاموذك !

وسألت الصابيَّ أبا إسحق ^(٣) عنه فقال : إن صدقتُ في وصفه
ساء قومًا ، وإن كذبتُ في وصفه ساءني ؛ ولأن أنفردَ بالمساءة أحبُّ
إليَّ ؛ وبعدُ فنحنُ معه كما قال الشاعر :

ونعتب أحيانًا عليه ولو مضى لكننا على الباقي من الناس أعتبا ^(٤)
وقلت للضبعي : كيف ترى هذا الرجل وقد خبرته ؟

فقال : أما جدّه ^(٥) فيريني أنه واحدُ الدنيا ، وأما جدّه ^(٦) فينطق
بأنه أنذل من في هذا الوري .

وبعد :

نِعمَةُ اللَّهِ لَا تُعَابُ وَلَكِنْ ربما استُقبِحتْ عَلَى أَقْوَامٍ

(١) النقف : ضرب الهامة أشد الضرب .

(٢) اليافوخ : وسط الرأس حيث يلتقي عظام الرأس ومؤخره .

(٣) تأتي ترجمته بعد .

(٤) البيت في عيون الأخبار ٤/٢ ، والصدقة ٣٥ (الجواب) غير منسوب .

(٥) الجَد بالفتح : الخط .

(٦) الجِد بالكسر : ضد المنزل .

وقلت للمأموني : اصدقني عن هذا الرجل ، فقد عرفت ليله ونهاره ،
والليل اصدق عن خبايا الإنسان من النهار .
فقال : في الجملة الرجل بلادين ، لفسقه في العمل وارتيابه
في العلم . ٥

وسألت أبا صادق الطبري عنه فقال :
سل عن البخت ، والله ماله سميت يتوجه إليه منه ، ولا باب يعتمد
منه عليه ؛ بينا هو لك ، إذ صار لعدوك ، حاله أحوال ، وشأنه
شؤون ، وكل ذلك جار على الجنون .
وقلت لابن المراغي : كيف تراه ؟ ١٠

قال : والله ما يشفي الغليل منه هجو ولا ملام ، ولا ما هو معروف
به بين الخاص والعام ، إلا أن يسقط من ذروته فيرى في حال سقطته
متردداً بين خبطته وورطته .
وقلت للشيخ العالم : أما أنت من بين الناس فقد حظيت عنده ،
ونلت منه . ١٥

فقال : لو عرفت ما يتقد على فؤادي من الغيظ عليه لرحمتني في
بلائي بأكبر [م] ما^(١) تحسدني عليه في ظاهر أمري .

(١) في الاصل : « بأكبر ما » .

قلت : وما تنكر منه ؟

قال : لست أنكر منه شيئاً واحداً ، وإنما أنكره كله .

وقلت لأبي جعفر الوراق : ما أراك تخرج من حضرة هذا الرجل إلا وأنت ساهم الوجه ، مغيظ النفس ؛ كأنك لست تخرج من عند من كل أحد يمتنى أن يصل^(١) إليه ، وأن ينطق بين يديه ، وأنت يصنع به حاله ؟

فقال : والله لولا التخرج لوصفته بكلام كان فيه برد حرارة صدري ، ولكن التخرج مانع من ذلك ، هذا ، والخوف أيضاً عامل عمله ، وآخر ما أقول : إنه ساقط من عين الله عز وجل ، والويل له من الله يوم التجازي والقصاص .

١٠

وقلت لأبي الفضل الهروي : كيف ترى هذا الرجل ؟

قال : أراه — والله — عاقوبة من الله نازلة بأهل الفضل والتكرم ، وليتنا علمنا بأيّ ذنب عوقبنا فكنا ننتهي عنه ولا نصير عليه ، فما عندي أن الله يبتلي عبداً من عباده بخدمته والتعلق به إلا بعد أن ينزع عنه العصمة ، ويوكل به النعمة ، ويحرّم عليه الرحمة .

١٥

وقلت للزعفراني الشاعر : بالله صيف لي هذا الرجل .

(١) في الأصل : « أن يصل » .

فقال: لو أمكنتني الوصف بالنظم كان أعجب إليّ؛ فإني رجلٌ شاعر،
ولكن الخوف من ذلك حائل .

وقلت للتميمي: أمّا أصحابك فقد عرفتُ عقائدَ قلوبهم في هذا
الرجل . فأين أنتَ منه ؟

فقال: أخرى^(١) اعتقادي فيه أنه خنزير قد أُعطي قوة أسد؛
فهو يفترس يمنةً وشامةً، وكنت أرى فيما مضى أن الشرَّ مكسوب
بالقصد حتى شاهدتُ هذا فتحولت عن الرأي الأول، وقلتُ: بل الشرُّ
في بعض الناس لا صقُّ بالطبع .

وقلت لأبي سعيد الأبهري: يئن لي أمرَ هذا الرجل، ففي نفسي
١٠ أن أعمل كتاباً في أخلاقه .

فقال لي: لقد حاولتَ عسيراً . أتستطيع أن تصِفَ إبليسَ بجميع
ما هو فيه ؟

قلت: لا والله، إنما أعوذ بالله منه فقط .

قال: فعذَّ بالله من هذا قبل أن تعودَ بالله من إبليس؛ فإن إبليس

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل، وأقرب إلى رسمها: « أخرى » أو
« أجدى » .

— وإن كان شريراً — فهو عاقل ، وهذا يزيد عليه لأنه شريّر
وهو أحمق .

وقلت لأبي طاهر الأنطاقي : كل أحد له على هذا الرجل كلام ،
وفي نفسه موجدة سواك ؛ فإنك واصل إليه إذا أردت ونائل من ماله
وجاهه إذا أحببت ، فما قولك فيه ؟

فقال : صبري على رقاوته قد نصص علي جميع ما أنا عليه معه ،
على أن رقاوته مرشحة بجنون ، وحنونه صادر عن قدرة ، فالرهبة منه
قد كدّرت عين الرغبة فيه ، والغيظ عليه قد منع من الاستمتاع به .
وسألت ابن زرعة الفقيه فقلت : ما أحوجني إلى فتيالك في
هذا الرجل !

فقال : قد — والله — جُبْتُ الآفاق ، ولقيتُ أصنافَ الناس في
في الشرق / والغرب ، فما رأيت رجلاً في جنونه أعقل منه ، ولا في
عقله أجنّ منه ، وإنه لأعجوبة ؛ عدوه هالك لسلطانه ، ووليّه خائف
من كثرة ألوانه ؛ لا عهد له ولا وفاء ، ولا صدق ولا لطف ، كَلُّهُ هزل ،
وجميعه جهل .

وقلت لابن فارس صاحب اللغة : بهم تحكّم على هذا الإنسان ؟

فقال : بآنه لله عدوّ ، والأحرار مُهين ، ولأهل الفضل حاسِد ،
وللعامة مُحِبّ ، وللخاصّة مُبغض .
فأما عداوته لله فللقلة دينه .

وأما إهائته للأحرار فهي شَيرة كهذا النهار .
وأما حسده لأهل الفضل فيجربّ ذلك بكلمةٍ تُبديها .
وأما حبه للعامة فيمناظرته لهم وإقباله عليهم .
وأما بغضه للخاصة فلاذلاله لهم وإقصائه إياهم .

* * *

فأما ابن العميد أبو الفضل^(١)، فإنه كان باباً آخر، وطائفة أخرى، وكان فضله من جنس ليس لابن عبادٍ فيه نصيب، وتقصه من ضربٍ لم يكن له فيه ضرب، كان يُظهر حِلماً تحته سفة، ويدعي علماً هو به جاهل، ويرى أنه شجاع وهو «أَجْبَن من المَنزُوف ضَرْطاً»^(٢)، وكان يدعي المنطق وهو لا يفهم بشيء منه، ولم يقرأ حرفاً على أحد، ويتشبع^(٣) بالهندسة وهو منها بعيد، ولم يكن معه من صناعة الكتابة الأصل وهو الحساب، وكان أجهل الناس بالدخل والخرج، ولقد بقي ما بقي في أيامه فما قعد يوماً في الديوان ناظراً في عمل، أو فاصلاً لحكم،

(١) محمد بن الحسين بن محمد أبو الفضل المتوفى سنة ٣٦٠ وقيل ٣٥٩ هـ. ترجمته في الفهرست ١٩٤، تجارب الأمم ٢/٢٧٥ - ٢٨٢، ٢/١٣٣ - ١٣٥، ١٣٩ - ١٤٢، ٣٧٠ - ٣٧٤، والوفيات ٢/٧٤ - ٨٢، اليتيمة ٣/١٧٣ وما بعدها، الكامل لابن الأثير ٨/٢١٧، ٨/١٨٦، ١٢٦، ٢٥٥، ماهاذ التنصيص ١/١٧٤، تاريخ الإسلام للذهبي ٢/٤٧ (أياصوفيا)، عيون التواريخ (سنة ٣٦٠ هـ)، وانظر الصداقه والصديق ٧٥، الإمتاع ١/١٦ - ١٧، ٦٦، محاضرات الراغب ١/٤٠، ٣١٥، ٢٠٦.

(٢) مثل في جمع الأمثال ١/١٢١ - ١٢٢، وله شرح.

(٣) يتشبع: يتكرر.

أو مُخلَصاً لمشكل، وكان قد وضع في نفس صاحبه^(١) — بالحيل الدقيقة ،
والأسباب الخافية — أنه واحد الدنيا ، وأن ملوك الأرض يحسدونه
عليه ، وأنه اسان الزمان ، وخطيبُ الدهر ؛ وأن تلمه فوق السيِّف ،
وتدبيره فوق الجيش ، ونظره في الدولة والمملكة وأحوال الأولياء
وذوي النصيحة كالوحي والنبوة . وكان معوله في الأعمال على أبي علي
البيَّع ؛ وكان مع هذا سيِّء السيرة ، قليل الرحمة ، شديد القسوة ، ورم
الأنف ، عظيم التيه ، شديد الحسد لمن نطق ببيان ، أو أفصح بالعربية .
وسيتبين بعض هذا بما أذكره لك بشاهد عدل ، وراوية ثقة .

ورد أبو طالب الجراحي الكاتب^(٢) بالرِّي من العراق ، ولم يكن
في عصره أنطق منه لساناً وقلماً ، وهو من بيت علي بن عيسى الوزير ،
فعرّض نفسه عليه ، فلما رأى بسطته ولسانه وخطه وطلاقة ولطافته
وأبوتاه وصناعته ، حسده واغتاظ منه ، وصاقت الدنيا به ، وعمل على
أن يسمه ، ففطن أبو طالب وكان فطناً ، فطوى الأرض ، ووقع إلى

(١) هو ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي المتوفى سنة ٣٦٦ هـ . أبو
الفداء ١٢٢/٢ — ١٢٣ .

(٢) أوجز أبو حيان في الإمتاع ٦٨/١ قصته مع ابن العميد ، ورحلته
عنه ؛ وفي الفخري ٤٢ — ٤٣ قصته هذه ، ورسالته إلى ابن العميد مع
اختلاف في الرواية .

آذربيجان ، وصار إلى مَلِكِ الدَّيْلَمِ الرزبان بن محمد^(١) ، فعرّف قدره ،
وبسط يده ، وأعلى كعبه ، ونوّه باسمه ، واستطال على ملوك النواحي
بمكانه .

ثم انظر إلى ماجرّ أبو طالب عليه خِستته ولؤمه ونقصه وسقوطه ،
وهكذا يفعل من انصرف من بابِ عزيزٍ ذليلاً ومن فناء موسرٍ مذموماً ؛
وقد كان يمكنه اصطناعه وتقديمه وإكرامه واستخدامه بأسهلِ غرامة
وأيسرِ مؤونه ، وأهونِ مرزِيّة^(٢) ؛ ولكنه حسدَه وأبعدَه ، وليته
مع ذلك زوّده ما يوجب شكراً ، ويكون بلاغاً ، ويبقى حديثاً مأثوراً
وذكرآ جليلاً .

ولقد كتب إليه أبو طالب بعد هذا الحديث كتاباً قرأتُ فصلاً ١٠
منه يقول فيه :

« حَدَّثَنِي بِأَيِّ شَيْءٍ تَحْتَجُّ إِذَا طَوَلْتَ بِشَرَائِطِ الرِّيَاسَةِ الَّتِي اتَّحَلَّيْتُهَا
وَأَكْرَهْتَ النَّاسَ عَلَى تَسْمِيَّتِكَ بِهَا ؟ أَتَدْرِي مَا الرِّيَاسَةُ ؟ الرِّيَاسَةُ أَنْ
يَكُونَ بَابُ الرِّئِيسِ مَفْتُوحًا ، وَمَجْلِسُهُ مَغْشِيًا ، وَخَيْرُهُ مُدْرَكًا ،

(١) وصفه في كتاب الفخري ٤٣ بقوله : « كان فاضلاً لبيباً » ، وتوفي
سنة ٣٤٦ هـ . انظر الكامل لابن الأثير ١٨٧/٨ .
(٢) المرزية : الكلفة .

وإحسانه فائضاً ، ووجهه مبسوطاً ^(١) ، وكنفه مزوراً ، وخادمه مؤدّباً ،
وحاجبه كريماً ، وبوابه رفيقاً ، ودرهمه مبذولاً ، وخُبزه مأْكولاً ،
وجاهه مُعرّضاً ، وتذكّره مسوّدة بالصلّات والجوائز ، وعلامات
قضي ^(٢) الحوائج .

٥ وأنت ! فبابك مقفل ، ومجلسك خال ، وخيرك مقنوط منه ،
وإحسانك مُنصرف عنه ، ووجهك عابس ، وبنانك يابس ، وكنفك
حارج ، وخادمك مذموم ، وحاجبك هَرّار ، وبوابك كَلْب ، ودرهمك
في العيوق ، ورغيفك في مُنقطع التراب ، وجاهك موفور عليك ،
وتذكّرتك محسوة بالقبض على فلان ، وباستئصال فلان وبنفي فلان ،
١٠ وبسم فلان ، وباللّس على فلان ، وبحطّ مرتبة فلان .

هل عندك أيها الرجل المدعي للعقل ، المفتخر بالمال ، والمتعاطي
للحكمة ، إلا الحسد والنّذالة ، وإلا الجهالة والضلالة ؟

ترعم أنك من شيعة أفلاطون وسقراط وأرسطوطاليس ، أو كان هؤلاء
يضعون الدرهم على الدرهم ، والدينار على الدينار ، أو أشاروا في كتبهم بالجمع

(١) كذا بالأصل ، وربّما دل قول أبي حيان الآتي « وبنانك يابس »
على أن هنا فقرة ساقطة .

(٢) قضي الحوائج : قضاؤها .

والمنع ، ومطالبة الضعيف والأرملة بالعسف والظلم ؟ فيا مسكين استحي ،
فإنك لا مع الشريعة ولا مع الفلسفة ، وقد خسرت الدنيا والآخرة .
هذا عقلك الذي يخاطب الناس برفعك التراب على رأسك والاستخام
في وجهك .

- ٥ من كرمك وحزmk أن يفد عليك مثلي ؛ رجل من آل الجراح
بيت الوزارة والسودد ، ينبري لمروفاك ، ويخطب الخدمة بين يديك ،
والقيام بأمرك ونهيك ؛ بحظ ميسور ، ونائل منزور ، فنجسده وتبعده ،
وتخمله وتهمله وتواطىء على سمه وقته ؟ يا ويلك ! فمتى كنت
أنت وآباؤك تستحقون خدمة رجل من آل الجراح ؟ كأن يديك بقم
ماسألنا عنه ، ولا وقفنا عليه ؟ أليس أبوك كان قواداً ، وأبوه كان
نحالا^(١) ؟ ها أنا قد انقلبت عنك خائبا ، أفضيت وبرت وكسدت ؟
لا والله ، بل قيض الله لي ملكا من ملوك الدنيا حتى اشتمل علي ، ونظر
بعين الكفاية إلي ، وأهلني لمحل زائد على محلك ، ورتبني في حال هي
أشرف من رتبته ، والله أكرم من أن يضيع مثلي أو ينجني إلى مثلك .
- ١٥ فبؤ الآن بخساستك ، والصق بالدقعا^(٢) ندما على فعلك ، وثق

(١) في الأصل : نحالا .

(٢) الدعاء : التراب .

بأن لسانِي وقلمي لا يزالان يبريان غرضك ، ويخطبان بدمك ، ويلمجان
بهتك سترك ، ويبعثان الناس على معرفة خزيك وسقوطك ؛ أظن
— يا جاهل أنه إذا ركب قدامك حاجب ، وسار معك راكب ،
وقال / الناس : أيها الرئيس — أنك قد ملكت الكمال ، واستحققت
خدمة الرجال ، من غير إسعافٍ ولا إفضال ؟ هيهات ! المجد أخشن
مساً من ذلك . وسأشُق^(١) النظم والنثر في أكناف الأرض بما ينكشف
به للصغير والكبير تفصُّك ، وتزول الشبهة عن القلوب في أمرك إن
شاء الله^(٢)

هذا أفادنيه جريح ، وكان شاعراً من آذربيجان . فهذا هذا .
قلت للخليلي : لم كان يصبر أبو الفضل على ابن ثابت الكاتب
الهمداني وهو آفة^(٣) ونكال ، لاحظاً ولا معرفة ولا أدب ولا صناعة ؟

(١) سأشُق : أفرق وأذيع .

(٢) آخر الرسالة في رواية الفخري : « ... ولولا ان أكون قد دست
بساطك ، وأكلت من طعامك ، لأشمت هذه الرقعة ، ولكي أرعى لك حق
ما ذكرت ؛ فلا يعلم بها إلا الله وأنت ، والله ثم والله ثم والله ما لها عندي
نسخة ، ولا رآها مخلوق غيرك ، ولا علم بها ؛ فأبطلها أنت إذا وقعت عليها
وأعدمها والسلام على من اتبع الهدى » .

وتدل الاختلافات التي بين الروايتين ، كما تدل هذه الخاتمة على أن ابن
الطقطقي ينقل عن مصدر آخر غير أبي حيان .

(٣) في الأصل : « الهمداني ... لاخط » . في الأصل : « آفة » .

فقال : لأنه عليم أن غيره لا يصبر على ذلك الرزق الوثج^(١) ،
والجدوى القليلة ، ومن أجل ذلك قال مسكويه :

يقولون إن ابن العميد محمداً يؤول إلى رأي وثيق المناب
فقلت : دعوه قد عرفت مكانه بطلعة منصور وخط^(٢) ابن ثابت

ومنصور هذا خادم رأيته ، كان من أقبح الناس وجهاً كثير الهذر ،
بيء الأذب ، وكان من قُوم من الأحرار^(٣) ؛ ولما ذممه صاحبه وولي
نعمته بسبب هذا الخادم للشهرة الفاضحة ، والتهتك الشائع . قال أبو
الفضل بحكمته : ما أصنع ؟ والله ما وجدت في هذه المدة لا يري
غلافاً مثله ، ولا بد لي منه ، فليلم من شاء ، والهوى لا يحلو^(٤) إلا
مع العذل .

١٠

انظر بالله ربك إلى هذا الحكيم بزعمه ، واسمع قوله ، وهو يزعم
مع هذا أن أرسطاطاليس لو رآه لرجع عن آراء كثيرة بيّانه ، ولغير
كثيراً من كتبه بمشورته .

(١) الوثج ، يسكون التاء وكسرهما : القليل الذي لا خير فيه .

(٢) في الأصل : « وخط » ، وكأن الوجه ما أثبتته .

(٣) من كنياتهم قولهم : « فلان من الأحرار » ، إذا كان ملحقاً خارجاً

عن رتبة الشريعة . الكنايات للشمالي ٣٩ .

(٤) في الأصل : « لا يحلو » .

وكان يقول بفتحته وقلة اكتراثه وتهاونه بمن حوله : أما الموسيقيّ فإنه يموت بموتي ويفقد بفقدتي ، هذا وهو لم يقرأ حرفاً منه على أحد من خلق الله ، وما أوحى إليه به ، ولا يجوز أن ينفّس منقلبه جُزافاً عليه أو على غيره ؛ وإنما كان يستجيز هذا القول في الموسيقيّ خاصة لأنه لم يبق منذ دهرٍ من يدُل من هذه الصناعة على حرفٍ بتحقيق ، أو يأتي فيها بوصف تامّ ، لنهايه ودروسه .

والعلمُ كله — أبقاك الله — قد دخله الضيم ، وغلب عليه الذهاب لقلة الراغبين ، وفقد الطالبين ، وإعراض الناس عنه أجمعين . والموسيقيّ من بين أجزاء الفلسفة فقد حمّله^(١) ، لأنه لا يوجد علمه إلا بعمل ، ولا يكمل عمله إلا بعلم ، والعلم والعمل في صناعة واحدة قلما^(٢) يجتمعان على التناسب الصحيح .

وكان يعمل كتاباً سماه : « الخلق والخلق »^(٣) « فمات سنة ستين^(٤) وهو في المسوّدة ، وقد رأيتُ ورقاتٍ منه ، ونقلتُ إلى « البصائر »

(١) كذا « حمّله » في الأصل . وتحتل : « جملة » .

(٢) في الأصل : « قلّ ما » .

(٣) كذا في تاريخ الإسلام للذهبي ١٢ / ٤٧ | (أياصوفيا) ، ومعاhead التنصيص ١ / ١٧٦ ، وكلاهما ينقل عن أبي حيان . وفي الأصل : « الخلق والخلق » .

(٤) ويقال إنه توفي سنة ٣٥٩ هـ .

حروفاً كانت فيه أفادَنيها أبو طاهر الورّاق . ولم يكن الكتاب بذلك ،
ولكن جَعَس^(١) الرؤساء خَبِيص^(٢) ، وُضُنان الاغنياء نَدّ ، وخنفساء
أصحاب الدولة رَأُسْتَه^(٣) .

وقلت للنغويري^(٤) : حدّثني عن ابن عبّاد ، فإنك قد عرفت ليلَه
ونهارَه وخافيَه وباديَه ، وعن ابن العميد فقد اختبَطَ ورقَه ، وانتجعت ه
صوبَه .

فقال : في ابن عبّاد قَحّة مأبُون ، ولَوثة مأفُون^(٥) ، وهو ابن وقته
ممعك ، ونتيجةُ ساعته لك ، لا يَعْرِفُك إلا عند امتلاء العين بك ، ولا
يُعْطِيكَ [شيئاً]^(٦) إلا إذا أَخَذَ أكثر منه منك ، يشتري عرضك ،

(١) الجعس : الرجيع . وفي الأصل « جعص » ، تصحيف .

(٢) الخبيص : الخلواء .

(٣) كذا في الأصل ، وفي شفاء الغليل ١٠٨ : « رامشنة » ، وفسرها
بأنها ورقة الآس .

(٤) أبو الحسن النغويري من شعراء أصبهان ، كثير الشعر والملح ، وكان من
خواص صاحب وشرائه . وهجا كل واحد منهما صاحبه (اليتيمة ٣/٢٤٤ ،
٢٥٢) . ويظهر من قصيدة له في اليتيمة أيضاً ٣/٣٠٧ أنه كان شيعياً .
انظر ترجمته في اليتيمة ٣/٣٠٦ — ٣٠٨ ، وانظر ٣/١٩١ — ١٩٢ .

(٥) مأفون : ناقص العقل .

(٦) تسكلة لازمة .

ولا يُؤليكَ حقَّكَ ، ويبلغ بلسانه ما لا يسمح لك بعُشرِه من فعله ، ثم
الويلُ لك إن أصبتَ في كلامك ، والويلُ لك إن أخطأت ، على أن الخطأ
يُعْطِفُه عليك بالرحمة ، والصواب يحمله في معاملتك على الحسد والانتقام ،
يريد منك أن لا تذكر فاضلاً عنده وإن ذكرته فضَّلته ^(١) عليه . وإن
ذُكِرَ الشَّعْرُ فَقُلْ : أَيْنَ مُسْلِمُ بنِ الوليد ^(٢) منك ؟ وإن ذُكِرَ النَّجْوُ
فَقُلْ : وصلتَ إلى ما لم يصل إليه سيبويه ^(٣) ، وإن ذُكِرَ البَيَّانُ فَقُلْ :
فيكَ أعراق متواشجة من قُسِّ بن ساعدة ^(٤) ، أو لعلَّه كان في قس عرقٌ
من آبائك الفُرس ، وإن ذُكِرَ الكلام فَقُلْ : لو رآكَ النِّظَّامُ ^(٥) لَلَزِمَ
بأبك وحملَ حاشيتك ، وإن ذُكِرَ الفقه فَقُلْ : أين أبو حنيفة ^(٦) عن هذا

(١) يعني ابن عباد .

(٢) مسلم بن الوليد المعروف بصريح الغواني المتوفى - كما في النجوم الزاهرة -
سنة ٢٠٨ هـ . الشعراء ٨٠٨ .

(٣) عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر المتوفى سنة ١٧٧ هـ على خلاف .

(٤) هو قس بن ساعدة بن حذافة الإيادي ، من حكماء العرب وفصحائهم ،
مُضْرَبُ المثل بفصاحته (مجمع الأمثال ٧٣/١ - ٧٤) . وانظر الأغاني ٤١/١٤ .

(٥) إبراهيم بن سيار بن هاني البصري أبو إسحاق المعتزلي المتوفى سنة

٢٢١ هـ . الوفيات ١ / ٦١١ ، ٢ / ٤٩٤ ، سرح الميرون ١٢٠ .

(٦) النعمان بن ثابت بن زوطا أبو حنيفة الإمام المتوفى سنة ١٥٠ هـ .

المعارف ٢١٦ ، المفهرست ٢٨٤ ، الوفيات ٢ / ٢١٥ .

التحقيق والتدقيق ؟ وأين صاحبه : محمد^(١) ، وأبو يوسف^(٢) عن هذا التطبيق والتعميق ؟ فأما الجاحظ^(٣) فما وزنه عند مثالك ؟ وأين شراره^(٤) من نارك ؟ وهل يسبح في بحرك ؟ وهل يتطاول إلى سمائك ؟ لو رآك لرشاك ، ولو شاهدك لما انتسب إلا إليك^(٥) .

- وَأما إبراهيم بن العباس الصولي^(٦) فأحسن ما يُختار له أن يكون من المختلفين إليك ، ومن الحاذين على مثالك ، والآخذين عنك . وأما الدواوين فالكلواذي^(٧) يسلمها لك ، ويتبرأ من الأعمال بسببك ، ويطرح الرسوم القديمة معك ، ويأخذ فيما تبتدعه وتضعه ، لأنه إن نازعك افتضح على يدك ، والعاقل لا يلقي يده إلى التهاكة ، ولو وثق أنك تقبل مصانعتك لصانعتك ، ولو علم أنك تُبقي عليه لخدمك .

(١) محمد بن الحسن الشيباني أبو عبد الله المتوفى سنة ١٨٩ هـ . الفهرست ٢٨٧ ، المعارف ٢١٩ ، الجواهر المضية ٤٢/٢ .

(٢) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب أبو يوسف القاضي المتوفى سنة ١٨٢ هـ . المعارف ٢١٨ ، الفهرست ٢٨٦ ، الجواهر المضية ٢٢٠/٢ .

(٣) تقدمت ترجمة الجاحظ .

(٤) الشرار : الشرارة .

(٥) كذا صحح بالحاوية بنفس خط الأصل ، وفي الصلب : « لم ينتسب » .

(٦) تقدمت ترجمة أبي إسحاق الصولي .

(٧) الكلواذي ، ويقال : الكلواذي أبو القاسم عبيد الله بن محمد وزير

المقتدر . الفخري ٢٤٧ .

وأما الخطّ فابن مُقَلَّة^(١) وابن أبي خالد^(٢) والبربري^(٣) ومن تقدّم
وتأخّر أعطوك الضّمة فيه ، وأظهروا لك الانقياد به .

قال : ومن مناقبه في مثالبه أنّه يقنّع منك في مدحك بالنفاق ،
وفي ثنائك عليه بالرياء ، وفي نُصرة سيرته بالحيلة ، ويرضى في هذا
كله بعفوك دون جهدك ، وبما يخفّ دون ما يثقل ؛ وليس كذلك ابن
العميد ؛ فإنه لا يحبّ أن تمدّحه إلا بأكرم الخصال ، وأشرف الفعال ،
وأن يكون قولك عن عقد ، ووصفك عن يقين ، وإخبارك عن تعجب ،
وتعجبك عن استبصار ، واستبصارك عن مُعانة ، وفيه مع ذلك كياد
مُخَنَّتٌ بجفوّ ، وسفّه ضرّة رغاء ، ونعمة كنفٍ سَلِيطة .

١٠ وحدّثنا القاضي ابن عبد الرّحيم ، وكان خِصِيصاً به ، وقهرمان
داره ومُشرِفاً على غوامض / أمره ، قال : قصّده شاعر^(٤) في بعض

(١) محمد بن علي بن مقلة أبو علي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، الفهرست ١٤ ،
الوفيات ٧٩/٢ ، ٤٧١/١ ، الفخري ٢٤٤ .

(٢) أحمد بن أبي خالد وزير المأمون . الوفيات ٢٩٧/١ ، ٢٨٩/٢ ،
الفخري ٢٠٥ .

(٣) إسحق بن إبراهيم بن عبد الله البربري . الفهرست ١٣ ، الإرشاد
٢٢٥/٢ .

(٤) في الوفيات ٧٥/٢ : أن الشاعر ابن نباتة السعدي . وتأتي تنمة الحديث .

الأيام ووصل إليه ، وأنشدته وأصغى إليه ، وانصرف بأمل ، وتردد
على ذلك فلم ير ما يُحِبُّ ، وتعلّق بي .

فقلت له : صاحبه روين^(١) أغلب الناس عليه ، وأوجههم عنده ،
فلو أذنت به رجوتُ لك . فلزمه وسأله الكلام في أمره ، فوعده بذلك .

قال روين^(١) فقلت له — يعني ابن العميد — : هذا الشاعر ه
البائس قد سمعت منه شعره ، وأسمنت أمله ، وهو على ذلك ينفذو ويروح
ويشكو^(٢) ، فلو أمرت له بشيء كان أقطع لشغبه وأجلب
لشكره ، وأدعى إلى السلامة من عتبه ؛ وهؤلاء^(٣) يردون الآفاق ،
ولهم الإلحاح والطلب والتذرع باللسان ، والتوصل إلى كل حال
بكل حيلة .

١٠

فقال : وما تريد ؟ إن شاء أجبتّه عن قصيدته في رويها بعدد
أبياته وعروضه وأعيان معانيه ، وأزيد . وإذا رددت شعراً بشعراً
فليس علي بعد ذلك لوّم ولا أنا مقصّر ولا ظالم .

(١) في تجارب الأمم ٢/٢٢٤ : « روين » . وهو حاجب أبي الفضل ،
وكان شجاعاً شهماً .

(٢) الأصل : « وشكوا » .

(٣) وهؤلاء برُدُ الآفاق . وفي الأصل : « وهو لا يرد » .

قال : فقلت له : هذا سَمِيج شنيع ، والناسُ لا يقارون عليه ،
ولا يَرْضون به ولو ذهبَت أرواحهم وتلفت أَنفُسُهُمْ .

فقال : يا هذا ! هَوْنٌ عليك ، وأَقْلِيلٌ من حديثك ، فقد ضَيَعْنَا
في هذا مالا ، وإِنَّا بعدُ في لذعِ الحُسرةِ عَلَى ذلك ، لأنَّ الشَّبابَ له عُرَامُ ،
ولم يكن لي في تلك الحال تجربة ، ولا يقظة ، ولا معرفة بحَقِّ المال
والقيام بحفظه إِذا حصل ، والشَّغلُ بجمعه إِذا انتقل ، ونعوذ بالله من
الحَوَرِ بعد الكَوَرِ .

المال — عافاك الله — عَدِيلُ الروح ، وكَمالُ الحياة ، وقوامُ الظهر ،
وسرور القلب ، وزينة العيش ، ومَجْنُّ الحوادث ، وحَبْلُ اللذات ، ومُتَمِّعة
الإنسان ، ومادَّة البقاء ؛ ومن لا مالَ له لا عقلَ له ، ومن لا عقلَ فلا حياةَ
له ، ومن لا حياةَ له فلا لذَّةَ له ، ومن لا لذَّةَ له فهو في قَبِيلِ المَعْدومِ .

قال روبين^(١) : فعلمتُ أَن بعدَ هذه الخطبة لا يَسْمَحُ بدرهم واحد .
فوصلت الرجل من مالي بشيءٍ واعتذرت إليه ؛ وبلغني أَن ذلك الشاعر
مَزَّقَ عِرْضَهُ ، وهَتَكَ سِتْرَهُ .

١٥ ولقد شاهدت في مجلسه شاعراً من الكرخ يعرف بمويه^(٢) ،

(١) في تجارب الأمم : « روبن » .

(٢) في الوفيات ٧٧/٢ : « بموته » تصحيف .

وكان جيّد اللسان ، يقول له ^(١) :

أيها الرئيس ! قد لزمْتُ فِئاءَكَ لزوم الظل ، وذهلت لك ذُكَّ النمل ،
 وخدمت أُملي فيك خدمةً ناصح لنفسي فيما التَمست من الصلّة والجائزة ،
 ولك فيما أوفدْتُ عليك من الشناء والمدحة ، ومايي — والله — أَلَمْ
 الحرمان ، ولكن شماتة قوم صدّقوني فاتّهمتهم ، ونصّحوني فاغتَشَشْتَهُمْ ؛ ٥
 بأيّ وجهٍ ألقاهم ، وبأيّة حُجّةٍ أدافعُهُمْ ؟ وهل حصلتُ من مَدِيحٍ بعد
 مَدِيحٍ ، ومن نظمٍ بعدَ نثرٍ ، ومن رواحٍ بعدَ بكورٍ ، ومن غَسَلٍ
 أطمارٍ وإخلاقٍ سِرْبَالٍ ، ومن تَأَفُّفٍ ^(٢) لازم ، وضَجَرٍ دائِمٍ ^(٣) إلا على
 نَدَمٍ مُؤَلِّمٍ ويأسٍ مُسَقِّمٍ ؟ فإن كان للنجاح علامةٌ فهاهي ، وأين هي ؟ قد
 — والله — طالت غيبتني عن أهلي ، وعن السائلين عن حالي ، في هذه ١٠
 المُعاملة التي عاقبتُها الحَيِّية بعد المَطل ، والحرمانُ بعد الإطْماع ، والتَحسُّرُ
 بعد الوغد ؛ وقد بسَطَ اللهُ كَفْكَ ، وجعلَ الخَيْرَ والجودَ والكرمَ جاريةً

(١) هذه الرسالة نقلها ابن خلكان في الوفيات ٧٦/٢ ، وبين ألفاظ
 الروایتين اختلاف .

(٢) في الحاشية : « تأسف » على أنها رواية أخرى .

(٣) هنا مكان هذه الكلمات — فيما نرى ، وقد وردت في الأصل بعد
 قوله : « ويأسٍ مسقم » .

في أسرارها^(١) ونابعة من جوانبها . ففض أيها الرئيس فإنما أنت بحر ،
واسكب فإنما أنت سحب ، واطلع فإنما أنت شمس ، واتقد^(٢) فإنما
أنت نجم ، ومرف فإنما أنت مطاع ، وهب فإنما أنت واجد ، واهتز فإنما
أنت ماجد ، وصل فإنك جواد .

٥ والله ما يقعد بك خور في الطباع ، ولا نمل^(٣) في العرق ، ولا قدح
في الأصل . المخ قصيد^(٤) والحبل حصيد^(٥) ، والزند وار ، والفروة
خضراء^(٦) والعود مورق ، والمال جم ، والأمر أجم ، والسلك دقيق ،
والنسيج صفيق ، والطراز أنيق ؛ وما هو إلا أن تقول حتى تسمع ، وما هو
إلا أن تأمر حتى يمتثل ، لأن أمرك على الفور ، وحكمك ماض بالمدل
١٠ والجور ؛ فما الذي يثني عزمك عن الكرم ؟ ويفلّ حدك في الجود ؟
ويقصر بأعك عن المجد ؟ ويسدّ أذنك عن أحاديث غد ؟ إن الذين
تكره لهم ما هجوا به كانوا مثلك ، وإن الذين تحسدهم على ما مدحوا

(١) الأسرار : الخطوط في باطن الكف .

(٢) اتقد : تلاً .

(٣) النمل : الفساد في النسب .

(٤) مخ قصيد : سمين ، وهم يستعيرون السمن للجودة .

(٥) الحصيد : الحكم القوي .

(٦) الفروة : الجلد ، واخضرار الفروة كناية عن الخصب وسعة العيش .

به كانوا من طينتك ؛ فزاحم بمنكبك أضخمهم سناماً^(١) وزد على من
كان أكبرهم كاهلاً ، وأعلام يفاعاً^(٢) ، وأسطعهم شعاعاً ، وأزهرهم ناراً ،
وأكثرهم زواراً !

فلما بهره هذا الكلام الشهي في ذلك المجلس البهيّ شده وعله^(٣)
ولم يذر ما يقول ، وأطرق هنيهةً ، ثم قال :

هذا وقت يضيقُ عن الإطالة منك في الاستزادة^(٤) ، وعن الإطالة
مني في المَعْدرة ؛ فإذا تواهبنا في الحالِ ما قد دفعنا إليه ، استأنفنا في
الثاني ما نتحامد عليه .

فقال الشاعر^(٥) : أيها الرئيس ! هذه نفائسة صَدِرَ قد جوي^(٦) منذُ
سنة ، وفضلة لسانٍ قد فُدم^(٧) منذُ زمان ؛ وقد تقدّم العمل ، والجزاء ١٠
موقوف ، والرجاء عليل ، والأمل غادر ، والحالُ بعرضِ سوء^(٨) ،

(١) في الوفيات ٧٦/٢ : « أعظمهم سناماً » .

(٢) اليفاع : المرتفع . وفي الوفيات : « وأشرفهم بقاعاً » .

(٣) شده : دهش . وعله : تبلد وتحيّر .

(٤) الاستزادة : العتب .

(٥) في الوفيات ٧٦/٢ : « قال ابن نباتة : أيها الرئيس » .

(٦) جوي : أصيب بالجوى ، وهو حرقه في القلب تنتج عن شدة الحزن .

(٧) فدم : عي .

(٨) السُّوء : الهلاك والفساد .

والشامت قد شمر للتأنيب ، ولا صبر لمُقلٍ على مُدِلٍّ إلا على وجهٍ يُحتمل ؛
فإن رأيتَ قدّمتَ المتأخّر ، وقربتَ الشّاسع ، وجعلتَ إجمال العطية
في تعجيلها ، وإكرام طالبيها في تسهيلها ، فلا مانع إن لم يكن ذلك
من سدة جد ، أو تقاعس جد .

ه فقال : يا هذا قد كرّرت العتب ، واجترأت الملام ، وما أستوجب
هذا من أحدٍ من خلق الله ؛ ولقد نافرتُ العميد^(١) بدون هذا حتى
ثار من ذلك عجاج قاتم ، واتهمنا منه إلى قريّ عاتم^(٢) ؛ ولست وليّ
نعمتي فأحتملك ، ولا صنيعتي فأغضبي عليك ؛ وإنّ بعض ما قرّرتَه في
أذني لما ينقض مرّة^(٣) الحلم ، ويبدّد شمل الصبر ؛ ولست ممن يطيش
لأدنى سانسح ، ويتطير لأوّل بارح ؛ والله مادّعوتك / إلي ، ولا أغريتُك
١٠ بي ، ولا سألتُك تقرّظي ، ولا أتعبتُك في قصدي ؛ وإن الظلم منك ،
وكذاك العتب منك ؛ وأنا على كلّ حالٍ مالي ؟ فلا تجمع بين الظلم
والتظلم ، والجنابة والتجني ، وتُخذ نفسك بالنزاهة والمفاف فإنهما
لا يقفانك هذا الموقف ، ولا يعرضانك على هذا المجلس ، ورزق الله

(١) في الوفيات : « ابن العميد من » ، وهو تصحيف .

(٢) قريّ عاتم : أي طريق مظلم .

(٣) المرة بالكسر : شدة القتل ، ومِرّة الجبل طاقته ، ونقضه : فسخه ؛

والكلام على التجوز .

مُتَابٌ وَغَاد ، واطْلُبُ الْغَنَى مِنْكَ فَإِنَّهُ عِنْدَكَ أَكْثَرُ مِنْهُ عِنْدَ مَنْ تَظْلَمُهُ
وَهُوَ لَمْ يَظْلَمْ ، وَتَعَاقِبُهُ وَهُوَ لَمْ يُجْرِمَ .

فَقَالَ الرَّجُلُ^(١) : مَا كَرَّرْتُ الْعِتْبَ حَتَّى أَكَلْتُ النَّوَى الْمُحَرَّقَ^(٢)
فِي انْتِظَارِ صِلَتِكَ ، وَلَا اجْتَرَرْتُ الْمَلَامَ حَتَّى خَانَنِي صَبْرِي فِي تَوْقَعِ جَائِزَتِكَ ؛
وَالْغَنَى إِذَا مَطَّلَ ظَلَمَ ، وَالْوَاكِدُ إِذَا لَوَى أَثِمَ^(٣) ، وَالْجَوَادُ إِذَا
مَنْعَ لِيَمَ .

وَلَعَمْرِي مَا دَعَوْتَنِي إِلَيْكَ ، وَلَا أَغْرَيْتَنِي بِكَ بِكِتَابٍ خَصَّصْتَنِي
وَرَتَّبْتَنِي فِيهِ ، وَلَا سَأَلْتَنِي تَقْرِيطَكَ ، وَلَا أَبْغَيْتَنِي^(٤) فِي قَصْدِكَ بِرَسُولٍ
أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ ؛ وَلَكِنْ لَمَّا جَلَسْتَ فِي صَدْرِ هَذَا الْإِيوَانِ^(٥) بِأَهْمَتِكَ
وِعَظَمَتِكَ وَكِبْرِيَاكَ وَجَبَرُوتِكَ ؛ وَقُلْتَ : لَا يَخَاطِبُنِي أَحَدٌ إِلَّا بِالرِّيَاسَةِ ، ١٠

(١) فِي الْوَفَايَاتِ : « قَالَ ابْنُ بَنَاتَةَ . »

(٢) فِي الْحَدِيثِ : « نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ حَرْقِ النَّوَاةِ ، أَيْ إِحْرَاقِهَا بِالنَّارِ ،
وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهُ إِكْرَامًا لِلنَّخْلَةِ ، أَوْ لِأَنَّ النَّوَى قُوَّةُ الدَّوَاخِنِ . » وَأَكَلَ النَّوَى
الْمُحَرَّقُ : كُنَايَةٌ عَنِ الضَّرُورَةِ الَّتِي أَبَاحَتْ فِعْلَ الْمُنْهِي عَنْهُ . وَانْظُرِ اللِّسَانَ (حَرْق) .
(٣) إِشَارَةٌ إِلَى حَدِيثٍ : « مَطَّلَ الْغَنَى ظَلَمَ ، وَلِيَ الْوَاكِدُ يُجَلُّ عَرْضُهُ
وَعُقُوبَتُهُ . » وَهُوَ فِي اللِّسَانِ (عَرْض — مَطَّل — لَوَى) .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « أَتَعَبْتَنِي » تَصْغِيفٌ .

(٥) الْإِيوَانُ : الصَّفَّةُ الْعَظِيمَةُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الدِّيْوَانُ » ، وَصَحَّحَ بِنَفْسِهِ
الْخَطَّ فِي الْحَاشِيَةِ .

ولا يُنازعني أحدٌ في حُقوق السِّيَاسَةِ^(١)؛ فإني كاتبُ رُكنِ الدَّولةِ، وزعيمُ
الأولياءِ بالحِضرةِ، والقيِّمُ بمصالحِ المملِكةِ — فقد أَهَبْتُ^(٢) النَّاسَ إلى
بابِك، وأَغْرَيْتَهُمْ بِخِدْمَتِكَ، وأَطْمَعْتَهُمْ فِي مَالِكَ، وكَأَنَّكَ قد خَاطَبْتَهُمْ
بلسانِ الحالِ، وإن لم تُسَكِّنْ خَاطِبَتَهُمْ بلسانِ المقالِ. فأنا ذلك السَّامِعُ
بريَاسَتِكَ، والشَّاهِدُ بِفَضْلِكَ، والرَّاعِبُ فِي خِدْمَتِكَ، والراجي لخيرِكَ؛
سمِعْتُ فَأَجَبْتُ، وحَضَرْتُ فَمَدَحْتُ، ووقَفْتُ فَأَثْنَيْتُ؛ وَأَصْغَيْتَ فَقَبِلْتُ^(٣)؛
وَأَدَّيْتُ فَاسْتَحْسَنْتَ؛ ولم يبقَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ إِلَّا أَنْ [لا]^(٤) يَكُونَ
عَطَاؤُكَ حَرِمَانًا، ووَعْدُكَ لِيَّانًا؛ ولا جُودُكَ اتِّحَالًا، ولا فُتُوتُكَ
اقتِيالًا^(٥)، ولا ماؤُكَ سَرَابًا، ولا جُودُكَ ضَبَابًا؛ ولا خِدْمَتُكَ مَنَدَمَةً،
ولا الحَاصِلُ من مُعَامَلَتِكَ مَظَامَةً.

وإنَّ الرَّجُلَ الحَرَّ مَتَى عَلِمَ أَنَّ صاحِبَهُ لثِيَمِ الطَّبَّاعِ، خَسِيسِ الخُلُقِ،
مَرَقَّعِ المنصِبِ، ملبوسِ المَحْتَدِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى لم يَجْعَلْهُ مِن مَعَادِنِ الرِّزْقِ،
ولا مِن أَبْوابِ النَّجَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَطْمَعُ فِيهِ، ولا يَتَوَاضَعُ لَهُ، ولا يَعُدُّهُ فِيْمَن

(١) في الوفيات: «خلق في أحكام السياسة».

(٢) أَهَبْتُ: دَعَوْتُ.

(٣) في الأصل: «فسمعت»، وفوقها: «فقبلت».

(٤) تَكْمَلَةُ تَقْتَضِيهَا صَحَّةُ الكَلَامِ.

(٥) الاقتيال: الادِّعاء والتَّحَكُّمُ.

يُعَدُّ ، ولا يَشْغَلُ لِسَانَهُ بِمَدْحِهِ ، ولا يُعْقِ أَمَلُهُ بِقَصْدِهِ ، ولا يُصَيِّعُ قَوْلَهُ
في وصفه ؛ بل يرى أن اقتحامَ الجَمَرِ ، وسَفَّ التُّرابِ ، ونَزَعَ الرُّوحِ
أَهْوَنُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعَزُّ^(١) .

ولَمَنَ اللهُ الأَدَبَ إِذَا كَانَ بَائِعُهُ مُذِيلاً [لَهُ]^(٢) ، ومُشْتَرِيهِ مُهِينًا
لِقَدْرِهِ ، ومُماكِسًا فِيهِ .

وتَقَوَّضَ المَجْلِسُ ، وقام الناس ، وانصَرَفَ الشاعِرُ .
فحدَّثَنِي شَمْسُويهِ أَنَّهُ طَلِبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِيُصِلَّهُ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَنَّهُ ذَهَبَ
بَيْنَ سَمِيعِ الأَرْضِ وَبَصَرِهَا .
وسألتُ الجُرْجَانِيَّ عَنِ ابْنِ عَبَّادٍ وَابْنِ العَمِيدِ .

(١) في الوفيات :

« فنار ابن العميد مفضلاً ، وأسرع في صحن داره إلى أن دخل حجرتَه ،
وتقوَّضَ المجلسُ وماج الناس ؛ وسمع ابن نباتة وهو في صحن الدار ماراً يقول :
والله إن سف التراب والمشي على الجمر أهون من هذا ! فلَمَنَ اللهُ الأَدَبَ إِذَا
كَانَ يَائِعُهُ مُهِينًا لَهُ ، ومُشْتَرِيهِ مُمَاكِسًا فِيهِ . فلما سَكَنَ غِيْظَ ابْنِ العَمِيدِ وَثَابَ إِلَيْهِ
حَلْمُهُ التَّمَسَّهُ مِنَ الغَدِ لِيَعْتَذِرَ إِلَيْهِ وَيُزِيلَ آثَارَ مَا كَانَ مِنْهُ ، فَكَأَنَّمَا غَاصَ فِي
سَمِيعِ الأَرْضِ وَبَصَرِهَا ؛ فَكَانَتْ حَسْرَةً فِي قَلْبِ ابْنِ العَمِيدِ إِلَى أَنْ مَاتَ .
ثم لَمَنِ وَجَدْتَ هَذِهِ القَصِيدَةَ وَصُورَةَ هَذَا المَجْلِسِ مَنْسُوبِينَ إِلَى غَيْرِ ابْنِ
نَبَاتَةِ ، وَكَشَفْتَ دِيوانَ ابْنِ نَبَاتَةِ فَلَمْ أَرِ هَذِهِ القَصِيدَةَ فِيهِ . والله أعلم .
(٢) تَكْمِلَةُ لا بَدَ مِنْهَا . وَمُذِيلاً لَهُ : مُهِينًا لَهُ .

فقال : ما يَبِينَانِ بِكَرَمِ كَبِيرٍ ، وفعال^(١) مشهور ؛ ولا فائدة في نشر لُومهما وخَسَاسة طباعهما ؛ بلغ من فلسفة هذا أَنه أَمَرَ بقطع لسانِ رجلٍ شَتَمَ بلدَ قُمٍّ غضباً لبلده ، وتيهكاً بوطنه ، وشَدَّ آخرَ في داره إلى شجرةٍ وما زالَ يُضْرَبُ إلى أن مات ، وطرحه في جَوْبَةٍ^(٢) حتى أَكَلَتْهُ الكِلَابُ ؛ فقال صاحبه^(٣) : انظروا إلى هذا الذي قُلْنَا إنه أَعْقَلَ الناسَ .

حدَّثني بهذا الهروي .

ثم قال : وكان ابنُ عَبَّادٍ — كما قال أصحابنا — هو ابنُ سَجْبٍ^(٤) ليس عنده إلا القالُّ والقليل ، والكبير والتَّخْيِيلُ^(٥) ؛ يُحِبُّ العامَّةَ ويرَفَعُ نفسه عنها ، ويَحْسُدُ الخاصةَ ويجْعَلُ نفسه منها ، ويستطيل بالعلم وهو قريب القعر فيه ، ويدَّعي الرَّدَّ عَلَى الأوائل وهو لا يَعْرِفُ حرفاً من نَخَطِهِمْ ، ويتعَطَّى بالعدل والتَّوْحِيدِ ، قولاً ويتعَلَّى بالجورِ فعلاً ، ويتشَبَّعُ

(١) الفعّال ، بفتح الفاء : اسم للفعل الحسن .

(٢) الجوبة : الحفرة .

(٣) يعني بـ « صاحبه » ركن الدولة .

(٤) كذا بالأصل ، ولعلها : « شجب » ، وهو : المهذار الكثير الكلام .

(٥) التخييل : التلبيس على الناس .

بالأدب وهو سَيِّءُ الأدب ؛ يتهكّم بلسانه مُستطيلاً ، ويتقحّم الجرائم^(١)
مُسْتَهِينًا ، لو وقع عليه الخضم لجَرَّدَه للناس ، وأظهرَه للصغار والكبار ،
لكنه في خِفارة جدّه ، وحِصن دولته ؛ على أن الجهابذة قد نقدوه وبهرجوه
وتركوا التعامل به ، وإنما هو وميضُ برق وهبوبُ ريح ، وخفقُ
راية ؛ فإذا قرت الأمور قرارها ، وعطفَت الفروع على أصولها ألفتته
مُطَرَحًا مع نظائره ، خاملَ الذكر ، وضيعَ القدر ، قصيرَ الشبر ،
مهتوك السّتر .

قال : وجلةُ الأمرِ أنَّ ابنَ العميد كان حسن الكتابة ، غزيرَ
الإنشاء ، جيّدَ الحفظ ، ولم يكن له في كتابته حسابٌ ولا تحصيلٌ
لوجوه الأموال ، ولا معرفةٌ بالدواوين ، ولكنه كان بفضل الكيس ١٠
يتأثّر به ويتلطف .

قال : وله شعر صالح في الغزل والمعاتبة ؛ ولأنه مشهورٌ لا طائلَ
في روايته ، ومن ذلك قوله :

قَلْبِي دَامَ بِهِ نُدُوبٌ^(٢) يَكَادُ مِمَّا بِهِ يَذُوبُ

(١) أي يلقي بنفسه فيها . وفي الحديث : « من سرَّه أن يقتحم جرائم
جهنم فليقتض في الجدِّ » . أي أن يرمي بنفسه في معاصم عذاب جهنم . (ل)
(٢) الندوب : الجروح .

قَد كُنْتُ أَخْفِي الْوَشَاةَ جَهْدِي فَنَمَّ مَنِي بِهِ الْوَجِيبُ
فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمُسْتَهَامٍ عَلَيْهِ مِنْ قَلْبِهِ رَقِيبُ
يَعْمِدُ مَا سَاءَ نِي ضِرَاراً مَا هَكَذَا تَفْعَلُ الْقُلُوبُ
يَقْتَادُنِي لِلصَّبَا غَرِيرٍ كَأَنَّهُ شَادَتْ رَيْبُ
جَرَى مَعَ الدَّهْرِ فِي عَنَانٍ فَهُوَ لِأَحْكَامِهِ نَسِيبُ
فَكُلُّ مَحْبُوبَةٍ بَعِيدٌ وَكُلُّ مَكْرُوهَةٍ قَرِيبُ
وَكَيْفَ يُرْجَى بَقَاءُ صَبْرٍ نَاكَدَهُ الدَّهْرُ وَالْحَبِيبُ

وكان^(١) ابنه أبو الفتح أشعر منه وأحسن خطاً، واستفاد بدخول
بغداد شيئاً فأت والدّه .

وكان^(٢) لذلك يغمز على البغداديين ويتعنّتهم ، وكان نزر العطاء شديداً
المنع لا يقبل صنفاً من الناس ، وإنما غرم شيئاً يسيراً على العامري ، لأن العامري
خدعه وطلّاه^(٣) وصبّغه ودخل من باب غامض عليه وقال : لقد قصّدتك
من خراسان لأقرأ عليك علم الحيل وجرّ الثقل ، ومراكز الأقال^(٤) ،

(١) مثله في الإمتاع ٦٦/١ .

(٢) عاد الحديث عن أبي الفضل ابن العميد .

(٣) هكذا « وطلّاه » في الأصل ، وكتب فوقها « وطلّاه » .

(٤) انظر مقدمة ابن خلدون ٤٠٦ ، وكشف الظنون ٥٨١/١ ، ٥٨٢ ،

٢٠٤٦ ، ١٦٥٢/٢ .

وهو في أواخر علم الهندسة . بهذه الدعوى وبخلا بته أيضاً ، وبعبّر
عينيه عند / سماع كلامه ، وكان يقول له : ضاع عمري ولم أوفق لرُشدي
في أوّل أمري ، ولو وقفت لوقعت إلى كنز علمك وروضة يبانك قبل
هذه السنين .

- وما رآه أبو الفضل على هذا ، قال : لست في قراءتك جرّ الثقيل
عليّ بأخوَجَ مني في قراءة الإلهيات عليك ، فإنك في هذا الفن بحر
لا يُتغلغل إلى قعره ، وجبَل لا يتوقّل إلى مصادره ^(١) .
- وكان هذا تساخراً منهما ، وتكاذباً بينهما ، لأنهما كانا لا يعرفان
من هذين العلمين لا قليلاً ولا كثيراً .

- وما ينقضني عجبني من تكاذب العقلاء ، ومن تجاذب ^(٢) الجهّال . ١٠
وخب ^(٣) هذا الإنسان خب فائت ، والإحاطة به متممة .
وأما الهروي ^(٤) فإنه ارتبطه بأمر رُكن الدولة ، وكان يُدّهُ من

(١) يتوقّل : يصعد . والمصاد : أعلى الجبل .

(٢) التجاذب : الخادعة .

(٣) الخب : الخبث والفساد .

(٤) يقول البيروني : إن أبا الفضل الهروي كان من أفاضل المتقدمين في
صناعة النجوم ، وأنه ألف في هذا الموضوع كتاب « المدخل الصاحبي » ، وهو ،
على تقدمه في الرياضيات ، معتمد مرضي ، وقد رصد عرض جرجان سني -

ماله ، لأنه حُمد في طَبِّه الذي كان يَتَكَثَّر به بعدَ هَندستِه التي كان فيها أبرع ، وبها^(١) أعرف .

وأما مسكُويَه فإنه اتَّخَذَه خازِنًا لكتُبِه ، وأرادَ أيضًا أن يَقْدَح ابنَه به ، ولم يَكُن من الصَّنائع المقصودة والمهمَّات اللازمة ؛ وكان أيضًا ما يُقيم عليه شيئًا نزرًا لا يَقْنَع به إلا مَنْ لا نفسَ له ولا هِمَّة ، وكان يَحْتَمِل ذلك لبعض العزَّازة^(٢) بظُلَّة والتظاهر بِجَاهِه .

وأما ما تكلفه لأبي جعفر الخازن^(٣) فإنه كان لأسبابٍ طويلة ؛ منها أن رُكن الدولة أعظمه ، فلزمه أن يَقْتَدِيَ به .

ومِنها أنه طَمِع في اقتباسِ علمِه .
ومِنها أن العُيون كانت تنظر إليه في أمرِه ، والناسُ يَحْسَبُون ما يأتِيه في بابِه ، لأنه وقعَ إلى الرِّيِّ مع صاحِبِه الصَّاعِغاني أبي عليٍّ حين طَلَبَ الأمان ، والحديثُ معروف .

(١) في الأصل : « أبدع وبها » .

— ٣٧١ — ٣٧٢ هـ . (تحديد نهايات الأماكن ٨٨ ، ١٣٤ ب — ١٣٦ م) .
وانظر المدخل لتاريخ العلم لسارطون ١/٦٦ ، ٦١٢ .

(٢) العزَّازة : الاعتزاز .

(٣) ذكره ابن النديم في الفهرست ٣٩٣ ، والقفطي في أخبار الحكماء .
٢٩٥ . وانظر المدخل لتاريخ العلم ١/٦٦٤ .

فأما ابن فارس ^(١) فإنه استخدمه ليعلم ولده .
 وأما ابن أبي الثياب ^(٢) البغدادي فإنه قرّبه ليسترق منه المنطق ، فلما
 علم بذلك أبو محمد نفس ^(٣) بما معه ، وتكاسل ؛ وقيل له : كيف تعاصيت ؟
 فقال : كان سيء الانبعاث في هذه الفنون ، وكان شديد التشبّع
 بها ، يُحِبُّ أن يختلس الحكمة ، ويمتحن أربابها بفضل المقدرة .
 وأنشدني في هذه القصة :

إلى الله أشكو ريبَ دهرٍ كأنما يرى كل ما يجري بمكرٍ وهنا فرضا
 يؤمل مني أن أذلّ لموسيرٍ نعيمٍ ونفسُ الحرِّ بالذلِّ لا ترضى
 قلت : لمن الشعر ؟ قال : أنشدني ابن [أبي] ^(٤) البغل لنفسه .
 وأراغه أبو الفضل على المنادمة فأنف ، وما زال يترصد وقتاً ينفلت
 فيه حتى كان من أمر ابن العميد ما كان من خروجه إلى أرجان ^(٥) ، فطوى

-
- (١) تقدمت ترجمة ابن فارس .
 (٢) عبد الرزاق بن الحسن بن أبي الثياب أبو محمد الشاعر ، وله معرفة
 بالمنطق والفلسفة والهندسة . وفي الوافي (١٩٦٩) شهيد علي الورقة ١٨٨ ب)
 أنه اتصل بالوزير أبي الفتح (صوابه أبو الفضل) ابن العميد ، ثم فارقه
 ودخل بخارا فحظي هناك . وانظر يتيمة الدهر ١١٨/٤ .
 (٣) تقيس : ضنّ وبخل .
 (٤) في الأصل : « ابن البغل » . وابن أبي البغل هو أحمد بن محمد بن
 يحيى أبو الحسين ، كاتب بليغ مترسل . الفهرست ١٩٧ .
 (٥) انظر تجارب الأمم ٢/٢٧٠ — ٢٨٢ ، الكامل لابن الأثير ٢١٧/٨ .

فَجَاجِ الْأَرْضَ ، وَجَابِ الْبِلَادَ إِلَى بُخَارَا ، وَوَلِي بِهَا الْبَرِيدَ إِلَى
أَنْ قَضَى .

وَأَمَّا أَبُو طَاهِرِ الْوَرَّاقِ فَإِنَّهُ رَتَّبَهُ فِي النَّسَخِ ، وَكَانَ قَوِيَّ الْخَطِّ كَثِيرَ
الصَّبْرِ عَلَى النَّقْلِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّنَائِعِ وَلَا مِنْ حَمَلَةِ النِّعْمَةِ ، وَلَا يَمُنُّ
يُطَالِبُ بِالْحَمْدِ وَيُبْعَثُ عَلَى الشُّكْرِ . ٥

وَأَمَّا ابْنُ بُنْدَارٍ ^(١) فَإِنَّهُ كَانَ فَدْمًا غَلِيظًا ، غَلِيظَ الْكَلَامِ جَافِيًا
جَاسِيًا مَقِيَّتًا ، وَكَانَ وَزَرَ بِأَذْرَبِيجَانَ جُسْتَانَ ^(٢) ، فَأَحَبَّ أَنْ يُرِيَ مِنْ نَفْسِهِ
أَنَّهُ عَلَى مَائِدَتِهِ مَنْ وَزَرَ .

فَإِنَّ الصَّنَائِعَ وَالْمُدَّاحَ ؟ وَأَيْنَ الْمُنْتَجِعُونَ وَالزَّائِرُونَ ؟ وَأَيْنَ مِنْ مَرٍّ
بِهِ مَحْتَاجًا إِلَى زَادٍ وَنَفَقَةٍ فَطَلَبَهُ وَقَرَّبَهُ ، وَأَعْطَاهُ وَوَصَلَهُ ، وَأَضَافَهُ
وَأَكْرَمَهُ ، وَتَصَفَّحَ مَا مَعَهُ وَاقْتَبَسَ مِمَّا عِنْدَهُ ؟ سَقَى اللَّهُ ابْنَ عَبَّادٍ ! فَإِنَّهُ
وَقَفَ نَفْسَهُ عَلَى الْغُرَبَاءِ وَطَلَبَهُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا تَعَرَّضُوا لَهُ ، وَسَأَلَ عَنْهُمْ

(١) ابن بندار ، لأبي بكر الخوارزمي رسالة إليه ذكرها في رسائله (٨٥ -
٨٩) طبع الجوائب ١٢٩٧ هـ .

(٢) جستان بن المرزبان صاحب أذربيجان ، ملك سنة ٣٤٦ هـ بعد موت أبيه ،
وقتل عمه وهسودان سنة ٣٤٩ هـ . وانظر كامل ابن الأثير ٨ / ٣٨٨ ، ٣٩٤ -
٣٩٥ ، وتاريخ أبي الفداء ١٠٧ / ٢ .

بأكبر مما رجّوه فيه : ولولا أنه كان يفسد هذه الأفعال بالرقاعة والتخيل^(١) والمُجب والتطاوُل ، وذِكْر الطعام والمائدة ، وما يُعطي ويهب ، لكان قليله أكثر من كثير ذاك ، وصغيره أكبر من كبيره ؛ ولكن لكل حسن مُقبَّح ، ولكل عزيز مُذلّ ، ولكل جديد مُبلّ .

٥

وحدثني ابن عبد الرحيم القاضي قال :

قال^(٢) يوماً لصاحب طعامه حدثني عن هذا الخبز المكسّر على الطبق ، والملوّث ، وما تتجافى عنه الأيدي ، وما يُصيبه اللحم والمرق والثريد — ما تصنّعون به ؟ وابتدأ هذا القول وهو في جوف خرّكاه^(٣) ، وظنّ أن لا أذن هناك .

١٠

فقال له الرجل في جوابه ، بعد أن تكرر قوله ، وقد حال عن مزاجه لغيظه من سؤاله : ندسه في حرّ امرأة من يسأل عنه .

قال : وهذا بالفارسيّة قاله ، وهذا تفسيره .

قال : فانكسر وانخزل ، وعلم أنه قد باء بالخزي ، وعاص^(٤) على سواده ،

(١) التخيل : التباهي والإعجاب بالنفس .

(٢) يعني أبا الفضل ابن العميد .

(٣) الخرّكاه : الخيمة (فارسيّة) .

(٤) كذا في الأصل . ولعلّها : « غاص » .

وَأَنَّ الْخَطَأَ مِنْهُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَفْحَشُ مِنَ الْخَطَأِ عَلَيْهِ فِي الْجَوَابِ .

فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ مَجْنُونٌ ، أَخْرِجْ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ .

وهذا كما تسمع . والموتُ بهذا الرئيسِ عَلَى الخَشْبَةِ صَلَبًا أَحْسَنُ
من هذا الحديث ؛ وكان الرَّجُلُ من فَرَطٍ كَيْسِهِ لَا يَقَعُ إِلَّا مَسْجُوبًا ،
ولا يُذْكَرُ إِلَّا مَسْجُوبًا . ٥

ولقد بلغ من لُؤْمِهِ وشُؤْمِهِ أَنَّهُ قَتَلَ مَنْ أَكَلَ عِنْدَهُ ؛ وذلك أَنَّ
أبا المحارِشِ وَرَدَ إِلَى الرَّيِّ ، وكان بَدَوِيًّا ، أومن هذه المَزَالِفِ^(١) مُتَبَادِيًّا ،
وشهِرَ بِشِدَّةِ الضَّرْسِ وكَثْرَةِ الْأَكْلِ ، وتكرَّرَ حَدِيثُهُ عِنْدَهُ ، وما وُصِفَ
به من طِيبِ كَلَامِهِ ، وَحُسْنِ وَصْفِهِ لِلْقَدْرِ والطَّبِيعِ والأَلْوَانِ ، فدعا به ،
وتقدَّم بِإِحْضَارِ شَيْءٍ كَثِيرٍ مِنَ الْخُبْزِ وَالْحَلْوَى ، فاكتسَحَهُ كُلَّهُ ، وطلبَ ١٠
الزِّيَادَةَ ، وكشَّرَ أَبُو الْفَضْلِ فِي وَجْهِهِ ، وأظهر استملاحته عَلَى تَفَقُّؤِ فَوَادِهِ
ونارِ صَدْرِهِ ؛ ثم وهَبَ لَهُ دُرِيَّهَمَاتٍ وَخُرَيْقَاتٍ وَشَمْلَةً ؛ وقال : اكْتُرْ عِنْدَنَا
واقْتَرِحْ مَا فِي نَفْسِكَ عَلَى صَاحِبِنَا الْمُطْبِخِيِّ . فكان الْمَسْكِينُ يُحْضِرُ فِي
الْفَرَطِ^(٢) ، فيطلبُ شَيْئًا وَيَأْكُلُ وَيَنْصَرِفُ .

(١) المزالف : القرى التي بين البر والبحر كالأنبار والقادسية ونحوها .

(٢) الفرط : أن تزور الشخص مرة في أيام لا تكون أقل من ثلاثة أيام ،
ولا أكثر من خمسة عشر ليلة ؛ وأن تلقى الرجل بعد أيام .

- فطال ذلك على أبي الفضل ، واغتاز منه ، وغلب طباعه ، فقال
 لصاحب مطبخه : اجمع هذا الذي يقال له لالكات ^(١) التي قد أخلقت
 وتقطعت ، وقطّمها صِماراً كالبنّادق ، وقدمها إليه في عجةٍ وافرة ،
 بيضٍ كثير ، وسمنٍ وافر ، حتى ننظر إلى أكله ، وهل يفتن ؟
- وإنما كان كيداً ، ففعل وأخضر ؛ وأقبل أبوالمحاش عليها وتذرّع ^(٢) ٥
 في أكلها ، وأعظم اللّمة ، ودارك الرّفْع والوَضْع ، ووجدّها / وطيةً
 ناعمة ، فلما أقلع عنها وانصرف ، وشرب الماء وجاء وقتُ الثّلط ^(٣) ،
 انقذ ^(٤) بطنه فخرج فيه نفسه .
- فهذا لما تكرّم بالإطعام ، وحثّ على الأكل ، ورغب في الرّغب ^(٥) .
- وهذا الفعلُ يجمع إلى النّدالة قِلّة الدّين ، وإلى اللّؤم سُخفَ العقل . ١٠
 فالويلُ له ثم الويلُ له .
- وكان إذا رأى ابن بندار يقول : جاءكم أسد الغريّف ^(٦) على الرّغيف .

(١) لالكات : جلود (فارسية) .

(٢) تذرّع : أفرط .

(٣) الثّلط : الرجيع ، أي حان وقف التبرّز .

(٤) انقذ : انشق .

(٥) الرّغب : المرغوب فيه .

(٦) الغريّف : الأجمة والشجر الملتف .

والرَّيُّ جَادَّةُ الدُّنْيَا ، وَمَنْهَجُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَالْجَوَالِينِ فِي الْآفَاقِ ،
فَكَانَ يَكْثُرُ أَهْلُ الْإِتْجَاعِ مِنْ كُلِّ صُقْعٍ ، فَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عِنْدَهُ
مَقِيلٌ سَاعَةٍ وَلَا مَبِيتٌ لَيْلَةٍ ، وَلَا زَادٌ مَرَحَلَةٍ وَلَا هَشَاشَةٌ وَلَا بَشَاشَةٌ .

وقد اجتازَ به أَبُو إِسْحَاقَ الْفَارَسِيُّ ^(١) ، وَكَانَ مِنْ غِلْمَانِ أَبِي سَعِيدِ
السَّيْرَانِيِّ ، وَكَانَ قِيَمًا بِالسِّكِّابِ ^(٢) ، وَقَرَضَ الشَّعْرَ ، وَصَنَّفَ وَأَمَلَى
وَشَرَحَ ، وَتَكَلَّمَ فِي الْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي وَالْمَعْنَى ، وَنَاقَضَ الْمُتَنَبِّيَّ ^(٣) ،
وَحَفِظَ الطَّمَّ وَالرَّمَّ ^(٤) ، فَمَا زَوَّدَهُ دِرْهَمًا ، وَلَا افْتَقَدَهُ بَرَغِيفَ بَعْدَ أَنْ
أَذِنَ لَهُ حَتَّى حَضَرَهُ وَسَمِعَ كَلَامَهُ وَعَرَفَ فَضْلَهُ ، وَاسْتَبَانَ سَعَتَهُ .

قال الخليلي : وكيف يُرَجَى خَيْرُهُ ، أَوْ يُؤَمَّلَ رُشْدُهُ ، أَوْ يُسَاقُ
١٠ طَمَعٌ إِلَيْهِ ، أَوْ يُؤَفَّدُ ثَنَاءٌ عَلَيْهِ ، أَوْ يُشَامُ لَهُ بَرَقٌ ^(٥) أَوْ يُقَطَّعُ دُونَهُ

(١) إبراهيم بن علي ، من الأعيان في علم اللغة ، ذكر الثعالبي في اليتيمة
١٤٠/٤ أنه ورد بخارا أيام السامانيين فأجشوه وأخذوا عنه ، وولي التصفيح في
ديوان الرسائل حتى وفاته . وقد نقل ياقوت ١٨٠/١ ترجمته عن أبي حيان في
كتاب « الوزيرين » .

(٢) يعني كتاب سيبويه في النحو ؛ فقد أصبح « الكتاب » علماً عليه .
(٣) أحمد بن الحسين الجعفي أبو الطيب المتوفى سنة ٣٥٤ هـ . الوفيات
٤٤/١ ، اليتيمة ٩٠/١ - ١٩٠ ، معاهد التنصيص ١٥/١ .
(٤) الطم والرّم : الرطب واليابس ، والبحر والبر . وهو تعبير يكنى به
عن الكثرة .

(٥) شام البرق : تطلّب مكان إبطاره .

خُرُق^(١) ، وقد عتَى أباه ، وسَمَى به في أول أيامه ، حتَّى تَبَرَّأ منه ذلك الشيخ وهرب إلى خُراسان ، واستُكْتِب هناك ، ولُقِّب بالعميد .
وكتب إلى قاضي أصفهان كتاباً برىء منه فيه .

وأنا أروي قصَّته في هذا المكان ليُكَوِّنَ أَذْهَبَ في العجب .
وكان عتوقه من وجه عجيب^(٢) ؛ جاء إلى ذخيرات^(٣) في مواضع ٥
ووضع يده عليها ، وعَرَّفَ صاحبه مكانها ، وخطَّ خطوه عليها ،
وزَوَى^(٤) ذلك كله عن شيخه وعن جميع من كان له فيه نصيب ، إما
بحقِّ الإرث أو بحقِّ الهبة ، حتَّى قامت قيامةُ ذلك الشيخ ، فدعا عليه ،
وفضَّحه عند النَّاسِ ، وبرِئ منه ، وقدَح في ولادته .

والرسالة : ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

القاضي ، أطال الله بقاءه ، وأدام نعماه ، أَجَلٌ مُحَلٍّ من مَوَاهِبِ
الله فيه وعوائده عنده ، في الدِّينِ والدُّنْيَا والعِصْمَةِ والخير والفضيلة ،

(١) الخرق : الفلاة الواسعة .

(٢) في الأصل : « غريب » ، وفوقها بالخط نفسه : « عجيب » .

(٣) ما يدخره الإنسان .

(٤) زوى : صرف .

وَحَسَنُ التَّائِي ^(١) فِي كُلِّ فَصِيلَةٍ ^(٢) ، وَجَمِيلُ اللَّفْظِ فِي جَمِيعِ الْحُكُومَةِ ؛
 وَلِي فِي الشُّكُورِ إِلَيْهِ وَمُبَاشَّتِهِ ^(٣) ، وَذَمُّ الزَّمَانِ عِنْدَهُ وَالِاسْتِعْدَاءُ عَلَيْهِ
 لَدَيْهِ ، اسْتِرَاحَةٌ وَتَخْفِيفٌ لِلثَّقَلِ ، وَتَفْرِجٌ ^(٤) مِنْ حَرَجِ الصَّدْرِ ؛ وَأَنَا
 الْمَتَمَسِّكُ بِهِ تَمَسَّكِي — كَانَ — بِالْوَالِدِ وَالْعَمِّ ، وَاثِقٌ بِأَنْ نَصِيْبِي مِنْ
 شَفَقَتِهِ تَامٌّ ، وَمِنْ مُشَارَكَتِهِ وَافِرٌ ، وَاللَّهُ لَا يُعْدِ مُنِيَهَ ، وَيَحْفَظُنِي بِمَوَاصِلَةِ
 ٥ النِّعَمِ عِنْدَهُ إِلَيْهِ بِقُدْرَتِهِ .

وَالْكَلَامُ — أَدَامَ اللَّهُ عَزَّ الْقَاضِي — ضُرُوبَ ، وَالنَّدُوبُ فُنُونُ ؛
 وَأَعْسَرُهَا بَرَاءً وَأَصْعَبُهَا دَاءً ، وَأَعَزُّهَا دَوَاءً ، مَا جَرَحَتْهُ يَدُ الْقَرِيبِ ،
 وَجَلَبَتْهُ أَفْعَالُ الْأَهْلِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَصِلُ إِلَى حَبَّةِ الْقَلْبِ ، وَصَمِيمِ الْفُؤَادِ ،
 ١٠ وَيَصِيرُ قَذَى فِي إِنْسَانِ الْعَيْنِ ، وَشَجَى مُعْتَرِضًا فِي الْحَلْقِ ، وَيَتَرَاكُمُ عَلَى
 الْأَيَّامِ ، وَيَتَكَثَّفُ عَلَى الدَّهْرِ ، فَيَكُونُ نَكْثٌ ^(٥) الْقَرَحِ بِالْقَرَحِ أَوْجَعُ ،
 وَمَتَى تَنْفَسَ الْمَمْنُو ^(٦) ، وَشَكَ ^(٧) الْمَمْلُوءُ غِيْظًا وَحَنْقًا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ

(١) التَّائِي : التَّلَطُّفُ وَالِإِتْيَانُ لِلشَّيْءِ مِنْ وَجْهِهِ .

(٢) الْفَصِيلَةُ : الْمَسْأَلَةُ يُفَصِّلُ فِيهَا .

(٣) مَبَاشَّتُهُ : إِطْلَاعُهُ عَلَى السَّرِّ .

(٤) تَفْرِجٌ : وَجْدَانٌ فَرْجَةٌ تَرِيحُنِي .

(٥) الْقَرَحُ : الْجَرَحُ ، وَنَكْثُهُ : قَشْرُهُ قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ .

(٦) الْمَمْنُو : الْمَبْتَلَى .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « وَشَكَى » .

عَشِيرَتِهِ وَأُسْرَتَهُ شَيْخٌ ضَعِيفٌ ، أَوْ طِفْلٌ صَغِيرٌ ، أَوْ امْرَأَةٌ بَاكِيةٌ ، أَوْ
عَوْرَةٌ بَادِيَةٌ ، أَوْ ذُو قَرَابَةٍ ؛ فَاسْتَغْفَرَ هَذَا وَاسْتَصْنَحَ ، وَسَأَلَ وَتَشَفَّعَ .
ثُمَّ رُوِيَ أَخْبَارٌ فِي قِطِيعَةِ الرَّحِمِ ، وَعُدَّتْ آثَارُ فِي صِلَةِ الْقُرْبَى ، فَضَاقَ
النَّفْسُ ، وَاشْتَدَّ الْحَنَقُ ، وَتَجَرَّعَ هَذَا الْمَظْلُومُ الْغَيْظَ وَصَبَرَ ، وَأَنْفَ
وَاحْتَمَلَ ، وَاحْتَسَبَ وَعَفَا وَغَفَرَ ، وَالشَّرُّ عَتِيدٌ ، وَالْبَلَاءُ يَزِيدُ ، وَالطَّبِيعُ ٥
أَغْلَبَ ، وَالْمَادَّةُ لَا تَنْزِعُ ، وَالْجَاهِلُ لَا يَقْلَعُ .

فَهَلْ دَوَاءٌ هَذَا ، إِذَا اتَّصَلَ وَطَالَ ، وَامْتَدَّ وَتَتَابَعَ ، وَزَادَ وَتَضَاعَفَ ،
إِلَّا الصَّرِيعَةُ وَالْإِعْرَاضُ ، وَالْقِطِيعَةُ وَالْانْقِبَاضُ ؟ فَدَوَاءٌ مَا لَا تَشْتَهِيهِ
النَّفْسُ تَعْجِيلُ الْفِرَاقِ .

وَأَنَا — جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَ الْقَاضِي — ذَلِكَ الْمَلَأَ الْمُغْتَاظُ الَّذِي قَدْ
عِيلَ صَبْرُهُ وَضَاعَ حِلْمُهُ ، وَضَاقَتْ نَفْسُهُ ، وَقَرِحَ قَلْبُهُ ، وَنَضِجَتْ ١٠
كَبِدُهُ ، وَقَلَّتْ حِيلَتُهُ ، وَعَظُمَتْ بَلِيَّتُهُ .

وَهَذَا الْجَاهِلُ ابْنِي ، وَمَا هُوَ بَابْنِي ، مَنْ انْتَهَى بِي إِلَى هَذِهِ
الشُّكُورَى ، وَقَصَدَنِي بِهِذِهِ الْبُلُورَى ، وَعَقَّنِي وَخَالَفَنِي ، وَبَغَى عَلَيَّ وَبَاغَضَنِي ؛
وَارْتَكَبَ مَعِيَ مَا لَا يَحِلُّ ، بَعْدَ أَنْ رَبَّيْتُهُ صَغِيرًا ، وَأَعَزَزْتُهُ كَبِيرًا ،
وَأَوْلَيْتُهُ جَمِيلًا ، وَأَمْلَيْتُهُ ^(١) جَسِيمًا ، وَصُنَّتُهُ شَدِيدًا ، وَحُطَّتُهُ دَهْرًا ١٥

(١) أَمْلَيْتُهُ : وَسَعَتْ عَلَيْهِ .

طويلاً ؛ وَخُضْتُ دُونَهُ الْأَهْوَالَ ، وَقَلَّيْتُ فِي جِهَاتِهِ الْأَغْوَالَ^(١) ؛ أَجْهَ^(٢)
وَأَتَعَبَ ، وَأَقْلَدَهُ وَأَتَعَطَّلَ ، وَأَعَزَّهُ وَأَذَلَّ ، وَأَغْتَرَبَ لِيُتَقِيمَ ، وَأَنْعَمَهُ
وَأَشَقَى ، وَأَتَحَمَّلَ عَنْهُ لِيَرْضَى ؛ فَمَا يَعْرِفُ لِي حَقًّا وَلَا يَتَأْتِي^(٣) ، وَلَا يَرَعَى
ذِمَامًا وَلَا يَهْدِي^(٤) ، وَيَتَهَنَأُ^(٥) مُتَعَرِّضًا مُسْتَخَفًّا بِي ، وَلَوْ أَمِنْتُ مَلَالَ
القَاضِي — أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ — لَعَدَدْتُ مَقَابِحَهُ ، وَذَكَرْتُ مُسَاوِيَهُ ، وَوَصَفْتُ
مَا يَرْتَكِبُهُ مِنْ عَظَائِمَ ، هِيَ بِهِ مُتَّصِلَةٌ وَإِلَيَّ مَنْسُوبَةٌ ، أَوْ أَفْزَعُ مِنْ يَسِيرِهَا ،
وَأَجْزَعُ مِنْ قَلِيلِهَا ، وَلَا أُحِبُّ أَنْ أَرَاهَا وَأُعَايِنَهَا فِي جَارٍ أَوْ قَرِيبٍ .
وَقَدْ زَجَرْتُ وَوَعَّظْتُ ، وَقُلْتُ وَرَاسَلْتُ ، وَكَاتَبْتُ وَشَافَهْتُ ،
وَعَاتَبْتُ وَخَاطَبْتُ ، وَشَدَّدْتُ^(٦) وَهَوَّلْتُ ، وَرَغَبْتُ^(٧) وَأَوْجَعْتُ ؛
وَضَرَبْتُ الْأَمْثَالَ ، وَذَكَرْتُ السَّيَرَ ، وَخُوفْتُ وَحَذَّرْتُ ، فَمَا انْتَفَعْتُ ؛
وَجَرَّائِمُهُ تَكْثُرُ ، وَجَرَائِرُهُ تَعْلُظُ ؛ وَلَا فَضْلَ فِيَّ ، وَلَا احْتِمَالَ مَعِيَ ،
وَلَا بَقِيَّةَ لِلْإِغْضَاءِ عِنْدِي .

(١) الْأَغْوَالَ : المَشَاق . وَفِي الْأَصْلِ : « حِمَايَةِ الْأَعْوَالِ » .

(٢) أَجْهَ : أَرْيَحُهُ .

(٣) لَا يَتَأْتِي : لَا يَرْفُقُ ، وَلَا يَأْتِي الْأَمْرَ مِنْ وَجْهِهِ .

(٤) يَهْدِي : يَهْتَدِي وَيُطِيعُ .

(٥) يَتَهَنَأُ : يَسْتَلْذِقُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « وَشَدَّدْتُ » .

(٧) كَذَا ، وَكَأَنَهَا : رَغَبْتُ ، .

وَعَرَضِي فِي هَذِهِ الْمَخَاطَبَةِ ، وَمَغْزَايَ مِنْ هَذِهِ الشُّكُورِ وَالْمُبَاطَّاتِ ،
أَنْ يَشْهَدَ الْقَاضِي أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُ ، قَاطِعٌ لَهُ ، عَادِلٌ عَنْهُ ، غَيْرُ رَاضٍ بِقَوْلِهِ
وَلَا فِعْلِهِ ، نَازِعٌ مَا أَلْبَسْتُهُ مِنْ بُنُوءٍ ، مُطَّرِحٌ لَهُ دِينًا وَدُنْيَا ^(١) ؛ لَيْسَ
مِنِّي وَلَا إِلَيَّ ، قَدْ تَبَرَّأْتُ مِنْهُ وَصَرَمْتُهُ ، وَوَكَّلْتُهُ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، وَرَفَعْتُ
عَنْهُ يَدَيَّ ، وَأَسَامَتُهُ إِلَى اللَّهِ لِيَأْخُذَهُ بِحَقِّي ، وَيَقْبَلَ بِهِ دُعَائِي ، وَلَا يَحْفَظْ
عَلَيْهِ مَا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَيَّ .

اللَّهُمَّ اسْمَعْ وَاشْهَدْ ، وَكُنْ حَسِيبَ الظَّالِمِ ، وَاحْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ،
يَا خَيْرَ حَاكِمٍ . وَهَذِهِ شَهَادَةُ لِي عِنْدَ الْقَاضِي يَحْفَظُهَا كَمَا ^(٢) يَحْفَظُ إِلَيْهِ مِنْ
حُقُوقِ عَمَلِهِ ، فَإِنِّي مُطَالِبُهُ بِهَا « يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » ^(٣) / وَكَفَى بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ شَهِيدًا .

[٧٦ أ]

١٠

وهذه — أبقاك الله — رسالةٌ تدلُّ عَلَى قُوَّةِ دَامِيَةِ ، وَعَيْنِ
بَاكِتَةِ هَامِيَةِ ، وَنَفْسٍ قَدْ وَلَّيَتْ عَمَّا حَلَّ بِهَا ؛ وَإِنْ غُلَامًا يُحَوِّجُ أَبَاهُ
إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْبَرَاءَةِ وَالشُّكُورِ مِنْهُ وَالتَّأَلُّمِ ، لَغُلَامٌ سُوءٌ ، وَاللَّهُ
أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُخَبَّرَهُ ^(٤) فِي الدُّنْيَا ، وَأَنْ يُسْعِدَهُ فِي الْآخِرَةِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « دُنْيَا وَدِينَا » .

(٢) مَا مَوْصُولَةٌ ، أَيْ كَالَّذِي يَحْفَظُ .

(٣) الْآيَةُ ٥١ مِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنِ .

(٤) يُخَبَّرُهُ : يُسَرُّهُ وَيَنْعِمُهُ .

وكلُّ هذا دليلٌ على أنَّه عارٍ من الديانة ، سَلِبُ المَرْوَةِ ، وقد
رَضِيَ بظاهر حاله وإن لم تدم له ، ولَهَا ^(١) عن عاقبة أمره وإن لم
يَنْجُ مِنْهَا ^(٢)

وحدَّثني أبو العادي الصوفي قال : كنت عند العميد ببخارا ، وقد
جَرَى ذِكْرُ ابنِهِ أَبِي الْفَضْلِ فَقَالَ : كُنْتُ أَشْكُ فِي وَلادَتِهِ قَبْلَ هَذَا .
والآن فَقَدْ تَحَقَّقَ عِنْدِي مَا كَانَ يُرِيْبُنِي مِنْهُ ؛ فَإِنَّ الْإِنَاءَ رَشَّاحٌ بِمَا فِيهِ .
ثم أَفَادَنَا حَمْزَةُ الْمُصَنِّفِ ^(٣) جَوَابَ الْقَاضِي لِلْعَمِيدِ ، وَذَلِكَ
أَنَّهُ كَتَبَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠ وصل كتابُ العميد ، أَعَزَّ اللَّهُ جَلَالَتَهُ ، وَوَفَّرَ عَلَيْهِ كَرَامَتَهُ ،
وَأَدَامَ لَهُ نِعْمَتَهُ وَحَيَاظَتَهُ ؛ وَأَنْسَ وَصُولَهُ ، وَأَوْحَشَ مَحْصُولَهُ ؛ وَيَعِزُّ
عَلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ كِتَابَهُ — بَعْدَ عَهْدِ دَارِسٍ وَدَهْرِ مُتَقَادِمٍ — مُنْبَهًا عَنْ
قَرَائِحِ صَدْرِهِ ، وَجَرَائِحِ فُؤَادِهِ ؛ وَقَدْ — وَاللَّهِ — زَادَ عَجَبِي مِنْ هَذَا
الْحَدِيثِ كُلِّهِ ، وَشَرَّ كُتُبِهِ فِي جَمِيعِهِ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ اللَّطِيفَ فَيَتَّعَ هَذَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَلَهُى » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مِنْهُ » .

(٣) مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

الغلام إلى حظّه ، ونظراً إلى قلبٍ قد أضرم فيه نارَ العقوق ، وأفرجَ عن
لوازم الحقوق ؛ فإنه إذا وُفقَ لِذاك كان فيه صلاحُ معاشِهِ الذي هو
عاجِلَتُهُ ، وسلامةُ معاده الذي هو آجِلَتُهُ ؛ هذا مع الذِّكرِ الجميل الذي
ينشِئُ له ، وبركةِ دُعاءِ شيخِهِ إذا عادت عليه .

وقد كتبتُ إلى الفتى — أكرمهُ الله — بما إنْ هُدي لرُشدِهِ ه
وُفقَ لحظِهِ غُبطَ واغتَبَطَ ، وإنْ كثرَ منه اللّجاجُ والمحكُ ^(١) خَبَطَ ^(٢)
واختَبَطَ ؛ واللهُ يفتحُ بصره ، ويأخذُ بيده فيعلمُ ما في البراءة من البُروة
والتمعُّري من الأبوة من الهُجْنة الشنيعة والفضيحة الفظيعة .

ولم أقنع بالكتاب ، وبما تصرّفت فيه من لواذِ عِتابٍ ، حتّى
كتبتُ إلى أبي الحريش ، وسألته إحضارَهُ ومُنابَظَتَهُ ، واستخراجَ ١٠
ما عنده مَعَ التّهجينِ الشّدِيدِ ، وشَوْبَ ذلك بالوعد والوعيد ، وغالبُ
ظنّي أن تلك القسوة تحُولُ رِقّةً ، وتلك الفظاظَةُ تعودُ ليناً ؛ ولو كنتُ
في مقرّه ، أو كان في صُقعِي لكانَ لي في هذه القِصّةِ جدٌّ وانكماشٌ ^(٣)
يحمّدني عليهما العميد ، ولسكني منه بعيد ؛ وإن — وعائذُ بالله —

(١) المحك : اللجاج والتماذي في الخصومة .

(٢) خبط : ركب جهالة وسار على غير هدى .

(٣) الانكماش في الأمر : الأخذ فيه بجد .

تَقَاعَسَ وَعَظِي عَنْهُ ، وَنَبَا نَصْحِي دَوْنَهُ ، بَعْدَ التَّلَطُّفِ وَالاجْتِهَادِ ،
فَالْأَسَى وَالْأَسَفُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُرْسَلَ وَرَاءَهُ ، أَوْ يُقَامَا إِزَاءَهُ ؛ وَالْوَلَدُ
قَدْ يَمُوتُ بَارًّا وَيَفُوتُ عَاقًا ، فَلْيَطِيبْ قَلْبُ الْعَمِيدِ عَنْهُ فَائْتًا ، كَمَا
تَسْلُو^(١) النَّفْسَ عَنِ الْعَزِيزِ مَائِتًا ، وَلَعَلَّ الْعَتَبَ يُسْفِرُ عَنْهُ بِمَا يَسِرُّ مِنْهُ ؛
فَلَزَّ مَانَ فِي تَقَلُّبِهِ غَرَائِبَ ، وَلِلدَّهْرِ فِي تَصَرُّفِهِ عَجَائِبَ .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ لَا يُخْلِيَنِي مِنَ الْعَمِيدِ عُمْدَةً ، وَلَا يُرِيَنِي فِيهِ وَمِنْهُ
سُوءًا وَغُمَّةً ؛ وَرَأْيُهُ — فِي مَوَاصِلَتِي بِكُتُبِهِ الْمُتَحَمِّلَةِ بَرِّهِ وَتَفَضُّلِهِ
بُيُوتِي وَتَصْرِيفِي عَلَى تَكَالِيفِهِ — مُتَوَقَّعٌ مَشْكُورٌ ، وَأَنَا عَلَيْهِ
حَامِدٌ شَكُورٌ .

١٠ ثُمَّ قَالَ الْخَلِيلِي : وَجَدَهُ — مَعَ هَذَا — سَاقِطٌ يُلَقَّبُ بِكُلْدَةٍ^(٢) ،
وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ شَيْءٍ قَبِيحٍ عَلَى زَمْعِهِ ، كَانَ نَحْوًا فِي سَوَاقِ الْحَنَاطِينَ ،
أَوْ حِمَالًا أَوْ مَنْقِيًّا^(٣) ، وَكَانَ يَحْرُسُ السُّوقَ أَيْضًا بِاللَّيْلِ ، وَالْعِرْقُ لَا يَنَامُ
وَلَا بُدَّ لِلْأَصْلِ مِنْ أَمَارَةٍ فِي الْفَرْعِ ، كَمَا لَا بُدَّ فِي الْفَرْعِ مِنْ إِشَارَةٍ إِلَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَسْلُو » .

(٢) بِضَمِّ السَّكَافِ وَفَتْحِ الْإِمَامِ الْخَفِيفَةِ وَبَعْدَهَا هَاءٌ . وَانْظُرِ الْوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ
(أَحْمَدُ الثَّالثُ ٢٩٢٠ ج ٢ / ١٩٤ — ١٩٥ هـ) ، دَلِيلُ الْإِرْشَادِ ٣٣٠ / ٥ ، وَمَعَاهِدُ
التَّنْصِيصِ ١٧٥ / ١ .

(٣) مَنْقِيًّا : يَنْقِي الطَّعَامَ بِمَا فِيهِ مِنْ تَرَابٍ وَنَحْوِهِ .

الأصل ، والأصل والفرع متشابهان ، إلا أن هذا الخافي ينطق عند ذلك البادي ، وذلك البادي يشهد له هذا الخافي ؛ ولهذا قالت العرب : لِكُلِّ إِنَاءٍ رَشِيحٌ ، وَلِكُلِّ سِقَاءٍ نَضِيجٌ ، وَلِكُلِّ شَجَرَةٍ سُوسٌ ^(١) ، وَلِكُلِّ دَوْحَةٍ عَيْصٌ ^(٢) .

وكنْتَ إِذَا نظرتَ إِلَى أَبِي الفضلِ تَجِدُهُ غَضَبَانٌ مِنْ غيرِ مُغْضِبٍ ،
شَنِيجِ الأنفِ ^(٣) متخازِرٍ ^(٤) الطَّرْفِ ، كَالِحِ الوجْهِ ^(٥) ،
« كَأَنَّمَا وَجْهُهُ بِالْخُلِّ مَنْضُوحٌ » ^(٦)

كَأَنَّهُ يَمَافُكُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، أَوْ يَتَقَرَّرُ مِنْكَ إِذَا كَلَّمَكَ ؛ يَتَجَعَّدُ
عَلَيْكَ قَبْلَ أَنْ تُلَاطِفَهُ ، وَيَرُدُّكَ قَبْلَ أَنْ تُسْأَلَ ، وَيُؤَيِّسِكَ قَبْلَ أَنْ
تَرْجُوهُ ، وَيَحْرِمُكَ قَبْلَ أَنْ تَمْتَرِيَ مَعْرُوفَهُ ، وَيَسْفِكُ دَمَكَ إِنْ أَكَلْتَ .

(١) السوس : الأصل .

(٢) العيص : أصل الشجرة .

(٣) شَنِجِ الأنف : متقلص الأنف .

(٤) متخازر : ناظر بمؤخر عينه يتداهى بذلك .

(٥) عبوس الوجه .

(٦) اقتباس من قول نهار بن تروسة :

فَبَدَّدَاتْ بَعْدَهُ قَرْدًا لَطِيفَ بِهِ كَأَنَّمَا وَجْهُهُ بِالْخُلِّ مَنْضُوحٌ

وهو في تذكرة ابن حمدون (نسخة رئيس الكتاب ١٦/٥) .

خُبْرَهُ ؛ والويلُ لمن أعربَ عنده ، واستمرَّ في كلامه معه ، أو تخيَّرَ لفظة له ، أو نشرَ أذبه .

وكان يقول لمن يراه بارعَ اللفظ ، خفيفَ الروح ، لذيذَ الحديث ، خفيفَ اللسان : يا قُسَّ بنَ ساعدة^(١) ! هاتِ حديثك ، يا سحْبانَ وائل^(٢) مُرَّ في هَزَارِك^(٣) ، يا سعيدَ بنَ حميد^(٤) ! لا تحفلَ بنظارتك .

كُلُّ هذا بهُزءٌ وسُخريةٌ وتهافتٌ وكُشْرٌ عن نابٍ أقْلَحَ^(٥) ، ومَضْنَجٌ للسَّلام ، وليَّ الشَّفةِ والشَّدقِ كأنَّه ثُلجٌ جامِدٌ ، أو شيءٌ تارِزٌ^(٦) . ولهذا قال ابنُ أبي الشَّيْب :

أبا الفضلَ لا في الجِنِّ أنتَ ولا الإنسِ
وطبعُك طبعُ الموتِ يُورد في اليَبَسِ

فهذا هذا .

وحضرتُ مجلسَه ذاتَ عَشِيَةٍ في شهرِ رَمَضانَ مع الفقهاء والزَّعيمِ

(١) مرت ترجمة قس بن ساعدة بن عمرو الإيادي .
(٢) هو سحبان بن زفر بن إلياس الوائلي الخطيب . سرح العيون ٧٥ ، الشريشي ٢٥٣/١ .

(٣) هزارك : تفريذك وتطريبك .

(٤) مرت ترجمة سعيد بن حميد .

(٥) القلح : صفرة تعلو الأسنان .

(٦) تارز : جامد ميت ، ويابس .

ابن شاذان ، وهو عَلَى القضاء ؛ فلما كَادَت الشمس تَجِبُ ^(١) وهي حَيَّةٌ بعد ، وَقَفَ حاجِبٌ له حِيَالِ الجماعة ، وَأَشَارَ بالقيام والانصراف ، فَقَطَعُوا مِثْلَ مسألة كانوا فيها وَتَرَكوها بَتْرَاءَ ، وَتَبَادَرُوا إِلَى الخُروج من الباب ؛ وَقَعَدَ عنهم شَيْخٌ طَبْرِيٌّ في كَسَاءٍ عَلَيْهِ خَلَقَ .

فَقَالَ له الْحَاجِبُ : قُمْ يَا شَيْخَ وَالْحَقُّ بِأَصْحَابِكَ ، مَا تَأْخُرُكَ عَنْهُمْ ،
ولماذا أَنْتَ لَا زِمَ مَكَانَكَ مِنْ بَعْدِهِمْ ؟

نَقَالَ الطَّبْرِيُّ : هَذَا فَضْلٌ مِنَ الْكَلَامِ ، أَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدِيمٌ الْيَوْمَ مِنْ بَلَدِي ، وَمَحَلِّي مِنَ الْعِلْمِ قَدْ بَانَ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ الشَّرَفِ ، الْكَبِيرِ الْفَائِدَةِ ، وَهَذَا هُوَ الْمَسَاءُ ، وَأَنَا صَائِمٌ ، وَإِنْ خَرَجْتُ أَعْجَزُ عَنْ مَصْلَحَتِي فِي هَذِهِ الْعَشِيَّةِ ، وَالْغَرِيبُ أَعْمَى ، وَلَسْتُ أَعْدِمُ هَاهُنَا ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، مَا يُسَكِّنِي إِلَى غَدٍ ، ثُمَّ أَغْدُو لِشَأْنِي وَمَا لَا بَدَّ مِنْهُ لِغَرِيبٍ مِثْلِي فِي بَلَدِ الْغُرْبَةِ .

فَقَالَ له الْحَاجِبُ : أَنْتَ طَبْرِيٌّ وَلَيْسَ فِي قَلْبِ سُوْتِكَ حَشَوٌ وَلَا قُطْنٌ ،
وَالْكَلَامُ مَعَكَ يَصْدَعُ ^(٢) ، وَأَقْبَلَ بَغْضَبٍ ^(٣) ، وَجَذَبَ يَدَهُ بِمُغْفٍ حَتَّى

(١) تَجِبُ : تَغْرُبُ .

(٢) يَصْدَعُ : يَوْجَعُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « يَغْضَبُ » ، تَصْغِيفٌ

أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَجْلِسِ بَعْدَ أَنْ شَتَمَهُ / وَخَبَّتِ الْقَوْلَ لَهُ ، وَوَكَّلَ بِهِ مَنْ
أَلْقَاهُ وَرَاءَ الْبَابِ مَدْفُوعًا فِي ظَهْرِهِ ، مَدْقُوقًا فِي قَفَاهُ ، مَشْتُومًا
فِي وَجْهِهِ ^(١) .

وَكُلُّ هَذَا بَعَيْنُ الرَّئِيسِ الْخَسِيسِ وَسَمْعُهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَهَيْئَتُهُ فِي صَدْرِ
مَجْلِسِهِ عَلَى حَشِيَّةٍ قَدْ اسْتَلْقَى ، وَهُوَ يَسْمَعُ وَيَرَى ، فَمَا قَالَ فِي ذَلِكَ
كَلِمَةً سَوْدَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ .

فَلَوْ شَاهَدَتِ الطَّبْرِيُّ الْبَائِسُ عَلَى الْبَابِ ، وَقَدْ احْتَوَشَهُ الْمَارَّةُ ^(٢)
يَقُولُونَ لَهُ : يَا شَيْخُ ! مَا جَنَانُكَ وَمَا الَّذِي ذَهَكَ ؟

قَالَ : يَا قَوْمُ ! ذَنْبِي أَنَّنِي طَمِعْتُ فِي عَشَائِهِمْ ، وَرَغِبْتُ فِي الْمَبِيتِ
عِنْدَهُمْ ، وَأَنْ أَكُونَ ضَيْفًا نَازِلًا بِهِمْ .

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَنْتَ مَجْنُونٌ ، لَقَدْ تَخَلَّصْتَ بِدُعَاءِ وَالِدِكَ
الصَّالِحَةِ ، وَسَلِمْتَ سَلَامَةً عَجِيبَةً ، أَتَطْمَعُ فِي طَعَامِ الْأَسْتَاذِ الرَّئِيسِ ،
وَالْبَلِيسُ لَا يَحْدُثُ نَفْسَهُ بِهَذَا ، وَالشَّيَاطِينُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ؟

(١) حَكَى الصَّاحِبُ - عَنْ بَخْلِ أَبِي الْفَضْلِ - حِكَايَةً مِمَّا لَهَا لِهَذِهِ ، وَتَأَثَّرَ
بِهَا ، وَعَاهَدَ اللَّهَ أَنْ لَا يُخْلِعَ بِمَا أَخْلَعَ بِهِ أَبُو الْفَضْلِ إِذَا أَقَامَ يَوْمًا مَقَامَهُ .
وَانْظُرْ مِمَّا هَدَى التَّنْصِيفُ ١٥٤/٢ .
(٢) احْتَوَشُوهُ : أَحَاطُوا بِهِ .

ولقد أراد أن يطير ابنه من رأس الجوسق^(١) لأنه طلب زيادة رغيـف
في وظيفته .

وصبَّ على هامة أبي الفضل في تلك العشيَّة من نواذر العامَّة ،
وسخانات الحشوية^(٢) من ضروب الكذب والصدق مالا يحصِّل ؛
وللرازيين جرأة على الكلام ، وتخرق^(٣) في النواذر ؛ ومن ذا الذي ردَّ
أفواه الغوغاء والأوباش ؟ ولو افتدى من هذا كله برغيفين وقدرة لحم
لكان الربح معه ، ولكن « الشَّقِيَّ بكلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ^(٤) » .

قال الخليلي مرة : لا تنظر إلى نقاء الشوب ، ومُجرة الوجه ، وفراة
المركب ، وإلى الضفِّف^(٥) والحشد ، والخيل المُسوَّمة العتاق ، ولكن
انظر إلى عرض الرجل كيف هو ؟ وإلى الشُّكر له كيف هو ؟ وإلى
يرمه من أين وجهه وإلى أين توجهه ؟ واجهد أن تسأل من تحت مُصَلَّى

(١) الجوسق : القصر والحصن .

(٢) مر تفسير « الحشوية » .

(٣) تخرق : توسع ، وخلق للكذب .

(٤) اقتباس من قول المساور بن هند :

شقيت بنو أسدٍ بشعرٍ مُساوِرٍ إن الشَّقِيَّ بكلِّ حَبْلٍ يُشْنَقُ

وهو في « التمثيل والمحاضرة » للشمالي (نسخة الفاتح ٣٧٢٤ الورقة ٣٤) .

(٥) الضفِّف : الحشم . وفي الأصل : « الضفِّف » .

الرئيس أو يَخْدَتِهِ أو دَوَاتِهِ تَذَكِّرَتِهِ ، وانظر فيها ، فإن كان قد كُتِبَ
بخطه : يُتَفَقَّدُ فلانٌ بكذا ، أو يُسألُ عن فلانٍ لِيُنْظَرَ في مَصْلَحَتِهِ ،
ويُحْمَلُ إلى فلانٍ شيءٌ من الخِنِطَةِ وشيءٌ من الثياب وشيءٌ من الذهب
والفضة ، ويوفدُ فلانٌ على فلانٍ لِيُصِيبَ خيراً ، ويُولَى جَمِلاً ، ويُقَلَّدُ
فلانٌ لِيُنْجَبِرَ قليلاً ، ويُعْفَى عن فلانٍ وإن كانَ عَظِيمَ الجُرمِ ، ويُسْتَصْلَحُ
أمرُ فلانٍ وإن كان قد سَدَّ طريقَ ذلك ، ويكَلِّمُ الأميرُ في باب فلان حتى
يجدَّ الرضا عنه .

فإن كانت التذكرة مشتملةً على هذه وأشباهاها ، فاعلم أن الله قد
استخلفَ صاحبها على عبادِهِ ، وجعله مناراً للمحتاجين في بلاده ؛ وإن
كان على غير هذا ، فاعسِلْ يَدَكَ منه بالأشنان البارقِي ، ولا تَحُجَّه بأَمَلِكَ ،
ولا تُقَدِّسْهُ بثنائك ، ولا تَمْنُصِ رَبَّكَ بِحُسْنِ ظَنِّكَ فيه ، وعُدَّهِ في الموتى .
وما أجودَ ما قال القائل :

من صَنَّ بِمَعْرُوفٍ عَدَدَنَاهُ مِنَ الْمَوْتَى
فَكَانَتْ رَاحَةً مِنْهُ وَمِنْ سَوْفَ وَمِنْ حَتَّى

فَهَلْ يَكُونُ — أَبْقَاكَ اللَّهُ — فِعْلُ ابْنِ الْعَمِيدِ بِالشَّيْخِ الطَّبْرِيِّ إِلَّا
فِعْلٌ مِنْ خَذَلَهُ اللَّهُ وَأَسَامَهُ مِنْ يَدَيْهِ ، وَلَمْ يَوْهَلْهُ خَيْرٌ يُجْزِي بِهِ وَيَكُونُ
هُوَ سَبَباً لِتَمَامِهِ ، وَهَلْ هُوَ إِلَّا فِعْلٌ مِنْ فِي أَصْلِهِ خَبَثٌ ، وَفِي مَنْشِئِهِ دَخَلٌ ،

وفي طباعه خِسة ولؤم ، مع قِحة الوجه ، ونذالة النفس ، وقِلّة الاكتراث ، والطغيان الذي هو باب الكُفر الذي هو خُسران العاجلة والآجلة .

وقد كان يُمكن أن يدبّر ذلك الشيخ البائس بأقرب شيء وأسَهله ، ولعله كان عند الله أبرّ منه وأزكى ؛ وكان يتقي أن يُثني ^(١) عنه مثل

هذا الحديث الذي مسموعه يغيظ ، فكيف مشهوره ؟ ٥

وإن طينة تكون مَبْلُولة بهذا الماء ، موضوعة في هذا الهواء ، مذكورة بهذه الأفعال والأسماء ، أعتقد أن للكلب والقرَد والخنزير مزية عليها ^(٢) .

هذا ، وهو صاحب المال المَجْمُوع ، والدّخْر الكثير ، والضياع

الفَاشية ، والصّامِت الواسِع ؛ مع الاقْتِطاع والاحتِجان ^(٣) ، والسَّرِقة ١٠ والبهت ^(٤) ؛ كان ورقه في السنة ألف ألف درهم يردّها ^(٥) في الخراج ، وكان ارتفاعه يزلّ عن الحساب ^(٦) ويفوت التّحصيل . وفيه قال ابن عبّدان الإصفهاني :

(١) يثني : يذاع . وفي الأصل : « يثني » .

(٢) في الأصل : « عليه » :

(٣) احتجن مال غيره : سرقه . وفي الأصل : « الاحتجار » .

(٤) البهت : الكذب .

(٥) يردّها : يستفيدها .

(٦) يزل عن الحساب : يخرج عن نطاق العدّ .

الاستاذون في الدنيا كثيرٌ وما فيهم سوى نذلٍ خسيسٍ
وكأهم أراهم عن قريبٍ فداً الأستاذ سيدنا الرئيسِ
وسيدنا الرئيسُ فداء كلبٍ فما هو بالرئيس ولا النفيسِ

والمعجبُ من بُخل هذا الرجلِ ونذالته ، مع تفلسفه ، وتكثره
بذكر أفلاطون وسقراط وأرسطوطاليس ومحبته لهم ، مع علمه بأن القوم
قد تكلموا في الأخلاق وحددوها وأوضحوا خفاياها ، وميزوا رذائلها ،
وبيّنوا فضلها ، وحشّوا على التخلّق بها ، وساقوا ذلك كله على الزهد
في الدنيا ، والقناعة باليسير من حطامها ، وبذل الفضول منها
للمحتاجين إليها والمتتبعين بسببها ، والاقتصار على ما تماسك به
الرمقُ من جميع زخارفها ، وتحصيل السعادة العظمى برفض الشهوات
القليلة والكثيرة فيها ، والإحسان إلى الناس وغير الناس بغير امتنان
ولا اعتداد ، ولا طلب جزاءٍ ولا استحماد ؛ كأنّه لم يسمع بما قال
عبد الملك بن مروان^(١) ، أو سمع ، ولكن حمق عبد الملك عليه ،
ولم يعلم أن الصواب فيما قال ، والحزم مع ما اختار .

(١) الخليفة الأموي المشهور المتوفى سنة ٨٦ هـ . ملك ٢١ سنة أمضى
الكثير منها في محاربة عبد الله بن الزبير . انظر المعارف ١٥٥ — ١٥٧ ،
الوافي (١٩٧٠ شهيد علي ١١٨ ب — ١٢٠ ط) .

حكى العتبي^(١) قال :

قال عبد الملك لأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد : ما لك ولا بن
حرثان^(٢) حيث يقول فيك :

إذا هتف المصفور طار فؤاده
وليت حديد الناب عند الترائد

قال : يا أمير المؤمنين ، وجب عليه حد فأقامته .

قال : فهلا درأته بالشبهات ؟

قال : كان الحد أئين ، وكان رغمه أهون .

قال عبد الملك : يا بني أمية ! أحسابكم أنسابكم ، لا تعرضوها
للجهال ؛ فإن كلامهم باق ما بقي الدهر . والله ما يسرني أني هجيت بمثل
هذا البيت وأن لي ما طلعت عليه / الشمس :

١٠ [١٧٧]

(١) محمد بن عبيد الله العتبي ، من ولد عتبة بن أبي سفيان . شاعر
أخباري ، وأكثر أخباره عن بني أمية . مات سنة ٢٢٨ هـ . تاريخ بغداد
٣٢٤/٢ - ٣٢٦ . ومرت ترجمته .

(٢) هو - كما في « من اسمه عمرو من الشعراء » (٥٥ ب - ٥٦ ،
نسخة الفاتح) ، ومعجم الشعراء للربزباني ٢٧٧ عمرو بن حرثان . وهو
شاعر فارس ، حده أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد في الشراب فجهاه .
والخبر في ديوان المعاني ١ / ١٧٤ ، وأمالى القالي ٢ / ١٥٧ - ١٥٨ ،
وعيون الأخبار ١ / ١٦٦ ، وزهر الآداب ١٠٧٨ . وفي الأصل : « ولحرثان » ،
وفي الأمالى : « ولحرثان بن عمرو » وكلاهما تصحيف .

تَبَيَّنُوا فِي الْمَشْتَى مِلَاءً يُطُونُكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غُرَّتِي يَتَنَّنَ خَمَائِصًا^(١)
ثم قال : وما عَلَى مَنْ مُدَحْ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَنْ لَا يُدَحَّ بغيرهما ،
وهما لَزُهَيْر^(٢) :

هناك إِنْ يُسْتَخْبَلُوا الْمَالَ يُخْبِلُوا^(٣)

وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا

* * *

عَلَى مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ

وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبَذَلُ

قال الأندلسي^(٤) : استفدنا من رواية هذا الشيخ أن هذا
الخليفة روى :

(١) البيت للأعشى يهجو علقمة بن علاثة ، وهو مع أبيات في زهر الآداب
١٠٨٨ ، وديوان الماعاني ١٧١/١ - ١٧٣ ، وعيون الأخبار ٢٩١/٣ ؛ وله قصة .
(٢) البيتان في ديوانه بشرح الأعلام ١١٢ ، والآلي لأبي عبيد ٤٩٢ .
(٣) استخبل الرجل لإبلا وغنماً ، فأخبله : استعارها منه لينتفع بألبانها
وأوبارها ، وهذا هو الإخبال (ل) .

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي ، من فرسان النحو والشعر
واللغة ، ومن مشاهير أصحاب أبي علي القالي . زحل إلى المشرق ، ولازم
أبا سعيد السيرافي إلى أن توفي ، ثم لازم بعده أبا علي الفارسي ، وتبعه إلى
فارس . ومات بالمشرق ، ولم يعد إلى الأندلس . الوافي (١٩٦٨) شهيد علي
٥٢ () ، وانظر الصداقة ٣٧ .

« يُسْتَخْبَلُوا الْمَالَ يُخْبِلُوا »

فإنه كان عندنا :

« يُسْتَخْوَلُوا الْمَالَ يُخْوِلُوا »

ولكل وجه ، ولكن الأنس بهذه الرواية أكثر .

- ٥ وصدق عبد الملك في مُناقضته ^(١) لحرثان ^(٢) ، ودلَّ عَلَى الكرم
المنافسِ عليه ، ونهى عن متابعة الهوى وقلة المبالاة ، وسوء النظر في
العاقبة ؛ وإن بعضَ الفتيان البطالة إذا قال : « والله لأتعرضنَّ لجنايةٍ
أضربُ عليها ألف سوطٍ فيصيحَّ عند الفتيان صبري » لأعذرُ عند
الناسِ ممن يتعرض لحرمانٍ مختبِطٍ لمعروف ، ومنعٍ لمتجيع خير ، وإساءة
قَرى طارق ، وتكليف وجهٍ في وجه سائل .
- ١٠

وما أسهل قول الإنسان : دَعِ الشاعِرَ فليقل ما شاء ، ودَعِ الزائر
فليفرِّ قرينه ^(٣) كيف أحبَّ ! ولكنه إذا زلَّ القول ، وطار الحديث ،
وتمت النادرة ، فأين المتدارك ؟ وأين المعتذر ؟ وأين المتلافى ؟ هيهات !

(١) المناقضة في الكلام : الحاجة والمجادلة فيه .

(٢) كذا في الأصل وصوابه : « لامية » .

(٣) الفري : الشق والإفساد ، وهو يفري فريه : أي يعمل عمله ، وفري

بينهم فري الأديم : قطعهم بالهجاء كما يقطع الأديم .

والعربُ تسمِّي رجلين مُخلداً ؛ أحدهما : مَنْ يتأخَّر شَيْبُهُ ^(١) ،
فتقول : هذا مُخلد ، والآخر هو الذي يمُدح بعد موته ^(٢) .

وَمَنْ لم يرغب في الثناء فقد رغب عن مِلَّة إبراهيم خليل الرحمن ،
لأن الله تعالى أخبر أنه سأله ذلك ، وما سأله إلا بعد أن أذن له ، وما أذن
له إلا بعد أن علم أنه الخلق الأمنى والاختيار الأعلى ، والطريقة المثلى ،
فقال : « وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ^(٣) » وقال : « وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ^(٤) » .

ثم وضع الله من أقدار قوم وأبقى ذمهم في الغابرين فقال :
« فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ^(٥) » ، فرأى ذلك نهايةً في
تهجينهم والغضب من أخطارهم ، وأن يتحدث عنهم بما يبعث على الاعتبار
بمن أساء لنفسه النظر والاختيار ، قال الشاعر :

(١) انظر الاسان (خلد) .

(٢) منه قول عجمارة :

فأثنتوا علينا لا أباً لأبيكم بأفعالنا إن الثناء هو الخلد

(٣) الآية ٨٤ من سورة الشعراء .

(٤) الآية ١٠٨ من سورة الصافات . وفي الأصل : « وباركنا » ،
تصحيف .

(٥) سورة سبأ ١٩ .

نَمَنَّ الْمَعْرُوفَ شُكْرًا وَيَدُّ الْإِحْسَانَ ذُخْرًا
وَتَنَاءِ الْحَيِّ لِلْأَمَّةِ وَاتِّ فِي الْأَحْيَاءِ عُمْرًا

وقال أبو هِفَّان ^(١) في ابن عباد :

لِلَّهِ دَرَكٌ قَدْ أَكْمَلْتَ أَرْبَعَةً

- ما هُنَّ في أَحَدٍ من سَائِرِ الْبَشَرِ
الْعَرِضُ مُتَمِّهِنَ وَالنَّفْسُ سَائِطَةٌ
وَالْوَجْهُ مِنْ سَفْنٍ ^(٢) وَالْعَيْنُ مِنْ حَجَرٍ

أَنشَدَ بَعْضُهُمْ ^(٣) في ابن عباد ، وَذَمَّ سَجْعَهُ وَعَقْلَهُ وَخَطَّهُ وَقَالَ :

مُتَلَقِّبٌ كَافِي الْكُفَاةِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَافِرُ الْكُفَّارِ

- السَّجْعُ سَجْعٌ مُهَوَّسٌ وَالْخَطُّ خَطٌّ مُتَقَرِّسٌ وَالْعَقْلُ عَقْلٌ حَمَارٍ
١٠ وَقُلْتُ لِلنَّصِيفِ الْمُتَكَلِّمِ : أَرَى ابْنَ عَبَادٍ كَثِيرَ الْخُلُوعِ بِهِؤُلَاءِ

(١) هو عبد الله بن أحمد بن حرب المهزبي المتوفى سنة ٢٥٧ أو بعد سنة ٢٦٠ هـ . والصاحب ابن عباد ولد سنة ٣٢٦ هـ . فإما أن تكون نسبة الشعر إلى أبي هِفَّان خطأ ، وإما أن يكون « ابن عباد » شخصاً آخر غير الصاحب .

(٢) السفن : جلد خشن غليظ .

(٣) الخبر في الإرشاد ٢/٢٩٧ .

العفّاريت الذين تَجَاوَزُوا حَدَّ الْعُلُومِيَّةِ^(١) ، أَتُرَى ذَلِكَ لَفَحْشَاءَ وَتَهْمَةً ؟
فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

كَمْ حَرْبَةٍ فِي الْقَوْمِ صَارَتْ جَعْمَةً فَاسْتُرَ عَلَيْهِ فَالْحَدِيثُ يَطُولُ
وَإِذَا الْفَتَى حَامَى عَلَى ذِي الْحِيَةِ حُبًّا لَهُ فُورَاءَهُ عَاقُولُ^(٢)
وَكَانَ قَلِيلَ التَّحَاشِي مِنَ الْقَاذورات ، وَهُوَ الَّذِي أَلْصَقَ بِهِ الرِّيْبَةَ ،
وَسَوَّغَ فِيهِ الْغَيْبَةَ ، وَصَارَ الْإِنْسَانُ إِذَا ذَكَرَ مَسَاوِيَهُ لَا يَخَافُ مَأْثَمًا ،
وَلَا يَرْتَقِبُ لَأَثَمًا . عَلَى أَنَّ مَسَاوِيَهُ تَفْقُوتُ الْحَصْرَ ، وَتَنْدُ عَنْ التَّحْصِيلِ .
قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ لِنَدَمَائِهِ : مَا أَوَّلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
« وَأَنْ غَدَاً لِلنَّاضِرِينَ قَرِيبُ^(٣) » ،

فَقَالَ الْخَوَّارِزْمِيُّ : أَوَّلُهُ :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَوْمَ أَسْرَعُ ذَاهِبٍ »

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : تَمَامُهَا لِنَصِيحِ بْنِ مَنظُورِ الْفَقْعَسِيِّ ، وَهُوَ :
إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقْلُ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ^(٤)
فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ^(٤)

(١) الْعُلُومِيَّةُ : الْعُلُومَةُ ، نَسْبَةٌ إِلَى الْعُلَامِ .

(٢) الْعَاقُولُ : الشَّبْهَةُ ، وَمَا أَلْبَسَ مِنَ الْأَمْرِ .

(٣) انْظُرْ جَمْعَ الْأَمْثَالِ ٤٧/١ — ٤٩ .

(٤) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِ أَبِي نَوَاسٍ ١٧٣ — ١٧٤ ، وَشَرْحُ الشَّرِيشِيِّ ٢٤/١ . وَالْأَوَّلُ

فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ مَنْسُوبًا لِلْحَجَّاجِ بْنِ يُونُسَ الْتَمِيمِيِّ . وَانْظُرِ الْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ ٣/١٩٥ .

فَأَحْسِنَ وَأَجْهَلَ مَا أُسْتَطْعَتَ فَإِنَّمَا بَقَرَضِكَ تُجْزَى والقُرُوضُ ضُرُوبُ
فَلَا تَكُ مَعْرُورًا تَعْلُلُ بِالْمُنَى وَقُلْ إِنَّمَا أُدْعَى غَدًا فَأُجِيبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَوْمَ أُسْرِعُ ذَاهِبُ وَأَنْتَ غَدًا لِلنَّاظِرِينَ قَرِيبُ
وَأَنْتَ الْمَسَايَا تَحْتَ كُلِّ نَيْيَّةٍ لَهُنَّ سِهَامٌ مَا تَزَالُ تُصِيبُ
ذَهَبُنْ يَا خَوَانَ الصَّفَاءِ فَأَصْبَحْتَ لَهُنَّ عَلَيْنَا نَوْبَةٌ سَتَنْوُبُ ٥

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِ كَالِإِلْحِ أُرْبَدُ^(١) ، وَقَالَ : أَعْرِفُكَ نَذْلًا جَاهِلًا ،
مَا بَوْنًا بَاطِلًا ، إِنَّمَا تُرِينَا مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ تَحْفَظُ وَتُحْسِنُ ؛ الثَّرَابُ فِي فَيْكِ
يَا كَلْبُ ، وَمَتَى نَبَتْ ، وَمَنْ أَبُوكَ ، وَعَمَّنْ أَخَذْتَ ، وَإِلَى مَنْ اخْتَلَفْتَ ؟
بَلَى ، اخْتَلَفْتَ عَلَيْكَ أُمُورٌ ، وَأُنْفَقَتْ فِي دُبُرِكَ أَيُّورٌ ، أَنْتَ ١٠
بِمَخَازِيهَا مَشْهُورٌ ، وَقَوَادِكُ بَعْدُ مَا مَاتَ ، وَجَذْرُكَ^(٢) بَعْدُ مَا نُسِيَ ؛ مِثْلُكَ
يُجْتَرَى فِي مَجْلِسِنَا ؟ وَيُقَابِلُ بِوَجْهِهِ وَجْهَنَا ؟ وَاللَّهِ لَوْلَا رِعَايَتُنَا الَّتِي جَرَتْ
بِهَا عَادَتُنَا لَعَرَفْتَنَا وَعَرَفْتَ نَفْسَكَ بِنَا . وَعَلَى هَذَا وَمَا كَادَ يَسْكُتُ .
فَكَانَ جَنْوَنُهُ غَرِيبًا فِي أَنْوَاعِ الْجُنُونِ ، لِأَنَّ الْجُنُونَ إِذَا زَاخَمَ الْعَقْلُ ، ١٥

(١) وَجْه أُرْبَدُ : عِلْتَهُ حَمْرَةٌ فِي اسْوَدَادٍ عِنْدَ الْغَضَبِ .

(٢) الْجَذْرُ : أَجْرُ الْمَغْنَى ، وَهُوَ بِمَعْنَى أَجْرِ الْمَرْأَةِ الْبَغْيِي هَاهُنَا . انْظُرْ
بِمَجْمَعِ الْأَمْثَالِ ١/ ١٣٨ (طَبْعُ الْخَيْرِيَّةِ) ، فِي شَرْحِ الْمَثَلِ « حِينَ تَقْتُلِينَ تَتَدْرِينَ » ،
وَفَقَهُ الْأَمَّةُ لِلْعَالِي ٣٢٢ . وَانْظُرْ مَا كَتَبَهُ أَحْمَدُ تَيْمُورُ فِي مَجْلَةِ الزَّهْرَاءِ السَّنَةِ
الْخَامِسَةِ ص ١٨٧ - ١٨٩ .

والعقل إذا طلاه الحق لم يكمل الإنسان ؛ وأنت إذا قست^(١) هذا إلى العاقل ، وإلى الأحق ، وإلى العاقل الذي يعتريه الحق ، وإلى الأحق الذي يعتريه العقل^(٢) .

فهذا كما ترى .

ومن تحلى بالسيادة ، وسام الناس الإقياد له بالطاعة ، يحتاج إلى خصال كثيرة يسكون مطبوعاً عليها سوى خصال آخر يسكون مشغوفاً بها وبأكتسابها من أصحابها ، بالمجالسة والسماع والقراءة والتقبل^(٣) . وما أحسن ما قال عدي بن حاتم^(٤) في صفة السيد حين سئل من السيد ؟ فقال : السيد هو الأخرق في ماله ، الذليل في عزه ، المطرّح لحقه ، المعني بأمر جماعته .

وهذا أجماع الكرم ونظام المجد .

وكان ذو الكفائتين يقول : خرج ابن عباد من عندنا ، يعني الري متوجّهاً إلى أصفهان / ، ومنزلهُ ورّامين ، فجاوزها إلى قرية غامرة على

(١) في الأصل : « إذا قست » .

(٢) كأن في الكلام نقصاً هنا .

(٣) في الأصل : « والتقبل » .

(٤) كلمة عدي بن حاتم هذه في تذكرة ابن حمدون (نسخة رئيس

الكتاب ٧٦٧ ، ٣/٢ ب) ، وباختلاف يسير في عيون الأخبار ١ / ٢٢٥ .

ماءٍ مِلْحٍ ، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِيَكْتُبَ إِلَيْنَا : كِتَابِي مِنَ النَّوْبِهَا^(١) ، يَوْمَ
السَّبْتِ نَصَفَ النَّهَارِ .

يَا قَوْمُ ! هَلْ هَذَا إِلَّا الرَّقَاعَةُ ؟

وَأَعْلَمُ — حَاطَكَ اللَّهُ — أَنَّ الْكَمَالَ عَزِيزٌ ، فَإِنَّ مَا رَجَحَهُ أَبُو الْفَضْلِ
بِالْعَقْلِ خَسِرَهُ بِالْبُخْلِ ، وَكُلُّ مَا زَادَ ابْنُ عَبَّادٍ بِالسَّخَاءِ نَقَصَ بِالْحُمُقِ ،
عَلَى أَنَّ الْعَقْلَ لَا يَكُونُ تَامًّا وَهَنَّاكَ خَسَاسَةً ، وَالسَّخَاءُ لَا يَكُونُ مَحْمُودًا
وَهَنَّاكَ حِمَاقَةً ، وَابْخُلُ فِي الْجُمْلَةِ غَالِبٌ عَلَى الْمُتَفَلِّسِينَ ، كَمَا أَنَّ الْحِمَاقَةَ غَالِبَةٌ
فِي الْجُمْلَةِ عَلَى الْمُتَشَبِّهِينَ .

وَسَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْمُنَجِّمِ^(٢) يَقُولُ ، وَكَانَ مُحَدِّثًا حُلُوَ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ
سُئِلَ : لِمَ غَلَبَ الْبُخْلُ عَلَى كُلِّ مُتَفَلِّسٍ ؟ فَقَالَ :

وَجَدْنَا الْغَالِبَ عَلَى النَّاظِرِينَ فِي حَقَائِقِ الْأُمُورِ ، وَابْحَاثِينَ عَنْ
أَسْرَارِ الدُّهُورِ ، وَهُمْ الْمَوْسُومُونَ بِطَابِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ الْفَلَسَفَةُ ، التَّمَسُّكُ

(١) فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ٨/٣٢٠ - ٣٢٣ (النَّوْبِهَا) : قَالَ أَبُو الْفَضْلِ بْنِ
الْعَمِيدِ : « خَرَجَ ابْنُ عَبَّادٍ ... نَصَفَ النَّهَارَ » . فَنَسَبَ الْقَوْلَ إِلَى أَبِي الْفَضْلِ
كَأَنَّهُ تَرَى . وَانْظُرِ الْإِرْشَادَ ٢/٢٩٨ .

(٢) عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى أَبُو الْحَسَنِ كَبِيرُ بَنِي الْمُنَجِّمِ ، شَاعِرٌ
أَدِيبٌ مِنْ بَيْتِ عَرِيقٍ فِي مُنَادِمَةِ الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ الصَّاحِبِ .
الْوَفَايَاتُ ١/٤٤٩ ، الْيَتِيمَةُ ٣/١٠١ - ١٠٤ ، ٣٥٩ - ٣٦٠ .

بكل عَرَض يَمْلِكُونَهُ ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يُفْرَجُونَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ،
وَلَا يَجِدُونَ أَلَمَ الشَّحِّ وَالْبُخْلِ ، وَلَا يَأْتَفُونَ مِنْ عَارِهَا ؛ وَطَلَبْنَا الْعِلْمَ فِي
ذَلِكَ مَعَ مَا يَقْتَضِيهِ مَذْهَبُهُمْ مِنَ الزُّهْدِ وَالْبَذْلِ وَالْإِيشَارِ وَالتَّكْرُّمِ ،
فَوَجَدْنَاهَا فِي آثَارِ النُّجُومِ وَالنَّظَرِ فِي دَلَالَتِهَا ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى
عِلْمِ الْحَقَائِقِ وَالغَوُصِّ فِيهَا ، وَاسْتِيفَاءِ الْفِكْرِ فِيهَا زُحْلٌ مَعَ عَطَارِدٍ بِالِاشْتِرَاكِ . ٥
وَزُحْلٌ يُوجِبُ مَعَ شَهَادَتِهِ الْأَوَّلَى الْحَصَرَ وَالْحَسَدَ وَالضِّيقَ وَالْبُخْلَ ؛
لَأَنَّ الْبُخْلَ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ الْخَوْفِ مِنَ الْفَقْرِ ، وَزُحْلٌ يُوجِبُ عَجْزَ
النَّفْسِ ، وَخُضُوعًا عِنْدَ الْحَاجَاتِ ، وَإِشْفَاقًا عَلَى الْفَائِتِ لِعُسْرِ آثَارِ زُحْلِ
وَكَثْرَةِ تَغْيِيرِ أَحْوَالِ عَطَارِدِ .

١٠ قال :

وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ مُوَافِقَةٌ لِمَا فِي الطَّبِيعِيَّاتِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَرْدَ وَالْيُسْ ،
مِنْ آثَارِ زُحْلٍ ، يُوجِبَانِ عَوَارِضَ السَّوْدَاءِ ؛ وَأَخْلَاقُ النَّفْسِ تَابِعَةٌ بِالنَّظَرِ
الْأَوَّلِ لِمِزَاجِ الْبَدَنِ ، فَلِذَلِكَ يَسْتَحِيلُ إِلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ حَالُ عَطَارِدٍ فِي
خُصُوصِيَّتِهِ بِالْيُسْ ، وَلِأَنَّ الْحَرَارَةَ مَعْدُومَةً فِي زُحْلٍ وَعَطَارِدٍ ، وَالسَّخَاءُ
مِنْ جِنْسِ الشَّجَاعَةِ الْمُشَاكِلَةِ لِقُوَّةِ الْحَرَارَةِ ، وَالْبُخْلُ مِنْ جِنْسِ الْجُبْنِ ١٥
الْمُشَاكِلِ لِقُوَّةِ الْيُسْ الَّذِي يُوجِبُ الْعَجْزَ وَضِيقَ الصَّدْرِ وَالْخَوْفَ ،
فِي الْحَاجَاتِ .

قال :

ولأن الزهرة لها من الأمور الإلهية والدلالة على الوحي وطهارة الأخلاق مع ما توجبه من الشهوة والنعمة والبذل والقوة الانفعالية بسبب الرطوبة الغالبة عليها ؛ فهي إذا أعطت أعطت الحقائق بغير تكلف ، بل على سبيل الوحي ، وتميل النفس إلى طهارة الأخلاق والتهاون بالمال .
للمباينة الواقعة بين الأمور الإلهية والأمر الطبيعية التي بها يطلب المال ويتمسك به ، فالذي يشرك في تديره بين العلوم والخلق الزهرة ، ويكون صاحبها مُصادقاً للحقائق عفواً مُبغضاً للمال طبعاً .

والذي يغلب على تديره في العلم والخلق زحل ، وعطارد يتكلف العلم ويحب المال ، ويكون مغلوباً بالبخل .

وكان جريش المقل إذا جرى حديث أبي الفضل قال :

« صبورٌ على سوء الشئ وقاحٌ ^(١) »

وأشد فيه :

ولا يستوي عند كشف الأمور رِ باذلٌ معروفه والبخيلُ

(١) عجز بيت غفل في البيان والتبيين ٣/٣٣٣ ، وعيون الأخبار ٢/٢٩ .

وصدره :

أَكُولُ لأرزاق المباد إذا شتا

الثناء : ذكر المرء بالخير وبالشر معاً . والوقاح : القليل الحياء .

ولا تعجب من إطلاق مثل هذا في ذوي الرياسة ، فإنه مسبوقٌ
إليه في القديم والحديث ؛ هذا محمد بن الجراح ^(١) عمُّ عليّ بن عيسى
الوزير ^(٢) ساق في كتابه في « أخبار الوزراء » فقال :

كان آلُ برمك ^(٣) أُنْدَى من السحاب ، وآلُ وهب ^(٤) أخسَّ من
الكلاب ، وأنشد جريح المقل في أبي الفضل :

لنا فيلسوفٌ عالمٌ بالطبائع يُخَبِّرنا من طَبِّه بالبدائع
رأى البخلَ حِذْقاً فهو يَحْمِي ويَحْتَمِي فلست تَرى في داره غيرَ جائع

(١) محمد بن داود بن الجراح أبو عبد الله الكاتب ، عم علي بن عيسى
الوزير . ولد سنة ٢٤٣ هـ ، وحدث عن عمر بن شبة ، وكان فاضلاً من
علماء الكتاب ، وله تصانيف . توفي سنة ٢٩٦ هـ . المنتظم ٧٩/٦ ، الوفيات
٤٧٢/١ ، ٤٧٣ .

(٢) تقدمت ترجمة علي بن عيسى الوزير .

(٣) عن دولة البرامكة وكرمهم ، وعزهم ، ورجالهم ، انظر مروج الذهب
٣٨٧/٣ — ٣٩٢ (طبع التجارية) .

(٤) آل وهب بيت عريق في البلاغة والكتابة والوزارة ، وتبتدئ صلتهم
بخدمة الدولة منذ عهد معاوية بن أبي سفيان ، ولطول عهدهم بالرئاسة كسبوا
الأصدقاء والأعداء ، فشدحوا وذهبوا ، ويمتد مدحهم ابن المعتز وأبو تمام .
وانظر أخبارهم في الفهرست ١٧٧ ، ١٨٢ ، والمنتظم ٤٥/٥ ، ١٠٩ ، مسالك
الأبصار (أباصوفيا ٣٤٢٣ صفحة ٤٩٢ ، ٤٩٣) ، زهر الآداب ٦٢٥ ، ٦٢٦ ،
شرح المقامات ١٧٨/٢ ؛ وانظر الإمتاع ٩٧/١ ، ١٠٣ .

وَيَزْعَمُ أَنَّ الْفَقْرَ فِي الْجُودِ وَالنَّدَى وَأَنْ لَيْسَ حِظٌّ فِي اكْتِسَابِ الصَّنَائِعِ
سَتَلْعَمُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَنَّكَ نَادِمٌ وَأَنَّ الَّذِي خَلَفْتَ لَيْسَ بِنَافِعٍ
لَقَدْ آمَنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَخْشَ صَرْفَهَا وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمَرْءَ رَهْنُ الْفَجَائِعِ
وقال :

- كان يدعي له العقل وهو لا يرجع إلى دين ، وكل من فسد دينه
فسد عقله . قد أعجبه فلسفته التي لا يحظى منها بطائل ، ولا يتبين
بين أهلها بحقيقة . أمِنَ العقل أن يُشَدَّ كلَّ شعيرٍ للمحد ، ويردّد كل
لفظ غث ومعنى ثَقِيل ؟ أنشد يوماً قولَ النضر بن الحارث ^(١) :
يُخْبِرُنَا ابْنُ كَبْشَةَ أَنْ سَنَحْيَا وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءِ وَهَامٍ ^(٢)

(١) البيتان في شرح نهج البلاغة ٣٩/١ ، وهما في رسالة الغفران ٣٥٣
باختلاف في الرواية ، وأولهما في سيرة ابن هشام ٣/٣٠ ، ٣١ — من قصيدة
لشداد بن الأسود بن شعوب اللبثي (ابن حبيب ، من نسب إلى أمه من الشعراء —
نوادير المخطوطات ١/٨٣ ، ابن حجر ، الإصابة ٧/٢١) يرثي فيها قتلى بدر
من المشركين .

وقد قُتل النضر بن الحارث في وقعة بدر ، فنسبة الشعر إليه خطأ .
(٢) يريد ابن أبي كبشة وهي كنية جزء بن غالب بن عامر بن الحارث
الخراساني ، شذ عن قومه في عبادة الأصنام ، وعبد الشعري العبور ، فشبه المشركون
من قریش رسول الله ﷺ — حين دعاهم إلى دين غير دينهم وخالفهم في
عباداتهم — بابن أبي كبشة . ويقال إن « أبا كبشة » كنية وهب بن
عبد مناف جد النبي ﷺ لأمه . وانظر سيرة ابن هشام ٣/٢٢١ ، ولسان
العرب وتاج العروس (كبش) .

أَيَقْتُلْنِي إِذَا مَا كُنْتُ حَيًّا وَيُحْيِيَنِي إِذَا رَمَتْ عِظَامِي
وَأَنْشَدَ لآخر :

أَصْبَحْتُ جَمَّ بِلَابِلِ الصَّدْرِ وَأَيَّتْ مَنْطُويًّا عَلَى غَمَرٍ ^(١)
إِنْ بَحْتُ طُلَّ دَمِي وَإِنْ أَسَكْتُ يَضِقُ بَذَاكُمُ صَدْرِي ^(٢)
وقال : هذا لصالح بن عبد القدوس ^(٣) العاقل المجيد ، أما سمعت
قوله الآخر :

بَاحَ لِسَانِي بِمَضْمَرِ السَّرِّ وَذَاكَ أَنِي أَقُولُ بِالذَّهْرِ
وَلَيْسَ بَعْدَ الْمَمَاتِ مُنْقَلَبٌ وَإِنَّمَا الْمَوْتُ بِيضَةُ الْعَقْرِ

وهذه أمورٌ قبيحة من سِفلة الناس ، فكيف من عِلْيَتِهِمْ ؟ وإذا
سَكَتَ النَّاسُ عَنْهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ خَوْفًا مِنْهُمْ ، نَطَقُوا بَعْدَ مَوْتِهِمْ تَقَرُّبًا إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى بِالصَّدَقِ عَنْهُمْ .

فَلَا يَهْدِنَاكَ ^(٤) مَا تَسْمَعُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُقَيِّضُ لِلْمُحْسِنِ إِلَّا
الْمُحْسِنَ ، كَمَا لَا يُلْجِيهِ الْمُسِيءُ إِلَّا إِلَى الْمُسِيءِ .

(١) انظر رسالة الغفران ٣٦٧ .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) مرت ترجمة صالح بن عبد القدوس .

(٤) يهيدنك : لا يفزعنك .

ورأيتُ^(١) المَسْجِدِيَّ يقول لجريح المقل : كيف وجدتَ هذا الرجل ؟ يعني أبا الفضل .

فقال : يابس العود ، ذميم المعهود ، سيء الظن بالمعبود ، ومثله لا يَمُجَّد ولا يَسُود .

فقال له [المسجدي]^(٢) : أفلا ترى هذه الأبهة والصيت هـ والغاشية والموكب ؟

فقال : هذا وإن كان من الدولة ، فهي غير السؤدد ، والسلطان غير الكرم ، والجد غير المحمدة ؛ أين الزوار والمنتجعون ؟ وأين الآملون الشاكرون ، وأين المُشْنُون الحامدون ؟ وأين الواصفون الصادقون ؟ وأين المنصرِفون الرّاضون^(٣) ؟ / وأين دار الضيافة والخدم المرتبون ١٠ [١٧٨] للخدمة ؟ هيهات ! لا تجيء بالطَّقطقة والرققة^(٤) ؛ أما تسمع الشعر ؟

(١) الخبر في « الفخري » ، ٤٤ ، ٤٥ ونصه : « قال المسجدي لبعض أصحاب ابن العميد ذي الكفائتين » فنسب القصة الى أبي الفتح كما ترى .
(٢) تكملة عن الفخري .

(٣) في الفخري ٤٥ : « وأين . . . الراضون ، وأين الهبات وأين التفصلات ، وأين الخلع والتشريفات ، وأين الهدايا والضيافات ؟ هيهات هيهات ! لا تجيء الرياسة بالترهات ، ولا يحصل الشرف بالخزعبلات ؛ أما سمعت قول الشاعر « الخ .

(٤) الطقطقة والرققة : كناية عن الضجيج والمظاهر الجوفاء .

أبا جعفرٍ ليس فضلُ الفتى إذا راح في فرطٍ إعجابه^(١)
 ولا في فراهة برذونه ولا في نظافة^(٢) أثوابه
 ولكنه في الفعّال الجَمِي لِحِ والحسب^(٣) الأشرَف النَّابِه
 وكان أبو الفضل يُطْري البُحتري^(٤) ويمجّب من غزله وتشبيبه ،
 ويستسهل في الجملة طريقتَه ، ورجلٌ حاضرٌ يُخالفه في ذلك ، فقال
 أبو الفضل :

البُحتريُّ يرومُ غايةَ شعرِه من لا يُقيمُ لنفسِه مِصْراعا
 أنى يرومُ منالَه^(٥) ولو ابتغى تقويمَ قافيةٍ له ما استطاعا
 جَذَبَ العلّاءُ بضْبَعِه فأحلّه بينَ المجرّة والسّمّاك ربّاعا
 وغدوتَ ملتزمَ الحضيضِ فكَلّما فرَعَ العلّابعا هَبَطَت ذِراعا ١٠

قال : فخزى الرجل وسكت .

وحدثني أبو الطيّب^(٦) الكميائي قال : قلتُ لأبي الفضل — بعد أن

(١) الأبيات في الفخري ٤٥ .

(٢) في الفخري : « ملاحه » .

(٣) في الفخري : « الكرم » .

(٤) مرت ترجمة البحتري .

(٥) مناله : نيله والوصول إليه .

(٦) في الأصل : « أبو الفضل » والخبر في الإرشاد ٣٥٩/٥ .

سَمَّ الحَاجِبَ النِّيسَابُورِيَّ^(١) ، وَبَعْدَ أَنْ خَطَبَ عَلَى حَمْدٍ ، وَدَسَّ إِلَى
ابْنِ هِنْدُو^(٢) وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَةِ وَالْمَرْوَةِ وَالنَّعْمَةِ^(٣) : لَوْ كَفَفْتُ ،
فَقَدْ أَسْرَفْتُ .

فَقَالَ : يَا أَبَا الطَّيِّبِ ! أَنَا مُضْطَرَّرٌ .

فَقُلْتُ : أَيُّ اضْطِرَارٍ هَاهُنَا ؟ وَاللَّهِ إِنَّ مُخَادَعَتَنَا لِأَنْفُسِنَا فِي نَفْعِنَا
وَضَرْبِنَا لِأَعْجَبٍ مِنْ مُكَابَرَةٍ غَيْرِنَا لَنَا فِي خَيْرِنَا وَشَرِّنَا ، وَهَذَا وَاللَّهِ
رَيْنُ الْقَلْبِ وَصَدَأُ^(٤) الْعَقْلِ ، وَفَسَادُ الْاِخْتِيَارِ وَكَدَرُ النَّفْسِ ، وَسُوءُ
الْعَادَةِ ، وَعَدَمُ التَّوْفِيقِ .

فَقَالَ : يَا أَبَا الطَّيِّبِ ! أَنْتَ تَتَكَلَّمُ بِالظَّاهِرِ ، وَأَنَا أُحْتَرِقُ
فِي الْبَاطِنِ .

(١) فِي الصَّدَاقَةِ وَالصَّدِيقِ ٧٤ — ٧٥ حَدِيثُ مَفْصَلٍ عَنْ مَقْتَلِ الْحَاجِبِ
النِّيسَابُورِيِّ هَذَا ، نَقَلَهُ أَبُو حَيَّانٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْقَاسِمِ الْكَاتِبِ .

(٢) عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ أَبُو الْفَرَجِ بْنِ هِنْدُو الْكَاتِبِ الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ ، كَانَ
أَحَدَ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ فِي دِيْوَانِ عِصْدِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ مُتَفَلِّسًا لَهُ مُؤَلَّفَاتٌ طُبِعَ مِنْهَا
« الْكَلَمُ الرُّوحَانِيَّة » . كَانَ حَيًّا سَنَةَ بَضْعِ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . الْوَاقِي (أَحْمَدُ
الثَّالِثُ ٢٩٢٠ ج ٢١ الْوَرَقَةُ ٢ ط ٤ — ب ٤) ، وَالْإِرْشَادُ ١٦٨/٥ — ١٧٣ .

(٣) فِي الْإِرْشَادِ : « وَالنَّعْم » .

(٤) فِي الْإِرْشَادِ : « الْقُلُوبُ وَصَدَاء » .

فقلت : إن كان عُذْرُكَ في هذه السَّيْرَةِ الْمُخَالَفَةِ لِأَهْلِ الدِّيَانَةِ وَأَصْحَابِ
الْحِكْمَةِ قَدْ بَلَغَ بِكَ هَذَا الْوُضُوحَ وَالْجَلَاءَ فَإِنَّكَ مَعْدُورٌ عِنْدَنَا ، وَلَعَلَّكَ
أَيْضًا مَأْجُورٌ عِنْدَ اللَّهِ مَالِكِ الْجَزَاءِ .

وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِي حَقِيقَتِهِ غَيْرَ مَا تُرَاجِعُنِي عَلَيْهِ ^(١) الْقَوْلُ ،
وَتُنَاقِلُنِي ^(٢) فِيهِ الْحِجَاجَ فَإِنَّكَ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ قَدْ ^(٣) بَاءُوا بِغَضَبٍ
مِنَ اللَّهِ عَلَى مَذَاهِبِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ .

فَبَكَى ^(٥) .

فَقُلْتُ : الْبُكَاءُ لَا يَنْفَعُ إِنْ كَانَ الْإِقْلَاعُ مُمْكِنًا ، وَالنَّدَمُ لَا يُجْدِي
مَتَى كَانَ الْإِصْدَارُ قَائِمًا ؛ هَذَا كُلُّهُ بِسَبَبِ ابْنِكَ أَبِي الْفَتْحِ ؛ وَاللَّهُ إِنْ
أَيَّامَ ابْنِكَ لَا تَطُولُ ، وَإِنْ عَيْشُهُ لَا يَصْفُو ^(٦) ، وَإِنْ حَالُهُ لَا يَسْتَقِيمُ وَلَهُ
أَعْدَاءٌ لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهُمْ ؛ وَقَدْ دَلَّ مَوْلَدُهُ عَلَى ذَلِكَ . وَإِنَّكَ لَا تَدْفَعُ عَنْهُ
قَضَاءَ اللَّهِ ، وَهُوَ لَا يُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا . فَعَلَيْكَ بِخُورِصَةِ نَفْسِكَ .

* * *

(١) فِي الْإِرْشَادِ : « تَعْلَمُ حَقِيقَةَ مَا تُرَاجِعُنِي عَلَيْهِ » .

(٢) تَنَاوَلُنِي : تَنَازَعُنِي وَتَجَادَلُنِي .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْحِجَاجُ إِنَّكَ » .

(٤) فِي الْإِرْشَادِ : « الَّذِينَ بَاءُوا » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فَبَكَ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « يَصْفُوا » .

وهذا موضع يُروى عنه بعض ما هو فائدة من الأدب والحكمة ،
وإن كان استيعاب ذلك شاقاً ؛ فإن الرجلَ كان كثيرَ المحفوظ جيدَ
الاقتضاب .

حدثني ابن فارس : جرى بين يديه أسماء الفرج وكثرتها ، فقال
بعض الحاضرين : ماذا أرادت العرب بتكثيرها مع قُبْحِها ؟ فقال : لما
رَأَوْا الشيءَ قبيحاً جعلوا يَكْنُونُ عنه ، وكانت الكناية عند فُشُوِّها
تصير إلى حدِّ الاسم الأول فينتقلون إلى كناية أخرى ، فإذا اتَّسَعَتْ
أيضاً رَأَوْا فيها من القُبْحِ مثل ما كُنُوا عنه من أَجْلِهِ ، وعلى هذا ،
فَكَثُرَتِ الكِنَايَاتُ ، وليسَ غرضُهم تكثيرَها .

وحدثني الهروي قال : سألت يوماً ابنه أبا القاسم ؛ أخاً كان
لذي الكفايتين مات قبله — عن قول الشاعر^(١) :
فَالَكُمْ طُلَسَ الثَّيَابِ كَأَنَّكُمْ ذُنَابُ الغَضَا والذُّبُ بالليلِ أَطْلَسُ^(٢)
فقال ولده : هو ظاهرٌ إلا أن يكون تحته معنى .

(١) هو مضر بن لقيط كما في الحيوان ١٥١/٤ ، أو مغلس بن لقيط
كما في الممانى لابن قتيبة ١٨٧ ، ٢٠٨ ، أو عامر بن لقيط الأسدي الفقيمي كما
في حماسة البحتري ٢٤٠ ومحاضرات الراغب ١٧٤/١ .
(٢) شرحه ابن قتيبة في الممانى على الوجه التالي : « أي سواده يشبه سواد
الليل ، فهو في الليل أخفى ؛ يريد أنه يختطف الشاة وهم لا يعلمون » .

فقلت بمزاحاً له : أهو ظاهرٌ لك أو ظاهرٌ عنك أي غائب ؛ ومعنى
ظاهر عنك أي مجانب لك بارزٌ عنك . ومنه قول الهذلي^(١) :

وعيرها الواشون أني أحبها وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها^(٢)

وفسر البيت فقال : يقول : مآلكم مجاهرين لي بالعداوة ولا
تُجاملوني في حال ، فالدُّبُّ أصلح منكم لأنه بالليل أطلس أي مجاهر
بالليل فقط ، ومُداجٍ بالنهار ؛ فهو مجاهر في وقتٍ ومُداجٍ في وقت ،
وأتم مُصرون على العداوة .

وكان يحفظ فقراً كثيرةً لابن المعتز^(٣) ، ويرويها في مجلسه في الوقت
بعد الوقت ، وكان يُؤمّن من حضر أنه من اقتضابه .

منها قوله : ١٠

إن في الحكم : أن المتواضع من طلاب العلم والحِكم أكثرهم حظاً ،

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي .

(٢) البيت في ديوان الهذليين ٢١/١ من قصيدة ، ومع آخر في التاج (ظهر) ،
وفي اللسان ١٧١/١٩ ، وثمار القلوب ٢٣٥ .

(٣) أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل الأمير الشاعر المطبوع المتوفى
سنة ٢٩٦ هـ . الفهرست ١٦٨ - ١٦٩ ، المنتظم ٨٤ / ٦ - ٨٨ ، تاريخ بغداد
٩٥/١٠ - ١٠١ ، الشذرات ٢/٢٢١ - ٢٢٤ ، النجوم الزاهرة ٣/١٦٦ - ١٦٧ ،
الأغاني ٩/١٤٠ - ١٤٦ ، الأوراق للصولي (أشعار أولاد الخلفاء ١٠٧ - ٢٩٧)
الوفيات ١/٣٢٣ ، ٤٧٣ ، وفات الوفيات ١/٢٤١ .

كما أن المكان المتطامن من أكثر البقاع ماء .

وأنس الأمن يذهب بوحشة الوحدة ، ووحدة الخوف تذهب
بأنس الجماعة .

ومنع الحافظ خيراً من عطاء المضيع .

وإذا طرت فقع قريباً .

والرجال يفيدون المال ، والمال يفيد الرجال .

إذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن الاختيار
من رأى الموت بعين أمّله رآه بعيداً ، ومن رآه بعين عقله
رآه قريباً .

العقل صفاء النفس ، والجهل كدرها .

لا تلبس السلطان في وقت اضطراب الأمور عليه ، فإن البحر لا يكاد
راكبه يسلم في حال سُكونه ، فكيف مع اختلاف رياحه واضطراب
أمواجه .

وإن الله تعالى أضاف إلى كل مخلوق ضده ليدلّ على أن الوحدة
له وحده .

كرم الله لا ينقض حكمته . ولذلك لم تقع الإجابة لكل دعوة .

للطالب المنجِّح لَذَّةُ الإدراك ، وللطَّالِبِ المحروم لَذَّةُ اليأس .
ومن صَحِبَ السلطانَ فليَصْبِرْ عَلَى قَسْوَتِهِ كَصَبْرِ الغَوَاصِّ عَلَى ملوحة
ماء البحر .

وَالْعَالِمُ يَعْرِفُ الْجَاهِلَ لِأَنَّهُ كَانَ مَرَّةً جَاهِلًا ، وَالْجَاهِلُ لَا يَعْرِفُ الْعَالِمَ
لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَرَّةً عَالِمًا . ٥

وَمَنْ جَعَلَ الْحَمْدَ خَاتَمًا لِلنِّعْمَةِ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِمَزِيدٍ .
لَوْ تَمَيَّزَتِ الْأَشْيَاءُ لَكَانَ الْكَذِبُ مَعَ الْجُبْنِ / ، وَالصَّدْقُ مَعَ الشَّجَاعَةِ ،
وَالرَّاحَةُ مَعَ الْيَأْسِ ، وَالتَّعَبُ مَعَ الطَّمَعِ ، وَالْحَرَمَانُ مَعَ الْحَرَصِ ، وَالذِّلُّ
مَعَ الدِّينِ .

١٠ وَمَالُ الْمَيِّتِ يُعْزِي وَرِثَتُهُ عَنْهُ .

كَيْفَ تُرِيدُ مِنْ صَدِيقِكَ خُلُقًا وَاحِدًا وَهُوَ ذُو أَرْبَعِ طَبَائِعٍ .
تُرْقِعُ خَرَقَ الدُّنْيَا وَيَتَّسِعُ ، وَتَشْعَبُهَا وَتَنْصَدِرُ ، وَتَجْمَعُ مِنْهَا
مَا لَا يَجْتَمِعُ .

وَكَانَ مَلِيًّا بِهَذَا النَّمَطِ وَيُفْرِغُ فِي قَالِبِهِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهُ
إِلَّا لَقْعَةٌ^(١) اللِّسَانِ ، وَصَدَى الصَّوْتِ ، وَتَقْطِيعُ الْفِظِ . فَأَمَّا التَّحْلِي وَالْعَمَلُ ١٥

(١) لَقَعَ : رَمَى ؛ وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَرْمِي بِالْكَلَامِ وَلَا شَيْءَ عِنْدَهُ وَرَاءَ
الْكَلَامِ : لَقَعَهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « لَعَقَهُ » .

فكان منهما عَلَى بُعد ؛ والعقلُ متى لم يُشمرَ كَرَمًا فهو وبال ، والحكمة
متى لم تُورثَ عملا فهي خبال ؛ والكرم ما قاله الأعرابي حين سئل عنه ،
فإنه قال :

أما الكرم في اللّقاء فالبشاشة ، وأما في العِشرة فالحشاشة ، وأما
في الأخلاق فالسّماحة ، وأما في الأفعال فالنصاحة ، وأما في الغنى
فالمشاركة ، وأما في الفقر فالمواساة .

قلت لأبي السلم نجبة بن علي :

أأبني عبادٍ أحبُّ إليك أم ابن العميد ؟

قال : ما فيهما حَبِيبٌ ، عَلَى أَنِّي بَرَقَاعَةٌ هَذَا أَشَدُّ انتفاعًا مِنِّي بعقل
ذاك ؛ هذا يَغْضَبُ إِذَا تَرَفَّعَ عَنْ عَطَائِهِ ، وَقَبَضَتْ يَدُكَ عَنْ قَبُولِ
بِرِّهِ ، وَمَشَيْتَ نَاكِبًا عَنْ بَابِهِ وَقَصَدِهِ ؛ وَذَلِكَ كَانَ يَحْقِدُ إِذَا رَجَوْتَهُ
وَتَعَرَّضْتَ لَهُ ، وَيَغْضَبُ إِذَا أَثْنَيْتَ عَلَيْهِ وَطَمَعْتَ فِيهِ ؛ وَهَذَا يَكْذِبُ
مُتَمَاجِنًا ، وَذَلِكَ [كَانَ] ^(١) يَصْدُقُ مَعَ الدَّامَةِ وَيَغِيظُ ؛ وَهَذَا يَفْعَلُ
الْخَيْرَ وَإِنْ قَالَه وَأَفْشَاهُ وَيَبْجِحُ ^(٢) بِهِ وَسَحَبَ ذِيْلَهُ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ كَانَ

(١) تكملة يقتضيا السياق .

(٢) بجح به : افتخر .

لا يُقْلَعُ عن الشرِّ وإن قُرِعَ في وجهه باللائمة ، وكُشِطَ عِرْضُهُ بالمذمة ؛
وَهُمْ هَذَا فِي الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِدْنَاءِ ؛ وَكَانَ دَابَّ ذَاكَ الْجَمْعُ
وَالْمَنْعُ وَالتَّفْلِسُ لِيَتَعَ النَّاسُ مِنْهُ ، وَيَتَلَذَّ بِالْخِيبةِ عَلَيْهِ ؛ وَهَذَا يَقُولُ
وَيَفْعَلُ بَعْضُ مَا يَقُولُ مُتَجَلِّدًا ، وَكَانَ ذَاكَ لَا يَهْمُ وَلَا يَنْوِي وَلَا يَظُنُّ وَلَا
يَحْلُمُ ، فَضْلًا عَنِ الْقَوْلِ الْمُطْمَئِنِّ وَالْعَمَلِ النَّافِعِ ؛ وَعَيْبُ هَذَا أَنَّهُ يَذُوبُ
حَتَّى لَا يَحْصَلَ لَكَ مِنْهُ شَيْءٌ ؛ وَكَانَ عَيْبُ ذَاكَ أَنَّهُ يَجْمُدُ حَتَّى لَا تَنْتَفِعَ
مِنْهُ بِشَيْءٍ .

وقلت لأبي السلم يوماً ، وقد خرج من دار ابن عباد :

كيف ترى الناس ؟

١٠ فقال : رأيت الداخلَ ساقِطًا ، والخارجَ سَاخِطًا ، وَأَخَذَ مِنْ قَوْلِ
شَبِيبٍ^(١) ؛ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنْ دَارِ الْمُهَلَّبِيِّ^(٢) وَقَالَ : تَرَكْتُ الدَّخِيلَ رَاجِعًا ،
وَالْخَارِجَ رَاضِيًا^(٣) .

(١) شبيب بن شيبه من الخطباء البلغاء ، ذكره الجاحظ في البيان وقال :
إن الناس كانوا يتناقلون خطبه ويحفظونها ، وأورد له فقرًا بليغة . البيان
٣١٨/١ ، ٣٥١ .

(٢) في البيان ٣٥٢/١ : « وخرج شبيب من دار الخليفة » .

(٣) كلمة شبيب هذه في البيان ٣٥٢/١ ، وعيون الأخبار ٩١/١ .

وكان أبو السلم من فصحاء الناس ؛ سمعته يقول : الكسير يعثم^(١)
والحسير يوثم^(٢) .

وقال أيضاً : ما أحسن منقاد^(٣) هذا الطائر ، بالدال .

وقال للبديهي ، لما رأى تعسفه في المرية : يا هذا ! الكلام
لا يؤاتيك فسراً ولا يطيعك كارهاً ، تكلم على سجية النفس ، وعفو
الطباع ، واطرح البقية جانباً ، وجانب التكلف ، واتبع المعنى يتبعك
اللفظ ، والحظ العقل ، فإنه نورك ، والزم الجادة فهي مسلكك ، ولا
تذلن فتخزي ، ولا تعزن فتقصي ، وتحكم وأنت مبقي ، وخذك أنك
مُعطي ، وكسر لهاتك بتصاريف الكلام مُشَقَّقاً لا مُتَشَدِّقاً ، تبلغ إرادتك ،
وتملك عادتك .

١٠

قلتُ له : كيف كان حديث ابن العميد ؟
قال : « أَلَذُّ من السلوى إذا ما نشورها^(٤) »

(١) عثم العظم المكسور : انجبر .

(٢) الحسير : الدابة تعيا وتتعب ، ووثمت الحجارة رجله : أدمتها .

(٣) في اللسان والتاج (نقد) : المنقاد : المنقار .

(٤) عجز بيت لخالد بن زهير الهذلي ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي ،

وصدره . « وقاسمها بالله جتهداً لا ثم »

السلوى : العسل ، ونشورها : نأخذها من موضعها . وهو في اللسان
والتاج (سلا) ، ومن قصيدة في ديوان الهذليين ١٥٨/١ ، والأغاني ٦٣/٦ .

وحديثُ ابنِ عبّادَ أنّ من الصُّنّانِ ، وأثقلَ من الصُّدامِ^(١) ، وأبغضَ من القَضَضِ في الطّعامِ^(٢) ، وأوحشَ من أَضغاثِ الأحلامِ . يتشاحى^(٣) كأنه صبي مترعرع ، يظن أن الأرض لم تُقَلَّ غيره ، وأن السماء لم تُظَلَّ سِواه ، أما سمعته يشتم في هذه الأيام إنساناً فقال :

هـ لعن الله هذا الأهوج الأعوج الأفلج الأفحج الحفلج^(٤) ، الذي إذا قام جليج^(٥) وإذا مشى تفحج^(٦) ، وإن تكلم تلجلج ، وإن تنعم تمجمج^(٧) ، وإن مشى تدحرج ، وإن عدا تفجفج^(٨) .

قال : فهل سمعت بكلام أنبي عن القلب وأسمج من هذا ؟ نعوذ بالله من العُجْمة المخلوطة بالتعريب ، ومن العربية المخلوطة بالتعجيم .
١٠ ولو أن هذا النقص لم يدلّ إلا على اللفظ الذي معدّه اللسان

(١) الصدام : ثقل يأخذ الإنسان في رأسه .

(٢) القَضَض : الحصى والتراب يقع في الطعام ، ثم بين أضرار الآكل .

(٣) يتشاحى : يفتح فاه .

(٤) الأفحج : المعوج الرجلين ، والحفلج كذلك ؛ وفي الأصل : « الحفلج » بانحاء المعجمة .

(٥) جليج : تردد .

(٦) تفحج : تفرقت رجلاه وساقاه عند المشي .

(٧) تمجمج : استرخى وترهل .

(٨) تفجفج : باعد بين رجله عند المشي .

لَكَانَ الْعُذْرُ أَقْرَبَ ، لَكِنَّهُ كَاشَفَ لِعَوْرَةِ الْعَقْلِ ، هَاتِكٌ لِنَسْتِ الْمَعْرِفَةِ ،
وَمَنْ اسْتَدْرَجَهُ اللَّهُ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ فَقَدْ خَذَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَنصُورٌ ،
وَأَفْقَرَهُ وَإِنْ حَسِبَ أَنَّهُ مُثَرِّ .

وسمعه يقول لِكَاتِبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَدْ كَتَبَ : « مِنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ
عَبَاد » ، وَكَانَتِ الْعَيْنُ مِنْ إِسْمَاعِيلِ قَدْ تَطَلَّسَتْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بَيَاضٌ
الْمَشْقِينَ تَعْمَحُفٌ ^(١) لِّلْكَاتِبِ وَالْقَلَمِ .

فَقَالَ : يَا هَذَا : عَيْنِي هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تُكْتُبَ بِاللَّهِ ؟ أَنْتُ أَعْمَى ؟
أَمَا تَرَى عَيْنِي ؟ انْظُرْ إِلَيْهَا حَسَنًا ! أَهِيَ مَحْلُوسَةٌ ، أَهِيَ تَمْلُوسَةٌ ، أَهِيَ
مَطْلُوسَةٌ ، أَهِيَ مَمْرُوسَةٌ ، أَهِيَ تَمْسُوحَةٌ ، أَهِيَ مَنزُوحَةٌ ، أَهِيَ مَسْطُوحَةٌ ؟
وَمَا كَادَ يَسْكُتُ .

١٠

وَهَلْ هَذَا إِلَّا رِقَاعَةٌ وَجَهْلٌ وَكَلَامُ رُقَعَاءِ الْمَعْلَمِينَ وَالْمَخْنَثِينَ ؟ !
وَقَالَ يَوْمًا :
هَاهُنَا أَشْيَاءٌ لَّاحِقِيَّةٌ لَهَا .

مِنْهَا : إِمَامُ الرَّافِضَةِ ، وَالْإِسْتِطَاعَةُ مَعَ الْفِعْلِ ^(٢) ،

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَمْ أَهْتَدِ إِلَى تَصْحِيحِهِ .

(٢) يَرَادُ بِـ « الْإِسْتِطَاعَةُ » (١) صِحَّةُ الْجَوَارِحِ وَسَلَامَةُ الْأَعْضَاءِ ،

(٢) وَارْتِفَاعُ الْمَوَانِعِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنْ مَبَاشَرَةِ الْفِعْلِ ؛ وَهِيَ بِهِذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ تَسْبِقُ الْفِعْلَ
ضَرُورَةً . (٣) وَيَرَادُ بِهَا أَيْضًا الْقُوَّةُ الْوَارِدَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعَوْنِ أَوْ الْخُلْدَانِ ، فَيَقَعُ -

والبَدَل^(١) للنَجَّار^(٢) ، والهيولى .

فقال الحسين المتكلم : والحال لأبي هاشم^(٣) .

ويتحقق بها الفعل ؛ وهي بهذا المعنى مقارنة للفعل لا قبله ولا بعده . وعلى المعنى الثالث فهم أهل السنة ، والنجار معنى الاستطاعة . وقالت المعتزلة : إن الاستطاعة بجملتها قبل الفعل . (ابن حزم ، الفصل ٣٠/٣ ، ٣٢ ، ٣٣) .

(١) في الفصل لابن حزم ٥٢/٣ :

« قال بعض القائلين بالاستطاعة مع الفعل إذا سئل هل يستطيع الكافر ما أمر به من الإيمان أم لا يستطيعه ؟ فأجاب : إن الكافر يستطيع الإيمان على البذل بمعنى أن لا يتأدى في الكفر ، لكن يقطعه ويبدل منه الإيمان . وللنصارى كتاب البذل ، ذكره ابن النديم . »

(٢) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار رئيس الفرقة النجارية ، وكان من أصحاب بشر المريسي ، ناظر النظام فقطعه النظام وركله فمات متأثراً بذلك ، وكانت وفاته حوالي سنة ٢٣٠ هـ . ترجمته في الفهرست ٢٦٨ ، خطط المقرئ ١٧٢/٤ ، الأنساب ٥٥٤ م ؛ وانظر الانتصار ١٨٠ ، ٢٣٣ ، وطبقات السبكي ٥/٢ ، والفرق ١٢٦ .

(٣) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي المتوفى سنة ٣٢١ هـ ، من مشاهير المعتزلة . يقول البغدادي (الفرق ١١١) : « أكثر معتزلة عصرنا على مذهبه ، لدعوة ابن عباد وزير آل بويه إليه » .

وكان أبو هاشم يقول : « إن دلالة الفعل على أن فاعله عالم قادر دلالة على حال فارق بها من ليس بعالم ولا قادر » . وقد أثار عليه قوله هذا جماعة من المنكرين فيهم كثير من المعتزلة أنفسهم . وانظر التمهيد للباقلاني ١٥٣ — ١٥٤ ، والفرق للبغدادي ١١٧ .

فقال : مما يوضح عِنْدِي مَعْنَى الْحَالِ أَنَّ مِثْلَكَ لَا يَفْهَمُهُ . وَكَانَ هَذَا
الْكَلَامُ بِسَبَبِ تَنْكُرٍ لَهُ شَدِيدٍ .

فقلت : أَنَشَدَنِي الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ ^(١) لِبَعْضِ شُعَرَاءِ الْمَغْرِبِ يَتَنَمَّ
ذَكَرَ فِيهِ أَشْيَاءَ زَعَمَ أَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لَهَا .

فقال : وَمَا ذَاكَ الْبَيْتُ ؟
فَأَنَشَدْتُهُ :

الْجُودُ وَالْعَوْلُ وَالْعَنْقَاءُ ثَالِثَةٌ ^(٢)

أَسْمَاءُ أَشْيَاءٍ لَمْ تُخْلَقْ وَلَمْ تَكُنْ

قال : أَوْ فِي الْمَغَارِبَةِ مَنْ لَهُ هَذَا النَّمَطُ ؟

قلت : سَأَلْتُهُ عَنْ هَذَا فَقَالَ لِي : فِي الْمَغْرِبِ مَنْ يُقَدِّمُ نَثْرَهُ عَلَى نَثْرِ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ ^(٣) ، وَيُقَدِّمُ نَظْمَهُ عَلَى نَظْمِ أَبِي كَتَّامٍ .
فقال : فَهَلْ رَوَى لَكَ غَيْرَ هَذَا ؟

قلت : نَعَمْ ، أَنَشَدَنِي لِشَاعِرٍ لَهُمْ يُعْرِفُ بِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ فَرْحٍ فِي
طَفِيلِي يَعْرِفُ بِابْنِ الْإِمَامِ :

(١) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمُودِ الزُّبَيْدِيِّ . وَقَدْ تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٢) بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ بِنَفْسِ الْخَطِّ : « نَصَبُ ثَالِثَةٌ عَلَى الْحَالِ ، وَقَالَ :

الرَّفْعُ مَحَالٌ » .

(٣) تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَةُ الصُّوْلِيِّ .

أَفْدِيكَ مِنْ مُتَوَجِّدٍ غَضَبَانِ حَتَّى يَلُوحَ لَهُ ضَبَابُ دَخَانِ
يَقْتَادُهُ شَمُّ الْقُتَارِ بِأَنْفِهِ مِثْلَ اقْتِيَادِ النَجْمِ لِلْحِيرَانِ
وَعَلَا الدُّخَانَ بَشَتْ طَوَلَةٌ مُرَبِّيًا يُبَدِّي كَيْنَ مَطَابِخِ الْإِخْوَانِ^(١)
وَبِحَانَةِ الْمُلَمِّينَ جَاسُوسٌ لَهُ يُنَبِّئُهُ أَيْنَ تَنَاقَحَ الزَّوْجَانِ
صَبَّأْتُ إِلَى الطَّوْفَانِ مَرَاتِحُ إِلَى الْجَوْلَانِ مُضْطَعِنٌ عَلَى الْخِلَّانِ
فَتَرَى الْإِمَامِيِّينَ حَوْلَ رِكَابِهِ كَالْخِيلِ صَايَعَةً لِيَوْمِ رِهَابِ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكَلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بَعْمَانُ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بَعْمَانِ
زَارَ الْفَتَى الْقَرَشِيَّ لَا لَتَعَهِّدَ مِنْهُ ، وَلَا شَوْقَ إِلَى لَقِيَانِ
حَتَّى إِذَا وُضِعَ الْخَوَانُ تَسَاقَطُوا نَهْمًا عَلَيْهِ تَسَاقَطَ الذَّبَابِ
وَرَأَيْتَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ مَتَخَمَطًا فِي لَقْمَةٍ كَتَخَمَطَ السَّكَرَانِ^(٢)
لَمْ يَنْصَرَفْ إِلَّا وَفِي أَكْثَامِهِ حُمْلٌ وَفِي أَعْفَاجِهِ^(٣) حُمْلَانِ
وَأَخُو ثَقِيفٍ فَرَّ مِنْهُ قَاصِدًا جَيَّانَ لَوْ أَغْنَتْ قُرَى جَيَّانِ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَعَلَى » ، وَتَصْوِيهِهِ عَنْ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ « شَنْتَ طَوَلَةٌ »
حَيْثُ هَذَا الْبَيْتُ بِرَوَايَةٍ :

« بَشَنْتَ . . . مُرَبِّيًا »

(٢) رَجُلٌ مَتَخَمَطٌ : هَادِرٌ مُلْتَطَمٌ .

(٣) الْمَفْجَعُ : الْكَرْشُ وَالْمِيعَى ، وَالْجَمْعُ أَعْفَاجٌ .

(٤) جَيَّانُ : مَدِينَةُ بِالْأَنْدَلُسِ ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١٨٥/٣ .

لو حلّ في نَجْرَانٍ لم يبعُدْ عَلَى عِزَمَاتِ نَيْتِهِ مَدَى نَجْرَانِ
كالموت تَسْعَى فِي التَّخْلُصِ جَاهِدًا مِنْهُ ، وَتَلْقَاهُ بِكُلِّ مَكَانٍ

فَعَجِبَ مِنَ الْآيَاتِ وَقَالَ : مَاذَا قَالَ لَكَ فِي تَفْسِيرِ شَتِ طَوْلِهِ ^(١) ؟
فَقُلْتُ : زَعَمَ أَنَّهَا بَلِيدَةٌ .

قال : فَمَا جِيَانٌ ؟

قلت : زَعَمَ أَنَّهُ مَكَانٌ يَعْرِفُ هَكَذَا .

قال : اكْتُبِ الْآيَاتِ وَأَرْفَعُهَا إِلَى نَجَاحٍ ، وَكَانَ خَازِنَ كُتُبِهِ .

ثم قال : مَا أَنشَدَكَ شَيْئًا فِي الْغَزَلِ ؟

قلتُ : بَلَى ! أَنشَدَنِي لِأَبِي عُمَرَ الْأَنْدَلُسِيِّ ^(٢) :

مَهْلًا فَمَا دِينَ الْهَوَى كُفْرًا وَلَا أَعْتَدُ عِذْلًا لِي مِنَ التَّنْزِيلِ ١٠

* * *

مَنْ حَاكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوِّي الشَّجْوُ شَجْوِي وَالْعَوِيلُ عَوِيلِي

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَهِيَ « شَتِ طَوْلَةٌ » ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٥/٣٠٠ .

(٢) هُوَ يُوسُفُ بْنُ هَارُونَ الرَّمَادِيُّ الْقُرْطُبِيُّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٤٠٣ هـ .

الْوَفَيَاتُ ٥٤٢/٢ - ٥٤٤ ، جُذُودُ الْمُقْتَبَسِ ٣٤٦ ؛ وَالْآيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا
أَبَا عَلِيٍّ الْقَالِي الَّذِي دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ سَنَةَ ٣٣٠ هـ ، وَتَوَفَّى بِقُرْطُبَةٍ سَنَةَ ٣٥٦ هـ .
(الْوَفَيَاتُ ٩٢/١ - ٩٣) ، وَهِيَ فِي يَتِيمَةِ الدَّهْرِ ١٦/٢ ، وَلَمْ يَرِدْ فِيهَا الْبَيْتُ
الْأَوَّلُ مَطْلَعًا ، وَهُوَ فِي الْجُذُودِ ٣٤٧ . وَفِي الْأَصْلِ : « أَبُو عَمْرٍو » تَصْحِيفٌ .

فَبِأَيِّ جَارِحَةٍ أَصُونُ مُعَذِّبِي سَلِمْتُ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ^(١)
 إِنْ قُلْتُ فِي عَيْنِي قَتَمٌ مَدَامَعِي أَوْ قُلْتُ فِي كَبِدِي قَتَمٌ غَلِيلِي
 وَأَنْشِدُنِي لِهَذَا الشَّاعِرِ بَعِينِهِ أَيْضًا :

وَأَحْوَرَ إِنْ كَلَّمْتَهُ فَهُوَ شَاعِرٌ بَيَانًا، وَإِنْ لَاحِظْتَهُ فَهُوَ سَاحِرٌ
 عَلَى خُدَّهِ لِلْيَاسَمِينَ غَلَاؤُلٌ عَلَيْهَا مِنَ الْوَرْدِ النَّضِيرِ ظَهَائِرُ
 حُسَامٍ بَعِينِيهِ وَنِطْعٌ بِخُدَّهِ وَصَبَغَ دَمَ الْعُشَّاقِ فِي النِّطْعِ ظَاهِرُ
 [وَابْنُ رَشِيقٍ^(٢) أَيْضًا :

وَلَمْ أَدْخُلِ الْحَمَامَ سَاعَةً يَدْنِيهِمْ طِلَابَ نَعِيمٍ، قَدْرَضِيَتْ بِبُوسِي
 وَلَكِنْ لَتَجْرِي دَمْعَتِي مُسْتَهْلَةً فَأَبْكِي وَلَا يَدْرِي بِذَلِكَ جَلِيسِي]^(٣)

(١) في الوفيات ٥٤٢/٣ : أن هذا البيت هو مطلع القصيدة . وانظر الحاشية قبل هذه .

(٢) الحسن بن رشيق القيرواني (٣٩٠ - ٤٥٦ هـ) ، الإرشاد ٧٠/٣ .
 والبيتان قالمهما في عقب وداع ، وهما في شرح الشريشي على المقامات ٧٠/١ ،
 طراز المجالس ١٢٢ ، مع اختلاف يسير في كلماتها .

(٣) يبعد أن تكون هذه الجملة : « وَاِبْنُ رَشِيقٍ . . . بِذَلِكَ جَلِيسِي »
 من كلام أبي حيان الذي فارق الصاحب سنة ٣٧٠ هـ . وتوفي في حدود سنة
 ٤٠٠ هـ ؛ فإن رشيق ولد سنة ٣٩٠ هـ ، وسنه يوم وفاة أبي حيان عشر سنوات ،
 وهي سنون قلائل لا تكفي في العادة الجارية لقول الشعر ، وانتشاره في الشرق .
 وعندي أنها حاشية أدرجت في صلب المتن .

فقال : كنت أُحِبُّ أَنْ أرى أبا محمد هذا ، ولو انتَجَعْنَا لِبَلَّغْنَا
له مراده .

وأعدتُ هذه الكلمة على أبي محمد سنة سبعين ، فقال : والله ما أُحِبُّ
أَنْ أسمع حديثه فكيف أُؤثر أَنْ أَتَلَى بَرَقَاتِهِ .

وله مع حسين المتكلم جواب آخر ؛ تناظرا في مسألة ، فلما حمي الوطيس ،
والتجمت الحرب قال لحسين المتكلم : هذا كلام من لا يعرف الكلام .
فقال : أيها الصاحب ! رفقا فإني أعرفُ بحُسين المتكلم ، ولا يجوز
أَنْ أَشْتَهَر بشيءٍ لَأَ أَكونَ رأساً فيه .

فقال : وما في هذا ؟ هذا إبراهيم المسلم طيبُ المارستان يُعرفُ بالمسلم
وهو بعيد مما يُعرف به ، قريب مما يُعرفُ به . ١٠

وجرى ليلةٌ حديثُ أبي سعيد السيرافي^(١) ، وكان ابنُ عبادٍ يتعصبُ
له ، ويقدمه على أهل زمانه ، ويزعم أنه حضر مجلسه ، وأبان عن نفسه
فيه ، وصادف من أبي سعيد طودَ حلمٍ وبحر علم .

فقال أبو موسى المعلمُ ؛ شيخُ يعرف بالحسنكي : إلا أنه لم يعمل
في شرح كتاب سيديويه شيئا . ١٥

(١) نقله ياقوت في الإرشاد ١٠٣/٣ ، والرواية هناك : « السيرافي في
مجلس ابن عباد » .

فنظر إليه ابن عَمَاد متنمراً ولم يقل حرفاً . فعجبنا من ذلك . ثم إني توصلت ببعض أصحابه حتى سأله عن حِامه عن أبي موسى مع ذبّه عن أبي سعيد ، فسأله فقال :

والله لقد ملكتني الغيظ على ذلك الجاهل حتى عَزَب عَنِّي رأيي ، ولم أَجِد في الحالِ شيئاً يشفي غلتي منه ، فصار ذلك سبباً لسكوتي عنه ، فشابهت الحال الحِلْم ، وما كان ذلك حِلماً ، ولكن طلباً لنوع من الاستخفاف لائق به . فوالله ما يدري ذلك الكلبُ ولا أحدٌ ممن خرج من قرينته ورقةً من ذلك الكتاب ، وهل سبق أحدٌ إلى مثله من أول الكتاب إلى آخره مع كثرة فنونه وخوافي أسرارهِ .

١٠ وكان أبو موسى هذا من طبرستان . فمُدَّ هذا التعصب^(١) من مناقب ابن عباد ، وحُجِب أبو موسى بعد .

وكان ابن عباد يتطلب العلل للحجاب ، ويتعلق بالريح ، وكان له تلمذ به ، وقد حكيت ذلك آنفاً .

وما سمعت في تلافي المحجوب كلاماً ألطف من كلام حدثني به

(١) في الأصل : « من التعصب من » .

(٢) في الإرشاد : « وحُجِب أبا موسى بعد ذلك » .

الخوارزمي عن السّلامي صاحب تاريخ خراسان^(١)؛ قال السّلامي : عاتبتُ
أبا الفضل البلعمي^(٢) وزير عبد الملك بن نوح^(٣) بأبياتٍ على حِجابٍ
نألني منه ، فقال لي : لك عندنا — بما استعبت — العُتبي^(٤) ، وعلى ما
استعديت العدوى^(٥) . أما نهارنا فمقسوم بين / حوائج الناس وإنما نفرغ

(١) أبو علي السّلامي من رستاق بهيق من نيسابور ، كاتب موفق ، له كتاب
التاريخ في أخبار ولاية خراسان وغيره . القيمة ٤ / ٩٠ . وفي كشف الظنون
٢٩٢/١ : « تاريخ خراسان » لأبي الحسين محمد بن عبد الله السّلامي المتوفى سنة ٣٩٣هـ .

(٢) هو محمد بن عبد الله (عبيد الله) بن محمد بن عبد الرحمن أبو الفضل
البلعمي (نسبة إلى بلعم بلدة من ديار الروم) المتوفى سنة ٣٢٩ هـ . الأنساب ٩٠ / ٢ ،
اللباب ١٤٢/١ ، ابن الأثير (الكامل) ١٣٣/٧ (سنة ٣٢٩) ، معجم البلدان
(بلعم) ، الشذرات ٣٢٤/٢ ، تاج العروس ٢٠٦/٨ .

(٣) في معجم البلدان (بلعم) : « وزير آل سامان بما وراء النهر
وخراسان » ، وفي الأنساب واللباب وتاج العروس : « وكان وزيراً لإسماعيل
ابن أحمد الساماني أمير خراسان » (المتوفى سنة ٢٧٥ هـ) ، وفي كامل ابن
الأثير ١٣٣/٨ : « وزير السعيد نصر بن أحمد (بن إسماعيل) صاحب خراسان »
(ولي سنة ٣٠١ هـ ، وتوفي سنة ٣٣١ هـ) .

أما عبد الملك بن نوح فقد ولي سنة ٣٤٣ هـ ، وتوفي سنة ٣٥٠ هـ ،
ومن هنا يكون قول أبي حيان غير صحيح . انظر كامل ابن الأثير ٨ / ١٨٣ ،
١٩٢ .

(٤) الاستعتاب : طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته ، والعُتبي : الرجوع
عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب .

(٥) استعداء : استنصره واستعان به ، والعدوى : النصرة والمعونة .

بالليل للاستئناس بوجوه الأولياء والخواص ، فاحضر بالنهار^(١) مبسطاً
ومخالطاً ، وبالليل مؤانساً ومجالساً .

وكان ابن عباد ضدَّ هذا ، لأنه كان يُشتكى إليه فيقول : الشكوى
إليَّ من الحجاب إغراء ، والصبر عليه يعطفني إلى بعض ما يلتمس مني .
وسمعه يقول : لله عندي أياد متضاعفة ، ونعم متكاثفة^(٢) ، ومن
أجلها أنه لم ينمسي في مذاهب الإمامية^(٣) . ومع هذا كان إذا عمل
قصيدة في أهل البيت غلاً وتجاوز^(٤) ، وغضَّ من الصدر الأول ، وادّعى على
الشيخين البهتان ، وعرض وصرح .

وهذا من فعلاته الذميمة ، وجهالاته المشهورة .
وأنشد ثعلب في الحجاب أبياتاً وقال : ما سمعتُ بمثلاً . هكذا
سمعناه فيما قرىء على ابن مقسم^(٥) العطار النحوي سنة أربع وخمسين
وثلاثمائة وهي^(٦) :

(١) في الأصل : « فاحضر النهار » .

(٢) متكاثفة : كثيرة .

(٣) الإمامية ها هنا : الشيعة عامة .

(٤) في الأصل : « غلا وتجاوز » .

(٥) محمد بن الحسن بن يعقوب أبو بكر العطار ، المقرئ النحوي المتوفى
سنة ٣٥٤ هـ على خلاف . الفهرست ٤٩ ، تاريخ بغداد ٢/٢٠٦ ، طبقات
القراء للجزري ٢/١٢٣ ، عقد الجمان للعيني سنة ٣٥٤ ، المنتظم ٣٠/٧ .

(٦) الأبيات لمحمود الوراق ، وهي في عيون الأخبار ٨٤/١ .

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابيه وردّ ذوي الحاجات ضيق^(١) حجابيه
ظننت به إحدى ثلاث وربما نزع بظن واقع بصوابيه
فقلت به مسّ من العي حاضر وفي^(٢) إذنه للناس إظهار ما به
فإن لم يكن عي اللسان فعارض^(٣) من البخل يحمي ماله عن طلابه
وإن لم يكن هذا وذاك^(٤) فريبة^(٥) يُصرّ عليها عند إغلاق بابيه ٥

وحدثني المرزباني قال : لقد أجاد البصير في قوله :

رُبَّ فِتَى تُحَمَّدُ أَخْلَاقَهُ وَتَسْكُنُ الْأَحْرَارُ فِي ذِمَّتِهِ
قَدْ كَثُرَ الْحَاجِبُ أَعْدَاءَهُ وَسَلَّطَ الذَّمَّ عَلَى نِعْمَتِهِ^(٥)

ومن طريف ما حدثنا به ابن عباد في الوقت الذي تلاقت فيه العساكر
بقصر الجص^(٦) ، قال : كنت في مقيلي فأتاني آت قال : ١٠

(١) في عيون الأخبار : « دون حجابيه » .

(٢) عيون الأخبار : « من العي ظاهر ففي » .

(٣) عيون الأخبار : « فغالب » .

(٤) عيون الأخبار : فإن . . . هذا ولا ذا » .

(٥) البستان في عيون الأخبار ٨٥/١ غير منسويين برواية : « كم من فتى » .

(٦) قصر الجص : قصر عظيم قرب سامرا فوق الهاروني ، بناه المعتصم

للزهوة ، وعنده قتل بختيار بن معز الدولة بن بويه . معجم البلدان ١٠٠/٧ .

اسقني قهوة بفرطٍ اختياري خراجَ الملك عن يدي بختيار^(١)
 وأما أبو الفتح ذو الكفایتين^(٢) فإنه كان شاباً ذكياً متحرراً^(٣)
 حسن الشعر مليح الكتابة كثير المحاسن ، ولم يظهر منه كل ما كان
 في قوته^(٤) لقصر أيامه ، واشتعال دولته وطفوها بسرعة .
 ومن شعره^(٥) :

إني متى أهز قناتي تنتثر أوصالها أنبوبة أنبوا
 أدعو^(٦) بعاليها العلاء فتجيني وأقي بحد سناني المرهوبا
 ومن شعره :

نهضت تثنى في الكواكب كالبدر هاذته الكواكب

(١) أبو منصور عز الدولة بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي ،
 ولي سنة ٣٥٦ هـ يوم وفاة أبيه ، وقتله عضد الدولة سنة ٣٦٧ هـ ، وكان
 عمره يوم قتل ٦٣ سنة ، ذكر له في اليتيمة ٤ / ٢ — ٥ شعراً ، وانظر
 الإمتاع ١٥٧/٣ وما بعدها .

(٢) ترجمة أبي الفتح في الإرشاد ٣٤٧/٥ — ٣٧٥ ، الوفيات ٧٨/٢ ،
 اليتيمة ١٦٢/٣ ، معاهد التنصيص ١٧٧/١ — ١٧٩ .

(٣) المتحرك : الخفيف الذي .

(٤) في الإرشاد : « ولم يظهر كل ما كان في نفسه » .

(٥) البيتان في الإرشاد ٣٦٠/٥ .

(٦) في الأصل : « أدعوا » .

فَتَبَرَّجْتَ سُدْفَ الدُّجَى وَتَبَلَّجْتَ ظُلْمَ الْغِيَاهِبِ
لِلَّهِ أَنْتَ وَهْنٌ إِذْ يَخْتَلْنِ مِنْ كَرَمٍ صَوَاحِبِ
مُتَلَأَّنَاتٍ كَاللَّآ لِي ضَمَّهَا عِقْدُ التَّرَائِبِ
إِنِّي أُعِيدُكَ أَنْ تَرُدِّي مُقَلَّتِي بِمُنَى كَوَازِبِ
وَتَسْوِدِي وَجَهَ الرَّجَا ءِ وَتُغْلِقِي فَتَحَ الْمَذَاهِبِ
أَوْ مَا تَرَيْنَ مَدَامِعِي سَحَا سَحَابُهَا سَوَاكِبِ
جَادَتْ دِيَارُكَ أَيْنَ كَا نَتِ مِثْلَهَا دِرَرُ السَّحَابِ^(١)
مَوْصُولَةَ الْأَكْنَافِ حَيَّ مَثِ الْوَذْقِ صَائِبَةُ الْمَسَارِبِ^(٢)
مَحْلُولَةَ الْأَرْمَاقِ فَصَّ مَاءِ الْعُرَى وَطُفَ الْهَيَادِبِ^(٣)
وَعَدَّتْكَ دَاهِيَةُ اللَّيَا لِي وَالْحَوَادِثُ وَالنَّوَائِبِ
لَا زِلْنِ مِنْكَ بِحَيْثُ أُنْزِ مَتِ مِنَ الشَّوَائِبِ وَالْمَعَايِبِ
إِنِّي — إِذَا أُعْزَى إِلَيَّ لِكِ — مِنَ الْأَقَارِبِ أَوْ أَقَارِبِ

(١) الدَّرَّةُ : الصَّبُّ ، وَالْجَمْعُ دِرَرٌ .

(٢) الْأَكْنَافُ : النُّوَاحِي . صَائِبَةٌ : تَصِيبُ . الْمَسَارِبُ : الْمَرَاعِي .

(٣) حَبْلُ أَرْمَاقٍ : ضَمِيفٌ خَلَقَ . فَصَاءٌ . مَنَحَلَةٌ . الْعُرَى : عُرْوَةُ الدَّلْوِ
وَالْكُوزِ مَقْبِضُهُ . وَسَحَابَةٌ وَطَفَاءٌ : فِي جَوَانِبِهَا اسْتِرْخَاءٌ لِكثَرَةِ مَا تَحْمِلُهُ مِنَ
الْمَاءِ . وَالْهَيْدَبُ : سَحَابٌ يَقْرُبُ مِنَ الْأَرْضِ .

لا تَقْطَعِي حَبْلَ الْقَرِيدِ ب وَتَكْفُرِي حَقَّ الْمُنَاسِبِ^(١)
 فَتُفَارِقِي خَلْقَ الْكَرِيدِ بِم وَتَضْرِبِي مِثْلًا لِضَارِبٍ :
 « إِنَّ الْأَقَارِبَ كَالْعَمَاءِ رَبِّ بَلْ أَضْرُّ مِنْ الْعَقَارِبِ »^(٢)
 لَا تَبْخَلِي إِنَّ الْكَرِيدَ مَمَّةً مِنْ مَوَاهِبِهَا مَنَاهِبِ^(٣)
 كَفَيْ السُّيُوفَ عَنْ الْحَتِّ وَفَ وَإِنْ أَطَاعَتْهَا الْمُضَارِبُ
 لَا تَرْغَبِي عَنْ مَاجِدٍ سَمَّيْخِ الْخِلَائِقِ وَالضَّرَائِبِ
 يُعْزَى لآبَاءٍ غَطَا رَفَةٍ وَأُمَمَاتٍ^(٤) نَجَابِ
 إِنِّي مِنَ الْنَفَرِ الْكِرَا مِ السَّادَةِ الشُّمِّ الذَّوَابِ
 يَقِظُ إِذَا كَرِيَ^(٥) اللَّسَا مُ عَنْ الْعُلَى كَكَّرِي الْأَرَابِ

(١) المناسِب : المشارك في النسب .

(٢) في الوفيات ٧٧/٢ : « وذكر الأمير أبو الفضل الميكالي في كتاب المنتخل :

آخ الرجال من الآبا عِيدِ وَالْأَقَارِبَ لَا تَقَارِبُ
 إِنَّ الْأَقَارِبَ كَالْعَمَاءِ رَبِّ بَلْ أَضْرُّ مِنْ الْعَقَارِبُ

ونسب الثمالي في اليتيمة ١٦١/٣ ، وعنه العباسي في معاهد التنصيص ١٧٦/١
 البيهقي لأبي الفضل ابن العميد .

(٣) كَأَنْ مَنَاهِبَ جَمْعٍ مِنْهُ ، وَهُوَ مَا يَنْتَهَبُ مِنَ الْهَدِيَّةِ أَوْ الْغَنِيمَةِ ،
 وَالْإِتْنَابُ : أَخَذَ مِنْ شَاءَ .

(٤) أُمَمَاتٌ : أُمَمَاتٌ .

(٥) كَرِيَ : نَامَ .

أَسَدٌ إِذَا وَنَتْ ^(١) الْقُرُوءَ مُنْ عَنِ الْوَعَى وَنَى الثَّمَالِبُ
 عَفٌّ أَطِيلَ ظَمِيَّتِي ^(٢) حَتَّى أَرَى صَفْوَ الْمَشَارِبِ
 وَأَذِلُّ نَفْسِي فِي الْكَرِيدِ هَهُ أَوْ أَرَى كَرَمَ الْمُنَاسِبِ
 وَإِذَا تُسِيءُ عِصَابَةٌ عَمَّتْهَا شَرُّ الْعِصَابِ
 كَمْ مِنْ عَدُوٍّ كَاشِحٍ يَرْنُو إِلَيَّ بِطَرْفِ عَاتِبٍ
 يُبْدِي لَنَا وَجْهَ الْمُشَا جِر ^(٣) دُونَهُ صَدْرُ الْمُحَارِبِ
 مُتَقَلِّصِ الْأَحْشَاءِ مِنْ حَسَدِ دُورِنِ الصَّدْرِ رَاتِبِ
 لَوْ شِئْتُ أَحْرَقَ أَهْلَهُ مِنْ نَهْضَتِي نَارُ الْجُبَابِ ^(٤)
 سَأَمْتُهُ لَيْدَ الْحَاوَا دَثِ وَالْأُمُورِ إِلَى عَوَاقِبِ
 إِنْ لَمْ تَكُنْ فَوْقَ الْأَكُ مَتَّ يَدِي فَكَانَتْ لِلْمُغَالِبِ
 أَوْ لَمْ تَكُنْ فَوْقَ الذُّرَى قَدَمِي فَأَغْيَتْهَا الْمَذَاهِبِ

(٩) ونى : ضعف .

(١) كذا ، ولعلها : ظاء تي . والظماء : الظلم .

(١) المشاجر : المنازع .

(٢) نار الجباب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء عند تصادم الحجارة ،

أو هي ذباب يطير بالليل كأنه نار له شعاع كالسراج . انظر اللسان والتاج

(- حبجب) ، وثمار القلوب ٤٦٣ .

وله^(١) كلام كثير نظم ونثر . وله في وصف الفرس^(٢) ما يُوفي على كل منظوم ، ولو أبقته الأيام لظهر منه فضل كبير .
 ودخل بغداد فتكلف واحتفل ، وعقد مجالس مختلفة ، للفقهاء يوماً ،
 وللأدباء يوماً ، وللمتكلمين يوماً ، وللمتفلسين يوماً ، وفرّق أموالاً
 خطيرة ، وتفقد أبا سعيد السيرافي ، وعليّ بن / عيسى الرّماني وغيرهما ،
 وعرض عليهما المصير معه إلى الرّيّ ، ووعدهم ومنّاهم ، وأظهر المباهاة بهم ،
 وكذلك خاطب أبا الحسن الأنصاريّ ابن^(٣) كعب ، وأبا سليمان
 السجستاني المنطقيّ ، وابن البقال الشاعر ، وابن الأعرج النّمري وغيرهم .
 ودخل شهر رمضان فاحتشد وبألف ، ووصل وذهب ، وجرت في
 هذه المجالس غرائب العلم وبدائع الحكمة ؛ وخاصة ما جرى للمتفلسين
 مع أبي الحسن العامريّ .

ولولا طول الرسالة لرسمت ذلك كله في هذا المكان .
 فمّن طريف ما جرى ، وفي سماعه فائدة واعتبار : ما أحكيه
 لك ها هنا^(٤)

(١) نقله ياقوت في الإرشاد ٣٦٠/٥ ، ١٢٤/٣ .
 (٢) كلمة « الفرس » غير ظاهرة في الأصل ، ويحتمل أن يُقرأ ما ظهر منها :
 « الطريق » ؛ وما أثبت عن الإرشاد .
 (٣) في الأصل : « الأنصاري وابن كعب » ، تصحيف ، وفي البصائر
 ١٤٥/١ (ط) ، والإرشاد : « أبا الحسن بن كعب الأنصاري » .
 (٤) نقله ياقوت في الإرشاد ١٢٤/٣ - ١٢٥ ، والنظر الإرشاد ٣٦٠/٥ وما بعدها .

انعقد المجلس في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وثلاثمائة ،
وغص بأهله ، فرأيت العمري ، وقد انتدب فسأل أبا سعيد
السيرا في فقال :

ما طبيعة الباء من « بسم الله الرحمن الرحيم » ؟
ف عجِبَ الناسُ من هذه المطالبة ، ونزلَ بأبي سعيد ما كاد يُشده
به ، فأَنطقَه الله بالسَّحر الحلال .
وذلك أَنه قال : ما أَحسن ما أدبنا به بعضُ الموفِّقين من المتقدِّمين !
فإنه قال :

وَإِذَا خُطِبْتَ عَلَى الرَّجَالِ فَلَا تَكُنْ خَطِلَ الْكَلَامِ تَقُولُهُ مَخْتَالاً
وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ السَّكُوتِ لِبَابَةً وَمِنَ التَّكَلُّفِ مَا يَكُونُ مُحَالاً ١٠
وَاللهِ يَا شَيْخُ لَعِينُكَ أَكْبَرُ مِنْ قَرَارِكَ (١) ، وَلَرَّآكَ أَوْفَى مِنْ دُخْلَتِكَ ،
وَلَمَنْشُورُكَ أَبَيْنُ مِنْ مَطْوِيَّكَ ؛ فَمَا هَذَا الَّذِي طَوَّعْتَ لَهْ نَفْسُكَ ، وَسَدَدَ
عَلَيْهِ رَأْيُكَ ؛ إِنِّي أَظُنُّ السَّلَامَةَ بِالسُّكُوتِ تَعَافُكَ ، وَالْغَنِيْمَةَ بِالْقَوْلِ
تَرْغَبُ عَنْكَ . وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ .

فقال ابن العميد ، وقد أُعجِبَ بما قال أبو سعيد :

(١) منظرُك أكبر من مخبرك . « من قَرَارِكَ » . كنت قرأت « قَرَارِكَ »
وفهمتها على معنى « مخبرك » ، وحين مراجعتي للأصل المخطوط ، تبين لي أن
القراءة الصحيحة هي « فرارك » بالفاء ، ولا يخرج معناها عن الذي كتبه في الحاشية .

فَتَى كَانَ يَعْلُو^(١) مَفْرَقَ الْحَقِّ قَوْلُهُ إِذَا الْخُطْبَاءُ الصَّيْدُ^(٢) غَصَّكَ قَيْدُهَا
جَهِيرٌ وَمُتَمِّدُ الْعَنَانِ مُنَاقِلٌ بَصِيرٌ بَعُورَاتِ الْكَلَامِ خَبِيرُهَا
وقال :

وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ الرَّفِيعَ الَّذِي يَمْرَعُ^(٣) مِنْهُ الْبَلَدُ الْمَاحِلُ
ثم التفت إلى العامري وأنشد^(٤) :

وَإِنْ لِسَانًا لَمْ تُعْنِهِ لِبَابَةٌ كَحَاطِبٍ لَيْلٍ يَجْمَعُ الرِّذْلَ^(٥) حَاطِبُهُ

* * *

وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يُلَمِّمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ^(٦)

* * *

(١) في الأصل : « يعلوا » .

(٢) الصيد ، جمع أصيد ، وهو الرفع رأسه زهواً وتكبراً .

(٣) أمرع البلد ، وصرع : أخصب .

(٤) في الإرشاد : « العامري فقال » .

(٥) الرذل : الرديء من كل شيء .

(٦) البيت لزهير بن أبي سلمى ، من قصيدة يمدح بها حصن بن حذيفة

ابن بدر الفزاري ، وهو في ديوانه (بشرح ثعلب ١٣٩) . والخطل : كثرة الكلام وخطؤه ، و « فما يلأم به » : أي ما حضره من شيء فهو قائله .

وفي الصمتِ سترٌ للعينيِّ وإنَّمَا صحيفَةٌ لب المرء أن يتكلَّمَا^(١)

* * *

وفي الصمتِ سترٌ وهو أبهى بذي الحِجَا
إذا لم يكن للنطق وجهٌ ومذهبٌ
هاتوا حديثاً آخر فقد يئسنا^(٢) من هذا ، ثم أقبل على ابن فارس
معامه ، فقال : يئسنا^(٢) من كلام أصحابك في الفُرْضة والشُّط .
فأما خرَجْنَا قلت لأبي سَعِيد السيرافي : أيها الشيخ رأيت ما كان
من هذا الرَّجل الخطيرِ عندنا ، الكبير في أنفُسنا ؟

فقال : مادُهيت قطُّ بمثل مادُهيتُ به اليوم ، ولقد جَرَّت بيني
وبين أبي بشرٍ متى^(٣) صاحب شرح كتب المنطق سنة [ست و]^(٤)

(١) البيت للخطفي جد جرير ، وهو مع آخر في اللسان (خطف) ،
وجموعة المعاني ٦٩ - ٧٠ . وفي الأصل : « سترٌ للعيني » ، تصحيف صوابه
عن اللسان وجموعة المعاني .

(٢) في الأصل : « سنا » ، وفي الإرشاد : « لسنا » .

(٣) متى بن يونس من أهل دير ثقي ، منطقي مشهور ، توفي سنة ٣٢٨ هـ
ذكره ابن النديم في الفهرست ٣٦٨ ، ومناظرته مع السيرافي في الإمتاع
١٠٨/١ وما بعدها ، وعنه الإرشاد ١٠٥/٣ وما بعدها .

(٤) تسكلة لا بد منها ، وانظر الإمتاع ١٠٨/١ . وفي الإرشاد ١٠٦/٣ ،
١٢٥ : « سنة عشرين وثلاثمائة » .

عشرين وثلاثمائة في مجلس أبي الفتح [الفضل بن] ^(١) جعفر بن الفرات
ملحة كانت هذه أشوس وأشرس منها .

ولولا هَرَبِي من الإطالة ، وثِقَل النَّسْخ ، وإِدْخَالِي حديثاً في حديث ،
لحكيت المناظرة التي أومى إليها هذا الشيخ الذي كان إمام زمانه وعالم
عصره ، لأنه حدثني بها بزورِها ^(٢) ، وكانت في الفرق بين النحو
والمنطق ورَيم ^(٣) أحدهما على الآخر ، وإحصاء الفوائد لكل واحد منهما .
وحضرت ^(٤) المجلس يوماً آخر مع أبي سماعيل وقد غصَّ بأعلام
الدُّنيا ، وبُنُودِ الآفاق ، فجرى حديث أبي إسحاق الصَّابي ^(٥) ، فقال
ذو الكفَّائتين :

(١) تكملة لازمة ، إذ أنه لا يكتفى من بني الفرات « بأبي الفتح » إلا
الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، وهو الذي وزر
للمقتدر سنة ٣٢٠ هـ . (كامل ابن الاثير ٨ / ٨١) ولاراضي سنة ٣٢٢ (الكامل
٨ / ٩٨) ، وسنة ٣٢٤ (الكامل ٨ / ١١٤) . وكانت ولادته سنة ٢٧٩ هـ ،
وانظر الفخري ٢٥٥ . وفي الإرشاد ١٢٥/٣ : « مجلس أبي جعفر ابن الفرات » ،
وهو تصحيف .

(٢) بزورها : جميعها .

(٣) الرِّيم : الزيادة .

(٤) نقله ياقوت في الإرشاد ٣٦١/٥ .

(٥) إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الصَّابي أبو إسحاق الكاتب
البلغ الشاعر المجيد . توفي سنة ٣٨٤ هـ .
ترجمته في الفهرست ١٩٣ — ١٩٤ ، اليتيمة ٢١٨/٢ — ٢٧٨ ، الإرشاد —

ذاك رجل له في كل طراز نسج ، وفي كل فضاء رهج ، وفي كل
فلاة ركب ، وفي كل غمامة سكب ؛ الكتابة تدعيه بأكثر مما يدعيها ،
والبلاغة تتحلى به بأكثر مما يتحلى هو بها . وما أحلى قوله :

حمره مضمرة الأحشاء باعثة طيباً تخال به في البيت عطّاراً
كان في وسطها تبراً يخلصه قين يضرّم في أوراقي النارا ٥

وقوله :

مازلت في سكري ألمع كفها وذراعها بالقرص والإثار^(١)
حتى تركت أديمها وكأتما غرز البنفسج منه في الجمار^(٢)
وبلغ المجلس أبا إسحاق فحضر وشكر ، وطوى ونشر ، وأورد
وأصدر ، وكان كاتب زمانه لساناً وقلماً وشمايلاً ، وكان له مع ذلك يد ١٠
طويلة في العلم الرياضي .

وسمعت أبا إسحاق يقول : هو ابن أبيه ، لله درّه ! ثم أخذ في

١/٣٢٤ - ٣٦٠ ، الوفيات ١/١٤ ، مسالك الأبصار (١٢/٢ - ١٣/١ ،
أياصوفيا ٣٤٢٥) ، تاريخ أبي الفداء ٢/١٣٦ ، عيون التواريخ (سنة ٣٨٣) ،
معاهد التنخيص ١/١٥٤ .

(١) البیتان فی الإرشاد ٥/٣٦١ ، ١/٣٥٦ برواية « والآثار » وفي نشوار
المحاضرة ٨/١٣٧ برواية : « والآثار » .

(٢) في الإرشاد : « غرس البنفسج في نقا الجمار » .

تعظيم أيه ، وقال : وكان من أمانيّ الكُبر لقاءه ، وإني لكثير
الإعجاب بكلامه ، لأنني أجِد فيه من العقل أكثر مما أجِد فيه
من اللفظ ، وإني لأظن أن عقل كلِّ أحدٍ كان تمزجاً وكان
عقله فُرّاحاً .

٥ قال : ولقد قرأتُ له فصلاً من كتابٍ له إلى أبي عبد الله المكي
العلوي نديم عضد الدولة يستحق أن يكتب بالذهب ، وهو : ولأن
تُدعى من بعيدٍ مرّاتٍ خيرٌ من أن تقصّي من قريبٍ مرة ، وليكن كلامك
جواباً تتحرّرُ فيه ، ولا تُعجَبَنَّ بتأني كلمةٍ محمودَةٍ فيلجّ بك الإطنابُ
توقّعاً لمثلها ؛ فربما عثرتَ بما يهدم ما بنته الأولى ، ثم لاتسلم من تمثّل
صاحبك بقولهم : « رُبَّ رمية من غيرِ رَامٍ » ^(١) ، وبضاعتك في
النثر قليلة مُزجاةٌ ، وبالعقل يُزَمّ اللسان ويلزم السداد .

فلا تستفزّك طرّبة الكريم على ما يُفِيْتُكَ عقلك .

والشفاعة لا تعرضنَّ لها ، فإنها مُخلقةٌ للجاه ؛ وإن اضطررتَ إليها
فلا تهجم عليها حتى تعرف وقتها ، وتحصّل وزنها / ؛ فيتقدّمك من يتكلم
فيها ، فإن وجدتَ النفسَ بالإجابة سَمحةً ، وإلى الإسعاف هَشّةً ، فأظهر

(١) مثل في مجمع الأمثال ٢٠١/١ .

ما في نفسك غير محقق ولا مؤمٍم أن في الرد عليك ما يوحشك ، وفي المنع ما يقيضك ؛ وليكن انطلاق وجهك إذا دُفعت عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك ، ليخفف كلامك ولا يثقل على مُستمعه منك .

أنا أقول ما أقول غير واعظ ولا مُرشد ؛ فقد كمل الله خصالك ؛ وحسن خِلالك إذ فضلك في كل حال ، ولكني أنبه تنبيه المشارك . وأعلم ٥
أن للذكرى موقعا ونفعا .

قلت له : وقد استحسنت له حسنا ، وله أبلغ منه .

فقال : كذاك هو .

قلت : فإنه مع هذا قد أخطأ في العربية في موضع ، فدلته عليه .

فقال : لله أبوك . ١٠

ولم أذكر الموضع — أيّك الله بالعلم — لتكون أنت قارئه ، أعني أنك تقرأ حرفاً حرفاً حتى تُصيبه ، فليس الخطأ المستدرَك بالتبّع كالمعشور عليه بالهجوم .

وكان ^(١) ابن عباد يروي لأبي الفضل كلاماً في رُقمته إليه حين

(١) نقله ياقوت في الإرشاد ٢/٢٩٨ .

استكتبه لبويه^(١) ، وهو^(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم . مولاي وإن كان سيّداً بهرتنا نفاسه ،
وابن صاحب تقدّمت علينا رياسته ، فإنه يعدّني سنداً ووالداً كما أعدّه
ولداً وواحداً ، ومن حقّ هذا أن يعضد رأيي رأيه حتى يزداد إحكاماً
وانتظاماً ، ويتظاهرا قوة وإبراماً .

وحضرت اليوم المجلس المعمور^(٣) ، فكان من مولانا كلام كثير ،
وخطاب طويل ، فقلت إنه لم يزد على الإباء والاستعفاء ، بعد التقصّي
والاستيفاء ، فأوماً إلى إجبار كالمسألة ، وإكراه كالطلبية . وأقول بعد
أن أقدم مقدمة :

إنّ مولاي — وإن كان يستغني عن هذا العمل بتصوّنه وتقلّله^(٤)

(١) أبو منصور بويه مؤيد الدولة بن ركن الدولة المتوفى بـ ٣٧٣ هـ . وتقدّمت ترجمته .

(٢) هذه الرسالة في التذكرة الحمدونية ٦/٦٤ ب — ٦٥ ب (نسخة رئيس
الكتاب رقم ٧٧٠) ، والإرشاد ٢/٢٩٨ ، وفي روايتها اختلاف عما هنا .

(٣) في تذكرة ابن حمدون : « وحضرت اليوم مجلس ركن الدولة
ففاوضني ما جرى بينه وبين مولاي طويلاً ووصل به كلاماً بسيطاً ، وأطلعني على
أن مولاي لم يزد بعد الاستقصاء والاستيفاء ، الخ .

(٤) عن التذكرة الحمدونية ، وفي الأصل : « وطفله » ، وفي الإرشاد :
« تصلفه » .

وَعُزُوفُ نَفْسِهِ عَنِ التَّسَكُّرِ بِالمَالِ وَتَحْصِيلِهِ — فَإِنَّ الأَمْرَ مُفْتَقِرٌ إِلَى كِفَايَتِهِ ، وَمَحْتَاجٌ إِلَى كِفَايَتِهِ ؛ وَمَا أَقُولُ مَا أَقُولُهُ وَغَرَضِي إِنْشَاءُ كِتَابٍ ، أَوْ عَقْدُ حِسَابٍ ، أَوْ تَفْرِيقُ مَالٍ وَجَمْعٌ ، أَوْ تَقْدِيمُ عَطَاءٍ أَوْ مَنَعٌ ، لِأَنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مَقْصُودًا ، وَفِي آلَاتِ الوِزَارَةِ مَعْدُودًا ، فَإِنَّ فِي كِتَابِهِ مَنْ يَفِي بِهِ وَيَسْتَوْفِيهِ ، وَيُوفِي عَلَيْهِ بِأَيْسَرِ مَسَاعِيهِ ، لَكِنْ مَوْلَانَا يُرِيدُهُ ٥ لِتَهْذِيبِ مَنْ هُوَ وَلِيُّ^(١) عَهْدِهِ ، وَمَنْ يَرْجُوهُ لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ ، وَلَا بَدَّ — وَإِنْ كَانَ السُّنْخُ قَوِيًّا ، وَالْمَحْتَدُّ كَرِيمًا ، وَالْفَضْلُ عَمِيمًا ، وَالْمَجْدُ صَمِيمًا ، وَمَرَكَبُ الْعَقْلِ سَلِيمًا — مَنْ مَنَابٍ مَنْ يَعْرِفُ مَا السِّيَاسَةُ ، وَكَيْفَ الرِّيَاسَةُ ، وَكَيْفَ تَدِيرُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ ، وَمِنْ أَيْنَ تَجْتَلِبُ^(٢) الْأَصَالَةُ وَالْإِصَابَةُ ، وَبِمَاذَا تُعْقَدُ الْمَهَابَةُ ، وَكَيْفَ تُرْتَبُ الْمَرَاتِبُ وَتُعَالَجُ الْخُطَبُ ، ١٠ وَكَيْفَ تَرُدُّ الْخُطُوبُ إِذَا ضَاقَتِ الْمَذَاهِبُ ، وَتُعْصَى الشَّهْوَةُ لِتُحْرَسَ الْحِشْمَةُ ، وَتُهْجَرَ اللَّذَّةُ لِتُحْصَنَ الْإِمْرَةُ .

وَلَا غِنَى عَنْهُ يَاقُومُ فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ فَيَرَادُّهُ إِذَا بَدَّرَ مِنْهُ الرَّأْيُ الْمُنْقَلَبُ ، وَيُرَاجَعُهُ إِذَا جَمَعَ بِهِ اللَّجَّاجُ الْمُرْتَكِبُ ، وَيُعَارِضُهُ إِذَا أَلَحَّ عَلَيْهِ النُّعْظُ الْمُلْتَهَبُ ؛ فَمَا السَّبَبُ فِي أَنْ هَلَكْتَ بِمَمَالِكِ جَمَّةٍ ، وَبُلْدَانٍ عِدَّةٍ ، إِلَّا ١٥

(١) فِي التَّذَكُّرَةِ : « وَلَكِنْ وَلِي النِّعْمَةِ يَرِيدُهُ كِتَهْذِيبِ مَنْ وَلِي عَهْدِهِ » ، وَفِي الْإِرْشَادِ : « وَلَكِنْ ... لِتَهْذِيبِ وَلَدِهِ وَمَنْ هُوَ وَلِي عَهْدِهِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَكَيْفَ تَدَبَّرُ ... أَيْنَ تَجْلِبُ » .

بأن خَفَضَتْ أقدارُ الوزارة وانتَقَبَضَتْ ^(١) أطرافُ الإمارة ؛ وليس يَفْسُدُ ما في الأرضِ وَمَنْ عَلَيْهَا — عَلَى ما أَرَى — إلا بالرجوع في مثل هذا إلى الأذنان .

فلا يَبْخُلَنَّ مولاي بنفسِهِ عَلَى هذه الدَّوْلَةِ ، فَمِنْهَا جَرَى ماءُ فَضْلِهِ وَفَضْلُ الأَمِينِ ^(٢) مِنْ قَبْلِهِ ، فَإِنْ كانَ مَسْمُوعاً كَلَامِي ، ومَوْثُوقاً بِهِ اهْتِمَامِي فلا يَقَعَنَّ انْتِقِباسٌ عَنِّي ، ولا إِعْراضٌ عَمَّا سَبَقَ مِنِّي . ومولاي مُحْكَمٌ بَعْدَ الإِجابةِ إِلَى العملِ فيما يَشترطُهُ ، وَغَيْرُ مُراجَعٍ فيما يَقترحُهُ ، وهذا خَطِيي بِهِ ، وهو عَلَى وليِّ النعمة حُجَّةٌ لا تَبْقَى معها شُبْهَةٌ .

وسَأَتَبِعُ هذه المَخاطَبَةَ بالمشافَهَةِ إِمَّا بِحَضُورِي ^(٣) لَدَيْهِ ، أَوْ بِتَجَسُّمِهِ إِلَى هذا العَلِيلِ الَّذِي قد أَلَحَّ النَقْرُسُ عَلَيْهِ والسَّلام . ١٠

وكان ابن عباد يَحْفَظُ هذه النُّسخَةَ وَيَرْوِيها وَيَفْتَحِرُ بها . وقال لي أصحابنا بالرَّيِّ ، منهم أَبُو غَالِبِ الكاتِبِ الأَعْرَجُ : إن هذه المَخاطَبَةَ مِنْ كَلَامِ ابنِ عَبَّادٍ [افْتَعَلَهَا ^(٤)] عَنْ ابنِ العَمِيدِ إِلَى نَفْسِهِ تَشْيِيعاً بِهَا ، وَنَفَاقاً بِذِكْرِها .

(١) في التذكرة : « بأن خفضت ... فانتقصت أطراف » .

(٢) في الأصل فوق « ما في » كتبت كلمة « بقية » على أنها رواية بدل « ما في » .

(٣) الأمين لقب والد الصاحب . وفي تذكرة ابن حمدون : « وفضل شيخه قبله » .

(٤) في الأصل : « وسأصل المكاتبه ... إماماً بالحضور » .

(٥) تكملة عن الإرشاد .

في تذكرة ابن حمدون : « وجدت كتاباً منسوباً إلى ابن العميد كتبه إلى الصاحب أبي القاسم ابن عباد ، وفيه ما يشكل في قبوله » .

وَحَدَّثَنِي ابْنُ خَارِجَةَ قَالَ : كَانَ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(١) أَبُو الْفَرَجِ الْكَاتِبُ
مُسْكِنًا عِنْدَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ لَا يُؤْفِيهِ حَقُّهُ ، وَلَا يَحْسَبُ
لَهُ تِلْكَ الْمَكَانَةَ ، فَعَاتَبَهُ حَمْدٌ مِرَارًا مُصَرَّجًا وَكَانِيًا ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ
رَقْعَةً طَوَاهَا عَلَى آيَاتٍ ، وَهِيَ ^(٢) :

مَالِكٌ مَوْفُورٌ فَمَا بِالْهُ أَكْسَبَكَ التَّيَّةَ عَلَى الْمُعْدِمِ
وَلَمْ إِذَا جِئْتَ نَهَضْنَا وَإِنْ جِئْنَا تَطَاوَلْتَ وَلَمْ تُثْمِرْ
وَإِنْ خَرَجْنَا لَمْ تَقُلْ مَشَامَا نَقُولُ « قَدَّمَ طَرْفَهُ قَدَّمَ »
إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ فَمَنْ ذَا الَّذِي مِثْلَ الَّذِي تَعْلَمُ لَمْ يَعْلَمْ
أَوْ كُنْتَ فِي الْغَارِبِ مِنْ دَوْلَةٍ فَلَسْتُ مِنْ دُونِكَ فِي الْمُنَسَمِ ^(٣)

(١) فِي الصَّدَاقَةِ ٣٤ : « وَحَدَّثَنَا حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ كَاتِبُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ قَالَ :
دَبَّ يَبْنِي وَيَبْنِي أَبُو الْفَضْلِ ، يَعْنِي ابْنَ الْعَمِيدِ ، بَعْضُ الْمُفْسِدِينَ فَكَتَبَ إِلَيَّ الْخ » .
وَفِي الْإِرْشَادِ ١٥٧/٥ : « كَانَ أَبُو الْفَرَجِ الْإِصْبَاهِيُّ الْكَاتِبُ صَاحِبُ كِتَابِ
الْأَغَانِي كَاتِبًا لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ حَظِيًّا عِنْدَهُ ، مُحْتَشِمًا لَدَيْهِ ، وَكَانَ يَتَوَقَّعُ مِنَ الرَّئِيسِ
أَبِي الْفَضْلِ ابْنَ الْعَمِيدِ أَنْ يَكْرُمَهُ وَيُبَيِّجِلَهُ وَيَتَوَفَّرَ عَلَيْهِ فِي دَخُولِهِ وَخُرُوجِهِ ،
عَدِمَ مِنْهُ ذَلِكَ فَقَالَ : الْآيَاتُ » .
ثُمَّ قَالَ يَاقُوتُ : وَقَدْ رَوَى أَبُو حَيَّانٍ فِي كِتَابِ الْوُزَيْرِينَ مِنْ تَصْنِيفِهِ مِنْ
خَبَرِ هَذِهِ الْآيَاتِ غَيْرَ هَذَا .

(٢) الْآيَاتُ فِي الْوُفَيَاتِ ٧٧/٢ ، الْإِرْشَادُ ١٥٧/٥ .

(٣) الْغَارِبُ : أَعْلَى مَقْدَمِ سَنَامِ الْبَعِيرِ ، وَغَارِبُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ . وَالْمُنَسَمُ :
طَرَفُ خَفِ الْبَعِيرِ . وَفِي الْوُفَيَاتِ : « وَلَسْتُ فِي الْغَارِبِ » .

وقد وَلِينَا وَعُزِّلْنَا كَمَا أَنْتَ فَلَمْ نَصْغُرْ وَلَمْ نَعْظُمْ
تَكَافَأَتْ أَحْوَالُنَا كُلُّهَا فَصِلْ عَلَى الْإِنْصَافِ أَوْ فَاضِرِمِ
قُلْتَ لابن خازجة : أترى الأبيات لَحْمَد ؟

قال : نعم .

قلت : أفعاد له إلى محبوبه ؟

٥

قال : كَانَ حَرُونًا ، إِذَا أَبِي لَا تَأْتِي لَهُ ، وَإِذَا جَمَعَ لَاحِمَةً فِيهِ
« أَكْسَبَ » فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مَرْدُودٌ ، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ أَجَازَهُ ^(١) .
تَصَفَّحَ أَيْدِكَ اللَّهُ هَذِهِ الْفَقْرَ ، وَاعْرِفْ تَعَبِي بِهَا وَإِفَادَتِي / مِنْهَا
وَاشْتِفَائِي ^(٢) بِذِكْرِهَا وَالسَّلَامَ .

١٠ فَأَمَّا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي الثِّيَابِ ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ الْحُسَيْنِ ^(٣)
الْبَغْدَادِيُّ ^(٤) ، فَإِنَّهُ كَانَ ذَا فَضْلٍ وَاسِعٍ ، وَشِعْرٍ بَارِعٍ ، وَعِلْمٍ بِكُلِّ
شَيْءٍ ؛ كَمَا نُنْطِقُ وَغَرِيبَ اللَّغَةِ .

(١) انظر لسان العرب (كسب) .

(٢) اشتفيت بالشيء : انتفعت به .

(٣) في الوفيات ، والوافي ، واليتيمة : « بن الحسن » .

(٤) في الوافي بالوفيات (١٩٦٩ شهيد علي ، الورقة ١٨٨) : « ابن أبي
الثياب ، سافر إلى العراق ، واتصل بالوزير أبي الفتح ابن العميد ، وسافر بعد
موته إلى خراسان ودخل ما وراء النهر ، وصادف قبولاً من فضلائها ؛ وهو
شاعر ، وكانت له يد في المنطق والهندسة ، وعنده فلسفة » . والظاهر أن —

وله رسالة من خراسان ، لما استقرت به الدار بخارا ، كتبها إلى أبي الفضل ، ولا بأس بسرديها هاهنا لتعلم أن الحر إذا ذاق الهوان ممن يستحق الكرامة عليه ، شق جيبه مستغيباً^(١) ، وأدرك طائلته مكافحاً ومنيباً^(٢) .

٥ كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . أيها الرجل الذي اختار لنفسه الوصف بالرياسة ، فطالب الصغار والكبار بها في المكاتب والمخاطبة ! ما يسرني حسن ما أنت فيه بقبح ما أنت عليه ، ولا يعجبني ظاهر ما تدعيه بباطن ما تنقضه به . ألزم فناءك هذه السنين على مقاساة كبرك وتجدد بنائك ، وقلة النائل منك ؛ مع تسيير فنون القريض فيك ، ونشر أصناف البديع ١٠ عليك ، ومع التضاؤل لك ، وإراقة ماء الوجه بين يديك ، والصبر على مللك وصلفك ، وتلون أخلاقك ، ومع فتحي عليك أبواب المنطق ،

— الصفدي قد أخطأ في قوله : « واتصل بالوزير أبي الفتح » .

وانظر ترجمة ابن أبي الثياب في الوفيات ٧٧،٧٦/٢ ، وبيمة الدهر ١١٨/٤ — ١٢٠ ، ١٢٤/١ .

(١) استغيب المنيء : استرضاه ، وطلب منه الرجوع عن إساءته . وفي الأصل : « مستغيباً » .

(٢) منيباً : مؤثراً فيه بناه ، يقال نيب السهم : أي عجم عودته ، وأثر فيه بناه .

وهديتي إياك إلى ضروب ما اقتبسته من أهل المغرب والمشرق ؛ ثم
يكون آخر أمرك في نظارك لي وإحسانك إليّ أن تقرني بعلام غير
جاهل ، وسكدارم ، يزيد علمك في البخل ، وينقص عنك في الحلم ،
وتكلمني الصبر معه ، والرضا بالخسف منه ؟

٥ ومن ذا الذي علم أن رزق الله منتاب مرباب وعاد^(١) ، والمن فيه
من سائق وحاد ، غمس نفسه في حياض الذل ، وفارق حسن التوكل
على الله الذي بيده ملكوت كل شيء ؟

والله ما اتخذت الليل جملاً هارباً من صقعك ، زاهداً في ضررك
ونفعك ، إلا لقلوك في انتشائك لأصحابك : « ابن أبي الثياب لازق
ببنا لزوق اللحم بالعظم ، وجار معنا جري الدم في اللحم ؛ ولو طردناه
ما برح ، ولو فاز بغيرنا ما فرح ؛ وأين يجد جناباً أمرع من جنابنا ،
وفناء أخصب من فئائنا ؟ »

أغرركم أنه يتلو علينا وينحني لدينا ؟ ذاك كله ربح ، وهو يلبث
في اللوح^(٢) ، إن يوجه إلى خراسان فما بها من ينقع ظمأته ، وإن

(١) كذا في الأصل ، وقد مر في ص ٣٣٨ - ٣٣٩ في قول ابن العميد :
« ورزق الله منتاب وعاد » . فلهذه وجه الكلام .

(٢) في الأصل : « غمس » .

(٣) يلبث : يبقى ، واللوحة : الهواء .

عاد إلى بغداد ، فهي التي عرفها وعرفته ، وإن تطاول إلى الشام ومصر ،
فما بها من يجتلي غرته أو يقبس حكمته ، أو يصبر على جشعه الفاضح
وسؤاله الملسح .

فها أنا قد شخصت إلى المشرق ، وحظيت عند ملكه ، ووليت
البريد له ، وغلبت على مجلسه بالمؤانسة ، وحولي الغاشية والضفف^(١) ،
بعد ما كنت أغانيه عندك من الشطف والجحف^(٢) ؛ وما كان كلامك
ذاك لي^(٣) إلا إغراء لي بطلب السعادة العاجلة ونيلها في سهولة ، مع
التخلص من الغيظ الذي كنت أجرجه عندك صباح مساء ، والكذب
الذي كنت أنمقه فيك في الجد والهزل ، والحساسة التي كنت أسترها
عليك في الصحو والسكر ، والتلون الذي كنت أحتمله منك في
الغضب والرضا .

هذا والمنالة منك دون ما عيسك الرمق ، والمبدول عليها فوق ما يجب
لك بالحق ؛ ولولا أنني — مع ما أرد ملته^(٤) من العتب^(٥) عليك —

(١) الضفف : الحشم والغاشية .

(٢) الجحف : القلة .

(٣) كذا في الأصل ، وكأنها زائدة .

(٤) ملته : حرارته .

(٥) العتب : الموجدة .

أرجع إلى حِفاظٍ لا تعرف منه إلا الاسم ، لكان لي في جلدك حَزٌّ^(١)
ونَهْسٌ^(٢) ، وعلى عرضك جَزٌّ^(٣) ورقص .

وما الذي يُرجى منك أكثر مما كان ؟ ولادتك مشهورة ومنشوك
ظاهر ، ومبادئه حالك في ارتفاعك محصلة ، والألسنة بحقائقها دائرة ،
والأسماعُ إلى عجائبها صاغية ، والقلوب في فضائنها متعجبة . ٥

ولك في براءة والدك منك كاف ، وفي حديث والدتك ما هو غير
خاف ؛ ومما يدل على طلبي البقية أني اقتصرت في مكاتبتك على لفظ
منشور . ولو نظمت ذلك لكان تقيقك منه يجرعك مَضُضُ النَّدَمِ على
تقصيرك معي ومع نظرائي فيما تقدم .

١٠ فاذا كر هذه اليد لي عندك في عرض ما تقرؤه من هذه الرقعة إليك ،
وقد شفيت بها فؤاداً كان يتلظى أسفاً على خدمة ضاعت عندك ،
وحرمة بارت لديك ؛ ولعلي قد أطرتك^(٤) على كثير ممن يلزم فناءك
طامعاً في خيرك ، أو يشقى بعرفتك ظاناً لدرك المطلوب منك ، ثم ينقلب

(١) الحز : القطع .

(٢) النهس : العض .

(٣) الجز : العدو والوثوب .

(٤) أطرتك : عطفتك وأحلتك .

عنك بقلب أوقد من قلبي عليك ، ولسان أذرب من لساني في عرضك .
عليك سلامٌ لا تواصلَ بعده فلا القلب محزون ولا الدمع سافح
والله لاحاق الشر إلا بأهله ، ولا لصق العار إلا بكاسيه ، ولا قيل في الخسيس
النذل إلا دون ما يستحق ، « ذق عقق ^(١) » فقد فاتك من سبق .

أفادني هذه الرسالة أبو جعفر الخطيب النيسابوري ، وقال لي : أنا
أوصلت الكتاب إلى أبي الفضل مختوماً بعد ما نسخته ، قال : وعدت إليه
أطالبه بالجواب ، فقال لي : قد كتبت الجواب قبلك ، وكان ذلك
تحتاجاً ^(٢) منه ، لأنه كان قد انشوى بها حين قرأها .

ولقد أنشدني ابن أبي الثياب ^(٣) قصيدة في أبي الفضل ، / وأنا [٨١ ب]

(١) عقق ، بوزن عمر ، معدول عن عاق للبالغة في الوصف بالعقوق ،
ومنه قول أبي سفيان يوم أحد ، وقد رأى حمزة رضي الله عنه مقتولاً :
ذق عقق ، أي ذق جزاء فعلك يا عاق . تاج العروس ١٧/٧ .
(٢) تحتاجاً : مسالمة وتباعداً .

(٣) في الوفيات ٧٥/٢ ، وعنه ابن شاکر في عيون التواريخ (أجد الثالث
١٠٠/١١ م ١٠٣ ب ، سنة ٣٦٠) أن أبا نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي
(الوفيات ١ / ٣٧٠) قصد أبا الفضل ابن العميد بالري ومدحه بقصيدته التي
أولها :

« برح اشتياق وادكار »

ثم أوردنا منها الأبيات : (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٦١ ، ٦٢) .

أرويتها هاهنا لتعلم أنه كان مظلوماً فيها وفي أخواتها ، ولتقف على
طريقته الحلوة ، ومعانيه السهلة ، ولفظه الخلوب ؛ وقال لنا : كانت
جائزتي عليها ، بعد نظائر تقدمتها ، جائزة لا أستجيرُ ذكرها ، لأنها إن
كانت تَضَع من صاحبها إنها لتَضَع مني أيضاً . القصيدة :

بَرْحُ اشْتِياقٍ وَاذْكَارِ وَلَيْبُ أَنْفاسِ حِرارِ
وَمَدَامِعَ عَبْرَاتِهَا تَرْفُضُ عَنْ نَوْمِ مُطَارِ
لِلَّهِ قَلْبِي مَا يُجِـئُ—نُ مِنْ الهمومِ وما يُواري
لَقَدْ انْقَضَى سُكْرُ الشَّبَا بَوما انْقَضَى وَصَبُّ الخُمَارِ^(١)
وَكَبُرْتُ عَنْ وَضَلِ الصِّغَا رَوما سَلَوْتُ عَنْ الصِّغَارِ
سَقِيًّا لِتَغْلِيْسِي إِلَى بابِ الرُّصَافَةِ وَابْتِكَارِي
أَيَّامَ أَخْطَرِ فِي الصَّبَا نَشْوَانَ مَسْخُوبَ الإِزَارِ
حَجَّيْتُ إِلَى حَجَرِ الصِّرَاةِ وَفِي حَدَائِقِهَا اعْتِمَارِي
وَمَوَاطِنُ اللَّذَاتِ أَوْ طَانِي وَدَارُ الرُّومِ دَارِي
كَمْ رُضْتُ فِيهَا مِنْ نَفَا رَمَحَرَّمِ حُلُو النَّفَّارِ
وَرَعَيْتُ مِنْ قُطْرُبُلٍ رَوْضَ الشَّقَائِقِ وَالْبَهَارِ

٥

١٥

(١) الوصب : الوجد ، والخمار : بقية السكر ، وما أصابك من ألم الخمر .

ورَفَعَتْهَا مِسْكِيَّةً فِي رِيْطَتِي خَزِرٍ وَقَارِ
يُعْطِي النَّدِيمَ بُزْأَلَهَا ^(١) مَا شَتَّتَ مِنْ نَوْرِ وَنَارِ
كَيْفَ اعْتَدَالِ مُعْذَلٍ ^(٢) صَحْبَ الْغَوَاةِ بِلَا عِذَارِ
يَسْتَنُّ ^(٣) فِي طُرُقِ الصَّبَا وَيَعِيْثُ فِي سُبُلِ الْخَسَارِ
فِيَصِيدُ غَزْلَانَ الْكِنَا سِ وَيَدَّرِي بِقَرِ الصُّوَارِ ^(٤)
مِنْ كُلِّ عَطْشَانٍ الْوِشَا حِ مِمْلٍ شَرِقِ السَّوَارِ
بِيضٌ غَرِيْرَاتٍ طُبْعُ مِنْ مَنَ الدَّلَالِ عَلَى غِرَارِ
وَعَقَائِلُ تَضْفُو وَحَا فَ ^(٥) شَعُورَهِنَّ عَلَى الْمَدَارِي ^(٦)
هَيْفٍ ^(٧) يَصْلُنَ مِنَ الرَّوَا دَفَ بِالزَّنَائِرِ ^(٨) الْقَصَارِ

* * *

(١) بَزْلُ الْحَجَرِ : ثَقَبٌ إِنْاءَهَا بِالْبَزْلِ ، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ يَفْتَحُ بِهَا الدَّنْ ، وَمَوْضِعُ الثَّقَبِ : الْبَزَالُ .

(٢) الْمُعْذَلُ : الْمَلُومُ ، وَفِي الْأَصْلِ « الْمَعْدَلُ » .

(٣) اسْتَنُّ الْفَرَسَ : جَرَى وَلَشَطَ .

(٤) يَدَّرِي : يَخْتَلُ ، وَالصُّوَارُ : مَوْضِعُ بِالْمَدِينَةِ (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ :

صَوَارٌ وَمَحِيصٌ) . وَتَاجُ الْمَرْسِ ٣/٣٢٣ . وَفِي الْأَصْلِ : « الصَّوَار » .

(٥) الْوَحْفُ : الشَّعْرُ الْأَسْوَدُ الْأَثِيثُ .

(٦) الْمَدَارِي : جَمْعُ مَدْرَاةٍ ، وَهِيَ الْمَشْطُ .

(٧) هَيْفٌ : جَمْعُ هَيْفَاءٍ ، وَهِيَ الضَّامِرَةُ الْبَطْنِ الدَّقِيقَةُ الْخَصِرُ .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « بِالرَّيَاسِرِ » .

وتعلّقي من طاعة الأسد تاذ بالحَبْل المُنَارِ
لقدِ اختلستُ مَنَى النُّفُو سِ من ايضاضٍ واحمرارِ
ولحَظت ما فترَ اللّـوا حظاً من فتورٍ واحورارِ
يوم استقلّوا والدُّمـو ع تجود رَوْضَ الجُلُنَّارِ
لَهْفِي عَلَى صُبْحِ الجِبَا هِ يَشِي بِهِ لَيْلُ الطَّرَارِ (١)
وتواضع الخد الأسِي ل لعطفَةِ الصُّدُغِ المُدَارِ
خُذْ فِي هَزَارِك يَا غَلا م فَقَد غَنِيْتُ عَنْ الهَزَارِ
حَسْبِي بِالْحَالِ قَمَرٌ تُ بَهَنٌ تَغْرِيدَ القَمَارِ
لَمْ يَبْقَ لِي عَيْشٌ يَلِدْ سِوَى مُعَاوَرَةِ الْعُقَارِ

* * *

وإذا استهلَّ ابنُ العمِي دِ تَضَاءَلَتْ دِيَمُ القِطَارِ
خِرْقٌ صَفَتْ أَخْلَاقَهُ صَفْوَا السَّيِّكِ مِنَ النُّضَارِ
فكأنما رُفِدَتْ مَوَا هِبُهُ بِأَمْوَاجِ البَحَارِ
وَكأنَّ نَشَرَ حَدِيثِهِ نَشْرُ الْخَزَائِي وَالْعَرَارِ

(١) الطرار : جمع طُرَّة ، وهي أن تقطع الجارية في مقدم ناصيتها كالملثم أو كالطرة تحت التاج .

وكاننا مما تفرَّق
مَثَبَتْ يَفْنَى بِمَع
كَلِفْ بِطِي السَّرِّ تَحْ
يَأْوِي إِلَى حِلْمِ يُعَا
وَمُرَجَّبٌ ^(١) يَلْقَى الْحَوَا
يَرْبَا بِهِ عِزُّ الْفَخَا
وَتَصُونُ مَسْمَعَهُ الْمَهَا
وَيَقُولُ أَيْسَرُ سَعِيهِ
كَمْ يَسْتُرُ الْبَاغِي عُلَا
هِيَهَاتَ لَا يَخْفَى عَلَى
قُلُوبِ الْمُخَيَّبِ وَشَمَكِي

راحتاه في نِشَارِ
مُودِ الْأَنَاءِ عَنِ الْبِدَارِ
سَبَّ صَدْرِهِ لَيْلَ السَّرَارِ
ذُبِّهِ وَرَأْيِي مُسْتَشَارِ
دِثَ بِاحْتِمَالٍ وَاصْطَبَارِ
رِ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلْفَخَارِ
بَةِ عَنِ مُمَارَاةِ الْمُمَارِي
جَهْلَ الْمُنَافِسِ وَالْمُبَارِي
هَ وَمَا لَهْنٌ مِنْ اسْتِئَارِ
لِحَظِ الْعُيُونِ سَنَا النَّهَارِ
رَ هَدَمَتْ مَجْدَ بَنِي زِيَارِ ^(٢)

٥

١٠

(١) مرجب : معظم . وفي الأصل : « مرجب » .
(٢) هو ظهير الدين أبو منصور وشمكير بن زيار الديلمي ثاني الدولة الزيارية ،
ولي سنة ٣٢٣ هـ حين قتل الأتراك أخاه مرداويج (ابن الاثير ٨ / ١٠٣) .
وكانت بينه وبين ركن الدولة ، الذي كان ابن العميد وزيره ، حروب
متلاحقة من أجل الاستيلاء على بلاد الري وأصبهان والجليل ، واستمر النزاع
بينهما إلى أن توفي وشمكير سنة ٣٥٧ هـ . أخبراره في كامل ابن الاثير فيما
بين سنتي ٣٢٣ ، ٣٥٧ ، وانظر الدول الإسلامية لخليل أدم ١٨٣ — ١٨٥ ،
والأسر الحاكمة ٣١٩ .

خَرَّبَتْ دُورَ مُحَمَّدٍ^(١) فَأَبَى جَوَارِكَ لِلدِّيَارِ
وَقَرَّتْهَا نَارًا فَخَصَّ صَمِيمٌ قَلْبِكَ بِالْأَوَارِ
جَلَبَ الْجِيَادَ إِلَى قَرَا رَكَ فَاجْتُمِشْتَ مِنَ الْقَرَارِ^(٢)
زُجَّ النَّسُورِ مِنَ الصَّفَا شُعْتَ الْمَسُوكِ مِنَ الْخَبَارِ^(٣)
تَرْدِي كَمِزْلَانِ الْفَلَا ةٍ بِمِثْلِ جَنَانِ الْقِفَارِ^(٤)
كَكَوَايِسِ الْعِقْبَانِ طِرَ نَ إِلَيْكَ بِالْأَسَدِ الضَّوَارِي
لَمَّا طَلَعْنَ عَامَتَ أَنَّكَ مِنْ جُمُوعِكَ فِي اغْتِرَارِ
وَقَلِلْتَ مِنْ ذَاتِ الْيَمِي نَ لِشِدَّةِ دَاتِ الْيَسَارِ
بِالْخِيلِ صَانَ صَدُورَهَا فِي التَّبَيُّيِّ مِنَ الصَّدَارِ
وَمَغَاوِرَ يُفْزِيهِمْ مَنَ لَا يَمَلُّ مِنَ الْغَوَارِ

(١) انظر كامل ابن الاثير ٢٠٤/٨ .

(٢) اجتمعت : اقبلت .

(٣) النسور : اللحمة الصلبة التي في باطن حافر الفرس ، أو باطن الحافر ،
والجمع نسور . وزجَّ النسور : طرفه المحدث . شعث : مغبرة . الصفا : جمع
صفاء ، وهي العريض من الحجارة ، والصخرة الملساء . المسوك : جمع مسك ،
وهو الجلد . الخبار : الأرض الرخوة اللينة .

(٤) تردي : ترجم الأرض بحوافرها عند العدو . جنان : جمع جان ،
وهو الجن أو ضرب من الحيات .

ليثٌ يثور فيسْتثي رَقَاطِلُ النَّقْعِ المُشَارِ
فكأنما هبواتها حَرَقٌ من العيوق هارٍ (١)
في وقعةٍ قَسَمْتُ كَمَا تَكُ لِلْمَنِيَّةِ والإِسَارِ
وفررتَ فيمن لا يَعُدُّ لِمُثْلِهَا غيرَ الفَرَارِ
متسرِّبلاً من لؤمِ فَعِ لِيكَ خُطَّتِي خِزْيٍ وعَارِ
هذي النِّكَايةُ لا النِّكَايةُ في البَنِيَّةِ والجِدَارِ
إِن الكِبَارِ من الأُمُو ر تُنَالُ بِالْهَمَمِ الكِبَارِ

* * *

وإلى أَبِي أَلْفَضْلِ ابْتَعُتْ هُوَ اجْسَ الْهَمَمِ السَّوَارِي
ولقد تَخَيَّرْتُ الرِّجَا لَ فَمَا دُفِعْتُ عَنِ الْخِيَارِ
حتى سَكَنْتُ ظِلَالَهُ بَعْدَ ابْتِلَاءٍ وَاخْتِبَارِ

* * *

يَغْدُو عَلَى حُرِّ الْبَلَا دِ غُدُوٍّ مَطْلُوبٍ بَشَارِ (٢)

(١) الهبوات : جمع هبوة ، وهي الغبار الساطع في الهواء . والحرقعة : النار أو لهبها . وهار : ساقط منقض ، وأصله « هائر » . وفي الأصل : « خرق » .
(٢) في الأصل : « يغدوا » .

فَتَذِيلُهُ فَتَكَاتُهُ وَتَذِيْقُهُ طَعْمُ الصَّغَارِ

* * *

يَجُودُ جُودَ أُولَى الْيَسَارِ	فَتَرَاهُ فِي الْعُسْرِ الْمُضِرِّ
نَ مَرْحَبًا بِالْمُسْتَزَارِ ^(١)	مُسْتَهْلًا لِلزَّائِرِ
فَوُقِيَتْ أَسْبَابُ الْعِشَارِ	إِنِّي اعْتَصَمْتُ بِبَيْمَنِهِ
مَ وَمِنْ لَهُ طَيْبُ النَّجَارِ ^(٢)	يَا مَنْ لَهُ طَيْبُ الْأُرُو
رَ وَمِنْ لَهُ شَرَفُ الدَّرَارِي ^(٣)	يَا مَنْ لَهُ نَوْرُ الْبَدُو
ءَ وَمَنْ بِهِ حَصَرُ الْوَقَارِ	يَا مَنْ بِهِ مَرَضُ الْحَبَا
ةَ وَمِنْ لَدِيهِ حِمَى الدَّمَارِ ^(٤)	يَا مَنْ لَدِيهِ حَيَا الْعُفَا
رَّرَ عَنِ عَلْوٍ وَاقْتِدَارِ ^(٥)	أَنْتَ الَّذِي وَهَبَ الْجَرَا
ءَ لَجَارِهِ كَرَمَ الْجَوَارِ	أَنْتَ الَّذِي ضَمِنَ الْوَفَا ١٠

(١) المستزار : الزيارة ، مصدر ميمي .

(٢) الأروم : جمع أرومة ، وهي الأصل .

(٣) الداراري : جمع دُرِّي ، وهو الكوكب الشديد الإنارة ، وقيل :

الداراري هي الكواكب الخمسة السيارة .

(٤) الحيا : ما يحيا به الناس . والدَّمار : ما يلزم المراء حمايته والدفاع عنه .

(٥) الجرائر : الذنوب ، جمع جريرة . وهبتها : كناية عن العفو عن

مقترفها .

أَنْتَ الَّذِي حَازَ الْخِطَا رَ مَضَاؤُهُ يَوْمَ الْخِطَارِ ^(١)
 فَجَوَيْتَ مَضْمَارَ الْعَلَا وَجَرَيْتَ فِيهِ بِلَا مُجَارِ
 يَفْدِيكَ مَنْ ظَنَّ الْمَكََا رَمَ فِي اقْتِصَادٍ وَاقْتِصَارِ
 فَعْدَاهُ عَنْ طَلَقِ الْحَيَا دِ سَقُوطُهُ دُونَ الْعِثَارِ ^(٢)
 خَذَهَا ثَمَارَ عِلَاكَ لَا عَرِيَّتَ عِلَاكَ مِنَ الثَّمَارِ
 عِذْرَاءَ يُخْجِلُ حُسْنُهَا مَا فِيَّ مِنْ خَلْعٍ الْعِذَارِ

[١٨٢] / وحدثني جريح المقل الشاعر قال : لما قال أبو محمد :

يَغْدُو عَلَى حُرِّ الْبَلَا دِ غَدَوٍ مَطْلُوبٍ بَشَارِ ^(٣)
 قُلْتُ لَهُ : مَا أَكْذَبَكَ لِحَاكِ اللَّهِ ا

١٠ فقال : الَّذِي يَقْبَلُ هَذَا فِي نَفْسِهِ أَكْذَبُ مِنِّي .
 وقال جريح المقل : قَدْ جُبْتُ الْآفَاقَ ، وَسَبَرْتُ أَصْنَافَ الْخَلْقِ فِي
 الْأَخْلَاقِ ، فَمَا رَأَيْتُ أَخْسَرَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ، يَعْنِي أَبَا الْفَضْلِ .
 وحدثني أَبُو غَالِبٍ الْكَاتِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ قَالَ : كَانَ أَبُو الْفَضْلِ يُحَاجِّي

(١) الْخِطَارُ الْأَوَّلُ : جَمْعُ خِطَرٍ ، وَهُوَ السَّبْقُ يَتَرَاهُنَ عَلَيْهِ ، وَالرَّهْنُ
 نَفْسُهُ ، وَالْخِطَارُ الثَّانِي : الْمَرَاهَنَةُ .

(٢) عِدَاهُ : صَرْفُهُ وَشَغْلُهُ . وَطَلَقَ الْحَيَادَ : الْغَايَةَ الَّتِي تَجْرِي إِلَيْهَا الْأَفْرَاسُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « يَغْدُوا » .

بكلام له من رآه ، وهو ^(١) :

« سألت عمن شَفَّني وَجَدني به ، وشَغَفني حُبِّي له ، وزَعَمْتُ أَنِّي لو
شئت لذهَلْتُ عقله ^(٢) ، ولو أردت لا عَمَّنت منه ،

« زعمًا ، لَعمرُ أَيْبِك ، ليس بِمَزْعَم ^(٣) »

٥ كيف أسألو عنه وأنا أَرَاه ، أو أنساه وهو لي تجاه ؟ هيهات ! هو
أَغلب عليَّ وأَقرب إليَّ من أن يرخى له عذاري ^(٤) ، أو يخلِّيني
واختياري ، بعد اختلاطي بملكه ، وانخراطي في سلكه ؛ وبعد أن
ناط حُبّه قلبي نائط ^(٥) ، وساطله بدمي سائط ^(٦) ؛ فهو جارٍ مني بجري

(١) نقله الحصري في زهر الآداب ٩٩٤ (ط . الحلبي) ، ١٤٢/٤
(تجارية) باختلاف أشرت إلى المهم منه .
(٢) الزهر : « لذهلته عنه » .
(٣) عجز بيت لمنتره ، صدره :
« عَلِيْقَتُهَا عَرْضاً وَأَقْتَلْتُ قَوْمَهَا »

وهو في معانيه (شرح الزوزني ١٣٧) ، وجهرة أشعار العرب ١٨٩ ،
واللسان والتاج (زعم) .
والزعم : الطمع ، والمزعم مكانه ؛ يقول : طمعت حيث لا مكان للطمع .
(٤) الزهر : « عناني » .
(٥) ناط : علَّق .
(٦) ساط : خلط .

الروح في الأعضاء ، ومتنسّم معي رُوح الهواء ، إن ذهبت عنه رجعت إليه ، وإن هربت منه وقفت^(١) عليه ، ما أحب السلوَّ عنه مع هناته ، وما أُوثر الخلوُّ منه على عِلّاته^(٢) ؛ هذا على أنه إن أقبل لم^(٣) يهنّني إقباله ، وإن أعرّض^(٤) لم يطرقني خياله ، يبعد عليّ مثاله^(٥) ، ويقرب من غيري نواله ، ويردُّ عيني خاسية ، ويثني يدي خالية ؛ وقد بسط مسافات النفس المتقاربة^(٦) ، وصدق مرامي الظنون الكاذبة ، وصله ينذرُ بضده^(٧) ، وقربه يؤذِن ببعده ، يدنو^(٨) عند ما يبرح^(٩) ، ويأسو^(١٠) مثل ما يجرّح ؛ فحالُه أحوال ، وخلّته خلال ، وحربه سجال^(١١) . الحسنُ من عوائده^(١٢) ، والجمالُ من منائحه ، والبهاءُ من فصوله وصفاته ،

(١) الزهر : « وقعت » .

(٢) الزهر : « مع ملاته » .

(٣) الزهر : أقبل عليّ بهتني ... أعرّض عني لم » .

(٤) الزهر : « عني مثاله » .

(٥) الزهر : « وقد بسط آفات الميون المقاربة » .

(٦) الزهر : « بصّده » :

(٧) في الأصل : يدنوا ويأسوا » .

(٨) الزهر : « عند ما ينزح » .

(٩) الزهر : « وحكمه سجال » .

(١٠) الزهر : « من عوارفه » .

والسَّناء من نعوتِه وسِماتِه ؛ اسمُه طَبَقُ ^(١) لمعناه ، وفَحْواه وفق ^(٢)
لنَجْواه ، يتشابهُ حالاه ، ويتضارع قُطْرَاه ، من حيث تلقاه يَسْتَنِير ،
ومن حيثُ تَغْشاهُ يَسْتَطِير ^(٣) ؛ كالبدر بين سُعودِه قد وَسَطَها وحَفَّتْ به ،
يَقْدُمُه النَّسران ، ويتلوه نِطاقُ الجوزاء ، هكذا ؛ ولو قلتُ إن الواسطة
الغَمِيصاء ^(٤) لها هَادٍ وتَابِع ، إن فَرَقْتَهُما اتفقا ، وإن أَلَفْتَهُما تفرَّقا ،
يُقْبِلُ بِشَوْكِ السَّيَالِ ^(٥) ، ويُدْبِرُ بِسَفَى البُهْمَى ^(٦) ، ويعتريض بسودٍ قِصار
سواسيةٍ كَأَسنانِ الحمار — لصَدقت .

فأبني لي ما قُلْتُهُ ، فهو تعريض كالْتَصْرِيح ، وتعمييض كالْتَصْغِيح ،
والسلام .

وحدثني أبو غالب الكاتب قال : كتب أبو الفضل إلى أبي دُلَف
الخزرجي في أوائلِ عِلَّتِه التي نهَكَته وحالَفَتِه ، يُعاتبه ويمأبشه فقال :
« الآنَ عامتُ ، أيُّها الشيخ ، أَنتَ لي مسكايد ، وإلى جميع ما أَنهَكَ

(١) الزهر : « مطابق » .

(٢) الزهر : « موافق » .

(٣) الزهر : « تنسأه يستدير » .

(٤) الغميصاء : هي الشعرى الغميصاء ، وهي في الذراع .

(٥) السَّيَال : شجر له شوك أبيض .

(٦) البُهْمَى : بنت له شوك مثل شوك السنبل . والسفَى : شوك البُهْمَى ،

أو أطراف البُهْمَى .

عنه مخالف ، وعلى ديدانك المعروف ثابت ، وبفضلة لسانك مسبحور ،
وبشائع حاملي عنك مغرور ؛ وليت ثقتك بذلك لا تخونك ، وتطولي
عليك لا يتناول بك ، واغترارك بغيري لا يزللك ، وليتك ، إذ
قد ضللت سواء السبيل في حظك ، شاورتني فكنت لا أبخل
عليك بالهداية .

٥

يا هذا ! شكوتُ إليك أوائل هذه العلة التي قد تخونتني ^(١)
ونسكتني وكان التلافي سهلاً ، وباب العافية مفتوحاً ، فوعدت بالقيام
عليها وبذل النصيحة في تدبيرها ، وكنت إشكري لك على ذلك حائزاً ،
وبمقتحرك مني فائزاً ، فتقاعست عني بلا عذر ، ووقفتني بين وصل وهجر ،
فلم أدر كيف أخاطبك ، وعلى ماذا أعاتبك ؛ لأنني يئست من نجوع
العتاب فيك ، ومن إحاكة الخطاب في قلبك ؛ ولأنك مشهور بقرحة ،
ومذكور بسلطة ، ومعتاد للبهت ، وجار على الكذب .

وأول ذلك أنك تدعي بؤنة محمد بن زكريا ^(٢) من ناحية ابنته ،

(١) تخونتني : تعهدتني .

(٢) محمد بن زكريا الرازي الطبيب الفيلسوف المشهور . أدركه ابن العميد ،
وهو الذي أظهر كتابه الحاوي في الطب ، طاب مسودته من أخت أبي بكر
لرازي ، ودفع فيها دنائير كثيرة ، ثم جمع تلاميذ أبي بكر الأطباء الذين

وقد شاهدتُ محمدًا وما خلف بنتًا ، ولا وَلَدَت بنت لم تكن له ابناً ، ولو كانت له بنتٌ وولدت ابناً لم يكن أنت ، ذاك للغوائل المجموعة فيك ، والعيوب المتناثرة عليك .

ولم تسكن العلة التي رجعتُ إليك في تدبيرها صرعاً ولا صداعاً^(١) ، ولا جنوناً ولا جذاماً ، ولا صممًا ، ولا بكماً ، ولا فالجاً ، ولا لقوة ، ولا سكتة ، ولا زمانةً ، ولا شللاً ، ولا أدرةً ، ولا علة لا يقوم برئها إلا المسيح الذي هو كلمة الله التي ألقاها إلى مريم^(٢) ابنة عمران التي أحصنت فرجها^(٣) ؛ ولم تحتج في مداواتي إلى الرُّق والتائم ، ولا إلى النفق في الأرض ، أو إلى الطيرَان في الشكاك^(٤) ، ولا إلى يد يئساء كيد موسى ابن عمران^(٥) ، ولا إلى عصا موسى^(٦) ، ولا إلى قيص يوسف^(٧) ، ولا

كانوا بالريّ فرتبوا الكتاب على صورته التي هو عليها الآن ، وأخرجوه لأهل العلم . انظر عيون الأنباء ٣٠٩/١ — ٣٢١ .

(١) في الأصل : « صعدا » .

(٢) الإشارة إلى الآية ١٧١ من سورة النساء .

(٣) الآية ١٢ من سورة التحريم .

(٤) الشكاك : السماء ، والجو بين السماء والأرض .

(٥) الآيات ٢٢ من سورة طه ، ١٢ من سورة النحل ، ٣٢ من سورة

القصص .

(٦) الآيات ١٠٧ من سورة الأعراف ، ٣٢ ، ٤٥ من سورة الشعراء .

(٧) الآية ٩٣ من سورة يوسف .

إلى عَرَشِ بَلْقَيْسَ ، ولا إلى نَوْحٍ من سَفِينَةِ نُوحٍ ، ولا إلى فُلْدَةٍ مِنْ
كَبَشِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي فَدَى اللَّهَ بِهِ ابْنَهُ إِسْحَقَ ^(١) ، كما قال الله تعالى :
« وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ » ^(٢) ، ولا إلى الصَّدْفَةِ التي فيها الدُّرَّةُ اليَاسَمِينَةُ ،
ولا إلى شَطْبَةِ ^(٣) من سَنَامِ نَاقَةِ صَالِحٍ ^(٤) ، ولا إلى زُبْرَةٍ من زُبْرِ الْحَدِيدِ
الَّذِي جُعِلَ رَذْمًا لِيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ^(٥) ، ولا إلى عُسٍّ من لَبَنٍ بَقَرَةٍ بَنِي
إِسْرَائِيلَ الَّتِي ذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ^(٦) ، ولا إلى أَدْمَغَةِ الطَّيْرِ الْآبَائِيلِ
/ الَّتِي رَمَتْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ^(٧) ، ولا تُرْبَةً مِنْ « إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ » ^(٨) ، ولا إلى قِطْعَةٍ مِنَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ

[٨٢ ب

(١) هكذا يروى عن عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، والعباس
بن عبد المطلب ، وغيرهم . وروي عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما : أنه
إسماعيل بن إبراهيم (عم) . وانظر مفاتيح الغيب للفجر الرازي ١٥٥/٨ .

(٢) الآية ١٠٧ من سورة الصافات .

(٣) الشطبة : القطعة من سنام البعير تقطع طولاً .

(٤) الآيات ٧٧ من سورة الأعراف ، ٦٥ من سورة هود ، ١٥٧ من

سورة الشعراء ، ١٤ من سورة الشمس .

(٥) الآيات ٩٤ - ٩٧ من سورة الكهف .

(٦) الآيات ٦٧ - ٧١ من سورة البقرة .

(٧) الآيتان ٣ ، ٤ من سورة الفيل .

(٨) الآية ٨ من سورة الفجر .

بين السماء والأرض^(١) ، ولا إلى لَمْعَةٍ من البرق الذي يَخْطَفُ الأبصار^(٢) ،
ولا إلى مثقالٍ من صَوْتِ الرَّعْدِ الذي يسبِّحُ بحمده تعالى^(٣) ، ولا إلى
ذَرَّةٍ من الشمس التي جُعِلَتْ ضياءً^(٤) للعالمين ، ولا إلى قَبْضَةٍ من القمر
الذي جُعِلَ نوراً^(٥) لأهل الخافقين ، ولا إلى صَبْغٍ من الأصباغ التي تظهر
في قَوْسٍ قُزَحٍ غِيبَ الأنداء المتصلة ، ولا إلى مِثْقَالٍ من السراب الذي
يَحْسِبُهُ الظَّمآن ماءً^(٦) ، ولا إلى شَيْءٍ من شَحْمِ الذئب الذي لم يأكل
يُوسُفَ ، ولا إلى نَابِ الكلب الذي كان باسِطاً ذراعِيه بالوَصِيدِ الذي
لو أُطْلِمَتْ عَلَيْهِ لَوَلَّيْتَ مِنْهُ فراراً وَلَمَلِئْتَ مِنْهُ رُغْباً^(٧) ، ولا إلى
الكِبْرِيتِ الأحمر ، ولا إلى الموميائي^(٨) الأبيض الذي لا يوجَد ، ولا إلى

(١) الآية ١٦٤ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٢٠ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١٣ من سورة الرعد .

(٤ - ٥) الآية ٥ من سورة يونس .

(٦) الآية ٣٩ من سورة النور .

(٧) اقتباس من الآيتين ١٧ ، ١٨ من سورة الكهف .

(٨) ذكر البيروني في كتاب الجماهر ٢٠٤ أن « الموميائي » ذكر في كتاب
الآيين (وهو كتاب مشهور لبني ساسان) ضمن الأدوية التي كانت في خزانة
الأكاسرة ، مبدولة لمن لا يقدر عليها من المضطرين .

حيلة بُلِينِيَّاس^(١) ولا إلى قطرات من ماء الحيوان تَعَجُّن به هذه الأدوية ،
ولا إلى مُنْخَلٍ تنخل به ، من ذنب شَعَرٍ حَمَارٍ عَزِير الذي أماته الله مائة
عامٍ ثم بعثه^(٢) ، فَتَنْخَلُ به العقاقير ، ولا إلى مرارة العنقاء المَغْرِب^(٣)
التي لم تُرَقَطْ ، ولا إلى مُخِّ البَعُوض ، ولا إلى بَيْضِ الأَنْوَق^(٤) ، ولم تحتج
في تدبير عِلَّتِي وَجَمِيعِ أَذْوِيتِي إلى نَهَارٍ لَيْلٍ بعده ، ولا إلى لَيْلٍ لا نَهَارٍ .

(١) كذا ورد في كتاب النخب لجابر بن حيان ٣٠ ب (نسخة خاصة) ،
وفي الفهرست ٤٤٨ ومروج الذهب ٢/٢٩ وكتاب النخب لجابر ٢٩ ب ، ٢٩ ب ،
٣٠ ب : « بِلِيناس » .

ويشعر قول ابن النديم : « من أهل طوانة » بأنه Apollonius Tyanaeus
نسبة إلى Tyana بلدة التي ولد فيها والتي تقع في سفوح جبال طوروس
الشمالية بتركيا ، وتسمى الآن (Kiz Hisar) . انظر معجم البلدان (طوانة) ،

J. Lempriere, Classical Dict. PP. 63,630 Everyman's Smaller Classical
Dict. PP. 33,304

وسماه المسمودي في المروج ٩٤/٤ بِلِينُوس ، وابن العبري في مختصر الدول
١١٨ أفولونيوس الطلسماطيسي . وانظر عيون الأنباء ١/٧٣ ، والقانون المسمودي
١٩٥/١ .

(٢) الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .
(٣) ويقال عنقاء مغرب ، وهو طائر معروف الاسم مجهول الجسم .
(٤) الأنوق : العقاب أو الرخة . وعز بيضه لأنه لا يظفر به لبعد أوكاره .
بجمع الأمثال ١/٣٣٠ ، تاج العروس (أنق) .

بعده ، ولا إلى نهارٍ مُولجٍ في ليلٍ ، ولا إلى ليلٍ مُولجٍ في نهارٍ ، ولا إلى زمانٍ يخرج من أن يكون ربيعاً أو صيفاً أو شتاءً أو خريفاً .

ولو ظننتُ أن هذه كلها أو بعضها تلزمك^(١) أو تدخل في تكلفك

لآثرتُ الموتَ على العافية ؛ فإن في الموتِ خلاصاً منك ، ومُفارقةً

لمثلك ، والله ما أندب إلا حُسنَ ظني بك ، ومُباهاتي أهلَ مجلسي

بفضلك ، وقولي : أبو دُلف وما أدراك ما أبو دُلف ! لا تنظروا إلى

هزله ، فإن وراء ذلك جدّاً ، وإن أردتم حقيقة ما أقول فافزعوا

إليه في حوائجكم ؛ فإنكم تجدونه في قضائها قبل إنهاؤها ؛ وهو

المرء الذي قد جمع الله له بين المنظر والمخبر ، وبين الدعوى والبينة ،

وبين القول والحجة ، وبين الضمان والوفاء ، وبين الصداقة والشفقة .

فما زلتُ أقولُ هذا أوشبهه ، وأصحابي يُشيِّعون قولي بمثله في الظاهر ،

ويُخالفونني بعلمهم في الباطن حتى كان الفلج^(٢) لهم ساءةً هذه ؛ لأنّي

احتجبتُ إلى علمك فنُخنتَ عهدي ، وأقبلتُ عليك فأعرضتَ عني ،

ووهبتُ لك كُلِّي فبَخِلتَ ببعضك عليّ ؛

« فيأربّ مظنون به الخيرُ يُخلفُ »

(١) في الأصل : « يلزمك » .

(٢) الفلج : الفوز والظفر .

ولقد استفتدت بمعرفتك تجشّب مثلك ؛ ويقال : لم يهلك من مآلك
من وعظك ، ومن أطلعك على خبيته من خيره وشره ، فقد أراحك
من طويل الفكر فيه ، وكفأك خطر التجربة له والسلام .

قلت لأبي دلف : ما أجبتّه عن هذا الكلام ؟

قال : عملتُ في المسوّدّة شيئاً ، ثم لم أجسر على إظهاره ، وخفتُ
صوّاته ونكايته وشره وغائلته ؛ ومّا قد حدث في رؤساء زمانك أنهم
يحقّدون على الأتباع ، ولا يعرفون حقّهم في الخدمة والطاعة .

وكُنّا يوماً عند ذي الكفّايّتين بمدينة السلام ، فجرى حديث^(١) -
بغداد ، فقال ذو الكفّايّتين : لمّا رجع ابنُ عبّاد من بغداد ، قال له
الأستاذ الرئيس - نصر الله وجهه - : كيف رأيت بغداد ؟

١٠

قال : رأيتُ بغدادَ في البلاد ، كالأستاذ في العباد^(٢) .

وحسّكي أيضاً في هذا اليوم عن أبيه قال : لمّا انصرف أهلُ
خُرَاسان سنة خمس وخمسين^(٣) وثلاثمائة أمام الغزاة من الرّي ، بعدَ

(١) في الأصل : « ذكر » ، وفوقها بنفس الخط « حديث » .

(٢) القصة في المآهد ١٧٤/١ ، اليتيمة ١٣٧/٣ ، الوفيات ٧٤/٢ .

(٣) انظر الكامل لابن الأثير ٢٠٤/٨ - ٢٠٥ (سنة ٣٥٥ هـ) .

الحادثة التي جرت ودفع الله حدّها^(١)، وأعاد نصّارتها^(٢)، أخذ الرئيس
يَبْنِي حول دار ركن الدولة حائطاً عظيماً .

فقال له عليُّ بن القاسم العارض^(٣) : هذا كما يُقال : الشّدُّ بعدَ
الضّرط .

فقال : هذا أيضاً جيّد لئلا تنفّلت أخرى .

ورأيتُ أبا الفتح ذا الكفّايّتين يسألُ أبا الحسن العامريّ^(٤) : لم
طلّبت النفسُ الفرقَ بين المنشاهين ؟

فقال العامريّ : لأنّها في جَوْهرها ، وما هو لائقُ بها تأبى السكّرة
وتنفّر منها ، وهي تحنُّ إلى الوَحْدة بسُوسِها^(٥) ، وتنزع نحوها
وتتقبّل^(٦) كلَّ ما أعانها على ذلك ، ويذللّ الطريقَ لها ؛ والفرقُ يوضّح

(١) حدّها : بأسها . وفي وفيات الأعيان (٢/ ٧٨ - ٧٩) : التي جرت

هناك ، وهي واقعة مشهورة دفع الله شرّها ، شرع الرئيس « .

(٢) نصّارتها : بهجتها . وفي الأصل : « نصارمها » . فإن صحّت قراءتنا
كان الضمير لاري .

(٣) الوفيات : « فقال له عارض الجيش » .

(٤) محمد بن يوسف العامري الفيلسوف . وقد مرّت ترجمته .

(٥) السوس : الطبع والسجية .

(٦) في الأصل : « وسقى » .

سبيلَ الوَحْدَةِ . وكلّما ^(١) كان الاشتباه أَشَدَّ كان الفرقُ أَطْفَ . وكلّما كان الفرقُ أَطْفَ كانت أَشَدَّ بحثًا عنه وأَلْهَجَ بِطَلْبِهِ لَأَن ظَفَرَهَا بِهِ يَكُونُ أَعَزَّ ، وَنَيْلَهَا مَطْلُوبَهَا يَكُونُ أَحْلَى .

وقال أبو الفتح يوماً آخرَ لابنِ فارسَ المعلمَ :

٥ لم قال الجاحِظُ : « فَإِنَّ السَّكْلَامَ قد يَكُونُ في لَفْظِ الْجِدِّ ومعناه الهزل ، كما يَكُونُ في لَفْظِ الهَزَلِ ومعناه الجِدِّ ، ؟ فلم يَقُلْ شيئًا .

فقال أبو الفتح : قد صَدَقَ أبو عثمان ، هذه خاصّةُ مذاهبِ العربِ ، ولكن لَمْ عَرَضَ هذا في أخبارِها ، وأَدْنَى ما فيه أَن يَدُلَّ عَلَى وَضْعِ الشَّيْءِ في غيرِ موضِعِهِ ؟

١٠

فلم يُجِرْ ^(٢) أَحَدٌ شيئًا .

فقال هو : إِنَّ إِفْرَازَ / الجِدِّ من الهزل ، وتَمَيِيزَ الهزلِ من الجِدِّ حتّى لا يُؤْتَى بِهِذا في هذا ، ولا بِهِذا في هذا لَتَنوعٍ مِنَ الْخَطَرِ عَلَى الْمُتَسَكِّلِمِ الْبَلِيعِ وَالْقَائِلِ الْبَيِّنِ ، وَلَوْ جَرَى عَلَى ذَلِكَ كَانَ الْاِقْتِدَارُ يُبْطِلُ الْحَدَّ الْمَلْزُومَ ، وَالسَّعَةُ تُضَيِّقُ الْغَايَةَ الْمَبْلُوغَةَ .

١٥

(١) في الأصل : « وكل ما » .

(٢) لم يجر : لم يُرجع ولم يجب .

ولمّا كان البيان لا يكون بياناً ، والبلاغة لا تصير بلاغة إلاّ بأن
يكون المتكلم آخذاً في كلّ واد ، قادحاً بكلّ زناد ، مُستظهرّاً بكلّ
عتاد ، وجب أن يدخل الهزل في الجدّ إمتاعاً واستمتاعاً ، ويدخل الجدّ
في الهزل اقتداراً واتساعاً .

٥ قال ابن فارس : وأيّ خصوصية تكون في هذا ، ونحن بالفارسية
نرى هذا المذهب ، ولعلّ سائر اللغات على ذلك ؟

فقال : القول كما قلت ، ولكن أين مزية بيان العرب على جميع
ما لأصناف العجم ؟

١٠ ثم قال : إن الغرض الأول في الكلام الإفادة ، وجُلُّ الأهم على هذا .
والثاني تحسين الإفادة ، ثمّ التحسين تارة يكون بمعاني التوكيد ،
وتارة يكون بمعاني الحذف ، وتارة يكون بوزن اللفظ ، وتبديل
الوزن ، وتسهيل المطالع ، وتبديل المقاطع ؛ وهذه الأنواع وغيرها
مما يطول إحصاؤه ؛ وهو للعرب خاصّة ، وللباق الأهم عامّة .

١٥ ثم قال : وقد اشتمل القرآن على هذا كلّهُ ، وعلى ضروب أُخر
لم تكن في عادة القوم فاشيّة ولا كثيرة ، ولكن كالشيء البديع ،
ألا ترى أنّك لا تجد شوافع هذه المعاني التي في الكتاب غريبة في
منثور كلامهم ولا في منظومهِ ؟ وأنت تعلم أنّهم كانوا لا يسكتون ،

وكان ولوعهم بالكلام أشدَّ من ولوعهم بكلِّ شيء ، وكلُّ ولوع كان لهم بعدَ الكلام فإنما كان بالكلام .

فهل تجد معنى قوله تعالى في الإبانة عن التوحيد : « مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ، وَلَمَّا لَ (١) بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ (٢) » في شيء من كلام .

وكذلك أيضاً لا تجد ما يشبه قوله عز وجل : « لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذَا لَا تَشْعُونَ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٣) » .

وكذلك أيضاً لا تجد ما يقارب قوله : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا (٤) » .

وكذلك لا تجد ما يداني قوله : « وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٥) » ،
أو قوله : « وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ (٦) » . ثم تدبر قوله : « إِنَّا

(١) في الأصل : « ولعلي » ، تصحيف .

(٢) سورة « المؤمنون » ٩١ .

(٣) سورة الإسراء ٤٢ .

(٤) سورة الأنبياء ٢٢ .

(٥) سورة الحجر ٢١ .

(٦) سورة « المؤمنون » ١٨ .

صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا^(١) » ، وقال : « ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا^(٢) » ،
 وقال : « فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا^(٣) » ، وقال : « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ
 النَّاسَ^(٤) » ، وقال : « وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ
 يُوقِنُونَ^(٥) » ، وقال : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ : مَنْ يُحْيِي
 الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ : يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ
 خَلْقٍ عَلِيمٌ^(٦) » ، وقال : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا
 فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ^(٧) » وقال : « يَا أَيُّهَا^(٨) النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ
 مِنْ أَلْبَعَثَ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
 مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ

٥

١٠

(١) سورة عبس ٢٦ . وفي الأصل : « إِنَّا شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، وقال :
 صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا » ، ونظم الآية كما أثبتنا .

(٢) سورة الرعد ١٧ .

(٣) سورة البقرة ١٦٤ .

(٤) سورة الجاثية ٤ .

(٥) سورة يس ٧٨ ، ٧٩ .

(٦) سورة يس ٨٠ .

(٧) في الأصل : « أَيُّهَا » .

إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ، ثُمَّ لْتَبْلُغُوا أَشَدَّ كُمِ وَمِنْكُمْ^(١)
 مَنْ يَتُوفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ
 بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ، وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
 وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ^(٢) ، وَقَالَ : « وَمِنْ آيَاتِهِ
 أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ^(٣) » .
 وقال : « إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخَيِّ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٤) » .
 ثم قال : وهذا سَبْكٌ بَدِيع ، وَأُسْلُوبٌ مُعْجَز ؛ وَلَوْ كَانَتِ الْعَرَبُ
 نَعِمَتْ بِهَذِهِ الْمَعَانِي بِعِبَارَاتٍ دُونَ عِبَارَاتِهَا ، أَوْ حَلَمَتْ^(٥) بِهَذِهِ الْعِبَارَاتِ
 بِمَعَانٍ دُونَ مَعَانِيهَا ، لَكُنَّا نَقِفُ وَنَتَرَجَّعُ^(٦) ، وَنَرْتَابُ وَنَضْطَرِبُ ،
 فَأَمَّا وَشَيْءٌ لَا يُصَابُ لَهُمْ ، لَا عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ وَلَا عَلَى التَّحْقِيقِ .
 فَنَازِلًا يَبْقَى ؟
 ثُمَّ هَبْ أَنْهُمْ كَانُوا مَضْرُوفِينَ عَنْهَا فِي الْأَوَّلِ وَهُمْ لَا يَأْبَهُونَ لَهَا ، هَلَا
 تَصَرَّفُوا فِيهَا فِي الثَّانِي وَقَدْ تُحَدِّثُوا بِهَا ؟ إِنَّ هَذَا لَوَاضِحٌ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَنَكُم » .

(٢) سُورَةُ الْحَجِّ ٥ .

(٣) سُورَةُ فَصَّلَتْ ٣٩ .

(٤) سُورَةُ فَصَّلَتْ ٣٩ .

(٥) كَذَا .

(٦) نَتَرَجَّعُ : نَتَرَدَّدُ .

وكان مع شبابه وكثرة أشغاله مليئاً^(١) بهذا الفن ، ولقّن أكثره من معلمه ابن فارس؛ فإنه كان قد ذلّل هذا وأشباهه له ، وكان ينتصب للناس في جامع الريّ ، ويُفسّر القرآن ، ويتكلّم على وجوهه ونظائره وتأويلاته ، وزاد هو أيضاً أعني أبا الفتح بقوة كشاف لغامضها ، وإبانة لما خفي منها ؛ وكان على كلّ حال أمثل طريقة من والده أبي الفضل الذي سُمع يُنشد هازئاً :

ومُدّع يدّعي بالسيف حُجّته ما حُجّة السيف إلا حُجّة البطل^(٢)
وينشد :

لَعَنَ اللَّهُ ذَا الْمَعَصَا فَلَقَدْ كَانَتْ لِقُفْلِ النَّامُوسِ كَالْمِفْتَاحِ^(٣)
/ وهذا كله دليل على سوء الضمير ، وخُبث العقيدة ، وشدة المجاهرة .

قال أبو الفتح يوماً لأبي سليمان : قال أبو عثمان في رسالته في

(١) مليئاً بالهمز : غنياً مقتدراً ، وفي الأصل : « ملياً ، .

(٢) البيت في رأي أبي حيان نقد للنبي عليه السلام ، ولفكرة الجهاد في الإسلام . ومن هنا كان دالاً على خُبث العقيدة .

(٣) ذوالمعصا هو موسى عليه السلام .

« التَّربيع والتَّذْوِير ^(١) » إلى ابنِ عَبْدِ الوَهَّابِ : « لِمَ صِرْنَا نَتَذَكَّرُ
الشَّيْءَ الْمُهْمَّ فَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ^(٢) حَتَّى نَدَّعَاهُ يَأْسًا مِنْهُ أَجْعَلْ مَا نَكُونُ
نَفْسًا وَأَحْسَنَ مَا نَكُونُ تَدْبِيرًا ، ثُمَّ يُعَارِضُنَا وَيَخْطُرُ عَلَيْنَا فِي حَالِ
شُغْلٍ أَوْ حَالِ نَوْمٍ ، وَأَسْهَى ^(٣) مَا نَكُونُ عَنْهُ وَأَقْلَ مَا نَكُونُ احْتِفَالًا
بِهِ . » وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ الشَّيْخِ فِيهِ قَوْلًا .

فَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ . لَيْسَتْ النَّفْسُ عَلَى قَدَرِ إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ مِنْهَا ، بَلِ
الْإِنْسَانُ عَلَى قَدَرِ مُرَادِ النَّفْسِ ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ هِيَ مَا لَكْتُهُ وَمُدَبَّرْتُهُ وَمَقُومَتُهُ
وَمُتَمِّمَتُهُ وَمَحَرَّكَتُهُ : فَلَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ إِذَا أَرَادَ إِذْكَارَهَا أَذْكَرَهَا ،
وَإِذَا أَرَادَ إِنْسَاءَهَا أَنْسَاهَا ، كَانَتْ النَّفْسُ تَحْتَ مَلَكَةِ الْإِنْسَانِ
وَجَارِيَةً عَلَى إِرَادَتِهِ ، وَمَتَصَرِّفَةً بِتَصْرِيفِهِ وَإِرَادَتِهِ ، إِنَّمَا هِيَ ^(٤) مِنْهَا ١٠
وَيَقُومُ هُوَ بِهَا ، وَكَمَا لَهُ مِنْ جَهَّتِهَا ، وَتَمَامُهُ مِنْ مَعُونَتِهَا .
فَلِهَذَا الْحَالِ قَدْ يَتَذَكَّرُ الشَّيْءَ فَلَا يَجِدُ مِنَ النَّفْسِ إِجَابَةً لَهُ فِي ذِكْرِ

(١) الصفحة ٧٩ (طبع المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٥٥ م) .

(٢) يعني فلا تقدر على تذكره .

(٣) في رسالة التربيع : « نوم أغنى ما » .

(٤) « هي » أي الإرادة ، وباقي الضمائر التالية المؤنثة للنفس ، والمذكورة
للإنسان .

ذلك الشيء ، وقد يسهو^(١) عن ذلك الشيء فيُلْقَى عليه أغفل ما يكون
عنه لأنه موجودٌ عندها عَتِيد^(٢) قَبْلَهَا ، وإنما يكون هذا منها في
الفينة بعد الفينة ؛ ولو لم يتذكر الإنسان شيئاً جُمَلَةً ، لكانت نفسه
الناطقَةُ مغمورة ، ولو تذكرَ كلَّما شاء لكان قد صفا كلَّ الصِّفَاء ، فامَّا
وقفَ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ تذكرَ مرةً فذكرَ ، وسَهَا مرةً فَحَصِرَ .

وطالَ كَلَامُهُ فِي حَدِيثِ النَّفْسِ ، وَاتَّسَعَ فِي فُنُونٍ مِنْهُ .

فلَمَّا انْتَهَى قَالَ لَهُ أَبُو الْفَتْحِ : عَيْنُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ! أَنْتَ كَمَا
قَالَ الْأَخْوَصُ^(٣) :

إِنِّي إِذَا خَفِيَ الرَّجَالُ وَجَدْتَنِي كَالشَّمْسِ لَا تُخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَسْهَوُ » .

(٢) عَتِيدٌ : حَاضِرٌ .

(٣) يُقَالُ إِنَّ اسْمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَيَكْنَى أَبَا عَاصِمٍ ،
شَاعِرٌ أُمَوِيٌّ مِنْ شُعْرَاءِ الْمَدِينَةِ . الشُّعْرَاءُ ٤٩٩ ، اللَّالِي ٧٣ ، الْجُمُحَى ١٣٧ ،
الْأَغَانِي ٤/٤٠ ، الْمُؤْتَلَفُ ٤٧ ، الْخَزَانَةُ ١/٢٣١ ، الْعَيْنُ ١/١٠٧ ، ٣/١٣٢ ،
الإِصَابَةُ ٤٣٤٧ .

وَالْأَبْيَاتُ يَقُولُهَا عِنْدَ مَا عَوَّقَ وَشَرَّ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَهِيَ فِي الْأَغَانِي
١/١٠٨ ، ٣/١٣٢ ، وَالْخَزَانَةُ ١/٢٣٣ ، وَفِي شَرْحِي الْحِمَاسَةِ الْمَرْزُوقِي ٢٢٢ —
٢٢٣ وَالتَّبْرِيزِي ١/١٢٠ ، وَالْأَمَالِي ٢/٣ . وَالْأَوَّلُ وَالثَّلَاثُ فِي الشُّعْرَاءِ ، بِاخْتِلَافٍ
فِي تَرْتِيبِهِمَا وَفِي بَعْضِ كَلِمَاتِهِمَا عِنْدَ أَبِي حَيَّانٍ هُنَا .

إِنِّي عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ مُحَسَّدٌ أَنَّمِي عَلَى الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَاءِ
مَا تَعْتَرِينِي مِنْ خُطُوبٍ مُأَمَّةٍ إِلَّا تُشَرِّفُنِي وَتَرْفَعُ شَانِي
فَإِذَا تَزُولُ تَزُولُ عَنْ مُتَخَمِّطٍ^(١) تُخْشَى بَوَادِرُهُ لَدَى الْأَقْرَانِ^(٢)
فَلِلَّهِ دَرْكٌ وَدَرْ زَمَانٍ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ .

٥

فَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ :

سَعَادَةُ ذِي الْكَفَايَتِينَ هِيَ الَّتِي نَعَشْتَنِي عِنْدَهُ ، وَهَيَّأَتْ وَضْعِي عَلَى
لِسَانِهِ ، وَزَوَّدَتْنِي فَخْرًا بِخِدْمَتِهِ ، وَأَبْقَتْ ذِكْرِي مِنْوَهًا بِذِكْرِهِ ؛ وَلَقَدْ
كُنْتُ غَضِيضَ الطَّرَفِ حَتَّى رَأَيْتُهُ ، كَلِيلَ اللِّسَانِ حَتَّى وَصَفْتُهُ ، مَبْخُوسَ
الْحِظِّ حَتَّى عَرَفْتُهُ ، خَامِلَ الذِّكْرِ حَتَّى خِدَمْتُهُ . وَإِنْ فَسَحَ اللَّهُ فِي الْمُدَّةِ
فَسَأَسْتَقْبِلَ خَلْقَ الْعَيْشِ جَدِيدًا ، وَالْحَقُّ مَفْقُودَ الْمُنَى مَوْجُودًا .
١٠

وَحَدَّثَنِي الْخَلِيلِيُّ^(٣) قَالَ :

أَوَّلُ مَا عَيْبَ عَلَى هَذَا الْفَتَى أَنَّهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ أَبِي الْفَضْلِ ، أَمَرَ

(١) متخمط : شديد الغضب ثائر .

(٢) البوادر : جمع بادرة ، وهي ما يندر عن حدة الغضب ، فيسبق ما كان
يقتضيه الحلم .

(٣) في الأصل : « الخليل » .

بأن يُنقل المطبخ إلى دارِ النساء ، فقال الناس : الحمد لله ، صارَ الطعامُ حراً
والخبزُ غورة ، والقدر والغضار^(١) حُرمة^(٢) .

والله ما أرادَ بهذا إلا أن يُصان الخبزُ كما تصان ذواتُ الخمرِ
وصواحبُ المقانيع^(٣) ، وإنَّ هذه لغيرُةٌ وضِمت في غيرِ موضعها . ثم
أنشد لدعبل قوله^(٤) :

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِنْ^(٥) قَالَ مُجْتَبِئاً

« إي^(٦) والرغيفِ » فذاك البرُّ من^(٧) قَسَمَهُ

وإنَّ هَمَّتَ بِهِ فافْتِكْ بِخُبْزَتِهِ فَإِنْ مَوْعَهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ

(١) الغضار : آنية من الخزف الذي يسمى الغضار . وأصل الغضار الطين
الأخضر الحر ، ثم قيل للصفحة التي تتخذ منه .

(٢) حرمة الرجل : حرمة أهله .

(٣) جمع مقنعة ، وهي ما تغطي به المرأة رأسها .

(٤) هكذا النسبة لدعبل في عيون الأخبار ٣٦/٢ . وفي ديوان المعاني

١٨٥/١ ، ونهاية الأرب ٣١٣/٢ أنها لأبي تمام ؛ والأول والثاني منها في ديوانه

(الهجاء - حرف الميم) يهجو عياش بن لميعة (أخبار أبي تمام ١٢٥) .

ووردت في عيون الأخبار ٢٤٦/٣ ، والمقد ١٩٠/٦ غير منسوبة .

(٥) في حاشية الأصل عن نسخة : « قد كان يحزني أن » .

(٦) رواية مراجع الأبيات : « لا والرغيف » .

(٧) البرُّ بالفتح : الصادق .

مَا كَانَ أَحْسَنَهُ لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ عَلَى جَرَاذِقِهِ كَانَتْ عَلَى حُرْمِهِ^(١)

قال الخليلي :

كنت واقفاً في صحن داره خلف شجرة كبيرة ، والزمان فيظ ،
والهاجرة مُتَحَدِّمة ، وهو أيضاً واقفٌ تجاه تلك الشجرة لا يَلْحَقُنِي طَرْفُهُ .
فقال لخدم بين يديه : قد جُمْتُ فَأَصْلِحُوا الطَّعَامَ ، وصيخوا بهؤلاء ٥
الأكلة الطَّعام^(٢) .

قال : فنزت^(٣) في نفسي أَنْفَةً سَدَّتْ مَا بَيْنِي وبين السماء ، فرجعتُ
القَهْقَرَى الْقُطْ قَدَمِي حَتَّى صِرْتُ إِلَى الْبَابِ ، وَفَتُّ إِلَى الْمَنْزِلِ ؛ وَطُلِبْتُ
فاحتجبت ، ثم طلبتُ فاحتجبت ، وقلتُ : سَقَطَتْ مِنْ عَالِي السَّطْحِ ،
وَانْكَسَرَتْ سَاقِي ؛ وَبَقِيتُ عَلَى هَذِهِ التَّعَلَّةِ حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ . ١٠
قال :

وهذا عِرْقٌ كَانَ يَنْبُضُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ ؛ فَإِنْ أَبَاهُ كَانَ غَالِيًا^(٤) فِي هَذَا
الْخَلْقِ ، وَكَانَ يُكَابِدُ مِنْ سَتْرِ هَذَا الدَّاءِ عَلَى نَفْسِهِ أَمْرًا عَسِيرًا . وَلَقَدْ

(١) حُرِّمَ الرجل : عياله ونساؤه .

(٢) الطَّعام : الأزدال .

(٣) نزت : جرت .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « كَانَ عَالِيًا » .

حضّر ابن^(١) بُندار يوماً ، وكان يأكل معه^(٢) ، فنظر إلى غَضَارَةٍ^(٣)
قد مُلِئَتْ ثَرِيداً فَأَلْشَدَّ^(٤) :

ثَرِيدٌ كَانَ السَّمَنُ فِي حَجَرَاتِهِ^(٥) نَجُومُ الثُّرَيَّا أَوْ عُيُونُ الضِّيَّائِينَ^(٦)

فَقَالَ : أَفَّ ، لَعَنَ اللَّهُ قَائِلَهُ !

فَقَالَ ابْنُ بُندار : قَائِلُهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ^(٧) ، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَا يَرْضَى بِلَعْنٍ مَن يَقُولُ لَهُ حَاضّاً عَلَى جَوَابِ الْمُشْرِكِينَ : « قُلْ وَمَعَكَ
رُوحُ الْقُدُسِ »^(٨) . فَسَكَتَ خَزْيَانٌ .

وَكَانَ يَنْجُمُ مِنْ قَلْبِهِ فِي الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ بُغْضُ الْعَرَبِ وَالْأَكَلَةُ ؛

(١) فِي الْأَصْلِ : « بَن » .

(٢) يَعْنِي : مَعَ أَبِي الْفَضْلِ ابْنِ الْعَمِيدِ .

(٣) الْغَضَارَةُ : الطِّينُ الْحَرُّ ، وَالْمُرَادُ هُنَا : الصَّفْحَةُ الْمَتَّخِذَةُ مِنْهُ .

(٤) الْبَيْتُ فِي كِتَابِ الْخِيَوَانِ لِلْجَاهِظِ ٣٢٩/٥ مَنْسُوباً لِحَسَّانَ وَهُوَ فِي
اللسان النخ .

(٥) حَجَرَاتُهُ بَفَتْحِ الْحَاءِ وَالْجِيمِ : نَوَاحِيهِ ، وَاحِدَتُهَا حَجَرَةٌ .

(٦) الضِّيَّانُ : السُّنُورُ ، وَالْجَمْعُ : الضِّيَّانُ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « ابْنُ ثَابِتٍ » ، وَمَرَّتْ تَرْجُمَةُ حَسَّانٍ .

(٨) صِيغَةُ الْحَدِيثِ — حَسَبَ رَوَايَةِ أَحْمَدَ فِي الْمُسْنَدِ ٢/٢٩٨ : « أَهَجَّ

الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ » . وَانْظُرْ فَتْحَ الْبَارِي ٧/٣٢١ ، ١٠/٣٥٣ .

أَنشَدَ يَوْمًا بَيْتًا ، وَقَالَ : أَحَبُّ أَزْ أَعْلَمَ مَا يُرِيدُ الْأَعْرَابِيُّ بِقَوْلِهِ :
تَرَى وَدَكَ السَّدِيفِ عَلَى لِحَامِهِمْ كَلَوْنُ الرَّاءِ لَبَدَّةِ الصَّقِيعِ^(١)
قال : وما انتصف منه أَحَدٌ كَأَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ بُنْدَارٍ : فَإِنَّهُ جَرَى
لَيْلَةً حَدِيثُ الْعَرَبِ وَالْقَبَائِلِ وَالْأَنْسَابِ . فَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ : أَسَدٌ^(٢)
/ عَرِيقٌ وَشَيْجٌ^(٣) وَحَارَكٌ^(٤) وَنَشِيجٌ^(٥) وَطَرَّازٌ^(٦) نَسِيجٌ ، فَقَالَ
ابْنُ بُنْدَارٍ :
إِذَا أَسَدِيٌّ جَاعَ يَوْمًا بَيْلَدَةٍ وَكَانَ سَمِينًا كَلْبُهُ فَهُوَ آكِلُهُ^(٧)

-
- (١) السديف : لحم السنام ، والراء : شجر سهلي له ثمر أبيض ، وزبد البحر (ل : رأو) .
والبيت في البيان والتبيين ٣/٢٣١ غير منسوب . وفي الأصل : « الدار » تصحيف .
(٢) يعني قبيلة أسد المشهورة .
(٣) المرق : أصل كل شيء . والنشيج من النسب : الذي التفقت قراباته وتداخلت وتشابكت .
(٤) الحارك أعلى الكاهل من الفرس ، ومنبت أدنى العرف إلى الظهر الذي يأخذ به الفارس إذا ركب . ويقرن الحارك بالمنسج ، وهو ما تحت القربوس .
(٥) نشيج ، هكذا في الأصل بالشين المعجمة والجيم ، وكأنه « ومنسج » وهو مسيل الماء .
(٦) الطراز : العلم ، والموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة . والنسجج : المنسوج المنظم .
(٧) البيت للفرزدق ، وهو في كتاب البخلاء ٢١٦ ، وعيون الأخبار ٢١٢/٣ . وكانت بنو أسد تعير بأكل الكلاب .

فتعافى أبو الفضل كأنه لم يسمع ، وكان حليماً حمولاً ^(١) لثيماً
ذلولاً ^(٢) .

وقال : أسدّثك من حمامه بأعجب من هذا : كنّا بأذربيجان ^(٣)
لما افتتحناها لإبراهيم بن المرزبان وقرّرناها في يده اتفق أنّ ظفرنا هناك
بـطبيب نصرانيّ بغداديّ حسن الحذق ، بارع الصنّاعة ، مشهور له
بـسواب الرأي وجودة التدبير ، فأدناه أبو الفضل ورخي هديّه ، وجمّد
قوله ورأيه ، وكان يخصّه بالبرّ والتحفّة ؛ فكان من أمره أنّ أبا الفضل
شرب غداً تئذٍ قدحاً من شراب الرّمان ، فبقّى في أسفل القدح قليلاً ،
ومدّ يده إلى الطّبيب يناولّه ، تكريماً له ، ويقول له : اشرب
هذه البقية . ١٠

فقال له الطّبيب : « نهى نبيّكم عن سُور الكلب » ، وأمّسك
عن القدح .

فاحصفر وجهه أبي الفضل . ولم ينطق بكلمة ، ولا أساء إليه ، ولا
اعتذر ذلك من فِرطته .

(١) كأنه من : حمل الحقد إذا أكنه في نفسه .

(٢) الذلول : الضعيف .

(٣) معجم البلدان ١٥٩/١ وما بعدها .

ولتدافع الحديث ما أُخْرِجَ من ذكر هذا إلى شأن ذلك . ولقد اضطربَ عليّ نسجُ^(١) الرسالة على مذهب المصنِّفين ، ولكنَّ عُذري يَبِّن ، لأنِّي ثَقَلْتُ ما ثَقَلْتُ في وقتٍ صعبٍ وحالٍ عوراء .

سألت العتّابيَّ شيخاً من أهلِ أصفهان كان صِحبَ ابنِ عبّادٍ في أيامِ الحداثة ، عن تركِ ابنِ عبّادٍ الشراب .

فقال : والله ما ترك ما تركَ الله . ولكن تركه لأنه كان إذا سكر افتضح ودعا إلى الفجور به ، ولما فشا هذا وقُبِحَتِ القالة هَجَرَهُ ، وأظهر ذلك لتقوى الله ، أو لوجه الله تعالى .

ورأيت ابنَ عبّادٍ يوماً يقول لابن أبي هشام : لا ثقلَ حَرَجَتِ نفسُهُ ،

إِنَّمَا الْحَرَجُ لِلصِّدْرِ ؛ قال الله تعالى : « فَلَا يَسْكُنُ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِثْلُهُ^(٢) » .

فقال له : فأين أنت من قول الله تعالى : « ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ^(٣) » . فمرق جبينه خَجَلًا ؛ وكان ذلك سببَ إعراضه

عن هذا الشيخ ، وانقلابه عنه بالحِرمان .

(١) في الأصل : « على نسج » .

(٢) سورة الأعراف ٢ .

(٣) في الأصل : « فأين أنت عن قول الله » .

(٤) سورة النساء ٦٥ .

وقال لي العتّابي : كان هذا ، يعني ابنَ عبّاد يقالُ له في المكتَب :
ديوجَه^(١) ، قال : وتفسيرُه شيطان^(٢) صغير .

وقال لي ابن الرّازي : كَلَّمْتُهُ في شيءٍ يوماً ، وقلتُ في عُرْض الكلام :
« وكان ذلك لا انطلاق لسانه » ، فقال له : « أخساً ، الانطلاق في الشيء ،
والطَّلَاقُ في اللسان » .

قال : فقلت له : ما تمنع بقول الأوّل وهو يزيد بن الصّعق^(٣)
يخاطب النّابغة الذّبياني :

وأىّ الناسِ أعذر^(٤) من شأم^(٥) له صردان^(٦) منطلقَ اللسان^(٧)

(١) DEVGHA ، وفي الأصل : ديوجه بالذال المعجمة .

(٢) في الحاشية عن نسخة : « مجنون » بدل « شيطان » .

(٣) يزيد بن عمرو بن الصّعق الكلّابي . الخزّانة ١ / ٢٠٦ — ٢٠٧ ،
الاشتقاق ١٨١ ، النقائض ٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩ .

والبيت في ديوان النّابغة بشرح البطليوسي ٧٨ ، والمعاني لابن قتيبة ٨٢٣ ،
واللسان والتاج (صرد) .

(٤) رواية اللسان والتاج : « أعذر » .

(٥) إنما قال « من شأم » ، لأن النّابغة كان بالشام .

(٦) الصردان : عرقان أخضران أسفل اللسان .

(٧) في حاشية الأصل : « الرواية الصحيحة : منطلق بالنصب يريد به
الظرف » ، أي موضع انطلاق اللسان . ورواية اللسان : « منطلقاً اللسان »
بكسر اللام ، أي دربان .

قال : فحمدَ وحقَّدَ ^(١) .

هكذا قال بفتح القاف ، وكان فصيحاً .

وقال ^(٢) يوماً في المجلس ، وهو يُحدِّث عن رجلٍ أعطاه شيئاً فتدكَّأَ في قبوله :

« ولا بُدَّ مِن شَيْءٍ يُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ »

ثم قال : قد سألتُ جماعةً عن صدر هذا البيت فما كان عندها ^(٣) ذلك . فقلتُ : أنا أحفظ ذلك .

فنظرَ [إلَيَّ] ^(٤) بغضبٍ وقال : فما ^(٥) هو ؟

قلتُ : قد نسيته ^(٦) .

قال : ما أسرعَ ذِكرَكَ من نسيانِكَ .

قلتُ : ذكرتهُ والحالُ سَلِيمةً ، فلما حَالَتْ عن سلامتها ^(٧) نسيتهُ .

(١) في اللسان : « حَقِيدٌ ، وحقَّدَ معاً » .

(٢) نقله ياقوت في الإرشاد ٣٩٥/٥ .

(٣) في الإرشاد : « عندهم ذلك » .

(٤) عن الإرشاد .

(٥) في الإرشاد : « فقال : ما هو » .

(٦) في الإرشاد : « نسيته » .

(٧) في الإرشاد : « فلما استحال عن السلامة » .

قال : وما حيلولتها ؟

قلتُ : نظر الصّاحِبُ بغَضَبٍ ، فوجِبَ في حُسْنِ الأدبِ أن لا يقال
ما يُشيرُ الغَضَبُ .

فقال : ومن تكونُ حتى يُغضبَ عليك ؟ دَعِ هذا وهات !

قلت : قال الشاعر :

أَلَا لَمْ عَلَى أَخْذِ الْقَلِيلِ وَإِنَّمَا أَصَادِفُ أَقْوَامًا أَقَلَّ مِنَ الذَّرِّ
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَخْذُ قَلِيلًا حُرْمَتُهُ وَلَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ يُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ
فَسَكَّتْ .

وكان ^(١) ابن عبّاد ورَدَ إلى الرِّيِّ سنة ثمان وخمسين مع مؤيّد
الدولة ^(٢) ، وحضّر مجلس ابن العميد أبي الفضل ، وجرى بينه وبين
مِسْكُويَه كَلامٌ ، ووقع تجاذب .

قال مِسْكُويَه : فدعني حتّى أتكلّم ، ليس هذا نصفة ، إذا أردت
أن لا أتكلّم فدع على فمي نخدة .

فقال له : أنا لا أدع على فمك نخدة ، ولكن أدع فمك على المخذة .

وطارت النّادرة ، واصمقت وشاعت وبقيت .

(١) نقله ياقوت في الإرشاد ٣٠٠/٢ .

(٢) مرت ترجمته .

فأما حديثُ ابنِ عبّادٍ مع أبي عبد الله الحصريّ فمن الطرائف ؛ كان هذا الحصريّ من أسقط الناس وأنذلهم ، فلما ورد ابن عبّاد الرّيّ تقرب إليه ، وعرض نفسه عليه ، وسأل أن يلقنه المذهب ^(١) ، فحقّره ابن عبّاد ، وكان لا يهشّ له .

فجعل الحصريّ يقف في الأسواق والشوارع العظام ، والمربعات
الكبار ، ويُنَادِي بصوتٍ جَهِيرٍ ويقول :

ادعُوا الله للصّاحب الجليل ، إسماعيل الذي ليس له في الدّنيا عدل !
ثم يقول بالفارسيّة : فإنّه قد بسط العدل ، وأحيّا العلم ، وبثّ المسكّر ،
وآوى الغرباء ؛ لا يشرب الخمر ، ولا يعفج ^(٢) الغلمان ، ولا يخلو ^(٣)
بالمردان ، ولا يتقحب بالنساء ^(٤) ، ولا يأخذ الرّشا ، ولا يقبل المصانعات ؛
نهاره في الملوك ، وليله في دراسة العلم .
وأشبهه هذا الكلام الشّنيع .

وكان المنظر عجيباً ، والمسمع أعجب . وكان أهل الرّيّ يقفون

(١) يعني مذهب « الاعتزال » .

(٢) العفج : فعل قوم لوط ، ويكنى به عن الجماع .

(٣) في الأصل : « يخلوا » .

(٤) يتقحب : يفجر ؛ وأصل الفحاح : السعال ، وكان في الجاهلية

يؤذن بإرادة الفجور .

وَيَسْمَعُونَ وَيَضْحَكُونَ وَيَسْخَرُونَ ، وَالْبَلَدُ يَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ النُّوَادِرَ
وَالْعِمَارَةَ ^(١) .

فَإِذَا تَوَالَى ذَلِكَ مِنْهُ ، نُعِيَ إِلَى ابْنِ عَبَّادٍ ، وَشُنَّعَ بِهِ عَلَى الْحَصِيرِيِّ ،
وَاسْتُؤْذِنَ فِيهِ لِيُنْهَى عَنْهُ وَيُزَجَرَ .

٥ فَقَالَ : ' لَا تَفْعَلُوا فَإِنَّ بَالَهُ يَنْكَسِرُ ، وَنَشَاطُهُ يَذْهَبُ ، دَعُوهُ عَلَى
شِدَّتِهِ فِي الْمَذْهَبِ وَحَدِّثْهُ عَلَى أَهْلِ الْكُذِبِ .

وَكَانَ لَهُ آخِرُ يُدَقِّمُهُ الْمَذْهَبَ بِالْفَارْسِيَّةِ ، وَيُقَالُ ^(٢) لَهُ : اجْلِسْ فِي الْأَسْوَاقِ
عِنْدَ الْبَاقِلَانِيِّ ^(٣) وَعِنْدَ الصَّيْدَلَانِيِّ ^(٤) ، وَعِنْدَ الْمَرَّاقِ ^(٥) ، وَعِنْدَ الْمُرَّاسِ ^(٦) ،
وَاطْرَحْ لَهُ حُسْنَ « الْعَدَلِ وَالتَّوْحِيدِ » ، وَادْعُهُ إِلَى الْمَذْهَبِ ، وَلَكَ
١٠ مَشَاهِرَةٌ تَدْرُ عَلَيْكَ ، وَبِرٌّ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَصِلُ إِلَيْكَ ، وَلَكَ الْجَاهُ
الْعَرِيزُ فِي الْوُصُولِ إِلَيَّ ، وَالْخُلُوةُ مَعِيَ : وَكَانَ يَقَالُ لِهَذَا الرَّجُلِ
الْفُقَّاعِيِّ .

(١) الميارة : النقد واستقصاء العيوب .

(٢) كذا بالأصل ، وكان الوجه : « ويقول له » .

(٣) الباقلائي : بائع الباقلاء .

(٤) الصيدلاني : نسبة لمن يبيع الأدوية .

(٥) المراق : بائع المرق .

(٦) المراس : بائع المريساة أو صانعها .

ورأيتُ آخرَ يقال له أبو عليّ الإسكاف ، وكان أشفَّ من
الفُقاعي ، على هذا ؛ وكان يقال لهؤلاء دعاة الصّاحب ، وخاصة
الصّاحب .

واجتهد^(١) بالحُسين^(٢) المتكلم السُّكَلابي أن ينتقل إلى مذهبه ،
فتلطّف حُسين وقال : أيها الصّاحب ! دعني حتى أكون مشحذاً لك ،
فما بقي غيري ، وإن دخلتُ في المذهب لم يبق بين يديك من تنشؤ^(٣)
عليه قبجحه ، وتُبدِي للناس عُواره .

فضحك من كلامه وقال ؛ قد أعفيناك يا أبا عبد الله ، وبعدُ فما
نبخل عليك بنار جهنم ، أصل بها كيف شئت !

قال لنا حُسين بعد ذلك ؛ يا قوم ! أتراني أصلى بنار جهنم وعقيدي
وسيرتي معروفتان ، ويتبوّأ هو الجنة مع قتل الأنفس المحرّمة ،
وركوب المحظوراتِ العظيمة ؟

إنَّ ظنّه بنفسه لعجَب ، والله لو كان من المرجئة^(٤) لكان مخوفاً

(١) نقله باقوت في الإرشاد ٣٠٠/٢ .

(٢) في الإرشاد « واجتهد بأبي الحسين » .

(٣) تنشؤ : تنشر وتذيع ، وفي الأصل : « تنشوا » .

(٤) المرجئة : فرقة إسلامية ترجى الحكم على مرتكب الكبيرة فلا تحكم
عليه بشيء . انظر مقالات الأشعري ١٣٢/١ وما بعدها

عليه ، فكيف وهو يدعي الوعيد^(١) ، ويخوف بالتخليد^(٢) ؟ لحنا
الله الوقاح .

وقال يوماً : ما صدر قول الشاعر^(٣) :

« والمشرَّبُ العذبُ كثيرُ الزَّجَامِ » ؟

فسكت الجماعة .

٥

فقال : قد — والله — فشا النقص ، وذهب الحفظ ، ومات الأدب .
فقال ابن الرَّاظي : صدره :

« يزدهم الناسُ على بابه »

فأقبل عليه بغيظ ، وقال : ما عرفتُك إلا متمجرِّفاً جاهلاً ، أما كان
لك بالجماعة أسوة ؟

١٠

وسمَّته يقول : كان أبو الفضل^(٤) مطبوعاً على معرفة الشعر ، وكان

(١) تقدم القول في الوعد والوعيد ص ١٥٢ — ١٥٣ .

(٢) المعنى أن من ارتكب كبيرة ولم يتب فحكم الله فيه أن يخلد في النار .
وهذا مذهب المعتزلة .

(٣) القصة في الإرشاد ٢ / ٣٠٠ — ٣٠١ ، ونسب البيت في محاضرات
الراغب ٢٤٢/١ لبشار (٤) ، وورد غفلاً في المختار من شعر بشار ٩٥ ، وعيون
الأخبار ٩٠/١ ، ومحاضرات الراغب ٢٥٦/١ ، وديوان المعاني ٢٤٤/٢ .

(٤) يعني أبا الفضل ابن العميد .

لا يخفى عليه جَيْدُهُ من رديّه . وكان يُعجب بقول الشاعر^(١) :

وجاءت إلى باب من السّجف بيننا مُجافٍ وقد قامت عليه الولائدُ
لَتَسْمَعَ شمري وهو يقرع قلبها بوحى^(٢) تؤدّيه إليها القصائدُ
إذا سمعت معنى لطيفاً تنفّست له نفساً تنقذ منه القلائدُ

ثم قال : هذا والله القولُ ، وأنا أعجب بقول الآخر حين يقول : ٥

مازلت أهواك سؤالَ قلبي مادمت بين الأنام حياً
وكيف يسأل^(٣) هواك قلبُ سقيته من هواك رياً
أولى لك الله ثم أولى أما خشيت العقاب فياً
جئت إلينا بغير وعدٍ يا حبّ من زارنا بدياً
حتى إذا ما ملكت قلبي وازددت حسناً نعمَ وزياً ١٠
نفرت نفرَ الطباء عنا فصارَ من دونك الثريّا

(١) الأبيات في الوفيات ٧٧/٢ برواية : « وجاءت إلى ستر على الباب ...

نخاف » .

(٢) في الأصل : « بوحى » .

(٣) في الأصل : « يسألوا » .

وسنوسّع هذه الرسالة بعدَ هذا التطويل ببعض ما يكون حجةً
أو عُذراً ، وإن اعترض حديثُ سُقْنَاهُ عَلَى غَرَّةٍ^(١) ، وعَرْضْنَاهُ عَلَى حُلُوه
ومُرّه ، ولولا أن الفائدة — أبقاك الله — في سماع هذه الأشياء ومعرفة
هذه الأحوال أضعافُ الفائدة في الإضراب عنها ، لكان السكوتُ
مُمكناً ، والإمساكُ مُستطاعاً ، والسَّلمُ واقعاً ، والإعفاء سهلاً ؛ ولكن
الخبرة لا تقع ، واليقظة لا تحدث ، والتجربة لا تستحكم ، والطبع لا يرتاض
حتى تنصفح الأمور ، وتتعبّب الدُّهور ، وتأخذ نصيبك من الاعتبار ،
وتبعث همّتك على محمود الاختيار ؛ والشاعرُ يقول :

ومن يطُل عَيْشُهُ لَا تَلْقَهُ غَمْرًا وفي الحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ تَجْرِبُ

وقال آخر^(٢) :

أخو خمسين مُجْتَمَعٍ^(٣) أَشْدِي وَنَجْدِي مُدَاوِرَةُ الشُّؤُونِ^(٤)

(١) الغَرَّةُ ، بفتح الغين : التثني في الثوب والجلد والكتاب وغيرها .
والمعنى : سبقنا الحديث على ما فيه .
(٢) هو سحيم بن وثيل الرياحي . والبيت في الأصميات ٦/١ ، واللسان
(نجد) .

(٣) الأصميات : « مجتمعا » .

(٤) نَجْدِي : حنكني وعرفني الأشياء . ومداورة الشُّؤُون : معالجة الأمور .

وقال الآخر^(١) :

ألم تر ما لاقيت والدهرُ أعصر ومن يتعمل العيشَ^(٢) يراً ويسمع^(٣)

وقال لي بعضُ أصحابنا حينَ وقفَ على جُرْامة^(٤) هذا الكلام :

قد كشفت طائفتين كبيرتين ، وحملتَهما على عداوتك والإرصادِ لك ،

يعني المتكلمين والمتفلسفين ؛ فإنَّ هذه لا تصبرُ لك على ثلبك ابنَ عباد .
وهذه لا تسكتُ عنك في نيلك من ابن العميد .

فقلتُ له : متى كان الخضمُ مُنصِيفاً ، وكان مُدِلاً بالحق متوقفاً ، فإنَّ

القولَ معه يسهُلُ ، والجِدالُ يخفُّ ، والحديثُ يُفيدُ ؛ وهل أنا إلا كمن

قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث^(٥) : يا رسول الله :

رَضِيتُ فقلتُ أحسنَ ما عَرَفْتُ ، وغَضِيتُ فقلتُ أقبحَ ما عَرَفْتُ . فلم

يُنكر ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وأنا أروي لك القِصةَ لِتكون

الفائدةُ أظهرَ ، والحجةُ أنورَ .

(١) هو الأعم بن جرادة السعدي . والبيت في أمالي الزجاجي ٤٧ غير

منسوب ، وفي اللسان (رأى) .

(٢) رواية اللسان : « ألم ترأ يتعمل الدهر يرأى ويسمع .

(٣) الرفع في « يسمع » على الاستئناف ، لأن القصيدة مرفوعة .

(٤) في الأصل : « حرامة » . والجرامه هنا : القطة

(٥) مر الحديث ومراجع القصة .

قال عمرو بن الأهتم للزُّبرقان ، حين قال له النبي عليه السلام :
ما عِلْمُكَ فيه ؟

قال : أعلم أنه قد نَجَمَتْ له مُرُوءَةٌ ، وأنه مُطَاعٌ في قَوْمِهِ ، وأنه
مانعٌ لما وراء ظهره .

فقال الزُّبرقان : أما والله لقد ترك ما هو أفضل من هذا ٥

فقال عمرو : أما إذ قال ما قال فهو ما علمتُ أحقُّ الأب ، لثيمِ
الخال ، زَمِرٌ^(١) المروءة ، حديثُ الغنى ؛ ولقد صدقتُ في الأولى ، وما
كذبتُ في الأخرى .

وضحك رسولُ الله صلى الله عليه .

فقال عمرو : يا رسول الله ! لقد غضبتُ فقلتُ أقبح ما عرفت ،
ورضيتُ فقلتُ أحسن ما عرفت . ١٠

فقال النبي صلى الله عليه [عليه] : « إنَّ من البيانِ لِسِحْرٌ » .

فهذا هذا ، على ما رواه ابن الأعرابي .

ومن أظلم ممن طاب من السّاخِطِ ما لا يوجد إلا عند الرّاضي ، وطلب
من الرّاضي ما لا يصاب إلا عند السّاخِطِ ؛ ومن كان كذلك فقد ردّ الأمور ١٥

(١) زمر المروءة : قليل المروءة .

على أعقابها ، وأتى المطالب من غير أبوابها . ولكل واحد من الرازي
والساخط شاكلة يعمل عليها ، وشيمة يظهر بها . على أني ما بهرجت^(١)
مذهب المتكلمين^(٢) ، ولا زيفت مقالة المتفلسفين . وإنما قلت في أولئك
إنهم ادعوا « العدل » وعملوا بالجور ، وأمرؤا بالمعروف وركبوا
المنكر ، ودعوا الناس إلى الله بالقول ونفروا عنه بالفعل ، ولم يرجعوا
فيما نصره وذبوا عنه إلى ورع ظاهر وتحرج معروف ، ويقين لا خلاج^(٣)
فيه ، كما كان عليه سلفهم وأعلامهم ؛ واصل^(٤) ، وعمرو^(٥) ، والحسن^(٦)
ومن جرى نجراهم .

وهذا ما لا أحتاج إلى الاعتذار منه ؛ فإني سمعت الديانين منهم يقولون
هذا فيهم ، ويروونه من الداء الذي قد أعضل عليهم .

(١) بهرجت : أبطلت ورددت .

(٢) يعني بالمتكلمين هنا : المعتزلة خاصة ، ويدل على هذا قوله الآتي بإثره :

« ادعوا العدل » .

(٣) لا خلاج فيه : لا شك فيه .

(٤) واصل بن عطاء ، وتقديم التعريف به .

(٥) عمرو بن عبيد ، وتقديم أيضاً .

(٦) الحسن البصري ، وتقديم كذلك . وعده أبو حيان كما نرى من أعلام

المعتزلة ، وكذلك فعل ابن النديم في قسم المعتزلة من الفهرست ، وهو قسم
لا يوجد في الفهرست المطبوعة ، وهو صنيع له مبرراته ، والحديث عنه مستقصى
فيما علقناه على ترجمة الحسن البصري من فهرست ابن النديم .

ثم إني ما رأيت أحداً سكت عن أحدٍ من سُفَهائهم تغافلاً عنه أو
حصراً^(١) له إلا ورأيتَه يَقُول وَيُطَنِّب في ابنِ عبادٍ غير خاشٍ ولا مُتَحاشٍ ،
لِعِظَمِ الآفَةِ بِهِ عَلَى المَذْهَبِ ، وتُفَاقِمِ الأمرِ بِمَكَانِهِ عَلَى أَهْلِهِ .

وما قولي هذا فيهم إلا كقولك يومَ اجتماعنا في مَقْبَرَةِ مَعْرُوفِ
الكَرْخِيِّ^(٢) لِبَعْضِ الشَّيْعَةِ : لو كُنْتَ دَائِماً بِحُبِّ آلِ الرِّسُولِ مَعْتَقِداً
لَشَرَفِ العِترَةِ^(٣) راجِعاً إِلَى صِحَّةِ السَّرِيرَةِ والعَقِيدَةِ لظَهَرَ ذَلِكَ فِي
عِفَّتِكَ وورِعِكَ ، وصَلَاتِكَ وصِيَامِكَ ، وَحُجَّكَ ، وعبادَتِكَ واجتهادِكَ ،
وصدقتِكَ ومواساتِكَ : مع إِحْيَاءِ اللَّيْلِ وإِظْمَاءِ النَّهَارِ ، واقتداءِ بِالَّذِينَ
إِيَّاهُمْ تُحِبُّ ، وعنهم تَذُبُّ : ولم تكن تَقْنَعُ مِنْ جَمِيعِ نَحَاسِنِ المَذْهَبِ بِسَبَبِ
السَّلَفِ وتَضْلِيلِ الأُمَّةِ ، وثَلَبِ الصَّالِحِينَ وتَكْفِيرِ السَّابِقِينَ وتَدْنِيسِ
الطَّاهِرِينَ . ٥ ١٠

(١) أي إخفاء لعيبه . وكأن المعنى مأخوذ من قولهم « رجلٌ حَصَرٌ :
كثومٌ للسر » .

(٢) معروف بن فيروز ، أو الفيرزان أو ابن علي الكرخي ، أبو محفوظ .
من جَلَةِ مشايخ الصُّوفِيَّةِ وقدمائهم . وقبره ببغداد يُتَبَرَّكُ بِهِ ، ويُقَالُ « قَبْرُ
مَعْرُوفِ التَّرْيَاقِ المَجْرِبِ » . تَوَفَّى سَنَةَ ٢٠٠ هـ عَلَى خِلافِ ، طَبَقَاتِ السَّامِيِّ ٨٣ - ٩٠ .
(٣) عِترَةُ الرَّجُلِ : أَقْرَبَاؤُهُ مِنْ وَلَدٍ وَغَيْرِهِ . وَالْمُرَادُ هُنَا عِترَةُ النَّبِيِّ ﷺ
خَاصَّةً .

فقولك لهذا الرجل الشيعي هو قولي للمتكلّم إذا كان دعيّاً ، ولم
يسكن في مذهبه برّاً تقيّاً .

وأما ابن العميد ، فمن هذا الذي يتفلسف على بصيرة ومعرفة ،
وهو يرضى سيرته ، ويحمد هديّه ، ويراه قدوةً ويمثله سعيديّاً ؟

٥ كأنّ الفلسفة إنما تكون بالدّعوى باللسان ، من غير عملي ومعاملة
ورياضة ، وقمع للشهوة إذا غلبت ، ورذيع للنفس إذا طغنت ، واستصلاح
للأمر بالعدل المؤثر فيها ، وطلب السعادة والفوز في العاقبة على ما رسمه
علمائوها ، وحقّقته حكمائوها .

هيئات اظنّ لا تسافر فيه العين ، وقول لا يصبر على لفح الكير^(١) .
١٠ فليت شعري بعد هذا من الخضم الذي يركب البهت^(٢) ، ويدفع العيان ،
ويسحر العقول ، وي طرح الأذهان ، ويقول : ليس القول بالعدل والتوحيد ،
والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر إلا ما هو عليه ابن عباد ، ولا الفلسفة
إلا ما كان يختاره ابن العميد ؟

(١) الكير : الرق الذي ينفخ فيه الحداد . ولفح النار : حرها . وكأنّه
يعني أن هذا قول لا يثبت للنقد والتجربة .
(٢) البهت : الباطل والكذب .

هذا ما لا يقوله أحد ممن له عقل ونهى^(١) ، ولا يجترىء عليه من له حجر وحجبا^(٢) ، خاصة إن كان ممن يربُّ^(٣) مروّته بالحق ، ويصون كلمته عن الكذب ، ويغار على عقله من تعنيف معنّف ، ويأنف لنفسه من لومة لا ثم .

٥ سمعتُ القاضي أبا حامد المروروذي^(٤) يقول ، وكان سيّد الفقهاء في وقته ، وإمام أصحابه في عصره ، وعجيب الفضل في جميع أموره : لو أنّ رجلين ظاهرين زكّيا رجلاً عند الحاكم ، ثم سأل الحاكم الآخرين مرصّيين عن ذلك المزكّي بعينه فجرّاه لكان الحاكم لا يقف ولا يتخيّر ولا يعيا ولا يحصر ، ولكنّه يقدّم الجرح على التزكية ويعمل به^(٥) دونها ، ويصير إليه تاركاً لها ؟

فإن قلت : ما الحكمة في هذا ؟
قيل لك : إن اللذين زكّيا قالوا بالظاهر ، وربما يكثر مثله ، ويغلب شبيهه ، وربما يُتكلف نظيره بالرياء والسمعة ، والنفاق والخديعة ،

(١) النهي : العقل .

(٢) الحجر : العقل ، والحجبا : الفطنة .

(٣) رب : يربي .

(٤) مرت ترجمة أبي حامد المروروذي .

(٥) في الأصل : « بها » .

والتَّحْتَلُّ والحيلة ؛ فلو لم يكن هذا لأَمْضِيَتْ التَّزْكِيَةُ عَلَى ظَاهِرِهَا ، وعَمِلَتْ
بِهَا ، وسَكَنْتُ إِلَيْهَا . فَأَمَّا إِذَا اسْتَظْهَرْتُ فَسَأَلْتُ آخَرَيْنَ مَرْضِيَيْنَ عَنْ
الْمَزْكِيِّ فَجَرَّحَاهُ ، فَكَأَنَّمَا عَلِمَا مِنْ بَاطِنِ أَمْرِهِ وَخَافِي حَالِهِ وَكُنْهَ غَيْبِهِ ،
وَمَطْوِيَّ شَأْنِهِ مَا تَوَارَى عَنْ عِرْفَانِ مَنْ زَكَّاهُ ، وَخَفِيَ عَلَى بَحْثٍ مِنْ
عَدْلِهِ . فَكَانَ هَذَا عِنْدِي بِالْقَبُولِ أَوْلى وَالْعَمَلُ بِهِ أُخْرَى .
٥

هذا ما قاله هذا الرجل العالم ، وهلك سنة ثلاث وستين
وثلاثمائة (١) .

وابن عباد — حَفِظَكَ اللَّهُ — ليس بصغير القدر ، وابن العميد لم
يكن خامل الذكر ، وما فيهما إلا من هو غرة زمانه ، وتاريخ دهره ،
لنبأته وصيته ، وطول أيامه وامتداد دولته ، ومواتاة مُرَادِهِ ، وطاعة
الناس له ، وتوجه الأَطْمَاعِ إِلَيْهِ ؛ فَكَيْفَ يُجَزَّفُ (٢) الْحَدِيثَ عَنْهُمَا
مَجْزَفٌ ، وَيُلْزَقُ الْكَذِبَ بِهِمَا مُلْزَقٌ ، أَوْ يَدَّعِي الْبَاطِلَ عَلَيْهِمَا مُدَّعٍ ؟
هذا ما لا يَطْمَعُ فِيهِ حَصِيفٌ (٣) ، وَلَا يَعْمَلُ عَلَيْهِ عَانِلٌ ؛ وَلَسَكُنَّ
حَدِيثَ الدِّينِ وَالسَّكْرَمِ وَالْعَمَلِ وَالْمَجْدِ وَالسَّيْرَةِ وَالْهَدْيِ وَالْجُودِ وَالْبَذْلِ ،

(١) في طبقات السبكي ١٨٣/٢ أنه توفي سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) يجزف : يلقي القول جزافاً من غير تحرر .

(٣) الحصيف : الحكم الرأي .

ليس من حديث الجدّ والفتح^(١) والختال والإفناق^(٢) والدولة والسنة
والمرتبة في شيء .

اللهم إلا أن يكون الفضل^(٣) كله عند هذا المخالف في كتاب
ينشأ^(٤) ومعنى يقتضب، وقصيدة تُشد، ورسالة تُجبر، ومسألة تُداول
بالمي والبيان، ودعوى تُتناقل بالشبهة، وعريضة تُشقق تشقيقاً، وكلمة
تُزوّق تزويقاً، وباطل يُنصر لحاجة تدعو^(٥) إليه، وحق يُرفض
لأمر يُحمل عليه، وخصم يُفحم بما غث وسمين، وشبهة تُركب بما
ظهر وبطن .

أو يكون الفضل عنده، والتّمأم لديه / في الأمر والنهي، والعزل
والولاية، والقبض والمصادرة، والكيد والغيلة، والاستخراج والحيلة،
والغاشية والحاشية، والخدم [والحشم]، والدور والقصور، والمراكب
والمواكب، فيكون كل ما يدّعيه الخصم مقبولاً، وكل ما ياباه مرذولاً؛
فأما أنت يكون الفضل^(٣) — بإجماع الأولين والآخرين، والمضامين

(١) الفتح : النصر .

(٢) الختال : الخادعة ، وفي الأصل : « الختال » . والإفناق : الرواج .

(٣) في الأصل : « الفصل » .

(٤) في الأصل : « ينشئ » .

(٥) في الأصل : « تدعوا » .

والغابرين^(١) — في الدِّينُونَةِ والتَّائِهَةِ والعَفَافِ والتَّحَرُّجِ والكَرَمِ ، والطَّهَارَةِ
والتَّقَرُّزِ والنِّزَاهَةِ والرَّقَّةِ والرَّحْمَةِ والجُودِ والعَطِيَّةِ والحِلْمِ والعَفْوِ والإِبْقَاءِ
وَالْإِغْضَاءِ وَالْوَفَاءِ وَالْإِرْضَاءِ وَالتَّمَاغِلِ وَالتَّسْمِيحِ وَالْبِرِّ وَالتَّعَهُدِ ، وَالبِشْرِ
وَالطَّلَاقَةِ ، وَالدَّمَائَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَطَلَبِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ،
إِمَّا لِلْسَّاعَةِ وَإِمَّا لِلْأَبَدِ ، فَيَنْبَغِي عَلَى هَذَا أَنْ لَا يَكُونَ لِكَلَامِ الْخَصْمِ
سَامِعٌ ، وَلَا لِدَعْوَاهِ مُصَدِّقٌ وَلَا لِحُكْمِهِ مُجِيزٌ .

قُلْتُ لِأَبِي الْوَفَاءِ الْمُهَنْدِسِ^(٢) ، وَكَانَ قَدْ رَجَعَ مِنْ عِنْدِ ابْنِ عَبَّادٍ ، لَقِيَهُ
بِحُرْجَانٍ مُؤَدِّيًّا إِلَيْهِ رِسَالَةً مِنْ بَغْدَادَ ، لَقِيَتْهُ بِالْمَرْجِ فِي لَيْلَةِ عَمِيَاءَ بِالْمَطَرِ
وَالْبَرْدِ وَالتَّلَجِّجِ وَالسَّيْلِ الْعَرَمِ : كَيْفَ شَاهَدْتَ ابْنَ عَبَّادٍ ، فَإِنَّكَ صَيَّرْتَهُ
النَّاسَ فِي النَّاسِ ؟

فَقَالَ : يَقَالُ لِمِثْلِهِ عِنْدَنَا بَنِيْسَابُورَ طَبْلُ هَرْتَمِيٍّ ، وَيَقَالُ لِمِثْلِهِ عِنْدَ
إِخْوَانِنَا بِيْنْدَادَ : مَا دَحُ نَفْسِهِ يَقْرَأُكَ السَّلَامَ ؛ وَهُوَ مَعَ هَذَا عِنْدَ أَصْحَابِهِ
رَقِيعٌ طَيِّبٌ ، وَعِنْدَ الْكُتَّابِ أَحْمَقُ غَلِيظٌ ، وَعِنْدَ سَفَلَةِ الْمُعْتَزِلَةِ وَاحِدٌ
الدُّنْيَا ، وَعِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ طَائِرٌ طَرِيفٌ ، وَعِنْدَ الصَّالِحِينَ ظَلُومٌ قَاسٍ ،

(١) الغابرين : الآتين .

(٢) محمد بن محمد بن يحيى البوزجاني . وقد مرَّ .

وَعِنْدَ اللَّهِ فَاسِقٌ حَاصٍ ، وَعِنْدَ أَهْلِ بَلَدِهِ أَفَّاكٌ أَثِيمٌ ، وَعِنْدَ الْجُمْهُورِ
شَيْطَانٌ رَجِيمٌ .

وقلت^(١) لأبي السلم تحية^(٢) بن علي الشاعر القحطاني : أين ابنُ عبّادٍ
من ابن العميد ؟ فقد^(٣) زرتهما مُنتَجِمًا ، ورزُتَهما^(٤) جميعًا .

فقال : كان ابنُ العميد أَعْقَلَ ، وكان يدّعي الكرمَ ، وابنُ عبّادٍ
أَكْرَمَ ، وهو يدّعي العقلَ ؛ وهما في دعوييهما^(٥) كاذبان ، وعلى سَجِيَّتَيْهِمَا
جاريان .

أَنشَدْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ ذَاكَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِي دَوْلَةِ أَمْرٍ جَمَالٌ^(٦) وَلَا مَالٌ تَمْنَى انْتِقَالَهَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهَا غَيْرَ أَنَّهُ يُؤْمَلُ أُخْرَى وَهُوَ^(٧) يَرْجُو زَوَالَهَا ١٠

(١) نقله ياقوت في الإرشاد ٣٠١/٢ .

(٢) في الإرشاد : « نجيّة » .

(٣) في الإرشاد : « فقال » .

(٤) رزتهما : جربتهما وخبرتهما .

(٥) في الإرشاد : « دعواهما » .

(٦) في الإرشاد : « في ظل دولة : جمال » .

(٧) في الإرشاد : « فهو يرجو » .

فَرُفِعَ إِلَيْهِ إِنْشَادِي، فَأَخَذَنِي وَأَوْعَدَنِي، وَقَالَ [لِي] : انْجُ بِنَفْسِكَ
فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتَكَ بَعْدَ هَذَا أَوْلَعْتُ ^(١) الْكِلَابَ دَمَكَ .

وَكُنْتُ قَاعِدًا عَلَى بَابِ هَذَا مِنْذُ أَيَّامٍ فَأَنْشَدْتُ الْبَيْتَيْنِ عَلَى سَهْوٍ ،
فَرُفِعَ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ ، فَدَعَانِي وَوَهَبَ لِي دُرِيهَمَاتٍ وَخُرَيْقَاتٍ ، وَقَالَ :
لَا تَتَمَنَّ أَنْتَقَالَ دَوْلَتَنَا بَعْدَ هَذَا .

وَأَبُو السَّلَمِ هَذَا مِنْ أَغْزَرِ النَّاسِ فِي الشَّعْرِ ، يُحْفَظُ الطَّمَّ وَالرَّمَّ ^(٢) ،
وَكَانَ طَيِّبَ الْإِنْشَادِ ، رَخِيمَ النِّعْمَةِ . أَنْشَدَنِي لَابِنْ حَسَانَ ^(٣) :

إِنْ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ
لَا تَطْمَعًا طَمَعًا يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ ^(٤) إِنْ الْمَطَامِعُ فَقَرٌّ وَالْغِنَى الْيَأْسُ
لِلنَّاسِ مَالٌ وَلِي مَالَانِ مَالُهُمَا ، إِذَا تَحَارَسَ أَهْلُ الْمَالِ ، حُرَّاسُ
مَالِي الرِّضَا بِالَّذِي أَصْبَحْتُ أَمَلِكُهُ وَمَالِي الْيَأْسُ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ

(١) أَوْلَعْتُ : سَقَيْتُ .

(٢) كُنَايَةٌ عَنْ كَثْرَةِ الْمَحْفُوظِ .

(٣) الْآيَاتُ - بِاخْتِلَافٍ فِي الرِّوَايَةِ - فِي الْإِرْشَادِ غَيْرُ مَنْسُوبَةٍ ، وَالْأَوَّلُ
مِنْهَا فِي دِيْوَانِ الْمَعَايِ ٢/ ٢٠٠ مَنْسُوبًا لِبَعْضِ الْجَعْفَرِيِّينَ ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِ
الْخُنَسَاءِ ١٥٥ (بَيْرُوت ١٨٩٦ م) ، وَالشَّرِيشِي ٢/ ٢٥٣ - ٢٥٦ . وَالنَّظَرُ شَرَحَ
شَوَاهِدَ الْمُتَفَنِّي لِعَبْدِ الْقَادِرِ الْبَغْدَادِيِّ ١١٧ ب (نَسْخَةٌ خَاصَةٌ) ، وَخَزَانَةُ
الْأَدَبِ ٢٠٩/١ .

(٤) الطَّبَعُ : الدَّنَسُ وَالْعَيْبُ .

وقال لي الخليلي^(١) : الرجلُ مجنونٌ ، يَعْنِي ابنَ عبادٍ ، وفي طبَّاعِ
المعامين . [سمعته]^(٢) وهو يقول للتميمي الشاعر : كيف تقولُ الشعرُ ؟
وإن قلتَه كيف تُجيدُه ؟ وإن أجدت كيف تَعزُّرُ فيه ؟ وإن غزرت فيه
فكيف تروم غايةً وأنت لا تعرفُ ما الزَّهْلِقُ^(٣) وما الهَبْلَعُ^(٤) ، وما
المُثْلِطُ^(٥) ، وما الجَلَمَلَعُ^(٦) ، وما القَهْقَبُ^(٧) ، وما الطَّرْطُبُ^(٨) ، وما
القَهْبَلِيسُ^(٩) ، وما الخَيْسَفُوجُ^(١٠) ، وما الخَزْعِبَلَةُ^(١١) ، وما القُدْعِمَلَةُ^(١٢) ،

٥

(١) كذا في الإرشاد ، وفي الأصل : « الخليلي » .

(٢) عن الإرشاد .

(٣) الزهلق : الحمار الهملاج السمين ، وموضع النار من الفتيل ، والسراج ،
والخفيف السريع من الناس ، والريح الشديدة .

(٤) الهبلع ، بوزن درهم وعمَلَس : الواسع الحنجور ، والعظيم اللقم ،
والأكول ، والكلب السلوقي ، واسم كلب ، والرجل اللثيم .

(٥) المثلط : اللبن الخاثر .

(٦) الجلملع : الحديد (الشديد) النفس ، والخنفساء ، والضبع . وفي
العباب عن ابن عباد : القنفذ .

(٧) القهقب : الطويل ، والضحخم المسن ، والصلب الشديد ، والباذنجان .

(٨) الطرطب : الثدي الضخم المسترخي الطويل .

(٩) القهبليس : الضخمة من النساء ، والأبيض الذي تعلوه كدرة .

(١٠) الخيسفوج : حب القطن ، والعشعر ، وهو شجر عريض الورق له
صمغ حلو .

(١١) الخزعبلة : الفكاهة والمزاح ، واسم من أسماء العجب .

(١٢) القدعملة : القصير الضخم من الإبل ، والمرأة القصيرة الخسيسة .

وما العرومط^(١) ، وما السرومط^(٢) ، وما الدودري^(٣) ، وما
المكورري^(٤) ، وما العفشليل^(٥) ، وما القفشليل^(٦) ، وما
الجلعمبي^(٧) ، وما القرشب^(٨) ، وما الصقعل^(٩) ، وما الجرذخل^(١٠) ،
وما الدرديس^(١١) ، وما الطرطيس^(١٢) ، وما العلطيس^(١٣) ، وما

- (١) كذا في الأصل . ولم أجد الكلمة بصورتها هذه في المعاجم التي بيدي .
(٢) السرومط : الطويل من الإبل ، ووعاء يكون فيه زق الخمر ونحوه ،
والرجل الذي يسترط كل شيء ويبتلمه . وفي الأصل : « السرومط » .
(٣) الدودري ، بفتح الدالين والراء : العظيم الخصيتين (ل - درر) .
(٤) المكورري : اللثيم الخلق القصير .
(٥) العفشليل : المعجوز المسنة ، والكساء الكثير الوبر ، والضبع (ل) ،
والرجل الجافي القليظ . وقال ابن عباد : يوصف به الضبعان (عن الباب - عفشل) .
(٦) القفشليل ، القفشلية : المغرفة فارسية معربة ، وفي الأصل :
« القفشليل » : ولم أجدها .
(٧) الجلعمبي : الرجل الجافي الكثير الشعر .
(٨) القرشب : الضخم الطويل من الرجال ، والأكل ، والرغب البطن ،
والسيء الحال ، والمسن .
(٩) الصقعل : الثمر اليابس ينقع في المحض .
(١٠) الجرذخل : الضخم من الإبل ، والوادي ، والرجل القليظ الضخم .
(١١) الدرديس : خزانة سوداء تتجيب بها المرأة إلى زوجها ، والشيخ
الكبير ، والمعجوز المسنة ، والداهية .
(١٢) الطرطيس : الكثير من كل شيء ، والناقة الخوارة ، والمعجوز المسترخية
كالدرديس .
(١٣) العلطيس : الكثير الأكل ، والجارية الحسنة القوام ، والضخمة
الشديدة العالمة .

الجرعبي^(١) ، وما الخنمبي^(٢) ، وما العباريد^(٣) ، وما العبايد^(٤) ،
وما العباديد^(٥) ، وما النقب^(٦) ، وما الجرفاس^(٧) ، وما اللؤوس^(٨)
وما النعثل^(٩) ، وما الطربال^(١٠) ؟

وما معنى : إنه لظريف ولا تباعة^(١١) ؛ وما الفرق بين المذم

-
- (١) الجرعبي : الغليظ (عباب — جرعيل) .
(٢) الخنمبي : كذا ، ولم أجدها .
(٣) المباريد ، كذا في الأصل ، وفي اللسان والتاج : جارية عمارد
كملابط : بيضاء ناعمة ، وغصن عمارد ناعم .
(٤) العبايد : الفرق من الناس (عن العباب) ، والخيل المتفرقة في ذهابها
ومجيئها . (عن التاج) .
(٥) العباديد : الآكام ، وموضع (عن العباب) ، والخيل المتفرقة .
(٦) النقب بكسر النون : البطن ، والقناع ، والطريق الضيق ، والعالم
البحاثة ، والنقب : المواجهة والمقابلة .
(٧) الجرفاس : الغليظ الضخم الشديد من الإبل والرجال ، واسم من
أسماء الأسد . وفي الأصل : « الجرفاش » .
(٨) اللؤوس بوزن فعول : الذي يتبع الحلالات فيأكلها .
(٩) النعثل : الشيخ الأحمق ، والذكر من الضباع .
(١٠) الطربال : البناء المرتفع ، والصومعة ، وعلم يبنى للخيال يستبق إليه .
(١١) التباعة : ما فيه لئيم يتبع الإنسان به ؛ يقال : ما عليه من الله في
هذا تبعة ولاتباعة .

والرَّذْمُ ^(١) ، والحَدْمُ والحَذْمُ ^(٢) ، والخَضْمُ والقَضْمُ ^(٣) ، والنَضْحُ
والرَّضْحُ ^(٤) ، والقَصْمُ والفَصْمُ ^(٥) ، والقَصْعُ والفَصْعُ ^(٦) ، وما
العَبْنَقْسُ ^(٧) ، وما الفَلَنْقَسُ ^(٨) ، وما الوَكْوَكَ ^(٩) والزَّوْنَكُ ^(١٠) ،

-
- (١) العذم : العض بالشفة والأخذ باللسان . والرذم : النذل الذي لا مروءة له ، والقطار والسيلان .
- (٢) الحدم : شدة إحماء الشيء ، والحذم : القطع السريع . وفي الأصل : « الحدم والحدم » .
- (٣) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس ، والقضم : الأكل بأدناها . وفي الأصل : « الخضم » .
- (٤) النضج : الرش بالماء ، والرمي بالنبال ، والدفاع عن النفس . والرضح بالفتح : كسر الحصى أو النوى ، وبالضم : النوى نفسه .
- (٥) القضم : كسر فيه بينونة ، والفصم : الكسر من غير بينونة .
- (٦) القصع : عصر الشيء ، وذلك بين الظفرين ، والضرب ببسط الكف على الرأس ، وشدة المضغ . والصفع : الدلك ، وحسر العمامة عن الرأس ، وعصر الشيء بين الأصبعين .
- (٧) العبئقس : الشيء الخلق ، والناعم الطويل ، والذي جدته من قبل أبيه وأمه أعجميتان وامراته أعجمية . وقيل إنه بالفاء . وفي الأصل : « العبئقس » .
- (٨) الفلنقس : البخيل اللئيم ، والمهجين من قبل أبويه ، وقيل الذي أبوه مولى وأمه عربية .
- (٩) الوكواك : الرجل الذي يمشي وكأنه يتدحرج ، وهو الجبان أيضاً .
- (١٠) الزونك : القصير الذميم .

وما الخيتَمور^(١) ، وما السَيِّتَمور^(٢) ، وما اليَسْتَمور^(٣) ، وما الحِرْدُون^(٤) ،
وما الحَلَزُون^(٥) ، وما القَصْدَر^(٦) ، وما الجَمْعَلِيل^(٧) . قال الشاعر :

جاءت بخف وحنين ورجل^(٨)

جاءت تمشي وهي قدّام الإبل

مشي الخَمَلِيلَة بالحرف النقل

٥

قال : ورأيت بعض الجهّال باللغة يصحّف هذا ويقول :

بخف وحنين ورخل

قلت للخليلي : من عني بهذا ؟

قال : عني ابن فارس معلّم ابن العميد أبي الفتح .

قال الخليلي : أفهذا الضرب من الكلام مما يجب أن يفتخر به ،

١٠

(١) الخيتَمور : السراب ، والخيتَمور : الفادر ، والدنيا ، على التثنية ودويبة ، واسم للشيطان .

(٢) كذا في الأصل ، وكأنه مكرر مع ما بعده .

(٣) اليَسْتَمور : موضع ، وشجر تصنع منه المساويك .

(٤) الحِرْدُون : دويبة .

(٥) الحَلَزُون : دويبة أيضاً .

(٦) كذا ، ولم أهد إلى معناها .

(٧) في اللسان : الجميلة الضبع والناقة الهرمة . وفي الأصل : « الجميل » .

(٨) كذا في الأصل : « وحنين » .

وَيَتَدَقَّقُ بِهِ ؟ إِنَّكَ يَا أَبَا حَيَّانَ لَوَرَأَيْتَهُ يَمِيسُ وَهُوَ يَهْدِي بِهَذَا وَشِبْهِهِ ،
وَيَتَفَيِّهُقُ فِيهِ ، وَيَلْوِي شِدْقَهُ عَلَيْهِ ، وَيَقْذِفُ بِالْبَزَاقِ عَلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ ،
لَحِدَتَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَافِيَةِ مِمَّا يُبْلَى بِهِ هَذَا الرَّجُلُ .

وبعدُ فما بينُ الشاعرِ وبينَ هذا الضربِ ؟ الشاعرُ يطلبُ لفظاً
حُرّاً ، ومعنىً بديعاً ، ونظماً حلواً ، / وكلمةً رشيقةً ، ومثالاً سهلاً ، ٥ [٨٦]
ووزناً مقبولاً .

قلت للخليلي : فما بالُ الناسِ ، مع علمهم برقاعته وجنونه ، قد
لزموا فنائه ، وتزاحوا على بابهِ ؟

فقال لي : يا هذا ! خلت الدنيا من الكرم والكرام ، واصطلح
الناسُ على قلة المباهاة بالفضائل ، وكان هذا كله منوطاً بالخلافة ، ١٠
فانقضت أيام الصدر الأول بالدين الخالص ، وأيام بني مروان بالرياء
والسُّمعة ، وأيام بني العباس بالمروآت والتوسع في الشهوات ، ولم يبق
بعد هذا شيء .

ولا بد للناس من الانتجاع ، أخصبت البلاد أم أجذبت ، والجرفُ
لا تسع الخلق ، والمرتبة الواحدة لا تحفظ النظام ، ولا بد للناس من التقسُّم ١٥
بين الرِّفعة والضععة ، وعلى ما بينهما من الأحوال ؛ على أن الكرم والعطاء ،
والبذل وحُبِّ الثناء ، والهزّة والأريحية أمورٌ قد فُقدت منذُ زمان ،

وقامت عليها النوادب في كل مكان . هذا ثَمَامَةُ المتكلم^(١) يحكي
بلسانه ، وهو صاحب المأمون ، قال : دخل النَوْشَجَانِي عَلَى المأمون ،
فقال : يا أمير المؤمنين ! ما في بيت مال الصدقات درهم ، وقد كثر
الغارمُون .

٥ فقال المأمون :

وكيف لا يكثرُونَ وثلاثة أرغفة بدرهم ، وهاهنا أناس لا حِرْفَةَ
لهم ، ولا إفضالَ مِنْ مُوسِرِيهِمْ عَلَى مُعْسِرِيهِمْ ؟ أما والله لقد شهدت أيامَ
الرَّشِيدِ^(٢) والخراجُ أقلُّ وأرذل ، وإنَّ فيها لأكثرَ من مائة يدٍ بالخيرِ
طويلة ، وبالعطايا سائلة ، وللمعروف باذلة ، وللأرحامِ واصلة .

١٠ وروى عن سابقِ بني هاشم في هذا أعجبَ كلام ، قال : والله لو علم
اللهُ أَنَّ غِنَى فُقَرَاءِكُمْ في أكثرَ من زكوات أغنيائِكُمْ لفرض ذلك لهم .
فتبارك الله ربُّ العالمين .

(١) ثَمَامَةُ بن أشرس النميري ، أحد معتزلة البصرة . توفي سنة ٢١٣ هـ ،
وكان يعرف بالمتكلم ، اتصل بالرشيد والمأمون وجالسهما . الفهرس ١١١ ط
(نسخة Chester Beatty) ، وتاريخ بغداد ٧ / ١٤٨ ، والمنظَّم لابن الجوزي
(سنة ٢١٣) وميزان الاعتدال (ثَمَامَةُ) ، ولسان الميزان ٢ / ٨٣ — ٨٤ .
(٢) هارون بن المهدي الخليفة العباسي المشهور . المعارف ١٦٦ — ١٦٧ .

أَيْنَ أَوْلَئِكَ الْبَرَامِكَةِ ؟ وَأَيْنَ [نَحْنُ] ^(١) مِنْهُمْ الْيَوْمَ ؟ كَانَتْ
مَعْرُوفُهُمْ يَسَّعُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ ، وَيَعْمُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ ، مَرَّةً يَعْرِفُ وَمَرَّةً
يَنْزِفُ ^(٢) ، مَا لَهُمْ هُمْ إِلَّا تَتَمِيرُهُ .

وَمِنْ أَوْلَئِكَ زُبَيْدَةُ ^(٣) بِنْتُ جَعْفَرٍ وَابْنُهَا ^(٤) ، إِنِّي وَاللَّهِ لَأَحْسِبُهُمَا
فَرَّقَا مِنَ الْمَالِ فِيمَنْ جَاءَ إِلَيْهِمَا وَطَلَبَ مَعْرُوفَهُمَا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ ٥
دِينَارٍ ؛ وَلَقَدْ كَانَ لِمَنْ ذَكَرْتُ بِطَانَةَ ، وَلِلْبَطَانَةِ بِطَانَةٌ ، وَكَانَ لَهُمْ مِنَ
الْمَعْرُوفِ وَالْبَذْلِ فِي الْجَارِ وَالْحَمِيمِ وَالسَّائِلِ وَابْنِ السَّبِيلِ مَا لَوْ أُحْصِيَ
لَطَالَ ذِكْرُهُ وَعَظُمَ قَدْرُهُ ؛ فَمَا بِالْعِرَاقِ الْيَوْمَ مَنْ يَجُودُ بِدَرَاهِمٍ وَلَا رَغِيفٍ ،
أَوْ لَيْسَ مِنَ انْقِلَابِ الزَّمَانِ أَنْ صَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَشِيرٍ أَحَدَ أَجْوَادِهِ ،
وَأَحَدَ أَبْوَابِ الْمَعْرُوفِ ؟ فَمَا ظَنُّكُمْ بِنَا وَقَدْ حَشَرْنَا فِي زَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ ؟ ١٠
ثُمَّ مَيِّزُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ ! فَإِذَا نَظَرَ إِلَى أَهْلِ زَمَانِنَا لَمْ يَقُمْ فِي الْمُبَاهَاةِ إِلَّا عَبْدُ
اللَّهِ وَمَالِكُ بْنُ شَاهِي ! « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » ^(٥) .

(١) تَكَلُّمٌ لَا بَدَّ مِنْهَا .

(٢) يَعْرِفُ : يَنَالُ جِزَاءً مِنْ هَذَا الْمَعْرُوفِ ، وَيَنْزِفُ : يَنَالُ الْكَثِيرَ فِيهِ .

(٣) هِيَ زُبَيْدَةُ بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، وَهِيَ زَوْجَةُ الرَّشِيدِ
وَأُمُّ الْأَمِينِ ابْنِهِ . الْمَعَارِفُ ١٦٥ - ١٦٧ .

(٤) هُوَ الْأَمِينُ بْنُ الرَّشِيدِ الْمَقْتُولِ سَنَةَ ١٩٨ هـ . الْمَعَارِفُ ١٦٧ - ١٦٨ .

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١٥٦ .

اكتب لهم إلى البلدان . وانظر من كان منهم محتبلاً^(١) فارم به إلى
الأطراف وأجنحة الثغور ، ومن قلّ ماله ورثّ حاله ، وقعد به العذم
عن الحركة الشاسعة فلا تجاوز به الموصل والبصرة ، وفرّق فيهم ألف
درهم ، وعجل سراحهم الأول فالأول .

ثم قال لي الخليلي : حصّل الآن زمانك من زمان المأمون حين قال
هذا القول ، وميّز هذا التمييز ، ودأوني بهذا الدواء . والله إن هذا
لعجب ! حصلنا في حديث ابن العميد على أن يقال : جشك^(٢) عميدي ،
وفي حديث ابن عباد على أن يقال : هذا ركاب صاحبي ؛ إني لأجد في
صدري غليلاً لا يبرده شيء ، من ذهاب الكرم وفقد الكرام وقلة
المبالي بذلك .

قلت للخليلي أيضاً : ومع هذا كله أين ابن عباد من ابن العميد ؟
فقد خبرت ذلك بملازمتك ، وعرفت هذا بتعرّضك .
فقال : أمّا ذاك فكان لا يعطيك ، ولكنّه كان لا يطعمك .

(١) محتبلاً : قادراً .

(٢) جشك (Jamshak) : حذاء ، (فارسية) . وانظر :

Joannis August Vullers. Persicon - Latinum I, 528.

وكأنه نوع من الأحذية كان مشتهراً بالنسبة إلى ابن العميد . وكذا القول
- فيما نرى - في (ركاب صاحبي) .

وَأَمَّا هَذَا فَإِنَّهُ يُطْمِعُكَ حَتَّى يَسْتَفْرِغَكَ ، ثُمَّ يَرْمِيكَ بِالْحَرَمَانِ أَوْ
بِعِطَاءٍ شَبِيهِهِ بِالْحَرَمَانِ . وَتَفْسِيرُ هَذَا عِنْدَكَ يَا أَبَا حَيَّانَ .

قلت : كَيْفَ كَانَ عِلْمُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ هَذَا .

قال : كَانَ ذَلِكَ يَدَّعِي الفَلَسَفَةُ دَعْوَى شَدِيدَةً ، وَلَكِنْ لَا يَنَادِي
عَلَيْهَا فِي الْأَسْوَاقِ .

وهَذَا يَدَّعِي عِلْمَ الدِّينِ ، وَهُوَ يَعْرِضُهُ فِيمَنْ يَرِيدُ .

قلت له : كَيْفَ كَانَ ابْنُ الْعَمِيدِ فِي أَمْرِ الطَّعَامِ ؟

قال : كَانَ مَكْبُوتَ ^(١) الْأَنْفَاسِ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأَضْرَاسِ ، كَدَّرِ
الْإِحْسَاسَ عِنْدَ دَوْرَانِ السَّكَاسِ ، وَهَذَا مِمَّا يُخَالِفُ مَا عَلَيْهِ كِرَامُ النَّاسِ .

قلت : فَكَيْفَ كَانَ ابْنُ عَبَّادٍ لِأَهْلِ الْعِلْمِ ؟

قال : إِنْ كَذَّبُوهُ وَخَدَعُوهُ وَمَوَّهُوا عَلَيْهِ وَنَافَقُوهُ وَتَمَلَّقُوهُ قَرَّبَهُمْ
وَأَدْنَاهُمْ ، وَأَكْرَمَهُمْ وَأَعْطَاهُمْ ، وَإِنْ صَدَقُوهُ وَمَاتَنُوهُ ^(٢) وَثَبَّتُوا لَهُ أَبْعَدَهُمْ
وَأَقْصَاهُمْ ، وَحَرَمَهُمْ وَأَخْزَاهُمْ .

(١) مَكْبُوتِ الْأَنْفَاسِ : ضَيْقُهَا ، وَفِي الْأَصْلِ : « مَلْبُوت » .

(٢) مَاتَنُوهُ : عَارِضُوهُ فِي الْجِدْلِ .

فما ^(١) ذنبي - أكرمك الله - إذا سألتُ عنه . مشايخ الوقت
وأعلام العصر فوصفوه جميعاً بما جمعت لك في هذا المكان ؟

على أنني قد سترت كثيراً من مخازيه ، إما هرباً من الإطالة أو
صيانةً للقلم من رسم الفواحش ، ونثّ العِصَّة ^(٢) ، وذكر ما يسمُج مسموعه .
ويُكره التَّحدُّثُ به . ٥

هذا سوى ما فاتني من حديثه ، فإني فارقتُه سنة سبعين وثلاثمائة .
أو ما ذنبي إن ذكرتُ عنه ما جرَّعنيهِ من مرارة الخيبة بعد الأمل ،
وَحَمَلني عليه من الإخفاق بعد الطَّمَع ، مَعَ الخدمة الطَّويلة ، والوعد
المتَّصِل ، والظنَّ الحسن ؛ حتَّى كأنني خُصِصْتُ بِخَسَّاسَتِهِ وخدي ، أو
وَجِب أن أعاَمَل به دُون غيري . ١٠

قدَّم إليَّ نِجَاحُ الخادِم ، وكان ينظر في خِزانة كُتُبهِ ثلاثين مجلدةً
من رسائله ، وقال : يقول لك مولاي : النسخ هذه فإنَّه قد طُلب
من خراسان .

(١) من هنا إلى آخر رسالة أبي حيان التي توسل بها إلى أبي الفتح
ابن العميد ، نقله ياقوت في الإرشاد ٣٩٦/٥ وما بعدها .

(٢) في اللسان : العِصَّة : الشديد القبح ، وكأنه المراد . والنث :
الإذاعة والنشر .

فقلت بعد ارتياع : هذا طَوِيلٌ ، ولكن لو أُذِنَ خُرِجَتْ مِنْهُ
فَقَرَّ كَالْفُرَرِ ، وشذوراً تَدُورُ فِي الْمَجَالِسِ كَالشَّمَامَاتِ وَالْدَسْتَنْبُويَاتِ^(١)
لو رُقِيَ بِهَا مَجْنُوقٌ لِأَفَاقٍ ، وَلَوْ نُفِثَ عَلَى ذِي عَائِنَةٍ^(٢) لَبَرِيءٌ / ، لَا تُمَلِّ
وَلَا تُسْتَفِثْ^(٣) ، وَلَا تُعَابَ وَلَا تُسْتَرِثْ^(٤) .

هـ فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَيْهِ عَلَى وَجْهِ مَكْرُوهٍ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ ، فَقَالَ :

طَعَنَ فِي رِسَائِلِي وَعَابَهَا ، وَرَغِبَ عَنْ نَسْخِهَا ، وَأَزْرَى بِهَا ، وَاللَّهِ
لَيُنْكَرَنَّ مِنِّي مَا عَرَفَ ، وَلَيَعْرِفَنَّ حَظَّهُ إِذَا انْصَرَفَ . كَأَنِّي طَعَنْتُ فِي
الْقُرْآنِ ، أَوْ رَمَيْتُ الْكَعْبَةَ بِخَرْقِ الْحِيضِ ، أَوْ عَقَرْتُ نَاقَةَ مِهَالِجٍ ، أَوْ
سَلَحْتُ فِي زَمْزَمَ ، أَوْ قُلْتُ كَانَ النَّظَّامُ مَا نَوَيْتُ^(٥) ، أَوْ كَانَ الْعَلَّافُ

(١) واحدها دسنبوية Dastanboye ، وهي نوع من الطيب .

(٢) ذو عائنة : يريد المصاب بالعين ، والذي في اللسان أن المصاب بالعين
يقال له المعين أو الميئون .

(٣) تستفث : تستردأ .

(٤) تسترث : تعد رثة خَلَقَةٌ .

(٥) إبراهيم بن سيار النظام تقدمت ترجمته . وله في الرد على
أصحاب الاثنين (المانوية) كتاب مشهور ، فالقول بأنه مانوي قول بما
لا يقبل .

ديصانياً^(١) ، أو كان الجبائي بُترياً^(٢) ، أو مات أبو هاشم^(٣) في بيت
تخار ، أو كان عبّاد معلّم الصبيان^(٤) .

وما ذنبي يا قوم إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلّدة ؟ ومن هذا
الذي يستحسن هذا التكليف حتى أعذره في لومي على الامتناع ؟ أيّ
إنسان ينسخ هذا القدر وهو يرجو بعده أن يمتعه الله ببصره أو
ينفعه بيده ؟

ثم ما ذنبي إذا قال لي : من أين لك هذا الكلام المفوف^(٥)
المشوف^(٥) الذي تكتب إليّ به في الوقت بعد الوقت .

(١) محمد بن الهذيل العلاف ، أبو الهذيل المتوفى سنة ٢٢٦ هـ . تاريخ
بغداد ٣/٣٦٦ - ٣٧٠ ، الفهرست ١٠٨ ، المنتظم (سنة ٢٣٥) ، أمالي المرتضى
١/١٧٨ ، الوفيات ٦٠٧ ، عقد الجمان لاميني (سنة ٢٢٦) ، الحور العين ٢٠٩ .
والديصانية : فرقة من الثنوية (الحيوان للجاحظ ٤٦/٥ ، مقالات الأشعري
٣٤٩ ، فهرست ابن النديم ٤٧٤) . ولأبي الهذيل مناظرات مع الثنوية ،
وكتب في الرد عليهم .

(٢) تقدمت ترجمة الجبائي ، وابنه أبي هاشم . والبترية : فرقة من الزيدية ،
(الأشعري المقالات ٦٨ - ٦٩) .

(٣) يريد عبّاد بن العباس والد الصاحب ، وقد تقدم له (ص ٨٢) أنه كان
معلماً بقرية من قرى طالقان الديلم .

(٤) الكلام المفوف : الموشى .

(٥) المشوف : المزين .

فقلت : وكيف لا يكون كما يوصف وأنا أقطف من ثمار رسائله ،
وأستقي من قليب^(١) عامه ، وأشيم^(٢) بارقة أدبه^(٣) ، وأرد ساجل بحره ،
وأستوكف قطر مزنه ؟

فيقول : كذبت وفجرت لا أم لك ! ومن أين في كلامي
الكدية^(٤) والشحذ والضرع والاسترحام ؟ كلامي في السماء ، وكلامك
في السماد .

هذا — أيدك الله — وإن كان دليلاً على سوء جدي ، فإنه دليل
أيضاً على انحلاله وتخرفه وتسرع ولؤمه . انظر كيف^(٥) يستحيل
معي عن مذهبه الذي هو عرقه النابض وسوسه الثابت وديده المألوف .
وهلاً^(٦) أجزاني مجرى التاجر المصري والشاذياشي وفلان وفلان ؟
أو ما ذنبي إذا قال لي : هل وصلت إلى ابن العميد أبي الفتح بينгдаذا ؟
فأقول : نعم رأيتُه وحضرتُ مجلسه وشاهدتُ ما جرى له ، وكان من
حديثه فيما مدح به كذا وكذا ، [وفيما تقدم منه كذا وكذا]^(٧) ،

(١) القليب : البئر .

(٢) شام البرق : نظر أين يعطر ، والبارقة : السحابة ذات البرق .

(٣) الكدية : الإلحاح في المسألة .

(٤) في الأصل : « والطرائف » ، تصحيف .

(٥) في الأصل : « وهذا » ، تصحيف .

(٦) عن الإرشاد لياقوت .

وفيما كفى فيه كذا وكذا ، وفيما تكلف من تقديم أهل العلم واختصاص
 أرباب الأدب كذا وكذا ، ووصل أبا سعيد السّيرافي بكذا وكذا ،
 وذهب لأبي سليمان المنطقي كذا وكذا ؛ فيزوي^(١) وجهه ويتكره
 حديثه ، وينجذب إلى شيء آخر ليس مما شرع فيه ، ولا مما حُرِّك له .
 ٥ ثم يقول : أعلم أنك إنما اتجعت من العراق ، فاقرأ عليّ رسالتك التي
 توصلت إليه بها ، وأسهب مقررًا له فيها ، فأتانع فيأمر ويشدد ،
 فأقرؤها فيتقد ويدهل .

وأنا أكتبها^(٢) لك ها هنا لتكون زيادة في الفائدة .

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم هيّ لي من أمري رشداً ، ووفّقني
 ١٠ لمرضاتك أبدأ ، ولا تجعل الحرمان عليّ رصداً^(٣) .

أقول وخير القول ما انعقد بالصواب ، وخير الصواب ما تضمن
 الصدق ، وخير الصدق ما جلب النفع ، وخير النفع ما تعلق بالمزيد ،
 وخير المزيد ما بدأ عن شكر ، وخير الشكر ما بدأ عن إخلاص ،

(١) زوى وجهه : صرفه وأعرض عن المتحدث إليه . وفي الارشاد :
 « فيزوى ، كأنها أنسب .

(٢) في الأصل : « أكتبه » .

(٣) رصداً : رقيقاً .

وخير الإخلاص ما نشأ عن إيقان ، وخيرُ الإيقان ما صدر عن توفيق
لما رأيت شَبَابِي هَرَمًا بالفقر ، وفَقْرِي غِنًى بالقنَاعَة ، وقنَاعَتِي
عَجْزًا عند التحصيل ، عَدَلْتُ إلى الزَّمان أطلب إليه مَكَانِي فيه ، ومَوْضِعِي
منه ، فرأيتُ طَرَفَه عَنِي نَائِبًا ، وعَنَانَه عَن رِضَايَ مَثْنِيًا ، وجَانِبَه فِي
مُرَادِي خَشِنًا ، وإِنْفَاقِي فِي أَسْبَابِهِ سَيِّئًا ^(١) ، والشَّامِتَ بِي عَلَى الْحَدَثَانِ ه
مَمَادِيًا ؛ طِمَعْتُ فِي السَّكُوتِ تَجَلُّدًا ، وَانْتَحَلْتُ الْقَنَاعَةَ رِيَاضَةً ، وَتَأَلَّفْتُ
شَارِدَ حَرْصِي مَتَوَقِّفًا ^(٢) ، وَطَوَيْتُ مَنَشُورَ أَمْرِي مَنَزْهًا ، وَجَمَعْتُ
شَتِيَّتَ رَجَائِي سَالِيًا ، وَادَّرَعْتُ الصَّبْرَ مُسْتَمِرًّا ، وَلَبَسْتُ الْعِفَافَ مَحْمُودًا ،
وَاتَّخَذْتُ الْإِنْقِبَاضَ صِنَاعَةً ، وَقَمْتُ بِالْعِلَاءِ مُحْتَهِدًا .

هذا بعد أن تصفحت الناس فوجدتهم ^(٣) أحد رجلين : رجلاً إن ١٠
نطق نطق عن غيظ ودمنة ^(٤) ، وإن سكت سكت على ضغن وإحنة .
ورجلاً إن بذل كدراً بامتنانه بذله ، وإن منع حصنً باحتياله بخله ؛

(١) فِي الْأَصْلِ : « سَيِّئًا » .

(٢) مَتَوَقِّفًا : مَثْبُتًا .

(٣) كَانَتِ الْعِبَارَةُ : « فَوَجَدْتُهُمْ (عِنْدَ كُلِّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ) أَحَدًا » ، فَشَطَبَ
مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ .

(٤) الدَّمَنَةُ : الْحَقْدُ الْمَدْمُنُ الَّذِي آتَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ .

فلم يَطْلُ دَهْرِي فِي أَثْنَائِهِ مَتَبَرِّمًا بِطُولِ الْغُرْبَةِ وَشُظْفِ الْعَيْشِ ، وَكَلْبِ
الزَّمَانِ وَعَجْفِ^(١) الْمَالِ ، وَجَفَاءِ الْأَهْلِ وَسُوءِ الْحَالِ ، وَعَادِيَةِ الْعَدُوِّ
وَكُسُوفِ الْبَالِ ؛ مَتَحَرِّقًا^(٢) مِنَ الْحَنْقِ عَلَى لَيْثِمٍ لَا أَجْدَ مُنْصَرَفًا عَنْهُ ،
مَتَقَطِّعًا مِنَ الشُّوقِ إِلَى كَرِيمٍ لَا أَجْدَ سَبِيلًا إِلَيْهِ — حَتَّى لَاحَتْ لِي غُرَّةُ
الْأُسْتَاذِ فَقُلْتُ : حَلَّ بِي الْوَيْلُ ، وَسَالَ بِي السَّيْلُ ! ٥

أَيْنَ أَنَا عَنْ مَلِكِ الدُّنْيَا ، وَالْفَلَكَ الدَّائِرِ بِالنُّعْمَى ؟
أَيْنَ أَنَا عَنْ مَشْرِيقِ الْخَيْرِ وَمَغْرِبِ الْجَمِيلِ ؟
أَيْنَ أَنَا عَنْ بَدْرِ الْبُذُورِ وَسَعْدِ السَّمُودِ ؟
أَيْنَ أَنَا عَمَّنْ يَرَى الْبَخْلَ كُفْرًا صَرِيحًا ، وَيَرَى الْإِفْضَالَ دِينًا
صَحِيحًا ؟ ١٠

أَيْنَ أَنَا عَنْ سَمَاءٍ لَا تَفْقُرُ عَنِ الْهَطْلَانِ ، وَعَنْ بَحْرٍ لَا يَقْذِفُ إِلَّا بِاللُّوْلُو
وَالْمَرْجَانِ ؟

أَيْنَ أَنَا عَنْ فُضَاءٍ لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ ، وَعَنْ حَرَمٍ لَا يُضَامُ جَوَارُهُ ؟
أَيْنَ أَنَا عَنْ مَنَهْلٍ لَا صَدْرَ لِفُرَّاطِهِ وَلَا مَنَعَ لِبُورَادِهِ ؟

(١) العَجْفُ : الْهَزَالُ وَذَهَابُ السَّمَنِ .

(٢) مَتَحَرِّقًا : مَلْتَهَبًا مِنَ الْحَنْقِ .

أَيْنَ أَنَا عَنْ ذَوْبٍ لِأَشُوبَ فِيهِ ، وَعَنْ صَدْدٍ ^(١) لَا حَدَدَ ^(٢) دُونَهُ ؟

بلى !

أَيْنَ أَنَا عَمَّنْ قَدِ اتَّيَ بِبُيُوتَةِ الْكَرَمِ ، وَإِمَامَةِ الْإِفْضَالِ ، / وَشَرِيعَةِ
الْجُودِ ، وَخِلَافَةِ الْبَذْلِ ، وَسِيَّاسَةِ الْمَجْدِ ، نَسِيمُهُ مَشِيمَةُ الْبُورِقِ ،
وَنَفْسُهُ نَفِيسَةُ الْخِلَاقِ ؟

٥

أَيْنَ أَنَا عَنْ الْبَاعِ الطَّوِيلِ وَالْأَنْفِ الْأَشْمِ وَالْمَشْرَبِ الْعَذْبِ وَالطَّرِيقِ
الْأَمَمِ ؟

لَمْ لَا أَقْصِدُ بِلَادَهُ ؟

لَمْ لَا أَقْتَدِحُ زَنَادَهُ ؟

١٠

لَمْ لَا أَتَجْعَلُ جَنَابَهُ وَأَرْعَى مَرَادَهُ ^(٣) ؟

لَمْ لَا أَسْكُنُ رُبْعَهُ وَأَسْتَدْعِي نَفْعَهُ ؟

لَمْ لَا أَخْطُبُ جُودَهُ وَأَعْتَصِرُ عَوْدَهُ ؟

لَمْ لَا أَسْتَمْطِرُ سَحَابَهُ وَأَسْتَسْقِي رِبَابَهُ ^(٤) ؟

(١) الصدد : الناحية تستقبلك .

(٢) الحدد : المنع ، لا حدد دونه : لا يمنع منه مانع . من المحتمل قراءة

النص كما يلي : « صوب لا جدد دونه » . والجدد : الغليظ من الأرض .

(٣) المراد : المرعى .

(٤) الرباب ، بالفتح : السحاب الأبيض .

لم لا أُسْتَمِيعُ^(١) نيله وأُستَسَجِبَ ذيله ؟

لم لا أُحْبَجَ كعبته ، وأُستَلَمَ رُكْنَه ؟

لم لا أُصَلِّيَ إلى مقامه مؤتمكاً به ؟

لم لا أُسَبِّحَ بِشَنَائِهِ مُتَقَدِّساً ؟

لم لا أُحْكَمَ في حالي :

فَتَى صَيِّغَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ^(٢) وَجْهَهُ فَأَلْفَاظُهُ جُودٌ وَأَنْفَاسُهُ نَجْدٌ

لم لا أَقْصِدُ :

فَتَى بَابَ لِلنَّاسِ فِي كَفِّهِ مِنْ الْجُودِ عَيْنَانِ لَضَافَتَانِ

لم لا أُمْتَرِي مَعْرُوفَ :

فَتَى لَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِجِسْمِهِ إِذَا نَالَ خَلَائِ الْكِرَامِ، شُحُوبٌ

لم لا أُمْدَحُ :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِرُوحِهِ وَيَعْلَمُ أَعْقَابَ الْحَدِيثِ تَدْوِمَ^(٣)

(١) بالأصل : « استنبح » ، وما أثبتناه عن حاشية الأصل .

(٢) في الإرشاد : « الشيبة » .

(٣) في الإرشاد : « ... حسن المقال ، ... أعقاب الأحاديث في غده » .

نعم ! .

لَمْ لَا أَنْتَهِي فِي تَقْرِيطِ فَتَى لَوْ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَكَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ،
ولو كان من الأنبياء لكان من المرسلين ، ولو كان من الخلفاء لكان نعمته
اللائذ بالله ، أو المنصف في الله ، أو المتضيد بالله ، أو المنتصب لله ،
أو الغاضب لله ، أو الغالب بالله ، أو المرضي لله ، أو الكافي بالله ، أو
الطالب بحق الله ، أو المحيي لدين الله .

٥

أيها المنتجع قرن كلته ^(١) المختبط ورق نعمته ، أزع عريض
البطان ^(٢) متفئماً بظله ، وكل خضماً ^(٣) ناعم البال متعوذاً بعزه ، وعش
رخي اللبب ^(٤) معتصماً بحبله ، ولذ بذراً ^(٥) آمن السرب ، وامحض
وده بالله ^(٦) القلب ، وق نفسك من سطوته بحسن الحفظ ، وتخيره
ألطف المدح ، تفز منه بأعين القدح ؛ ولا تحرم نفسك بقولك : إني ١٠

(١) قرن الكلاء : خيره ، وأنفه الذي لم يوطأ .

(٢) البطان : الخزام ، وإنه لعريض البطان : رخي البال .

(٣) الخضم : الأكل في سعة ورغد .

(٤) رخي اللبب : أي في سعة وأمن وخصب .

(٥) بذراً : بظله .

(٦) كذا بالأصل ، ولم أهتمد إلى قراءة متجهة فيها .

غريبُ المشوى نازحُ الدَّارِ ، بعيدُ النَّسَبِ مَنْسِيَّ المَكَانِ ؛ فَإِنَّكَ قَرِيبُ
الدارِ بالأَمَلِ ، داني النُّجْجِجِ بالقَصْدِ ، رَحِيبُ السَّاحَةِ بِالْمُنَى ، ملحوظُ
الحالِ بالجلدِ ، مشهورُ الحديثِ بالدركِ .

واعلمَ علماً يلتجِمُ باليقينِ ويدُرُّ^(١) من الشكِّ أَنَّهُ معروفُ الفَخْرِ
بالمفاخرِ ، مأثورُ الأثرِ بالمآثرِ ؛ قد أَصْبَحَ واحدُ الأَنامِ ، تاريخُ الأيامِ ،
أَسَدُ الغِيَاضِ يومَ الوغَى ، نَوَّرَ الرِّياضَ يومَ الرِّضَا ، إِنْ حُرِّكَ عِنْدَ
مَكْرُمَةٍ حُرِّكَ غُصْنًا تَحْتَ بَارِحٍ^(٢) ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى اللِّقَاءِ دُعِيَ لَيْشًا
فوقِ سابِحِ .

وَقُلْ إِذَا أَتَيْتَهُ بِلِسَانِ التَّحْكِمِ : أَصْلَحُ أَدْعِي فَقَدْ حَلِمَ^(٣) ، وَجَدَّدَ
شَبَابِي فَقَدْ هَرِمَ ، وَأَنْطَقَ لِسَانِي بَعْدَ حَكِّ فَقْدِ حَصِرٍ ، وَافْتَحَ بَصْرِي بِنِعْمَتِكَ
فَقَدْ سَدِرَ^(٤) ، وَاتْلُ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ فِي اصْطِنَاعِي فَقَدْ سَرَدْتُ صَفَائِحَ^(٥)
النُّجْجِجِ عِنْدَ انْتِجَاعِي . وَقُلْ : رِشْ عَظْمِي فَقَدْ بَرَّاهُ الزَّمَانُ ، وَاكْسُ

(١) يدُرُّ من الشكِّ : يخرج منه .

(٢) البارِح : النوء ، الريح الحارة .

(٣) الأديم : الجلد ، وحليم : فسَد .

(٤) سدر بصره : لم يكد يبصر .

(٥) السرد : وضع أشياء متسقة متتابعة بعضها إثر بعض . والصفائح :
الحجارة العريضة ، فكان المعنى : قد مهدت لطريق النجيج .

جلدي فقد عرّاه الحدثان ، وإياك أن تقول : يامالك الدنيا جُدي ببعض
الدنيا ، فإنه يحرمك ، ولكن قل : يامالك الدنيا هب لي الدنيا .

اللهم فأخني به بلادك ، وانعش برحمته عبادك ، وبلغه مرضاتك ،
وأسكنه فردوسك ، وأدم له العزّ النامي والكعب العالي ، والمجد
التليد ، والجد السعيد ، والحقّ الموروث والخير المبهوث والولي المنصور ،
والشأن المثور ^(١) ، والدعوة الشاملة ، والسجّية الفاضلة ، والسرب
المحروس ، والرّبع المأنوس ، والجَناب الخصيب والعدو الحريب ^(٢) ،
والمنهل القريب ؛ واجعل أولياءه باذلين لطاعته ، ناصرين لأعزّته ، ذابّين
عن حريمه ، مُرفّفين على حوْبائه ^(٣) .

١٠ أيها الشمس المضيئة بالكرم ، والقمر المنير بالجمال ، والنجم الثاقب
بالعلم ، والكوكب الوقاد بالجود ، والبحر الفياض بالمواهب ، قد سقط
العشاء ^(٤) بعبدك على سرحك ^(٥) فأقره من نعمتك بما يُضاهي قدرك ،

(١) المثبور : الهالك .

(٢) الحريب : الذي سلب حريته ، وهي مال الرجل الذي يقوم به أمره .

(٣) الحوباء : النفس .

(٤) العشاء : العشي .

(٥) السرح : فناء الباب .

وزوج هيئته تربها من الغنى ، فطال ما خطب كفأها من هي^(١) .

[٨٧ ب]

/ ثم يقال^(٢) لي من بعد : جنيت على نفسك حين ذكرت عدوه بخير ،
وبينت عنه ، وجعلته سيد الناس ، فأقول : كرهت أن يراني مندرياً^(٣)
على عرض رجل عظيم الخطر ، غير مكترث للقمعة فيه ، والإنحاء عليه ؛
وقد كان يجوز أن أشعث من ذلك شيئاً وأبري من أثلته جانباً ، وأطير
إلى جنبه شرارة .

فيقال أيضاً : جنيت على نفسك وتركت الاحتياط في أمرك ؛ فإنه
مقتك ومافك ورأى أنك في قولك عدوت طورك ، وجهلت قدرك ،
ونسيت وزنك ؛ وليس مثلك من هجم على ثلب من بلغ رتبة ذلك
الرجل ، وأنت متى جسرت على هذا دربت به^(٤) وجعلت غيره
في قرانه .

(١) كذا بالأصل ، وبلي الكلمة بياض بالصلب قدره سطر وثلاث سطر ،
وكتب بالحاشية : « وجدت في نسخة : كفؤها من المني » ، ويتصل الكلام
بـ « ثم يقال لي » ، والبياض باطل . ومع ذلك فإننا لا نزال نظن أن في
الكلام هنا فجوة ، وأن البياض الواقع في نسختنا هنا وفي الورقة ٨٧ - ط ، وقدره
نحو خمسة أسطر ، معتبر وصحيح .

(٢) نقله ياقوت في الإرشاد ٤٠٥/٥ .

(٣) مندرياً : مندفعاً .

(٤) درب به : اعتاده وأولع به .

فإذا كانت هذه الحالات ملتبسةً ، وهذه العواقبُ مجهولة فهل يدورُ
العملُ بعدها إلا على الإحسان الذي هو علة المحبة ، والمحبة التي هي علة
الحمد ، والإساءة التي هي علة البغض ، والبغض الذي هو علة الذم ؟
فهذا هذا .

وكان ابن عباد شديد الحسد لمن أحسن القول وأجاد اللفظ . وكان هـ
الصوابُ غالباً عليه ، وله رفق في سرد حديث ونيقة^(١) في رواية خبر ،
وله شمائل مخلوطة بالدماثة ، بين الإشارة والعبارة .

وهذا شيء مأم في البغداديين وكاغلاص في غيرهم .

حدثته^(٢) ليلةً بحديث فلم يملك نفسه حتى ضحك واستعاد ، ثم
قيل لي بعد : إنه كان يقول : قاتل الله أبا حيان فإنه نكيد وإنه وإنه ،
وأكره أن أروي ذبي بقلمي ، وكان ذلك كله حسداً محضاً ،
وغيظاً مجتاً .

وأروي لك الحديث ، فإنه في نهاية الطيب ، وفيه فكاهة ظاهرة ،
وعبي عجب في معرض بلاغة ظريفة في ملبس فهاهة .

(١) النيقة : التأنق .

(٢) نقله باقوت في الإرشاد ٥٠٥/٥ وما بعدها .

حدثني القاضي أبو الحسن الجراحي قال : لحقتني مرةً علةٌ صعبةٌ ؛
فمن طريف ما مرَّ على رأسي فيها أنه دخل عليّ في جملة من عادني شيخُ
الشونيزية ^(١) ودوّارة الحمار والتوثّة وفتقيها أبو الجعد الأنباري ، وكان
من أصحاب البرّهاري ^(٢) ، فقال أول ما قعد : يقع لي فيما لا يقع إلا
لغيري أو لمثلي فيمن كان كأنه مني أو كأنه كان علي سنيّ أو كان معروفاً
بما لا يُعرف به إلا [ي] [أي] أنك لا تحتمّي إلا حميةً فوق
ما يجب ، ودون ما لا يجب ، وبين فوق ما لا يجب وبين دون ما لا يجب
فرقٌ ، الله يعلم أنه لا يعلمه أحد ممن يعلم أولاً يعلم .

الطبُّ كله أن تحتمّي حميةً بين حِميتين ؛ حميةً كلاً حميةً ، ولا حميةً

(١) مقبرة بالجانب الغربي من بغداد تضم رفات جمع من أعلام المسلمين ، معجم
البلدان (شونيزية) .

(٢) المعروف بالبرّهاري عدة من العلماء ، منهم :
محمد بن أبي الحسن بن كوثر البرّهاري أبو بحر المتوفى سنة ٣٦٢ هـ .
عقد الجمان للعيني سنة ٣٦٢ ، أنساب السمعاني ٧١ - ٨ ، البداية والنهاية
٢٧٥ / ١١ .

وأبو محمد الحسن بن علي الفقيه الحنبلي الواعظ المتوفى سنة ٣٢٩ هـ .
البداية والنهاية ٢٠١ / ١١ .

وأبو بكر محمد بن موسى بن سهل المطار البرّهاري المتوفى سنة ٣١٩ هـ .
أنساب السمعاني ٧١ ٨ . فلا أدري من قصد منهم .

كحِمْيَةٍ ، وهذا هو الاعتدال والتَّعْدِيلُ والتَّعَادُلُ والمعادلة . قال الله تعالى :
 « وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ^(١) » ، وقال النبي صلى الله عليه : « خَيْرُ
 الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَشَرُّهَا أَطْرَافُهَا ^(٢) » ؛ وَالْعِلَّةُ فِي الْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ إِذَا
 أَقْبَلْتَ لَمْ تُدْبِرْ ، وَإِذَا أَدْبَرْتَ لَمْ تُقْبَلْ ، وَأَنْتَ مِنْ إِقْبَالِهَا فِي خَوْفٍ ، وَمِنْ
 إِدْبَارِهَا فِي التَّعَجُّبِ ؛ وَمَا تَصْنَعُ بِهَذَا كُلَّهُ ؟ لَا تَنْظُرُ إِلَى اضْطِرَابِ الْحِمْيَةِ عَلَيْكَ ه
 وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى جَهْلِ هَؤُلَاءِ الْأَطْبَاءِ الْأَلْبَاءِ الَّذِينَ يُشَقِّقُونَ الشَّعْرَ شَقًّا ،
 وَيَدُقُّونَ الْبَحْرَ دَقًّا ، وَيَقُولُونَ مَا يَذْرُؤُونَ وَمَا لَا يَذْرُؤُونَ زَرْقًا ^(٣) وَحَقًّا ؛
 / وَإِلَى قَلَّةِ نَصَحِهِمْ مَعَ جَهْلِهِمْ ، وَلَوْ لَمْ يَجْهَلُوا إِذَا لَمْ يَنْصَحُوا كَانَ أَحْسَنَ عِنْدَ
 اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ ، وَلَوْ نَصَحُوا إِذَا جَهِلُوا كَانَ أَوْلَى عِنْدَ النَّاسِ وَأَشْبَاهِ
 النَّاسِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

١٠

أَنْتَ فِي عَافِيَةٍ ، وَلَكِنْ عَدُوكَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ بَعَيْنِ الْأُسْتِ ، وَيَقُولُ :
 وَجْهَهُ وَجْهٌ مَنْ قَدْ رَجَعَ مِنَ الْقَبْرِ بَعْدَ غَدٍ . وَعَلَى حَالٍ فَالْرَجُوعُ مِنَ الْقَبْرِ
 خَيْرٌ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْقَبْرِ ، لَعَنَ اللَّهُ الْقَبْرَ لَا بَرَّازَ وَلَا خَبَازَ وَلَا دَرَّازَ وَلَا

(١) سورة الفرقان ٦٧ .

(٢) انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ٩٧ - ٩٨ ، كشف الخفاء ١/٣٩١ .

(٣) الزرق ، بفتح الراء : الزرقعة ، والمراد به العمى ؛ لِأَنَّ مِنْ ذَهَبَ

نَظَرُهُ أَزْرَقٌ سَوَادَ عَيْنِهِ . يَعْنِي : يَقُولُونَ ذَلِكَ مِنْ عَمَاهُمْ وَحَقِّهِمْ .

تجواز^(١) « إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ »^(٢) ، عن قريب إن شاء الله ،
 « وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ »^(٣) ، « وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ
 السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ »^(٤) ، « وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ »^(٥) ،
 « وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ »^(٦) .

٥ تأمرُ بشيء ؟ السُّنَّةُ في العِيَادَةِ ، خاصَّةً عِيَادَةُ الْكِبَارِ وَالسَّادَةِ ،
 التَّخْفِيفُ وَالتَّطْفِيفُ وَقَلَّةُ الْكَلَامِ ، أَنَا إِن شَاءَ اللَّهُ عِنْدَكَ بِالْعِشِيِّ ،
 وَالْحَقُّ الْحَقُّ وَأَقُومُ بِمَا يَجِبُ عَلَىٰ مِثْلِكَ لِمِثْلِي ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ لَكَ مِثْلٌ^(٧) ،
 وَلَا لِمِثْلِي أَيْضًا مِثْلٌ ؛ هَكَذَا إِلَىٰ بَابِ الشَّامِ وَإِلَى قَنْطَرَةِ الشُّوكِ وَإِلَى
 الْمَرْفَاقَةِ .

١٠ أَقُولُ لَكَ الْمَثْوَى ، أَنَا وَأَنْتَ الْيَوْمَ كَمِثْلٍ كَمِثْرَاتَيْنِ إِذَا عَفَنْتَا عَلَىٰ
 رَأْسِ شَجَرَةٍ ، وَكَذَلَوْنِ إِذَا خَلَقْتَا عَلَىٰ رَأْسِ بئرٍ ، وَدَعَا الْقَارُوزَةَ ،

(١) التجواز : برد يعني موسى . وفي الأصل : « محوار » ، وكأنها « جلواز »
 بمعنى : الشرطي

(٢) سورة البقرة ١٥٦ .

(٣) سورة لقمان ٣٤ .

(٤) سورة فاطر ٤٣ .

(٥) سورة الشورى ٢٩ .

(٦) سورة فاطر ٢٧ .

(٧) في الأصل : « شغل » . وما أثبتناه في الإرشاد .

اليومَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَمْسِ كَانَ سَبْحَانَ اللَّهِ ، وغداً يكون شيئاً^(١) آخر ، وبعد غدٍ تَرَى من رَبِّكَ الْعَجَبَ ، والموتُ والحياةُ بِعَوْنِ اللَّهِ ، ليس هذا مما يُباع في السُّوقِ ، أو يوجد مطروحاً عَلَى الطَّرِيقِ ، ولكن الإنسانَ ولا قوةَ إِلَّا بِاللَّهِ طَرِيفَ أَعْمَى ، كَأَنَّهُ مَاصِحٌ لَهُ مَنَامٌ قَطٌّ ، ولا خَرَجَ من السُّمَارِيَةِ إِلَى الشَّطِّ ، وكَأَنَّهُ مَارَأَى قُدْرَةَ اللَّهِ فِي الْبَطِّ ، إذا ٥ لَقَطَ كَيْفَ يَتَقَطَّقُ ؛ والكلامُ فِي الْإِنْسَانِ وَعَمَى قَلْبِهِ وَسَخَنَةُ عَيْنِهِ كَثِيرٌ لَا يَحْمِلُهُ تَلٌّ عَقْرُوفٍ^(٢) ، ولا يَسْلُمُ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَّا مَنْ عَصَرَ نَفْسَهُ عَصْرَةً يَنْشَقُّ مِنْهَا فَيَمُوتُ كَأَنَّهُ شَهِيدٌ . وهذا صَعْبٌ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَبَعْضُ خِذْلَانِهِ الْغَرِيبُ . عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، وَإِلَيْهِ التَّفَتُّنَا وَرَضِينَا ، وَبِهِ اسْتَجَرْنَا ، إِنْ شَاءَ خَرَّانَا وَإِنْ شَاءَ أَطْعَمَنَا . ١٠

قال القاضي : فَكِدْتُ أَمُوتُ مِنَ الضَّحْكَ ، عَلَى ضَعْفِي ، وما زالَ كَلَامُهُ لَهْوِي إِلَى أَنْ خَرَجْتُ إِلَى النَّاسِ . وكان مع هذا لَا يَعْمَى وَلَا يَكَلُّ وَلَا يَقِفُ ، وكان من عَجَائِبِ الزَّمانِ .

(١) كذا في الأصل .

(٢) تل عقر قوف : قرية بنواحي نهر عيسى ببغداد ، معجم البلدان (تل عقر قوف) .

وقال لي ابن عباد : حَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِ لِيَالِيهِ بِبَغْدَادَ ، يَعْنِي ذَا
الْكُفَايَتَيْنِ ، وَعَنْ مُذَاكِرَةِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَهُ وَمِشَارَكَتِهِ لَهَا .

قلت : نعم ! حضرتُ لَيْلَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ ،
وَالْأَثَمَاءَةِ ، فَسَأَلَ عَنِ الْغِنَى أَيْقَصَرَأَمْ يُمَدُّ؟ قَالَ ابْنُ فَارِسَ : الْغِنَى مَقْصُورٌ
وَهُوَ الْيَسَارُ وَالتَّرَفُّهُ ، وَالْغِنَاءُ بِالْمَدِّ مَا يُسْمَعُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمَعْرُوفَةِ ، إِلَّا
أَنَّ الْفَرَّاءَ قَدْ حَكَّى أَنَّ ^(١) الْمَدُّ فِي هَذَا الْمَقْصُورِ وَهُوَ حِجَّةٌ ، وَلَا سَبِيلَ
إِلَى رَدِّ قَوْلِهِ .

فَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ : هَكَذَا وَمَا أَصَحَّ حِكَايَتِكَ ! وَلَكِنْ قَلْبِي لَا يَطْمَئِنُّ
إِلَى مَدِّ هَذَا الْأَسْمِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِي كَلَامِهِمْ مَمْدُودًا .
فَقَالَ ابْنُ فَارِسَ : قَدْ أُنْشِدَ الْفَرَّاءُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

سَيُغْنِنِي الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّي فَلَا فَقْرَ يَدُومُ وَلَا غِنَاءَ ^(٢)

فَقُلْتُ : عِنْدِي فِي هَذَا شَيْءٌ ، وَمَا دَخَرْتَهُ إِلَّا لِمِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ ، وَقَدْ
حَانَ وَقْتُهِ .

(١) كَذَا ، وَالْأَوَّلَى حَذَفَ «أَنَّ» .

(٢) الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ (غِنَا) غَيْرُ مَنْسُوبٍ . وَرَوَى بِفَتْحِ الْغَيْنِ
وَكُسْرِهَا .

فقال : هاتِ ، بارك الله عليك ، إنه حَبَاءٌ بالفائدة ما علمت .
قلتُ : الشَّعْرُ عَلَى غيرِ هذا الوجهِ ، والبيتُ الذي يَتْلُوهُ يشهدُ
له ، وهو :

سَيُغْنِيَنِ الذي أَغْنَاكَ عني فلا فقري يدوم ولا غناكَ
تَجْنِيتِ الذنوبَ لتَصْرِمِينِي دَعِيَ العَلَاتِ واتَّبِعِي هَوَاكَ ٥

فقال لي : أَحْسَنْتِ وَأَجَدْتِ ! من أَنشَدَكَ هذا ؟
قلتُ : أبا اللَّيْلِ العَلَوِيَّ بالمدينة ، في مجلس أميرها أَبِي أحمد العَلَوِيَّ
العَقِيقِيِّ .

قال : فحدِّثْنَا عن أَبِي اللَّيْلِ هذا وعن غيره بشيء .
قلتُ : سمعتُ شيخاً عنده من بَنِي حُرْبٍ قد أَنشَدَ أَيْيَاتَا ، لم أُعَلِّقْ ١٠
منها إِلَّا بَيْتاً واحداً ، وهو :

فَتَى خُلِقَتْ أَرْوَاحُهُ مُسْتَقِيمَةً لَهُ نَفَحَاتٌ رِيحُهُنَّ جَنُوبُ
وكان معنا إذ ذاك أبو صالح الرَّاظِي الصُّوفِي ، وكان مفوَّهاً
جَدِلاً .

فقال له : ماذا أراد بقوله « أَرْوَاحُهُ مُسْتَقِيمَةٌ » ؟ ١٥

[٨٨ ب]

قال : أراد / أن أخلاقه لا تحول عن الخير ، وعادته لا ترينغ^(١) إلى القبيح ، وأنه على ديدنه في الكرم ، وخص الجنوب لاستدراها السحاب ، وجعل تفحاتها منافع لهذا الذي مدح به .
فقال : زدنا من حديث هؤلاء المدنيين .

قلت : وسمعه ، أعني الحربي ، يقول للأمير أبي أحمد في حديث طويل :

أيها الأمير !

لني ولية تفرع جنابي فإنني لما نلت من وسمي نعمالك شاكر^(٢)

قلت : أعد علي نسيج قافيتك .

قال : أما ثقفته ؟

قلت : ما أدري ما تقول

قال : لملك من هذه الفرقه الكلامية^(٣) .

قلت : لعله .

(١) ترينغ : تميل :

(٢) البيت في اللسان (ولي) منسوباً لذي الرمة . « ولي » أمر من الولي ، وهو المطر الذي يأتي بعد المطر ، أي أمطر معروف بعد معروف .

(٣) في الأصل : « الكلافة » ولعل الصواب ما أثبتناه .

وسمعتُ هذا الحربيَّ يقول ، وكان يُكنى أبا الخَصِيب ، إسيّد حية ،
 وهما بالعقيق على صَفّة الوادي وقد مَدَّ (١) ، وهما ينطلقان بما أُحْصِلُ ولا
 أُحْصِلُ (٢) ، حتّى قال أبو الخَصِيب لصاحبه :

يا هذا ! اسأل عن طارِفِكَ وتالِدِكَ ، تَسُدُّ بين صاحبك ووَافِدِكَ ،
 أما سمِعتَ في هذه القوافي الأوَّلُ (٣) ؟
 لو كنتَ تُعْطِي حينَ تُسألُ ساءت

لَكَ النَّفْسُ وَاخْلَوْلَاكَ كُلُّ خَلِيلٍ ؟
 فرددتُ القافيةَ ، وقلتُ : « واستَحْلَاكَ كُلُّ خَلِيلٍ » :
 فقال لي مُنْكَرًا : ما هَكَذَا لَعَنِي !

فقال ذو الكِفَايَتَيْنِ : كيف كان إدراكُهم لما يقع بالإعراب ؟
 قلتُ : سألتُ أبا الخَصِيبَ هذا : أقول إنَّ قُرْبِي جَعْفَرًا ؟
 قال : نعم ، فما تبغني ؟

قلتُ : أفأقول : إنَّ بُعْدِي جَعْفَرًا ؟
 قال : لا ، فما تبغني ؟

(١) مدّ النهر : امتلأ وكثر ماؤه .

(٢) كذا في الأصل ، وكأنها : « وما لا أُحْصِلُ » ..

(٣) البيت في اللسان (حلا) من إنشاد اللحياني ، هو هناك برواية : « فلو كنت

تعطي » .

قُلْتُ : فما الذي يَمْنَعُ من جوازهما ؟

قال : بينهما مُسَيِّفَةٌ لَا تُسَلِّكُ ، ورُمَيْلَةٌ لَا تُعْلَى ، وما أَعْلَمُ الغَيْبَ ، وإني على يَنِّةٍ مما قلت ، وعلى رَيْبٍ مما سألت .

فَسَمِعَ ابْنُ عَبَّادٍ هَذَا كَلَّمَ عَلَى تَغِيْظٍ مَا قَصَدَتْ إِثَارَتَهُ عَلَيْهِ ، وَلَا عَلِمْتُ أَنْ لِي مَتَقَصَّى ^(١) مِنْ نَبْثٍ ^(٢) مِنْهُ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ كَسَلُهُ سَبَبُ الْحِرْمَانِ .

وَلَقَدْ ظَهَرَ لِذِي الْكِفَايَتَيْنِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ فَضْلٌ كَبِيرٌ ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَشَخَّصْ إِلَّا مَعْتُوبًا عَلَيْهِ .

وَلَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ طَرْخَانَ الْوَرَّاقُ ^(٣) رِسَالَةً طَوِيلَةً أَطْلَعَنِي عَلَى فُصْلٍ مِنْهَا يَقُولُ فِيهِ :

« وَإِنَّكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْهَمَامُ دَخَلْتَ هَذَا الْبَلَدَ إِذَا غَرَّ آبَا ثُرَيٍّ وَتَرَى ، وَإِذَا عَلَى أَنْ تُبَيِّنَ فَضْلَكَ لِأَهْلِهِ ، وَإِذَا لَأَنْ تَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ .

(١) المتقصى : الغاية ، وفي الأصل : « منقصى » .

(٢) الكلمة في الأصل مهملة الحروف هكذا : « سي » ، ويمكن أن تقرأ « نبث » ، من نبث عن عيوب الناس بمعنى أظهرها . و « نبلي » من نال من فلان إذا سبه ووتره .

(٣) لعله أبو الحسن علي بن حسن الذي ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٢٢ .

فَإِنْ كَانَ دُخُولُكَ عَلَى غَرَارَةٍ ، فَمَا هَذَا بِمُشَاكِلِ لِمُرْتَبَتِكَ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ
الَّتِي غَرَّتْهَا مَجْلُوءٌ بِيَدِكَ . وَجُمَّتْهَا ^(١) مَفْرُوقَةٌ بِمَذْرَى ^(٢) تَذْيِيرِكَ ، وَأَذَاهَا
مُمَاطٌ بِذَبَابِكَ ، وَدَوَاوُهَا مَأْمُونٌ بِطَبِّكَ ، وَعَدُوُّهَا مَكْبُوتٌ بِصَوْلَتِكَ ،
وَدَوَاتِكَ ، وَوَلِيِّهَا قَرِيرُ الْعَيْنِ مُحْسِنٌ إِيَّاكَ ^(٣) وَكَفَالَتِكَ .

وَأَمَّا أَنْ تَبَيَّنَ فَضْلُكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ لَا يَتَعَرَّفُونَ بِفَضْلِكَ إِلَّا مَوْصُوفًا ٥
بِإِفْضَالِكَ ، وَلَا يُسَامُونَ لَكَ مُرَاذِكَ فِيهِمْ إِلَّا بِأَنْ يُدْرِكُوا أَمَلَهُمْ مِنْكَ ، كَانَ
ذَلِكَ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ، سَلَامًا أَوْ حَرْبًا .

وَأَمَّا لِأَنْ تَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ مَعَ إِذَالَةٍ ^(٤)
الْقَاصِدِينَ ، وَالِاحْتِجَابِ مِنَ الطَّامِعِينَ وَالتَّكَبُّرِ عَلَى الْحَاضِرِينَ ؛ وَلَوْ حَسُنَ
التَّكَبُّرُ بِأَحَدٍ لِحُسْنِ بَيْتِكَ ، لِأَبَوْتِكَ الشَّرِيفَةِ ، وَلِفُرَّتِكَ الصَّيِّحَةِ ، ١٠
وَلِكِفَايَتِكَ الظَّاهِرَةِ ، وَلِفَضَائِلِكَ الْكَثِيرَةِ ؛ وَلَكِنْ زِرَايَةُ التَّكَبُّرِ عَلَى
صَاحِبِهِ أَطْرَدَ لِمَحَاسِنِهِ مِنْ تَدَارُكِهِ — بِتَكْبَرِهِ — مِنْ غَيْرِهِ مَا يَرِيدُ
يُحْلِدُهُ ^(٥) ، وَالنَّاسُ لَا يَرْضَوْنَ إِلَّا بِالْغَايَةِ ، وَالْغَايَةُ أَنْ يَظْلَمَ الرَّئِيسُ

(١) الْجَمْعُ بِالضَّمِّ : مَجْتَمَعَ شَعْرِ الرَّأْسِ .

(٢) الْمَذْرَى : الْمَشْطُ .

(٣) الْإِيَالَةُ : السِّيَاسَةُ وَالْوِلَايَةُ .

(٤) الْإِذَالَةُ : الْإِهَانَةُ .

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

نفسه تَكْرُمًا عَلَى زَائِرِهِ ، وَيَجْرَعُ ^(١) الْغَيْظَ مِنْ كُلِّ مَنْ قَرِ
وَلَسَ رِكَابَهُ .

وَأَنَا ، أَعْلَى اللَّهِ كَعْبِكَ ، أَحْصِي أَشْيَاءَ جَعَلَهَا أَصْحَابُنَا جَوَابَ
عَلَيْكَ ، وَالْكَلامِ مِنْ وَرَائِكَ ، وَلَيْسَ لِي فِيهَا أَقُولُ إِلَّا الْفَوْزَ
النَّصْحَ ، وَإِلَّا الْإِلْتِذَاذُ بِالتَّنْبِيهِ عَلَى الْكَرَمِ ، وَإِلَّا إِيْثَارَ سَلَامَةٍ
عَلَى قَوْمِ تَهْمِهِمُ الْمَحْكُ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَإِلَّا التَّعَرُّضَ لَذِكْرِكَ لَهُمْ ^(٢) بِالْجِ
الرَّحِيلِ مِنْ هَذِهِ الرَّبَاعِ .
فَمَنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ :

سَهْوِكَ الَّذِي وَقَعَ قَدْ رَكَدَ ^(٣) عَلَيْكَ فِي قَبُولٍ مِنْ تَقْبَلِ ، وَ
مِنْ تُوَصَّلِ ، وَإِبْعَادٍ مِنْ تُبْعَدِ ، وَتُفْضِيلٍ مِنْ تُفْضَلُ بِقَوْلٍ مَنْ حَ
وَحُسْكِمْ مِنْ أَطَافِ بَكَ ، اسْتِرْسَالًا مَعَ الْأُنْسِ بِهِمْ ، وَثِقَةً بِمَا سَلَفَ
وَذَهَبَ عَلَيْكَ — أَكْرَمَكَ اللَّهُ — أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَنْظُرُ بَاءً
وَتَقْبَلُ وَتَرُدُّ بِأَهْوَائِهِمْ ، مَا خَلَوْا مِنْ حَسَدٍ / لِمَنْ يَخِفُّ عَلَى قَلْبِكَ [٨٩]

(١) بِالْأَصْلِ : « وَتَجْرَعُ » ، نَصْحِيفَ .

(٢) كَذَا ، وَالْمُنَاسِبُ : « لَذِكْرِهِمْ لَكَ » .

(٣) قَدْ رَكَدَ : قَدْ دَارَ ، وَفِي الْأَصْلِ : « فَدَرَكَدَ » .

بِعَيْنَيْكَ وَيَلْتَاظُ بِنَفْسِكَ ، وَالْعَامَّةُ تَقُولُ : « الْقَاصُّ لَا يُحِبُّ الْقَاصَّ » .
 ولو كَانَ قَلْبُكَ لِكُلِّ مَنْ اسْمُهُ عِنْدَكَ ، لَصِيتَهُ الْبَعِيدُ ، وَسُؤَالُكَ لِمَنْ
 لَا شُهْرَةَ لَهُ قَبْلَكَ بِحُسْنِ التَّأْتِي فِي التَّقْرِيبِ ، لَكَانَ حَدُّكَ حَيْثُئِذٍ مَقْبُولًا
 بِمَا يَظْهَرُ لَكَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ ، وَكَانَتْ الْحِجَّةُ تَقُومُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ
 قَدْ ضَرِيَ عَلَى مَالِكَ ، أَوْ وَضَعَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَنَالَ مِرَادَهُ مِنْكَ بِالْخُدْعِ ،
 ٥ عَلَى أَنْ التَّغَافُلُ فِي هَذَا الْبَابِ أَذْلُ عَلَى الْكِرَمِ ، كَمَا أَنَّ الْإِسْتِقْصَاءَ فِيهِ
 أَجْلَبُ فِيهِ لِلنَّكَدِ .
 فهذا هذا .

وشيءٌ آخر ، وهو أَصْعَبُ مِمَّا تَقَدَّمَ ، وَذَلِكَ أَنَّ حِجَابَكَ قَدْ بَدَّدَ
 ١٠ شَمْلَ الزُّوَارِ عَنْكَ ، وَقَسَمَ ظَنُونَهُمْ بِكَ ، وَطَرَحَ فِي قُلُوبِهِمُ الْيَأْسَ مِنْكَ ؛
 وَأَسْتَبَ أَهْلٌ لِنَظَرِكَ مِنْهُمْ ، كَمَا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلٍ لَشِدَّةِ الْحِجَابِ مِنْكَ ،
 وَقَلَّةِ رَافِعِي أَخْبَارِهِمْ إِلَيْكَ .

وشيءٌ آخر ، وهو أَصْعَبُ مِمَّا تَقَدَّمَ ، وَالسَّهْوُ فِيهِ لَا حِقِّ بِالظُّلْمِ ؛
 لَمْ يَحِبْ — أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَكَ — أَنْ لَا يَصِلَ بَرُّكَ إِلَّا إِلَى الْفَاضِلِ ، وَإِلَّا
 ١٥ إِلَى الْكَامِلِ ، وَإِلَّا إِلَى الَّذِي هُوَ فِي الشَّعْرِ مُفْلِقٌ ، وَفِي الْكِتَابَةِ بَارِعٌ ،
 وَفِي الْفَلَسَفَةِ غَايَةٌ ، وَفِي الْكَلَامِ نِهَايَةٌ ، وَفِي الْفِقْهِ آيَةٌ ، وَفِي النَّحْوِ مَذْكُورٌ ،
 وَفِي الطَّبِّ مَشْهُورٌ ؟

وهذا ظلم . لأنَّ الله تعالى جعل لكلِّ شيءٍ قَدْرًا ، وأظهر له خَطَرًا .
 وكلُّ متاعٍ وثمنه ، وكلُّ بدنٍ وسننه ، والمتناهي كان في الأولِ مُبتدئًا ،
 ثمَّ في الثاني متوسطًا ، ثمَّ في الثالث الذي لارابع له ؛ وقاصِدوك بفضائلهم
 كالعارضين عليك بامتعتهم ، وأنتَ تشتري كلَّ متاعٍ بقيمته وتعدله
 ببذله فهكذا ينبغي أن تفعلَ بأبناء الأمل وأصحابِ العمل ؛ فليسَ
 يجملُ أن يحظى بصلتك وبرِّك وجائزتك ونظرك أبو سعيد السِّيرافي ،
 وأبو سليمان السَّجِسْتاني ، وعلي بنُ عيسى الرُّمَّاني ، وأصحابُ القلانس ،
 ويُحرَّم بعضُ ذلك فلانٌ وفلانٌ يَمُنُّ ليس لهم سَمْعٌ ^(١) هؤلاء ولا حالهم ،
 على أنكَ قادرٌ على إلحاق الصُّغار بالكبار بالاصطناع والتفَضُّل ؛ فإن
 الرِّجال هكَذا يتلاحقون ، وفي حَلَبَةِ الرُّوساء يتسابقون . ١٠

فكن سببًا للسَّاكيت حتى ينطق ، وعلةً للسَّاكن حتى يتحرَّك ،
 وبابًا للنَّائم حتى يستيقظ ، وطريقًا للخامل حتى ينتبه ، وجدًّا سعيدًا للميت
 حتى يحيا ؛ فأما من عدا هذه الطبقة فقد سلفَ له بغيرك ما هو أشكر ،
 وبه أبصر وله أنصر ؛ على أنكَ إذا عصمت الجميع بالخير كنتَ أشدَّ اقتداءً
 بالله ، وأجَنَحَهم ^(٢) إلى هُدَى أنبياء الله ، وآخذَهم بعادة خُلَفاء الله . ١٥

(١) السمع بالكسر : الصيت والذكر الجميل .

(٢) الضمير للروساء .

وشيء آخر ترجّحتُ بفكري في طيّه ونشره ، فرأيت طيّه نخشاً^(١)
لوجه النصيحة ، وذكره بالإطالة فتحاً لباب النصيحة ، فذكرته مختصراً ؛
فقد يفهم من الكلام القصير المعنى العريض الطويل ، وهو حديث المائدة
والطبق ، وما يُحْضَرُ للأكل ويُجمَعُ عليه الرّفعُ والوضيعُ ، والنزه
والجشيع ، فجَدَّدَ الاهتمام بذلك ، فإن القالة فيه طائفة ، وأحال فيه دائرة ،
والمحاجة إلى التّحزُّم فيه ماسّة ، والتّعاؤل عنه تجلّبة للذم ؛ وقد رأينا
قوماً كراماً تهاوّنوا في هذا الباب ، إمّا رفعاً لأنفسهم عنه ، وإما شغلاً
بمهماتٍ آخر دونه ، فأكلتهم الألسنة ، وأعلقتهم الملامة ، وأحوجتهم إلى
الاعتذار الطويل بالاحتجاج الكثير . والكرم والمجد لا يثبتان بالدعوى ،
ولا يُستامان بالحجة ، ولكن يشيعان بالفعل الذي نُطقه كالوخي في الحال
التي تنتصّب للعين ، ولا يؤنقن من ضمة الأكلة ، فإن أوام الأكلة دليل
ناصع على كرم المطعم .

وهذا باب يزل فيه الرئيس ويظلم فيه الخدم ؛ فإن الرئيس لا يقدر
على أن يتولّى كلّ ذلك بنفسه فيراعيه بلحظه ولفظه ، إلا أنه متى أحكم
الأساس فقد أمن الباس ، وأرضى جمهور الناس .

(١) الخش : الخدش في الوجه .

وشيء آخر لا بدَّ من الإفَاضة فيه على وجه الذِّكرى ؛ إن إلقاءك
الناسَ بالبشر يأسرهم لك ويُرْضِيهم عنك ؛ فتكلّف ذلك إن لم يكن التهلُّل
سجيةً لك بالمزاج المستعدّ / ، وما أكثر ما يلحق المتخلّق بذِي الخلق .
وبعدُ فبين عبّوس وجهك وقد ظهرت للناس لتركب ، وبين عبّوسه ،
وقد رجعت إلى دارك لتنزل ، فرق ، أعني أنك ربّما عُذِرت في العبوس
في الثاني ، لأن النهار قد نصف ، ولأنك قد تجشّمت إلى ذلك الوقت
مصاعبَ الدّولة بالأمر والنّهي والقَبْض والبسط ؛ ولست تُعذّر في غُرّة
نهارك وأنت جَامٌّ ^(١) ومتوجه ومُقْتَضِبٌ ^(٢) للتدبير في الأمور .

وشيء آخر ، قد يسبق إلى عَيْنِكَ ازدراء من عليه مرّعة ، أو
علته بذادة ^(٣) ، وقد اعتراه عِيٌّ إمّا للهيبة أو لسوء العادة ؛ فلا تُصدّق
العين فإنها تكذب أحياناً ، واعمل على أنك تعتقده بفَضْلِكَ ، فإن كان
من أهل الفضل فهو شقيقك بالطبيعة وإن كان من أهل النقص فهو مستحقٌّ
منك الرحمة . والإحسانُ إلى مثله شكرٌ منك لله على ما خصّك به
من دونه .

(١) جامٌّ : مستريح .
(٢) مقتضب : راكب .
(٣) البذادة : رثاءة الهيبة .

هذا ما حصل لي من ذلك الفصل

ثم إني في سنة سبعين وجدتُ هذه الرسالة في مُسَوِّدة ابن طرخان
فيما يُباع من ميراثه . فكان في أولها :

« السعادة أيها الأستاذ الجليل ضربان ، والسَّعِيدُ رجلان ، وإحدى
السَّعَادَتَيْنِ للدنيا ، والثانية الآخرة ؛ وأحد السَّعِيدِينَ مَنْ هو سَعِيدٌ فِي ٥
هذا المكان ، والثاني هو السَّعِيدُ فِي مَكَانٍ آخَرَ ؛ وَمِنْ كَمَالِ فَضِيلَةِ أَحَدِ
السَّعِيدِينَ أَنْ يُعَاشِشَ النَّاسَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَمِنْ تَعَامٍ إِحْدَى السَّعَادَتَيْنِ أَنْ
تَتَّصِلَ بِالْآخَرَى .

ولما رأيتُك أيها الأستاذ سعيداً في هذه العاجلة بالمال والولاية ،
والعزّ والمرتبة ، آثرتُ أَنْ تَكُونَ سَعِيداً فِي تِلْكَ الْأَجَلَةِ بِالْإِحْسَانِ ١٠
وَالْمَعْرُوفِ ، وَالْبِرِّ وَالْمَكْرُمَةِ ، فَكُتِبَتْ خُرُوفاً قَصْدَتْ بِهَا إِذْ كَارَكَ
لَا تَعْلِيمَكَ ، لِأَنَّكَ تَجِلُّ عَنْ التَّعْلِيمِ ؛ لِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ لَكَ عَلَيْنَا مِنَ التَّعْظِيمِ .
وإنَّمَا سَاغَ الْإِذْكَارُ ، وَحَسُنَ التَّنْبِيهُ لِأَشْغَالٍ قَدْ اكْتَفَتْكَ مِنْ تَهْذِيبِ
الدَّوْلَةِ ، وَأَعْبَاءٍ قَدْ تَحْمَلْتَهَا فِي حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ ، وَأُمُورٍ أَنْتَ وَثِيْقُهَا فِي بَثِّ
الْمَعْدَلَةِ فِي الرَّعِيَةِ ، وَإِقَامَتِهَا عَلَى سَوَاءِ الْحُجَّةِ ، وَلَوْ سَكَتُ عَنْ هَذَا ١٥
كُلَّهُ لِأَمْكَانٍ ، وَكَانَ لَا يَتَشَعَّبُ لَكَ حَالٌ قَدْ تَوَلَّى اللَّهُ صِلَاحَهَا ، وَلَا يَنَادُ^(١)

(١) يناد : يعوجّ .

عليك مُستقيمٌ قد أذن الله بدوامه ؛ ولكن كنتُ أُحرم القربى إليك ،
ولفوت^(١) النظر إلى مثلي ومحرومي^(٢) الدُّع لِقَلْبِي من فائتكَ ؛ لأنَّكَ سيدٌ
وأنا عَبْد ، وَأَنْتَ رئيسٌ وأنا مرؤوس ، فنعمتُ دالاً على نفسي بما
قدَّمته من نفسي ؛ فإن كنتُ لم أُخرج من حدِّ الأدب المرزِي ، وعادة
أهل الحكمة العالِيَة ، فما أولاك بعِرفان ذلك لي ؟ وإن كنتُ قد خَرَجْتُ
عن ذلك بعُجبٍ حالٍ بيني وبين صوابي ، وخطأٍ قَعَدَ بي عن مَرْتَبَةٍ
أصْحَابِي ، فما أولاك بَسْتَر ذلك عليّ ؟ وما بَسَطَ اللهُ بَاعَكَ ، وما وَسَّعَ
دِرْعَكَ إِلَّا لِيَقِيَنَّكَ خَطَأٌ غَيْرُكَ بِشَكْلِ صَوَابِكَ ، وَإِلَّا لَتَتَّعَمَّدَ إِسَاءَتَهُمْ
بِإِحْسَانِكَ ، وَإِلَّا لَتَغْلَبَ الظَّنُّ فِي الْجَمِيلِ وَلَا تَغْلَبَ الظَّنُّ فِيمَا خَالَفَ ذَلِكَ ؛
وَأَنْتَ كَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْآفَاقِ الْمَتَبَارِحَةِ ، وَالْكَوَاكِبِ الْمَزْدَهَرَةِ ،
وَالْحَرَكَاتِ اللَّطِيفَةِ ، وَالْآثَارِ الشَّرِيفَةِ ، وَالْأَسْرَارِ الْمَكْنُونَةِ ، وَالْعَجَائِبِ
الكَثِيرَةِ ، وَالْغَرَائِبِ الْمَشْهُورَةِ ؛ فَلِكُلِّ نَازِلٍ إِلَيْكَ تَعْجُبُ ، وَلِكُلِّ
عَيْنٍ نَحْوِكَ تَقْلُبُ ، وَلِكُلِّ عَقْلٍ عَنْكَ يَحْتُ ، وَلِكُلِّ قَلْبٍ فِيكَ أَمَلُ ،
وَلِكُلِّ حَامِلٍ عِنْدَكَ رَجَاءُ ، وَلِكُلِّ عَمَلٍ قَبْلَكَ جَزَاءُ .

(١) في الأصل : « ويفوت » .

(٢) كذا بالأصل .

وأنا أسأل الله الذي رفعك إلى هذه الذروة والقلّة^(١) أن لا^(٢) يخطئك
إلى شيء من الذلة والقلّة^(٣) .

هذا ما صحّ لي بالاستخراج من مسودّته ، أتيت به على ما ترى .
وأروي لك هاهنا قصيدة أبي عبد الله النمري^(٤) يدحُ بها أبا الفتح ،
وكان يُعجب بها ، ويحفظها ويُشدها . ومُرادي بذلك تكثير الفائدة ؛
وتخليد الحديث يُتبع مرّة وينفع أخرى ، وهي^(٥) :

سَرَتِ النِّجَائِبَ بِالنِّجَائِبِ تَرْمِي السَّكْوَاكِبَ بِالسَّكْوَاكِبِ
تَرْمِي تَجَاهَاتِ الْمَشَا رِقٍ مِنْ تَجَاهَاتِ الْمَغَارِبِ
قَصْدًا إِلَى مَلِكٍ يُحَكِّمُ فِي رَفَائِهِ الْغَرَائِبِ
مَلِكٍ تَبَوَّأَ مِنْ خُزَيْبِ مَمَّةً فِي النَّوَاصِي وَالذَّوَائِبِ

(١) القلة بالضم : أعلى الشيء .

(٢) في الأصل : « أن لا أن لا » .

(٣) القلة بالكسر : الذلة .

(٤) الحسين بن علي بن عبد الله النمري الأديب الشاعر اللغوي المصنف ،
استدعاه أبو الفتح ابن العميد من البصرة إلى الري فورد عليه فأحسن إليه ووصله .
توفي سنة ٣٧٥ هـ . وترجمته في اليتيمة ٣٨١/٢ وما بعدها ، والإنباء ٣٢٣/٢ -
٣٢٤ ، والبنية ٣٧٥ .

(٥) القصيدة في اليتيمة ٣٣٣/٢ - ٣٣٤ (طبع مصر سنة ١٣٥٢ هـ ١٩٣٤ م) ،
وهي هناك تزيد وتقص عن رواية أبي حيان هاهنا .

حيث السَّوابقُ والسَّوا
بَغُ والنَّجائبُ والجَنائبُ
[يَهَبُ المنعْمَةُ الكوا
عَبَ والمَطْهَمَةُ السَّلَاحُ^(١)]
في سَوْرَةِ المَجْدِ التَّليدِ
يَابْنَ العَمِيدِ عَمِيدِ ذُو
الأَلَمِيِّ اللَّذْذُ تُحَدِّثُ
زُرْنَاكَ مِنْ أَرْضِ البُصْيَةِ
نَرْدُ المَنَاهِلِ كَالْمَجَا
لِ العِلْمِ والحِلْمِ المُغَالِبِ
رُ بِنَا وَأَطْلَبَتِ المَطَالِبِ
بَحْرُ الغَطَامِطِ ذِي الغَوَارِبِ
[لَارِيٌّ دُونَ الرِّيِّ وَال
بَحْرُ جَوَاهِرِهِ طَوَا
/ لَا دُونَهَا لَجُجُ الكَوَا
يَرْمِي بِنَا تِيَارُهَا
وَالْبَحْرُ لَا يَنْدَى بِهِ
لَمَّا نَهَضْتُ إِلَى الرِّجَا

٥

١٠

١٥

(١) ما بين الحاسرتين عن اليتيمة .

- وتَنَارَتْ عِبْرَاتِهِ - نَّ عَلَيَّ كَالْدَّرِ الثَّقَابُ
 نَدَى يَدَيَّ وَحَلَّتِي - دَمْعُ الْأَحْبَةِ وَالْجَبَابُ
 فَجَعَلْتَهُ فَالًا وَقُلْدُ - مَت نَدَى الدُّمُوعِ نَدَى الْمَوَاهِبُ
 وَلَنْ تَلَا فِتْنِي يَدُ الْأُ - سَتَاذٍ مِنْ أَيْدِي النَّوَابُ
 وَأَقَمْتُ فِي الظِّلِّ الظَّلِيلِ - لِي وَلَمْ تُشْعِبْنِي الشَّوَابِ ٥
 لِيُبَشِّرَنَّ أَحِبَّتِي - بِمَوَاهِبِي شَتَّى الْمَوَاهِبُ
 وَيُحْلِلَنَّ لَائِلًا - أَضْمَفَ أَدْمُعَهَا السَّوَاكِبُ
 وَلَا تُضَيِّنَنَّ مِنَ الْعَشِيِّ - رَةَ كُلِّ حَقٍّ حَقٍّ وَاجِبُ
 حَتَّى يُقَالَ أَعَادَهُ الـ - أَسْتَاذُ مَكْرَمَةِ الضَّرَائِبُ
 كَمْ مِنْ ظَبَاءٍ بِالْبَصِيصِ - رَةَ فِي الْمَقَاصِرِ وَالسَّبَابِ ١٠
 إِنْسٌ وَوَحْشٌ يَشْتَبِهُ - نَ سَوَى النَّوَابِ وَالْحَقَائِبُ
 أَدْمٌ يُقَاسِمُنَ الْأَرَا - لَكَ جَنَاهُ وَالْقُضْبَ الرُّطَائِبُ
 [فَلَأَنْسَهَا أَغْصَانُهُ - تَجْلُو بِهِ بَرْدَ السَّحَابِ ^(١)]
 وَلَوْ خَشِيَهَا غَضُّ الْجَنَى ^(٢) - عِبَتْ الْمَعَازِلُ ^(٣) وَالْمَلَايِبُ

(١) عن اليتيمة .

(٢) هذه رواية اليتيمة ، وفي الأصل : « قد أنسها غَضُّ الجنى » .

(٣) في اليتيمة : « المعازف » .

نَصْطَادُ وَحْشِيَّاتِهَا وَتَصِيدُنَا الْإِنْسُ الْخِرَابُ
يَا رَبِّ يَوْمٍ لِي كَظَلِّكَ أَوْ كَظَلْمِكَ^(١) أَوْ يَقَارِبُ
رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَغَضَّتْ عَيْنُ وَاشِيهِ الْمُرَاقِبُ
قَصَّرَتْ لَنَا أَطْرَافُهَا^(٢) قَصَرَ الْقِنَاعُ عَنِ الذَّوَائِبِ
فَتَبَرَّجَتْ لَذَاتُهَا لِلخَاطِبِينَ وَلِلخَوَاطِبِ
نَزَلَتْ بِهِ حَاجَاتُنَا بَيْنَ الْمُحَاجِرِ وَالْحَوَاجِبِ
يَا لَيْتَ سَعْدًا مِنْ سَعْوِ ذِكِّ رَدِّ أَيَّامِي الذَّوَاهِبِ
مَلِكٌ يُضِيءُ بِوَجْهِهِ وَتَرَى بِهِ الظُّلُمَ الْغِيَاثِ
لَوْ سَامَهُ أَعْدَاؤُهُ مَا دَسَمَهُ ، وَالْيَوْمُ حَاصِبٌ^(٣)
وَهَبِ الذَّوَائِبَ لِلْمَطَا عَنِ وَالتَّوَاضِبَ لِلْمَضَارِبِ
وَمِنْ السَّخَاءِ مَذَاهِبُ يُعَذِّدُ فِي جُمَلِ الْعَجَائِبِ
لَمَّا رَأَى الطَّالِعُ الدَّوْلَةَ الْوَارِثَةَ مَأْمُونُ مَأْمُونِ الْمَغَائِبِ
وَرَأَى رَكْنَ الدَّوْلَةِ الْوَارِثَةَ خَرَّاءَ رَكْنًا ذَا مَنَاكِبِ

٥

١٠

(١) فِي الْيَتِيمَةِ : « كَظَلْمِكَ » .

(٢) فِي الْيَتِيمَةِ : « أَطْرَافُهُ » .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

وَمُظْفَرُ الْأَقْلَامِ وَالْأُ	غَلَامٌ مِيمُونٌ النَّقَائِبُ
كَأَبِيهِ خَيْرِ أَبٍ وَأُنْ	جَبِهِ إِذَا عُدَّ الْمَنَاجِبُ
رَدَّ الْأُمُورَ إِلَيْهِ رَ	دَّ مُهَوِّضِينَ عَلَى التَّجَارِبُ
حَتَّى إِذَا انْتَضَمَتْ لَهُ	بُثْقُوبٌ آراءِ ثَوَائِبُ
وَكَفَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ	نَ عُرَى الْكِتَابَةِ وَالْكَتَائِبُ ٥
بِكِفَايَتَيْنِ أَقَامَتَا	أَوْدَ الْمُسَالِمِ وَالْمُجَارِبُ
اشْتَقَّ مِنْ أَعْمَالِهِ	لَقَبًا لَهُ بِكُرَى الْمَنَاقِبُ
مِثْلَ الْفَرْنَدِ عَلَى الْقَوَا	ضِبِّ وَالْفَرِيدِ عَلَى التَّرَائِبُ
لِلَّهِ تَوْفِيقُ الْإِمَامِ	مِ الْعَدْلِ فِي اللَّقَبِ الْمُنَاسِبُ
يَاخِرَ مَنْ رَكِبَ الْجِيَا	دَ وَقَادَهَا قُبَّ شَوَارِبُ ١٠
أَغْنَيْتَنِي كُلَّ الْغِنَى	وَكَسَبَتَنِي أَسْنَى الْمَكَايِبُ
شَرَفًا تَلَقَّبَهُ الْعِدَا	سَرَفًا فَيَالِكَ مِنْ مَعَايِبُ
وَكَسَوْتَنِي حُلَلًا صَقْدَ	نِ خَوَاطِرِي صَقْلَ الْقَوَاضِبُ
حُلَلًا كَدِيحِ الْخَدُودِ	دِ مَطَرَزَاتِ الشَّوَارِبُ
فَلتَشْكُرَنَّ رِيَاضُنَا	جَدَوَى سَحَابِكَ الصَّوَائِبُ ١٥
وَلتَنْظِمَنَّ لَكَ الْقَصَا	ئِدَ كَالْقَلَائِدِ لِلْكَوَاعِبُ

والنمريّ هذا مَليح الشعر والأدب والخلق ، ولما تَوَجَّهَ إلى ذي
 الكِفَايَتَيْنِ مِنَ البَصْرَةِ وصفَ بعضَ ما عَنَاهُ فقال :
 لما رَأَيْتُ كَرَمَ الْأَصْمَا^(١)
 وشَجَرَ البَلُوطِ خَضِرًا عَمَّا
 وَفَتِيَّةً عَنِ الْفَصِيحِ صُمًّا
 ذَكَرْتُ بِالْبَصْرَةِ نَحْلًا جَمًّا
 وَفَتِيَّةً بِيضَ الْوَجْهِ شَمًّا
 نَادَيْتُ يَا لَلَّهِمَّ فَرُّجَ غَمًّا
 مَا أَسْرَعَ الشَّيْءَ إِذَا مَا حُمًّا^(٢)

٥

فَأَمَّا الْجُمْلَةُ الَّتِي تَمَّتْ فِي أَمْرِ أَبِي الْفَتْحِ ذِي الْكِفَايَتَيْنِ ، فَقَدْ كُنْتُ
 فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ قَدْ وَعَدْتُ بِرَوَايَتِهَا ، وَهَذَا مَوْضِعُهَا عَلَى مَا سَمَحَ
 الرَّأْيُ فِيهِ ، وَلَعَلَّهَا تُفِيدُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ خَاصِّ مَا فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ ؛ لِأَنَّ
 الرِّسَالَةَ قَدْ صَارَتْ كِتَابَ خُرَافَةٍ^(٣) ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَصْدَ الْأَوَّلَ لَمْ يَنْحَرْفْ
 إِلَى هَذِهِ الْفَنُونِ وَالشُّعَبِ ، وَلَكِنْ الْحَدِيثُ ذُو شَجَوْنَ^(٤) ، وَلَهُ نَزْوَةٌ

١٠

(١) بالأصل : « كرام » ، والمعنى — بعد — غير واضح .

(٢) حم الأمر : قضي وقدر .

(٣) الخرافة : الحديث المستملح .

(٤) ذو فنون وأغراض .

من القلب على اللسان، ودَيِّبُ عَلَى اللسان من القلب^(١)، والاحتِراسُ منه يَقِلُّ، والغَلَطُ فيه يَعْرِضُ، وَحَفِظُ الكلام على سَنَنِهِ من الكُلْفِ الشَّاقَةِ والأُمُور الصَّعْبَةِ واللسانُ فيه أَكْثَرُ إِنْصَافًا من القَلَمِ، واللفظُ أَعَدَلُ من الخطِّ.

وبعدَ وقبلُ فالكلامُ في نشر العيبِ، وكشف القناعِ، وتدْنِيسِ
العرضِ، وهَجْوِ الإنسانِ، وَوَصْفِهِ بالخِبايِثِ أَكْثَرُ استِمرارًا، والمتكلمُ فيه أَظْهَرُ نشاطًا، وأَمْرُنُ عادةً، وأَوَقَدُ هاجِسًا، وأَحْضَرُ عاطسًا، وهذا لَأَن الشَّرَّ طِبَاعَ والخَيْرَ تَكَلُّفَ، والطَّيِّنةُ أَغْلَبَ.

وقد قال بعضُ فِتْيَانِ خُرَاسَانَ: الإِحْسَانُ مِنَ الإنسانِ زَلَّةٌ، والرَّحْمَةُ
من القَادِرِ أَعْجُوبَةٌ، والظُّلْمُ مِنَ المَدْلِ مَأْلُوفٌ.

وقد قِيلَ لبعضِ من انتَجَعَ مَأْمُولًا وَأَدْرَكَ حَاجَتَهُ مِنْهُ: كَيْفَ انْقَلَبْتَ
عَنْ فُلَانٍ؟

فَقَالَ: مَنْعَنِ لَذَّةَ هِجَاؤِهِ، وَأَكْرَهَنِي عَلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ،
وَالْقُلُوبُ تَجِبُولَةٌ عَلَى حُبِّ الإِحْسَانِ، وَاللِّسَنَةُ تَابِعَةٌ لِلْقُلُوبِ، كَمَا أَنَّ
الْعُيُونَ نَاطِقَةٌ عَنِ الضَّمَائِرِ؛ وَلِهَذَا قَالَ الشَّاعِرُ:

(١) فِي الْأَصْلِ: «عَلَى الْقَلْبِ».

تُحَدِّثُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَلَا جَنِّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ^(١)
أَيُّ لَاحِائِلَ وَلَا سِتْرَ . وَالْأَحْظُ رَائِدٌ ، وَالْقَلْبُ شَاهِدٌ ؛ وَالرَّائِدُ
لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَالشَّاهِدُ لَا يَكْذِبُ نَفْسَهُ .

وَقُلْتُ لِأَبِي سَلِيمَانَ شَيْخِنَا^(٢) بَيْغَدَادَ ، وَكَانَ يُتَهَادَى كَلَامُهُ ، وَيُتَشَاحَ
عَلَى مَا يُسْمَعُ مِنْهُ :

لَمْ صَارِ السَّبُّ وَالْهَجَاءُ وَذِكْرُ كُلِّ عَوْرَةٍ وَفَحْشَاءٍ أَخْفَ عَلَى مَنْ
حُرِّمَ مَأْمُولُهُ ، وَمُنِعَ مُلْتَمَسُهُ ، مِنَ الْوَصْفِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ ، وَالْمَدْحِ
الْأَغْرَ الْمَحْجَلِّ ، وَالتَّقْرِيطِ الْبَلِيغِ الْمُتَقَبَّلِ / عَلَى مَنْ صَدَقَهُ ظَنُّهُ ، وَتَحَقَّقَ
رَجَاؤُهُ ، وَحَضَرَتْهُ أُمْنِيَّتُهُ ؟

فَقَالَ : لِأَنَّ الَّذِي يَمْدَحُ يَعْلَمُ^(٣) مِنْ نَفْسِهِ [مَا] عِنْدَهَا كَالْعَتِيدِ^(٤) ،
وَالَّذِي يَشْلُبُ يَأْخُذُ لِنَفْسِهِ مَا لَيْسَ عِنْدَهَا كَالْمُسْتَقْبَلِ ؛ فَالْفَصْلُ بَيْنَهُمَا
كَالْفَصْلِ بَيْنَ الْغَارِمِ مَا عَلَيْهِ ، وَبَيْنَ الْغَانِمِ مَا يَطْلُبُهُ .

وَهَذَا كَمَا قَالَ ، وَهُوَ أَرْجَعَ إِلَى شِفَاءِ النَّفْسِ وَبَرْدِ الْغَلِيلِ ، وَإِلَى
بُلُوغِ الْغَايَةِ وَالِاسْتِيْلَاءِ عَلَى النَّهَايَةِ .

* * *

(١) عجز البيت في اللسان (جن) .

(٢) هو المنطقي ، وقد ترجمته .

(٣) في الأصل : « لعلم » .

(٤) العتيد : الحاضر .

ولولا^(١) أن هذين الرجلين أعني ابن عباد وابن العميد كان كبيرَي
زمانيهما ، وإليهما انتهت أمور ...^(٢) وعليهما طلعت شمسُ الفضل ،
وبهما ازدانت الدنيا ، وكانا بحيث يُنشرُ الحُسْنُ مِنْهُمَا نشرًا ، ويؤثرُ
القبیحُ عَنْهُمَا أثرًا ، لكنت لا أُنسكع^(٣) في حديثهما هذا التسكع ،
ولا أنحي^(٤) عليهما بهذا الحد .

٥

ولكن النقص ممن يدعي الكمال^(٥) أشنع ، والحرمان من السيّد
المأمول فاقرة^(٦) .

والجهلُ من العالم مُنكر ، والكبيرة ممن يدعي العصمة جائحة^(٧) .
والبخلُ ممن يتبرأ منه بدعواه عجيب .

ولو أردت مع هذا كله أن تجد لهما ثالثًا من جميع من كتّبت للجليل^{١٠}
والديلم إلى وقتك هذا المؤرخ في الكتاب لم تجد .

(١) نقله ياقوت في الإرشاد ٣٠٢/٢ .

(٢) بياض في الأصل قدر كلمة ، وفي الإرشاد ٣٠٢/٢ : « انتهت الأمور
وعليهما » .

(٣) التسكع : التماذي في الباطل .

(٤) أنحي : أميل .

(٥) في الإرشاد : « التمام » .

(٦) الفاقة : الداهية .

(٧) ما بين الحاصرتين عن الإرشاد ٣٠٢/٢ . والجائحة : المهلكة .

كان من الحديث الذي زلّنا عنه قليلاً إلى هذا الموضع أن رُكن
الدولة لما^(١) مات في أول سنة ست وستين وثلاثمائة ، اجتمع أبو الفتح
ذو الكفائتين ، وعلي بن كاهمة ، وتمامها وتمامها وتوافقاً^(٢) وتجالفاً ،
وبذل كل واحدٍ منهما لصاحبه الإخلاص في المودة في السر والجر^(٣) ،
والذّب في الظاهر والباطن ، والتوقيع عند الصغير والكبير ، واجتهداً
في الأيمان الغامسة^(٤) والعقود المؤرّبة^(٥) والأسباب المغارة القتل^(٦) ،
ودبراً أمر الجيش ، ووعداً الأولياء ، وردّاً النافر وركباً الخطر^(٧) ،
الحاضر ، وعانقاً الخطب العاقر^(٨) ، وبأشركل^(٩) ذلك أبو الفتح خاصة
بحد من نفسه ، وصريمة من رأيه ، وجودة فكره ، وصحّة نيته ؛
وتوفيق ربه . ١٠

(١) نقله ياقوت في الإرشاد ٣٦١/٥ .

(٢) في الإرشاد : « وتوافقاً » .

(٣) بحاشية الأصل : « والعلاية » .

(٤) التي تغمس صاحبها في الإثم .

(٥) المؤرّبة : المحكمة . وفي الإرشاد : « الموثقة » .

(٦) في الأصل : « المغارة الحمل » .

(٧) كذا في الإرشاد ، وفي الأصل : « أُلحظ » .

(٨) العاقر : الجارح المؤلم .

(٩) عن الإرشاد ، وفي الأصل : « واسرحل » .

فأما ورد مؤيد الدولة الرّبيّ من أصفهان ؛ وعائِن^(١) الأمر متّسقاً ؛
ولحق كلّ فتقٍ مُرتَقاً . بما تقدّم من الحزم فيه^(٢) ، ونفذ من الرّأي
الصائب عنده^(٣) ، أنكر الزيادة الموجبة للجند، وكرهها ودمدم بها^(٤) .
فقال له أبو الفتح : بها نظمتُ لك الملك، وحفظت لك^(٥) الدّولة ، وصنّت
الحريم ، وإن^(٦) خالفت هذه الزيادة هوالك أسقطت باليد الطولى^(٧) . ه
وكان ابن عبّاد قد ورد ، وخطبه رطب ، وتمّوره بارد ، وزرّقه^(٨)
غير نافذ ؛ هذا في الظاهر ، فأما في الباطن فكان يخلو^(٩) بصاحبه
وينزيه^(١٠) على أبي الفتح بما يجد إليه السبيل من الطعن والقبح .
فأحسّ بذلك كلّ ابن العميد فآلب الأولياء على ابن عبّاد [حتى كثر

(١) في الإرشاد : « وصادف » .

(٢) عن الإرشاد ، وفي الاصل : « تقدم الحزم به » .

(٣) عن الإرشاد ، وفي الاصل : « ونفذ الرّأي فيه » .

(٤) الإرشاد : « فكرها ودمدم بها » .

(٥) « لك » عن الإرشاد .

(٦) في الإرشاد : « فإن » .

(٧) رواية الإرشاد : « فأسقطت ، فاليد الطولى لك » .

(٨) الزرق : الرمي ، وفي الإرشاد : « وأمره » .

(٩) في الاصل : « يخلوا » .

(١٠) في الإرشاد : « ويوثبه » .

الشغب ، وعظم الخطب [^(١)] . وهم بقتله ، وقال الأمير : ليس من
حق كفايتي في الدولة وقد اتسكت حبلاً ، وقويت أطماعُ المفسدين
فيها ، أن أسام الخسف ، والأحرار [لا] ^(٢) يصبرون على نظرات الدلّ
وغمزات ^(٣) الهوان .

ه فقال له في الجواب : كلامك مسموع ، ورضاك متبوع ، فما الذي
يُبرد فورتك منه ؟

قال : ينصرف إلى إصفهان موفوراً ، فوالله لئن أنصفته في مطالبته
برفع حساب ^(٤) ما نظر فيه ليعرقن جبينه ، وليقذفن جبينه ، ولئن
أحسن الأولياء الذين اصطنعهم ^(٥) بمالي وإفضالي بكلاميه في أمري ،
وسميه في فساد حالي ، ليكونن هلاكه على أيديهم أسرع من البرق إذا
خطف ، ومن المزن إذا نطف .

(١) ما بين الحاصرتين عن الإرشاد .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) في الأصل : « في غمزات » .

(٤) في الإرشاد : « فوالله لو طلبته منصفاً برفع الحساب لما » .

(٥) في الإرشاد : « اصطنعهم » .

فقال له : لا تخالف لرأيك ، والنظر لك ، والزمام بيدك .

وتلطف ابن عباد في عرض ^(١) ذلك لأي الفتح ، وقال : أنا أتظلم
منك إليك ، وأتحمل بك عليك ؛ وهذا الاستيجاش العارض سهل
الزوال إذا تألف ^(٢) الشارد من حاكمك على شافع كرمك ^(٣) ولتي ديوان
الإلشاء ، واستخدمني فيه ، ورتبني بين يديك ، واحضرنني بين أمرك
ونهيك ، وسمني برضاك ؛ فإني صنيعة والدك ، وأتجدد ^(٤) بهذا صنيعة
لك ، وليس بحميل ^(٥) أن تكر على ما بناه ذلك الرئيس فتهوره ^(٦)
وتنقضه ؛ ومتى أجبتي إلى ذلك ^(٧) وأمنتني [فإني] ^(٨) أكون خادماً ^(٩)
بحضرتك . وكاتباً يطلب الزلفة عندك في صغير أمرك وكبيره وفي هذا

(١) في الإرشاد : « في خلال » .

(٢) في الإرشاد : « تألفت » .

(٣) في الإرشاد : « وعطفت على الشافع من كرمك » .

(٤) في الإرشاد : « واتخذني بهذا » .

(٥) في الإرشاد : « وليس يحمل » .

(٦) في الإرشاد : « فتهدمه » .

(٧) في الإرشاد : « إلى هذا » .

(٨) « فإني » عن الإرشاد .

(٩) في الإرشاد : « خادمك » .

إطفاء النّائرة التي قد تَأَرَّبَتْ ^(١) بسوء ظنّك ، وتصديق ^(٢)
أعدائي عليّ .

فقال في الجواب : والله لا تجاورني في بلد السّير ، وبحضرة التّدبير ،
وخلوة الأمير ، ولا يكون لك أذن عليّ ، ولا عين عندي .

و ليس لك مني رضی إلا بالعودة ^(٣) إلى مكانك [من إصبهان] ^(٤)
والسلو عما تحدّث به نفسك .

فخرج ابن عباد من الرّيّ على صورة قبيحة ؛ خرج متكرراً بالليل .
وذاك ^(٥) انه خاف الفتك والغيلة ، وبلغ أصفهان وألقى عصاه بها ونفسه
تغلي ، وصدره يفور ، والخوف شامل ، والوسواس غالب .

وهم أبو الفتح بإفناذ من يطالبه ^(٦) ويؤذيه ويُهينّه ، ويعسف به ،
فأحس هو بالأمر : فحدّثني ابن المنجّم ^(٧) قال : عمل على ركوب المفازة

(١) تأربت : استحكمت واشتدت ، وفي الإرشاد : « ثارت » .

(٢) في الإرشاد : « وتصديقك » .

(٣) في الإرشاد : « بالعود » .

(٤) عن الإرشاد .

(٥) في الإرشاد : « وذلك » .

(٦) في الإرشاد : « يطالبه » .

(٧) في الإرشاد : « أبو النجم » .

إلى نَيْسَابُور لما ضاق عَطْنُهُ ، واختلف عَلَى نفسه ظَنُهُ ، وإِنا لَفِي ^(١) هذا
وما أَشْبَهَهُ حَتَّى بَلَغَهُمْ أَنَّ خِرَاسَانَ / قد أَزْمَعَت الدُّلُوفُ إِلَيْهِمْ ، وتَنَاقَرَتِ ^(٢)
[٩١ أ :
في الإِطْلَالِ عَلَيْهِمْ .

فَقَالَ الأَمِيرُ لأَبِي الفَتْحِ : ما الرَّأْيُ ؟ قد نَمِي ^(٣) إِلَيْنَا ما تَعَلَّمَ من طَمَعِ
خِرَاسَانَ في هَذِهِ الدَّوْلَةِ بَعْدَ مَوْتِ رَكْنِ الدَّوْلَةِ .

فَقَالَ أَبُو الفَتْحِ : لَيْسَ الرَّأْيُ إِلَيَّ وَلَا إِلَيْكَ ، وَلَا إِلَهُمُ عَلِيٌّ وَلَا عَلِيكَ .
ها هُنَا من يَقُولُ لَكَ ^(٤) : أَنْتَ خَلِيفَتِي ، وَيَقُولُ لِي : أَنْتَ كَاتِبُ خَلِيفَتِي ،
يُدَبِّرُ هَذَا بِالْمَالِ وَبِالرِّجَالِ ، وَهُوَ الْمَلِكُ [عَضُدُ الدَّوْلَةِ] ^(٥) .

قَالَ : فَاصْطَفِ إِلَيْهِ وَأَشْعِرْهُ بِمَا قَدْ ^(٦) مُنِنَا بِهِ ، وَسَلِّهِ دَوَاءً ^(٧) هَذَا
الدَّاءِ ، وَأَبْلِغْ في ذَلِكَ ما يُوجِبُهُ الحَزْمُ الصَّحِيحُ ، وَيُوْذِنُ بِالسَّعْيِ النَّجِيجِ ،
فَكَتَبَ وَتَلَطَّفَ .

(١) في الإرشاد : « وإِنه لَفِي » .

(٢) في الأصل : « وتَنَاقَرَتِ » .

(٣) في الإرشاد : « وقد نَمِي » .

(٤) « لك » ، عن الإرشاد .

(٥) ما بين الحاصرتين عن الإرشاد .

(٦) في الإرشاد : « وَأَشْعِرْهُ بِمَا قَدْ » .

(٧) في الارشاد : « وَسَلِّهِ بِدَاوِي هَذَا » .

وصدر^(١) في الجواب : إن هذا لأمرٌ عَجَب ، رجل مات وخلف مالا ، وله ورثة وابن ، فلم يُحمَل إليه شيء من إرثه زِيًّا^(٢) عنه ، واستشارا به دونه ، ثم خُوطِب^(٣) بأن يغرم شيئا آخر من عنده قد كسبه بجهد ، وجمعه بسعيه وكذحه .

٥ هذا والله حديثٌ لم يُسمع بمثله ، ولئن استفتيت في هذا الفقهاء لم يكن عندهم [منه] إلا التَّعَجُّب والاستطراف ، ورحمة هذا الوارث المظلوم من وجهين :

أحدهما : أنه حُرِّم ماله بحق الإرث ، والآخر : أنه يُطالب^(٤) بإخراج ما ليس عليه ؛ وإن أبي قولي حاکمت^(٥) كل من سأم هذا إلى من يرضى به . ١٠

فلما سمع مؤيد الدولة هذا ، وقرأه أبو الفتح قال :
— ماترى ؟

(١) في الارشاد : « فصدر » .

(٢) زوى عنه الشيء : نجا وطواه عنه ، وفي الارشاد : « زويا » .

(٣) في الارشاد : « ثم يخاطب » .

(٤) عن الارشاد ، وفي الأصل : « يطلب » .

(٥) في الارشاد : وإن شاء حاکمت .

قال : قَدْ قَلْتُ ، وَلَيْسَ لِي سِوَاهُ ، أَقُولُ^(١) : هَذَا الرَّجُلُ هُوَ الْمَلِكُ ،
وَالْمَدَبَرُ ، وَالْمَالُ كُلُّهُ مَالُهُ ، وَالْبِلَادُ بِلَادُهُ ، وَالْجُنْدُ جُنْدُهُ ، وَالْكَلُّ عَلَيْهِ
وَالْمَهْنَأُ لَهُ^(٢) ، وَالْأَسْمُ وَالْجَلَالَةُ عِنْدَهُ ، وَلَيْسَ هَاهُنَا إِرْثٌ قَدْ زُويَ
عَنهُ ، وَلَا مَالٌ اسْتَوْثِرَ بِهِ دُونَهُ ، وَالنَّادِرَةُ لَا وِجْهَ لَهَا فِي أَمْرِ الْجَدِّ^(٣)
وَفِيمَا لَا يَتَمَلَّقُ^(٤) بِاللَّعِبِ .

٥
أَمَّا خُرَاسَانُ فَكَانَتْ مِنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً تُطَالِبُنَا بِالْمَالِ ، وَتَهْدِدُنَا
بِالْمَسِيرِ وَالْحَرْبِ ، وَنَحْنُ مَرَّةً نُسَالِمُ وَمَرَّةً نُحَارِبُ . وَنَحْنُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ
نُفَرِّقُ الْمَالَ بَعْدَ الْمَالِ عَلَى وَجُوهِ مُخْتَلِفَةٍ ، وَاحْتَسِبُ أَنْ رُكْنَ الدَّوْلَةِ حَتَّى
بَاقٍ ، هَلْ كَانَ لَهُ إِلَّا أَنْ يُدَبَّرَ بِمَالِهِ وَرِجَالِهِ وَدُخْرِهِ وَكَنْزِهِ . أَفَلَيْسَ هَذَا
الْحُكْمُ لَازِمًا لِمَنْ قَامَ مَقَامَهُ ، وَجَلَسَ مَجْلِسَهُ ، وَأَتَقِيَ إِلَيْهِ زِمَامَ الْمَلِكِ ،
١٠ وَأُصْدِرَ رُغْنَهُ كُلَّ رَأْيٍ ، وَأُورِدَ عَلَيْهِ كُلُّ دَقِيقٍ وَجَلِيلٍ ؟ وَهَلْ عَلَيْنَا
إِلَّا الْخِدْمَةُ وَالنُّصْرَةُ وَالْمُنَاصَحَةُ بِكُلِّ مَا سَهَّلَ وَصَعَّبَ كَمَا كَانَ ذَلِكَ عَلَيْهِ
بِالْأَمْسِ مِنْ جِهَةِ الْمَاضِي ؟

(١) فِي الْإِرْشَادِ : « وَلَيْسَ لِي قَوْلٌ سِوَاهُ ، هَذَا » .

(٢) الْكُلُّ : الثَّقَلُ . وَالْمَهْنَأُ : مَا أَتَاكَ بِلَا مَشَقَّةٍ . وَفِي الْإِرْشَادِ

« الْكُلُّ لَهُ » .

(٣) عَنِ الْإِرْشَادِ ، وَفِي الْأَصْلِ : « فِي الْمَجْدِ » .

(٤) فِي الْإِرْشَادِ : « لَا تَمَلَّقُ لَهُ » .

فقال الأمير: ^(١) إن الخطبَ في هذا أراه يطول ، والكلام يتردد ،
 والمناظرة ترَبُّو ، والحُجَّةُ تقف ، والفرصةُ تفوت ، والمَدُّو ^(٢) يستمكن ؛
 وأرى في الوقت أن نذكر وجهاً للمال حتى نحتج [به] ^(٣) ثم نَسْتَمِدَّ في
 الباقي منه ، ونُرْضِيَ الجُنْدَ في الحال ، ونَتَحَزَمَ في الأمر ، ونُظْهِرَ المَرَارَةَ
 والشَّكِيمَةَ بالاهْتِمَامِ والاستِمْدَادِ ، حتى يَطْيِزَ العَيْنُ ^(٤) إلى خُرَاسَانَ
 بِجَدِّنا واجْتِهَادِنا ، وَحَزْمِنا واعْتِمَادِنا ، فيكون في ذلك تَكْسِيرٌ لِقُلُوبِهِمْ
 وَحَسْمٌ ^(٥) لَأَطْمَاعِهِمْ ، وباعثٌ ^(٦) عَلَى تَجْدِيدِ القول في الصُّلْحِ ، وإِعَادَةِ
 الكلام في المواعيد ، وَرَدِّ الحال إلى العادة المعروفة ، فقال : أَسْأَلُ اللهَ
 بِرُكَّةِ هذا الأمر ، فَقَدْ نَشِبَتْ مِنْهُ رَائِحَةٌ مُنْكَرَةٌ وَمَا أَعْرِفُ لِلْمَالِ وَجْهًا .
 ١٠ أما أَنَا فَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ جَمِيعِ مَا كَانَ عِنْدِي مَرَّةً بِمَا خَدَمْتُ بِهِ الْمَاضِي
 تَبَرَّعًا حِذِّثَانِ مَوْتِ أَبِي ، وَمَرَّةً بِمَا طَالَبَنِي بِهِ سِرًّا ، وَأَوْعَدَنِي بِالْعَزْلِ
 وَالاسْتِخْفَافِ مِنْ أَجْلِهِ ، وَمَرَّةً بِمَا غَرِمْتُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ فِي
 نُصْرَةِ الدَّوْلَةِ .

(١) في الارشاد : « فقال مؤيد الدولة » .

(٢) في الأصل : « والدم » ، وكان الوجه ما أثبتناه .

(٣) عن الارشاد .

(٤) في الارشاد : « الخبر » .

(٥) في الأصل : « في ذلك مكسر » .

(٦) في الأصل : « وحما . . . وباعثا » ، وفي الارشاد : وحسما

. . . وباعثا » .

وهذه وجوه استنفذت قُلِّي وكثُرِي ، وأتت على ظاهري وباطني ،
وقد غرمت إلى هذه الغاية ما إن ذكرته كنت كالمُتَنِّ عَلَى أولياءِ نعمتي ،
وإن سكت كنت كالمُتَّهَمِ عِنْدَ مَنْ يَتَوَقَّع عَثْرَتِي . وهذا هذا .

وأما أحوال^(١) النواحي فأحسنُ حالنا فيها أننا نُزجِها^(٢) إلى
الأولياء في نواحيها مع النفقة الواسعة في الوظائف والمهمات التي ننوِّها .
وأما العامة فلا أحوج الله إليهما ، ولا كانت دولة لا تشب إلا بها
وبأوساخ أموالها .

فقال الأمير ، وكان ملقَّباً^(٣) : هذا ابن كامة ، وهو صاحب
الذخائر والكنوز والجبال والحصون ، ويده بلاد ، قد جمع هذا كله من
نعمتنا^(٤) وفي مملكتنا وأيامنا وبدولتنا ، وهو جامٌّ ماشيك^(٥) ، ومختوم
ما فُضَّ مذكأن .

ما تقول فيه ؟

(١) في الارشاد : « أموال » .

(٢) في الأصل : « نرجيها » .

(٣) يعني كان موحىً إليه بهذا الكلام .

(٤) في الارشاد : « في دولتنا » .

(٥) جام : مستريح سليم المال ، و شيك : أصيب بشوكة ، والمعنى أن

ماله سليم لم يمس .

قال : مالي فيه كلام ، فإن بيني وبينه عهداً ما أخيسُ به ^(١)
ولو ذهبت نفسي .

فقال : اطلبُ منه القرض .

[قال : إنه يتوحَّش ^(٢) ويراه باباً من الغضاضة ، وقدر القرض] ^(٣)
٥ لا يبلغ حدَّ ^(٤) الحاجة ، فإن الحاجة ماسةٌ إلى خمسمائة ألف دينار على
التقريب ، ونفسه أنفع لنا وأردَّ على دولتنا من ^(٥) موقع ذلك المال .
وبعدُ فرأيه وتديُّره واسمه وصيته وبيداره إلى الحرب فوق المطلوب
قال : فليسَ لنا وجهٌ سِواه ؛ وإذ ليسَ ها هنا وجهٌ ، فليسَ بأْسُ
بأن نطالعَ الملكَ ^(٦) بهذا الرأي لتكون نتيجته من ثم ^(٧) .
١٠ فقال : أنا لا أكتب بهذا فإنه غدر .

(١) لا أخيسُ به : لا أغدر به .

(٢) كذا بالأصل ، وكأنها : « يتوحَّش » .

(٣) ما بين الحاصرتين عن الارشاد .

(٤) في الارشاد « قدر » .

(٥) في الارشاد « أنفع لنا وأرد علينا وأحسن لنا وإلينا من موقع » .

(٦) في الأصل : « فارس » .

(٧) في الأصل : « قال : فليس ها هنا وجه سِواه ، والرأي أن نطالع
فارس بهذا ليكون لمحررم » .

قال : يا هذا ! فأنت كاتب وصاحبُ سرِّي وثقتي ، / والزَّمام في [٩١ ب]
جميع أمري ، ولا سبيل إلى إخراج هذا الحديث إلى أحد من خلق الله ؛
فإن أنت لم تتولَّ حارَّه وقارَّه ، وغثَّة وسمينة ، ومحبوبة ومكروهه ،
فمَن ؟

قال : أيها الأمير ! لا تسمني الخيانة ، فإنِّي قد أعطيتُه عهداً نقضه
يذر الديار بلاقع ، ومع اليوم غد ، ولعن الله عاجلةً تُفسد آجلةً .

فقال : إني لست أسؤمك أن تقبض عليه ، ولا أن تُسيء إليه .
أشِر بهذا المعنى على ذلك المجلس ^(١) ، وخلاك ذم ؛ فإن رأى الصواب
فيه تولاه دونك كما يراه ، وإن أُضرب عنه عاضنا رأياً غير ما رأينا ،
وأنت على حالك لا تنزل عنها ولا تبدل بها ؛ وإنما الذي يجب عليك في
هذا الوقت أن تكتب بين يديَّ حرفين : أنه لا وجه لهذا المال إلا
من جهة فلان ، ولست أتولى مطالبته به ، ولا مخاطبته عليه ، وفاء له
بالعهد ، وثباتاً على اليمين ، وجرياً على الواجب ؛ ولا أقلَّ من أن تُجيب
إلى هذا القدر ، وليس فيه ما يدلّ على شيء من النكث والخلاف
والتبديل .

(١) في الإرشاد : « المعنى إلى الملك عضد الدولة » .

فما زالَ هذا وشبهه يتردد بينهما حتى أخذَ خطَّهُ بهذا النصِّ على أن يُصدِّره إلى فارس^(١) .

فلما حصل الخطُّ ، وجَنَّ الليل ، رُوِّسِلَ ابنُ كَامةٍ وحضَرَ ، وقال له الأمير : أَمَّا عِنْدَكَ حَدِيثُ هَذَا الْمُخَنَّثِ فِيمَا أَشَارَ بِهِ عَلَى الْمَلِكِ فِي شَأْنِكَ^(٢) ، وأورد عليه في أمرِكَ من إيطامعه في مالك ونفسِكَ ، وتكثيره عنده ما تحت يدِكَ ، وفي ناحيتِكَ مع صاحبيكَ ؟

فقال عليُّ بنُ كَامةٍ : هَذَا الْفَتَى يَرْتَفِعُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَلَعَلَّ عَدُوَّ آقَدَ كَادَهُ بِهِ^(٣) ، وَيَبِينِي وَيَبْنِيهِ مَا لَا مَنَفَذَ لِلْسُّحْرِ فِيهِ ، وَلَا مَسَاغَ لظَنِّ سَيِّئٍ فِيهِ .

قال : فَمَا قُلْتُ مَا سَمِعْتُ إِلَّا عَلَى تَحْقِيقٍ^(٤) ، وَدَعَ هَذَا كُلَّهُ يَذْهَبُ فِي الرِّيحِ ، هَذَا كِتَابُهُ إِلَى فَارِسٍ^(٥) بِمَا عَرَّفْتُكَ ، وَخَطُّهُ .

(١) في الارشاد : « إلى أخيه عضد الدولة بفارس » .

(٢) في الأصل : « مالك » ، وفي الارشاد : « بابك » ، وكأن الصواب ما أثبتناه .

(٣) « به » ، عن الارشاد .

(٤) في الارشاد : « إلا بعد أن حققت ما قلت » .

(٥) في الارشاد : « إلى الملك » .

قال عليّ: فإني لأعرف الخطّ، ولكنّ كاتبني يعرف، فإن أذنتَ حضّر.
قال: فليحضّر. فجاء الخُصَمِيُّ الكاتب، وشهد أن الخطّ خطّه،
فحال ابنُ كامة عن سَجِيّته، وخرَج من مُسكه^(١)، وقال: ما ظنّنتُ
أن هذا الفتى بعد الأيمان التي بيننا يستجيز هذا.

- قال الأمير: أيها الرجل! إنما أطلعك الملك على نية هذا الغلام
فيك، لتعرف فساد ضميره لك، وما هو عليه من هَنَاتٍ أُخَر، وآفاتٍ
هي أكثر من هذا وأكبر؛ وقد حرّك خراسانَ علينا، وكاتبَ
صاحب جُرجان، وألقَى إلى أخينا بهمدان، يعني فخر الدولة، أخبارنا،
وهو عَيْنُ هاهنا لبخّيار^(٢) وقد اعتقد أنه يعمل في تَخْلِيس^(٣) هذه
البلاد له، ويكون وزيراً بالعراق، وقد ذاق ببغدادَ مالا يخرج من
ضرسه إلا بنزع نفسه.

وكان المجوسيُّ أبو نصر^(٤) قد قدِم [من عند الملك عضد

(١) المسك، بالضم العقل يرجع إليه الرجل عند الغضب.

(٢) انظر الإرشاد ٣٧٤/٥ و٣٥٥/٥.

(٣) في الإرشاد «تخصيل».

(٤) هو أبو نصر خوشاده المجوسي، من ثقات رجال عضد الدولة، وقد
أرسله إلى أخيه مؤيد الدولة للقبض على أبي الفتح ابن العميد بعد أن يوافق
ابن كامة على أمره، ليؤمن فاحية العسكر. الإرشاد ٣٥٧/٥.

الدولة^(١)] وهو يَفْتُلُ الحَبْلَ وَيُبْرِمُ ، وَيُوَخِّرُ مَرَّةً وَيَقْدِمُ أُخْرَى ، وَيَهَابُ
مَرَّةً وَيُقْدِمُ ؛ وَكَانَ الْحَدِيثُ قَدْ يُدَّتْ بَلِيلٌ^(٢) ، وَاهْتُمَّ بِهِ قَبْلَ
وَقْتِهِ بَزْمَان .

قال علي بن كامة : فما الرأي الآن .

٥ قال : لَا أَرَى أَمْثَلَ مِنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كُنَّا
عَلَى ذَلِكَ قَادِرِينَ ، وَلَكِنْ كَرِهْنَا أَنْ يُظَنَّ [بِنَا] أَنَّا هَجَمْنَا عَلَى
نَصِيحِنَا^(٣) وَكَافَيْنَا ، وَعَلَى رَيْبٍ نِعْمَتْنَا ، وَنَاشِي دَوْلَتِنَا فَمَهَّدْنَا عِنْدَكَ
الْمُذْرَ ، وَأَوْضَحْنَا لَكَ الْأَمْرَ .

قال : فَأَنَا أَكْفِيكُمْوه . ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ^(٤) .

١٠ قال الخليلي : وَكُلُّ هَذَا جَرَّهْ عَلَيْهِ الْاسْتِبْدَادُ بِالرَّأْيِ ، وَالْفَرَارَةُ
وَالْتَّوَانِي وَقِلَّةُ التَّجَرُّبَةِ ، وَالرُّكُوفُ إِلَى وَصِيَّةِ الْمَيِّتِ ، وَسُوءُ النَّظَرِ فِي
الْعَوَاقِبِ ، وَجَانِبَةُ الْعَزْمِ وَالرَّأْيِ الثَّاقِبِ ؛ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا .
وَرَأَيْتُ الْخَلِيلِيَّ ، وَالْمَهْرَوِيَّ ، وَالشَّاعِرَ الْمَغْرِبِيَّ ، وَجَمَاعَةً مِنْ خُلَطَاءِ

(١) ما بين الحاصرتين عن الارشاد .

(٢) في الارشاد ٣٥٧/٥ تفصيل لقضية التآمر على أبي الفتح ابن العميد .

(٣) في الإرشاد « ناصحنا » .

(٤) في الإرشاد « ثم قبض عليه وكان منه ما كان » .

أَبِي الْفَتْحِ ، كَابَنِ فَارِسَ ، وَابْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ يُخَوِّضُونَ فِي حَدِيثِهِ ، وَقَالُوا :
كَانَ الرَّأْيُ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ الْمَغْرِبِيُّ : أَجُودُ مِنْ هَذِهِ الْآرَاءِ كُلِّهَا أَنْ
كَانَ يَضْرِبُ عُنُقَ الْمَجُوسِيِّ جَهَاراً أَتَى الدَّهْرُ بِمَا أَتَى ، وَمَا كَانَ لِيَكُونَ
أَشَدَّ مِمَّا كَانَ ؛ وَلَعَلَّهُ كَانَ يَطْرَحُ هُنَيْئَةً ، وَيَصِيرُ سَبِيلاً إِلَى خِلَاصٍ .

وَذَهَبُوا فِي الْقَوْلِ كُلِّ مَذْهَبٍ .

وَفِي الْجُمْلَةِ الْقَدَرُ لَا يُسَبِّقُ ، وَالْقَضَاءُ لَا يَمْلِكُ ؛ وَمَنْ اسْتَوْفَى أَكَلَهُ
اسْتَفْنَى أَجَلَهُ ، وَالْكَلَامُ فَضْلٌ ، وَالرَّأْيُ الدَّبْرِيُّ مَرْدُودٌ ، وَمَنْ سَاوَقَ
الدَّهْرَ غُلِبَ ، وَمَنْ جَلَّى إِلَى اللَّهِ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً .

مَا وَصَلْنَا — حَاطَكَ اللَّهُ — حَدِيثًا بِحَدِيثٍ ، وَكَلِمَةً بِكَلِمَةٍ ،
إِلَّا لَتَسْكُثِرَ الْفَائِدَةُ ، وَيُظْهَرَ الْعِلْمُ ، وَيَكُونُ مَا صَرَّفْنَا الْقَوْلَ فِيهِ
مَرْفُوداً بِالْحُجَّةِ النَّاصِعَةِ ، وَالِامْتِنَاعِ الْمَوَاقِ .

أَيُّهَا السَّامِعُ ! قَدْ سَمِعْتَ صَرِيحَ الْحَدِيثِ وَدَعِيَّةَ ، وَعَرَفْتَ مَسْخُوطَهُ
وَمَرْضِيَّةَ ؛ فَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَلْهَمَكَ الْعَدْلَ ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ الْإِنْصَافَ ، وَخَفَّفَ
عَلَيْكَ الرِّفْقَ ، وَوَفَّرَ نَصِييبَكَ مِنَ الْخَيْرِ ، وَرَفَعَ كَعْبَكَ فِي الْفَضْلِ ، فَقَدْ
رَضِيتُ بِحُكْمِكَ ، وَأَمِنْتُ عَدَاوَتَكَ ، وَوَقَّعْتُ بِمَا كَتَبَ اللَّهُ لِي عَلَى
لِسَانِكَ ، وَجَعَلَهُ حَظِّي مِنْكَ .

[٩٢-ب]

/ واعلم أنك إن كنت تريد الاعتذار فقد أسلفت الواضح فيه ،
 وإن كنت تطلب الاحتجاج فقد أتى البيان عليه ، وإن كنت تغضب
 لابن عباد أو لابن العميد فقد شحنت هذا الكتاب من فضلهما وأدبهما
 وكرمهما ومجدهما ، بما إذا ميزته وأفردته ثم اجتليته وأبصرته ، واقع
 نفسك ، وشفى غليلك ، وبلغ آخر مرادك ؛ وإلا فعرفني من جمع إلى هذا
 الوقت عشر ورقات في مناقبهما وآدابهما ومكارمهما ، وما ينطق عن
 اتساعهما وقدرتهما ، ويدعو إلى تعظيمهما وتوفية حقوقهما ومعرفة
 أقدارهما وهممهما ، بمن لهما عليه الإصبع الحسنة ، واليد الخضراء ، والنعمة
 السابغة ، ومن لم يذكر إلا بهما ، ومن لم يعرف إلا في أيامهما ، ومن
 لو لم يلتفت إليه واحد منهما لكان يحرس في الدروب ، أو يلقط النوى
 في الشوارع ، أو يوجد في أواخر الحما مات .

١٠

ودع الشعراء جانباً ، فإنما ذاك عن حسب ذني ، ومذهب زري ،
 وطمع خسيس ، ومقام نذل ، وموقف نخجل ؛ ولكن هات رسالة
 مجردة ، وأديباً فاضلاً وعالمًا مذكوراً مجرد^(١) لنصرتيهما ، ودل على
 خفي فضلهما ، أو عجب من جلي فعلهما ١

١٥

(١) في الاصل « وأديب فاضل وعالم مذكور » .

فإذا كنت لا تجد ذلك ، فدع الكلب ينبح ، فإنما الكلبُ نباح .
 عَلَى أَنِّي — حفظك الله — لا أبرئ نفسي في هذا الكتاب
 الطويل العريض من ذيب الهوى ، وتسويل النفس ، ومكاييد الشيطان ،
 وغريب ما يعرض للإنسان .

ه فإن وقفت على شيء من ذلك وقرأت العذل علينا ، وسأل في
 اللائمة من أجله وإياك^(١) أن تأتي جلدّة لا تدمي بشفرتك ، أو
 تسند^(٢) إلى جمجمة لا تقشعر ذوائبها بريحك ، وأن تمتحن جوهراً
 لا يحاص عيبه بنارك .

واستيقن أن من ركب سنام هذا الحديث كما ركبته ، وسبح في
 غامر هذه القصة كما سبحت ، وقال ماقلت ، وعرض بما عرضت ،
 ١٠ فغير بعيد أن يحكم له وعليه بمثل ما يحكم به لي وعليّ ، وإذا كان الحكم
 لازماً ، وهذا القياس مطرداً ، فالرضا بهما عزّ ، والصبرُ عليهما شرف^(٣)
 وإني لأحسد الذي يقول :

(١) كذا بالأصل ، ولعل صحة الكلام « وقرأت العذل علينا ، و [رأيت

من] سأل في اللائمة من أجله ، وإياك » .

(٢) تسند ترتفع .

(٣) نقله ياقوت في الإرشاد ٤٠٤/٥ - ٤٠٥ .

أَعِدُّ خَمْسِينَ عَامًا ^(١) مَا عَلَيَّ يَدٌ لِأَجَنِيٍّ وَلَا فَضْلٌ لَدِي رَحِمَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا قَدْ قَنِعْتُ فَلَا أَشْكُو لَيْثِيًّا وَلَا أُطْرِي أَخَا كَرَمٍ
لَأَنِّي أَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَهُ ، وَلَكِنَّ الْعَجْزَ غَالِبٌ ، لِأَنَّهُ مَبْذُورٌ
فِي الطَّيْنَةِ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْآخِرَ أَيْضًا حِينَ يَقُولُ :

ضَيْقَ الْعُذْرَةِ فِي الضَّرَاعَةِ أَنَا لَوْ قَنِعْنَا بِقِسْمِنَا لَكَفَانَا
مَا لَنَا نَعْبُدُ الْعِبَادَ إِذَا كَانَتْ إِلَى اللَّهِ فَقْرُنَا وَغِنَانَا
وَأَدْعُوهَا ^(٢) هُنَا بِمَا دَعَا بِهِ بَعْضُ النِّسَاءِ ^(٣) :

« اللَّهُمَّ صُنْ وَجُوهَنَا بِالْيَسَارِ ، وَلَا تَبْتَدِلْهَا بِالْإِقْتَارِ فَتَسْتَزِقَ أَهْلَ

رِزْقِكَ ، وَنَسْأَلُ شِرَارَ خَلْقِكَ ، فَتُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَى وَذَمِّ مَنْ مَنَعَ .
وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمَا وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ ، وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ .
يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ^(٣) .

(١) فِي الْإِرْشَادِ « حَوْلًا » .

(٢) فِي الْأَصْلِ « وَأَدْعُوا » .

(٣) هَذَا الدُّعَاءُ فِي خَاتِمَةِ « رِسَالَةِ الْعُلُومِ » لِأَبِي حَيَّانٍ ص ٢٠٨ .

الفهارس

- ١ - أعلام .
- ٢ - جماعات وهيئات وقبائل .
- ٣ - أماكن .
- ٤ - كتب .
- ٥ - أحاديث نبوية .
- ٦ - أمثال .
- ٧ - قوافي .
- ٨ - كلمات ذات دلالات خاصة .

١ - الأعلام

— آ —

- الآبي ١١، ٢٥، ١٤٦، ١٥٩.
- الآمدى ٢٦٥.
- إبراهيم (م) ٣٧٢، ٤٤١.
- إبراهيم بن سيابة ٧٥.
- إبراهيم بن سيار النظام (٣٣٠)، ٣٩٦ (٤٩٣).
- إبراهيم بن العباس الصولى (٥٥)، ٣٣١، ٣٩٧.
- إبراهيم بن علي الفارسي أبو اسحاق ٣٥٢.
- إبراهيم بن علي المتكلم أبو اسحاق النصيبي (٢٠٢)، (٢١١)، ٢٩٧.
- إبراهيم قويري أبو اسحاق (٢٣٧)، ٢٤٣.
- إبراهيم بن كنيف النبهاني ٥.
- إبراهيم بن المرزبان ٤٦٠.
- إبراهيم المسلم الطيب ٤٠١.
- إبراهيم بن هلال الصابي (١٣٩)، ٢٩٨، ٣١٥، ٤١٤، ٤١٥.
- إبليس ٦٣.
- الأهرري أبو سعيد: القاسم بن عطية.
- ابن الأبار ٧٤.
- ابن الأثير ٨١، ٨٢، ٩١، ١٠٧، ١٦٦، ٢٩٤، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٤٧، ٣٤٨.
- ٤٠٣، ٤١٤، ٤٣١، ٤٤٥.

— ٥٥٥ —

- أحمد بن إبراهيم بن عبد الله الفلاني (١٤٠) .
- أحمد بن اسماعيل بن سمكة القمي (٢٣٥) .
- أحمد بن بشر بن عامر أبو حامد المروزي : ٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، (٢٢٣) ، ٢٢٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٤٧٦ .
- أحمد تيمور ٣٩٥ .
- أحمد بن جعفر بن موسى جحظة (١٥٠)
- أحمد بن الحسين البديع الحمداني (١٩٢) .
- أحمد بن الحسين الجعفي المتني ١٥٢ ، ١٩٤ ، (٣٥٢) .
- أحمد بن حنبل الإمام ٨ ، ١٥٦ ، ١٨٦ ، ٤٥٨ .
- أحمد بن أبي خالد (٣٣٢) .
- أحمد بن أبي دواد القاضي ٤٢ ، (٤٣) ، (٧٣) ، ٢٥٢ ، (٢٨٨) .
- أحمد بن أبي شعجاع معز الدولة ٢٠ ، (١٧٤) ، ٢٩٤ .
- أبو أحمد العلوي العقيقي أمير المدينة ٥١١ ، ٥١٢ .
- أحمد بن علي الحنفي الرازي أبو بكر الجصاص (٢٠٣) .
- أحمد بن فارس المعلم صاحب اللغة (١٤٧) ، ٣١٩ ، ٣٨٧ ، ٤١٣ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٨٦ ، ٥١٠ ، ٥٤٧ .
- أحمد بن محمد بن إبراهيم الضبي ١٧١ .
- أحمد بن محمد بن أحمد البغدادي ابن القطان (١٧٨) .
- أحمد بن محمد بن ثابت البغدادي (١٧٣) ، ٢٢٠ .
- أحمد بن محمد الطبري أبو الحسن (١١٥) .
- أحمد بن محمد بن الطيب السرخسي (٢٣٥) ، ٢٤٧ .
- أحمد بن محمد العوفي (٢٩٤) .
- أحمد بن محمد بن يحيى أبو الحسين بن أبي البغل (٣٤٧) .
- أحمد بن محمد بن يعقوب أبو علي مسكويه (٢٣) ، ٢٠١ ، ٣٢٧ ، ٣٤٦ ، ٤٦٤ .

- أحمد بن يحيى بن إسحاق ، ابن الراوندي ١٢٣ ، (١٨٣) .
 أحمد بن يحيى ثعلب ٥ ، ١٦٥ ، ٢٦٢ ، ٤٠٤ ، ٤١٢ .
 أحمد بن يحيى بن محمد بن خالد بن ثوابة الكاتب (٢٧٥) ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤٧ .
 أحمد بن يوسف الكاتب ٥٥ .
 الأحوص : عبد الله بن محمد بن عبد الله .
 ابن أبي خالد : أحمد بن أبي خالد .
 ابن الإخشيد ٢٠٣ .
 الأخفش : علي بن سليمان .
 إدريس بن أبي حفصة أبو سليمان (٢٦٧) .
 أرسطوطاليس ٤٢ ، ١١٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٦٨ .
 الأزهرى ٥ ، ١٠٩ .
 الاستاذ : ابن العميد أبو الفتح .
 الاستاذ : ابن العميد أبو الفضل .
 إسحاق (عم) ٤٤١ .
 إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله البربري (٢٣٢) .
 إسحاق الطبري أبو الحسن ٢٢٤ .
 الإسكاف أبو علي ٤٦٧ .
 إسماعيل بن إبراهيم (عم) ٤٤١ ، ٤٩٤ .
 إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه الحمدوني الشاعر (٥٣) .
 إسماعيل بن أحمد الساماني ٤٠٣ .
 إسماعيل بن بلبل الوزير ٧٤ .
 إسماعيل بن عباد الصاحب ٩ ، ٤٩ ، ٧٣ ، ٧٩ ، (٨٠) ، ٨٥ ، ٩٤ ،
 ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ .

١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ،
 ١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ،
 ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ،
 ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،
 ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٧٣ ،
 ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، (٣٣٠) ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٦٤ ،
 ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ،
 ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٤٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ،
 ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ،
 ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٥٠٥ ، ٥١٠ ، ٥١٤ ،

٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٤٨ .

- إسماعيل بن القاسم أبو الغناحية (٢٥) ، ٢٦ .
- أبو الأسود الدؤلي : ظالم بن عمرو .
- أشجع السلمي : أشجع بن عمرو .
- أشجع بن عمرو السلمي (٤٣) .
- الأشعري ١٤٠ ، ٤٦٧ ، ٤٩٤ .
- الأشل الكاتب ١٣ ، ١٩ .
- الأثنائي : عمر بن الحسن بن مالك أبو الحسين .
- الأصمعي ٦٣ .
- ابن أبي أصيبعة ١١٦ .
- ابن الأعرابي : محمد بن زياد .
- ابن الأعرج النمري ٤١٠ .
- الأعشى ٣٧٠ .

- اعشى همدان : عبد الرحمن بن لاعط أبو المصباح .
الأعلم ٣٧٠ .
الأعلم بن جرادة السعدي ٤٧١ .
أفلاطون ٣٢٤ ، ٣٦٨ .
أفولونيوس APollonius
الأقطع المنشد الكوفي ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٣٠٨ .
أم حبش ٣٥ .
الإمام أحمد : أحمد بن حنبل .
ابن الإمام (طفيلي) ٣٩٧ .
امرؤ القيس (١٤٧)
أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ٣٦٩ ، ٣٧١ .
الأمين بن الرشيد العباسي (٤٨٩) .
الأمين : عباد بن العباس والد الصاحب .
ابن الأمين : اسماعيل بن عباد .
ابن الأنباري ٢٠ ، ٢٥٢ ، ٣٠٨ .

— ب —

- ابن باب : عمرو بن عبيد .
ابن بابويه القمي : علي بن الحسين ،
ابن باش أبو علي ١٣٩ .
الباقلاني ٣٩٦ .
البحثري : الوليد بن عبيد بن يحيى .

- البخاري ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
- بختيار بن معز الدولة بن بويه ٢٠ ، (٢٠٢) ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٤٠٥ .
- (٤٠٦) ، ٥٤٥ .
- بختويه النيسابوري ٢٣٢ .
- البديع الهمداني : أحمد بن الحسين .
- البديهي الشاعر : علي بن محمد بن علي .
- البربري : إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله .
- البرهاري : الحسن بن علي بن خلف .
- البرهاري : محمد بن الحسن بن كوثر .
- البرهاري : محمد بن موسى بن سهل المطار .
- برهان الصوفي (٤٤) .
- بروكلن ٤٢ ، ٧٣ .
- البناز ٢٠٢ .
- بشار بن برد ٥ ، ٤٦٨ .
- بشر الحافي : بشر بن الحارث المروزي (٤٤) .
- أبو بشر مقي : مقي أبو بشر .
- بشر المريدي ٣٩٦ .
- البصري : الحسين بن علي الجعفي أبو عبد الله .
- البصيري الشاعر ٤٠٥ .
- البطلوسي ٣٩ .
- بغا الكبير أبو موسي التركي (٥٧) .
- البغدادي : الخطيب البغدادي .
- البغدادي : عبد القادر البغدادي .
- البغدادي عبد القاهر ١٥٤ .

- ابن أبي البغل : أحمد بن يحيى أبو الحسين .
- ابن البقال الشاعر : علي بن يوسف .
- ابن بقية الوزير : محمد بن محمد بن محمد .
- بكر بن شاذان (١٦٧) .
- أبو بكر الصديق : عبد الله بن أبي قحافة .
- البكري ٦٣ .
- البلخي : أبو زيد البلخي .
- البلعمي أبو الفضل : محمد بن عبد الله .
- بلنياس (= بلنيوس ، بلنياس) : أفولونيوس .
- ابن بنان الوراق ٢١٠ .
- ابن بندار أبو العباس (٣٤٨) ، ٣٥١ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ .
- بهاء الدولة ٣١٢ .
- ابن البواب ١٧٤ .
- البوزجاني : محمد بن محمد بن يحيى :
- بويه بن ركن الدولة مؤيد الدولة (١١٠) ، ١٢٧ ، (٢٩٦) ، ٤١٨ ، ٤٦٤ ،
- ٥٣٤ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٥٣ .
- البيروني ١١٣ ، ١١٥ ، ٣٤٥ ، ٤٤٢ .
- البيع أبو علي ٣٢٢ .
- البيهقي ٣٠٢ .

— ت —

- التاجر المصري ٢٩٨ ، ٤٩٥ .
- التبريزي ٥ ، ٣٤ ، ٥٨ ، ٤٥٤ .
- الترمذي ٨ .

- أبو تمام ٣٨٠ ، ٣٩٧ ، ٤٥٦ .
 ابن تميم ٢٢٩ .
 التميمي الشاعر المصري الرغيب سبطل ١١٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٨ ، ٤٨٢ .

— ث —

- ابن ثابت ٢٢٨ ، ٢٦٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٨ ، ٣٢٧ .
 ابن ثابت البغدادي : أحمد بن محمد بن ثابت .
 ابن ثابت البغدادي : محمد بن ثابت أبو بكر .
 الثعالي ٧٣ ، ٨١ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٦١ ، ١٧١ ، ٢٢٩ ، ٢٩٤ ،
 ٢٢٧ ، ٣٥٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٥ ، ٤٠٨ .
 ثعلب : أحمد بن يحيى .
 ابن التلاخ المتكلم : عبد الله بن محمد بن عبد الله .
 ثمامة بن أشرس النميري ٢٥ ، (٢٨٨) .
 ابن ثوابة : أحمد بن يحيى بن محمد بن خالد .
 ابن أبي الثياب : عبد الرزاق بن الحسن الشاعر .

— ج —

- جابر بن حيان ٤٤٣ .
 الجاحظ : عمرو بن بحر أبو عثمان .
 الجامدي : محمد بن حامد الشاعر .
 الجبائي* : عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .

- الجبائي : محمد بن عبد الوهاب .
- جبريل ٢٠٦ .
- جسطة : أحمد بن جعفر بن موسى .
- جسشوية ١٧٥
- الجد بن قيس (٤٥) .
- ابن الجراح : علي بن عيسى بن داود .
- ابن الجراح : محمد بن داود .
- الجراحي أبو الحسن ٥٠٦ .
- الجراحي : أبو طالب الجراحي الكاتب .
- الجرباذقاني أبو بكر ١١٨ ، ١٢٠ .
- الجرجاني ١٨ ، ١٤٦ ، ٤١ .
- الجرجاني : محمد بن أحمد البغدادي الكاتب .
- الجرفاذقاني : الجرباذقاني أبو بكر .
- جروول بن أوس بن مالك الخطيئة (٢٤) .
- جربيج (جريج ؟) المقل شاعر من آذربيجان ٣٢٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
- ٣٨٣ ، ٤٣٥ .
- جربير ٢٢٦ ، ٤١٣
- ابن جربير الطبري ١١٢ .
- الجربيري غلام بن طرارة ١١٢ .
- جزء بن غالب بن عامر الخزاعي ابن أبي كبشة ٣٨١ .
- الجزري ٤٠٤ .
- جستان بن المرزبان (٣٤٨) .
- الخصاص : أحمد بن علي الحنفي أبو بكر .
- أبو الجعد الأنباري ٥٠٦ .

- جملة ١١٠ .
- جعفر بن حرب الهمداني (١٥٥) .
- أبو جعفر الخازن : الخازن .
- أبو جعفر الخطيب النيسابوري ٤٢٧ .
- جعفر بن مبشر الثقفي ١٥٥ .
- جعفر بن الواثق المتوكل العباس ٥٧ ، (١٤٥) ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٧٠ ، ٢٨٨ ، ٣٨٨ .
- أبو جعفر الوراق ٣١٧ .
- جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ٢٦٦ .
- الجعفران ١٥٤ .
- الجميل : الحسين بن علي بن إبراهيم البصري .
- ابن الجلبات الشاعر : علي بن الحسن التنوخي أبو القاسم .
- الجنيد ٤٤ .
- أبو جهل : عمرو بن هشام الخزومي .
- أبو الجوزاء الرقي ١٢٧ .
- ابن الجوزي ٤٨٨ .
- أبو الجيش الخراساني شيخ الشيعة ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
- الجيلوي الشاعر ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٦٤ ، ٢٨٢ .

— ع —

- أبو حاتم السجستاني : سهل بن محمد .
- الحاتمي : محمد بن الحسن بن المظفر .
- الحاجب النيسابوري ١٢٥ ، ٣٨٥ .

- حامد بن العباس (١٨٩) .
- أبو حامد المروروذي : أحمد بن بشر بن عامر .
- أبو الحجاب ١٧٤ .
- ابن حبيب ٣٨١ .
- حبشة ٨٩ .
- ابن الحجاج الشاعر : الحسين بن أحمد بن محمد .
- حجاج بن هارون الكاتب ١٥٩ .
- الحجاج بن يوسف التميمي ٣٧٤ .
- ابن حجر المسقلان ٦٣ ، ٢٠٨ ، ٢٦٧ ، ٣٨١ .
- ابن أبي الحديد ٢٢٨ .
- الخراني ٧٢ .
- أبو الحرث حمين (٧٥) ، (١٥٠) .
- ابن حرثان : عمرو
- حرثان بن عمرو (٣٦٩) ، ٣٧١ .
- حرثان بن بحر ذو الاصبع المدواني ٨٨ .
- الحريري غلام بن طرارة : الحريري .
- أبو الحريش .
- ابن حزم ٤٠ ، ٢٢٩ ، ٣٩٦ .
- الحزنبل : محمد بن عبد الله بن عاصم .
- ابن حسان ٤٨١ .
- حسان بن ثابت (٨) ، (٩٥) ، ٤٥٨ .
- الحسن البصري : الحسن بن أبي الحسن .
- أبو الحسن البغدادي ٧٣ .
- الحسن بن بويه أبو علي ركن الدولة (٨١) ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١٢٥

- ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٩٤ ، (٣٢٢) ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،
 ٤١٨ ، ٤٢١ ، ٤٣١ ، ٤٤٦ ، ٥٢٦ ، ٥٣٢ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩ .
 الحسن بن أبي الحسن البصري أبو سعيد ٣٩ (٤٠) ، ٤١ ، ٦٨ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٤ ، (٤٧٣) .
 الحسن بن رجاء (٧٤) .
 الحسن بن رشيق القيرواني ٦ ، ٢٦٦ ، (٤٠٠) .
 أبو الحسن الطبري : إسحاق الطبري .
 أبو الحسن الطيب ٢٢٠ .
 الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي أبو سعيد (٦٨) ، ١٦٤ ، ٢٢٠ ،
 ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٣٠٧ ، ٣٥٢ ، ٣٧٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤١٠ ،
 ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٩٦ ، ٥١٨ .
 أبو الحسن العلوي الهمداني (٩٥) .
 الحسن بن علي بن إبراهيم البصري الكاغدي ٢٠١ .
 الحسن بن علي بن خلف البرهماري (٢٩٥) ٥٠٦ .
 الحسن بن محمد بن هارون المهلب الوزي ١٦١ (١٦٩) ، ١٧٤ ، ٢٢٦ ، ٣٩٢ ،
 الحسن بن وهب (١٧١) .
 الحسنكي أبو عمران ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ .
 الحسن بن أحمد بن سعدان (٣١٣) .
 الحسين بن علي بن إبراهيم البصري الجمل ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، (٢٠٨)
 ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ .
 الحسين بن علي بن عبد الله النمرى الشاعر (٥٢٣) ٥٢٨ .
 الحسين بن علي بن محمد الخالغ (٢٤٩) .
 الحسين المتكلم ٢٦٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠١ ، ٤٦٧ .
 الحسين بن محمد أبو عبد الله النجار ١٦٧ ، (٣٩٦) .

- الحسين بن محمد كلة العميد (٨١) ، ٨٢ ، ٣٣٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، (٣٦٠) .
- الحصري ٤٣٦ .
- حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ٤١٢ .
- الحصري أبو عبد الله ٢٥٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ .
- الحصين بن الحمام المري ٥٨ .
- الخطيئة : جرول بن أوس .
- الحلاء : الثاني .
- ابن حماد : عبد الله بن حماد .
- حمد بن محمد أبو الفرج الكاتب ٣٨٥ ، (٤٢١) ، ٤٢٢ .
- ابن حمدون : محمد بن عبد الله .
- الحمدوني الشاعر : اسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه .
- حمدويه صاحب الزنادقة ٥٣ .
- حمزة بن الحسن الأصبهاني (٧٣) ، ٣٥٨ .
- حمزة بن عبد المطلب (ض) ٤٢٧ .
- حمزة المصنف : حمزة بن الحسن الأصبهاني .
- ابن حمزة ٢٦١ .
- حميد بن أبي شعاذ الضبي ٣٣ .
- أبو حنيفة الإمام : النعمان بن ثابت .
- حنين ٨٧ .
- أبو الحوراء الرقي : أبو الجوزاء الرقي .
- أبو حيان (الممتر) ٣١٠ .
- أبو حيان الأندلسي ٦ ، ٢٥٢ .
- أبو حيان البصري ٣٠٩ .

أبو حيان التوحيدي ٤ ، ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٠ ،
 ٤٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ١٢٤ ،
 ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
 ٢١١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٦٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
 ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٥٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٠ ،
 ٤٠٣ ، ٤٢١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٧٣ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٥٢٣ ، ٥٥٠ .
 أبو حيان الدارمي ٣٠٩ ، ٣٠٨ .
 الحيلوهي : الحيلوهي .

— خ —

ابن خارجة ٤٢١ ، ٤٢٢ .
 الخازن أبو جعفر ١١٣ ، (٣٤٦) ،
 ابن خاقان : عبيد الله بن محمد بن عبيد الله .
 خالد بن زهير الهذلي ٣٩٣ .
 خالد بن علقمة الدارمي ٣٣ .
 الخالغ : الحسين بن أبي جعفر علي بن محمد .
 ابن خالويه ٦ .
 الخنممي ١٤٢ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ٥٤٥ .
 ابن أبي خراسان الفقيه ١٠٢ .
 الخراساني ٢٣١ .
 الخراساني : أبو واقد الكرايسي .
 الخرائطي ١٠٤ ، ١٠٥ .
 الخسوعي ٢٢٩ .

- أبو الخصب : الشيخ الحربي أبو الخصب .
 الخصري ٢٦٤ .
 الخطفي جد جرير ٤١٣ .
 الخطيب (نحوي) ٢٦٤ .
 الخطيب البغدادي ١٥٥ ، ١٧٣ ، ٣٩٦ .
 الخفاجي ٢١ .
 ابن خلدون ٣٤٤ .
 الخلدي ١٥٩ .
 ابن خلكان ١٦٥ ، ١٨٣ ، ٣٣٥ .
 خليفة بن حمل بن عامر ذو الخرق الطهوي (٣٤) .
 أبو خليفة الفضل بن الحباب ٨٠ .
 الخليل بن أحمد الفراهيدي (٢٢٠) ، ٢٢١ .
 خليل أدم ٤٣١ .
 الخليلي ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥٢ ، ٣١٠ ، ٣٦٥ ،
 ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ ، ٤٩٠ ، ٥٤٦ .
 الخليلي أبو يعلى ١٢١ .
 ابن خميس الموصل ٤٥ .
 الخنساء ٤٨١ .
 الخوارزمي : محمد بن العباس أبو بكر .

— ر —

- الدامغاني ٢٠٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ .
 أبو داود ١٥٦ ، ١٦٣ .

— ٥٦٩ —

- دعبل بن علي الخزاعي ٦ ، ٦٤ ، ٧٥ ، ٤٥٦ .
- دعيميص الرمل (٢٥٨) .
- دغة (٨٤) .
- أبو دلف الخزرجي : مسهر بن مهمل .
- الدماميني ٢٦٦ .
- الدميري ٣٩ .
- ابن أبي دؤاد : أحمد بن أبي دؤاد .
- ديك الجن : عبد السلام بن رغبان .
- ديوجه لقب الصاحب ٤٦٢ .

— ز —

- الذهبي ٢٠ ، ٥٠ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٤٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٨ .
- ذو الأصبع العدواني : حرثان بن محرث .
- ذو الخرق الطهوي : خليفة بن حمل بن عامر .
- ذو الرمة ٥١٢ .
- ذو الكفائتين : ابن العميد أبو الفتح .
- أبو ذؤيب الهذلي ٣٨٨ ، ٣٩٣ .

— ر —

- رأس الجالوت اليهودي (٢٩٩) .
 - ابن الرازي ٤٦٢ ، ٤٦٨ .
 - الرازي أبو بكر : أحمد بن علي الحنفي .
- ٥٧٠ —

- الرازي أبو الفتح ٢٠٢ ، ٢١١ .
- الراضي العباس ٦٧ ، ٧٣ ، ٤١٤ .
- الراغب الاصبهاني ٣٤ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ٢٢٩ ، ٣٢١ ، ٣٨٧ ، ٤٦٨ .
- أبو راغب ١٥١ ، ١٥٣ .
- ابن الراوندي : أحمد بن يحيى بن اسحاق .
- أبو الربيع : محمد بن الليث .
- رسول الله : محمد (ص) .
- الرشيد (هارون) ٤٣ ، ٥٣ ، ٢٦٦ ، (٤٨٨) .
- ابن رشيق : الحسن بن رشيق .
- الرقاشي : عبد الملك بن محمد أبو قلابة .
- ركن الدولة : الحسن بن بويه أبو عني .
- الرمادي : يوسف بن هارون الرمادي أبو عمر .
- الرماني : علي بن عيسى بن عبد الله .
- رويين (٣٣٢) ، ٣٣٤ .
- ابن الرومي : علي بن العباس بن جريج أبو الحسن .
- الرويانى ١٦٧ .
- أبو ريذة محمد عبد الهادي .

— ز —

- الزرقان ٤٧٢ .
- زبيدة بنت جعفر (٤٨٩) .
- الزبيدي ٦٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٥٧ .
- الزبير (ض) ٢٤٧ .

—٥٧١—

- الزجاجي ٦ ، ٤٧١ .
- ابن زرعة الفقيه ٣١٩ .
- الزرقاني ١٥٧ .
- الزعفراني ٩٨ ، ١٠٩ .
- الزعفراني الشاعر : عمر بن ابراهيم .
- الزعفراني : محمد بن أحمد بن عبدوس أبو الحسن .
- الزعفراني النحوي أبو عبد الله ١٢٧ .
- الزخشري ٢٥٤ .
- زهير بن أبي سلمى ٥ ، ٣٧٠ ، ٤١٢ .
- ابن الزيات المتكلم ١٩٠ .
- ابن الزيات : محمد بن عبد الملك .
- زياد بن أبيه ١٨٤ .
- زياد بن سليمان الأعجم (٨٩) .
- أبو زيد الأنصاري : سعيد بن أوس .
- أبو زيد البلخي ١١٥ ، ١٦٧ .
- زيد بن حارثة ١١٠ .
- زيد بن علي بن الحسين ٨٠ ، (١٦٧) ، ١٦٨ .
- أبو زيد الكلابي .
- زينب (ض) ٧٨ .

— س —

- سارطون ٣٤٥ ، ٣٤٦ .
- سبطل المصري : التميمي الشاعر المصري الرغيب .

— ٥٧٢ —

- السبكي ١٢٣ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ، ٢٥٢ ، ٤٧٧ .
- سحبان بن وائل (٣٦٢) .
- سحيم بن وثيل الرياحي ٤٧٠ .
- السخاوي ٤٤ ، ٥٠٧ .
- سديف بن اسماعيل بن ميمون المكي (٥٦) .
- السرخسي : أحمد بن محمد بن الطيب .
- ابن سعد ٤٠ .
- أبو سعد الخزومي : عيسى بن الوليد .
- سعد مولى أبي بكر (٢٦٧) .
- ابن سعدان : الحسين بن أحمد .
- سعيد بن أوس الأنصاري أبو زيد (٢٤٨) .
- سعيد بن حميد (٧٢) ، ١٤٥ ، ٣٦٢ .
- السعيد : نصر بن أحمد بن إسماعيل صاحب خراسان ٤٠٣ .
- أبو سعيد الميرافي : الحسن بن عبد الله .
- السفاح العباسي ٥٦ ، ٧٤ .
- أبو سفيان ٤٢٧ .
- سقراط ٣٢٤ ، ٣٦٨ .
- السلامي ١٧٤ .
- السلامي أبو علي ٤٠٣ .
- السلامي : محمد بن عبد الله أبو الحسين .
- سلم ١١٩ .
- سلم بن زياد ١٩٩ .
- أبو السلم مسلم الأعرابي ٢١٩ .
- أبو السلم : نجية (نجية ؟) بن علي القطاني الشاعر .

- السلمي ٤٧٤ .
- سليمان بن علي (٢٢٠) ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .
- سليمان بن قبيصة بن يزيد ٢٢٠ .
- سليمان بن مختار ١٤٤ .
- أبو سليمان المنطقي : المنطقي .
- السمعاني ١٨٤ .
- ابن سمكة القمي : أحمد بن اسماعيل .
- سهل بن محمد السجستاني أبو حاتم ١٨ ، (٢٧٨) .
- سهل بن هارون (٧٢) .
- سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر .
- ابن سيرين ٢٩٣ .
- السيوطي ٢٩٣ .
- السيوطي ١٨٤ ، ٣٠٨ .

— ش —

- ابن شاذان : بكر بن شاذان .
- ابن شاذان أبو الحسن ٢٦١ ، ٢٧٩ .
- ابن شاذان القاضي ٣٦٣ .
- الشاذياشي أبو علي ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٣٠١ ، ٤٩٥ .
- الشاعر المغربي ٥٤٦ ، ٥٤٧ .
- ابن شاكر ٢٠ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٤٤ ، ٤٢٧ .
- شبيب بن شذبة الخطيب (٣٩٢) .
- ابن الشجري ٥ .

- شداد بن الأسود بن شعوب ٣٨١ .
- الشريشي ٢٢٩ ، ٢٤٩ ، ٢٨٢ ، ٣٠٣ ، ٣٦٢ ، ٣٧٤ ، ٤٠٠ ، ٤٨١ .
- الشريف الجرجاني ١٥٤ .
- الشريف الرضي ١٤٧ .
- الشريف المرتضى ٥ ، ٤٢ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .
- الشمر دل ٢٧٨ .
- شمسويه ٣٤١ .
- الشهرستاني ١٥٥ ، ٢٢٩ .
- الشويمر الحنفي : هاني بن توبة الشيباني .
- ابن أبي شيبان ٢٠٣ .
- الشيخ الحربي أبو الحبيب ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ .
- الشيخ المفيد ٨٠ .
- الشيخان (أبو بكر وعمر) ٤٠٤ .
- الشيرازي ٤٠ ، ١٧٨ ، ٢٠١ .
- ابن أبي الشيص : عبد الله .
- الشیطان ٤٨٦ .

— ص —

- الصابي ٨١ ، ٢٢٤ .
- الصابي : إبراهيم بن هلال .
- الصاحب : إسماعيل بن عباد .
- صاحب جرجان ٥٤٥ .

— ٥٧٥ —

- الصادق (جعفر) ٢٥٥ .
- أبو صادق الطبري ٢٦١ ، ٣١٦ .
- صاعد الأندلس ٤٢ .
- الصاغاني أبو حامد (١١٥) .
- الصاغاني أبو علي ٣٤٦ .
- صالح بن إسحاق الجرمي ١٦٥ .
- أبو صالح الرازي الصوفي ٥١١ .
- صالح بن عبد القدوس (١٨٣) ، (٣٨٢) .
- صالح الوراق ٣٠٨ .
- أبو صالح الوراق : عبد الله بن محمد بن يزداد .
- صدي بن مالك ٦ .
- الصديق : عبد الله بن أبي قحافة .
- الصفدي ١٤٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٩ ، ٤٢٣ .
- صفوان بن المعطل ٢٦٨ .
- صقلاب ١٧٣ .
- صمصام الدولة ٢٠ ، ٣١٣ .
- الصناديقي ١٨٤ .
- الصولي ٢٦٦ ، ٣١٠ .
- الصولي : إبراهيم بن العباس .
- الصولي : محمد بن يحيى أبو بكر .
- الصيرفي ٢٠٢ .
- الصيمري أبو بكر (٢٣٥) .
- الصيمري أبو زكرياء ٢٣٥ ، ٣٠٢ .

— ض —

- الضبعي ٣١٥ .
- الضبي ٣١٥ .
- الضبي : أحمد بن محمد بن إبراهيم .
- الضير النحوي ٢٦٢ .

— ط —

- أبو طالب الجراحي (٣٢٢) ، ٣٢٣ .
- أبو طالب العاوي ١٠٠ ، ١٩٥ .
- أبو طاهر الأنماطي ٢٣٠ ، ٣١٩ .
- أبو طاهر الحنفي ٩٨ .
- أبو طاهر العباداني ٩٩ .
- أبو طاهر الوراق ٣٢٩ ، ٣٤٨ .
- الطائع العباسي ١٠٧ .
- الطبراني ٤٥ .
- الطبري ٢٨٨ .
- أبو الحسن الطبري : أحمد بن محمد .
- ابن طرارة : المعافي بن زكرياء النهرواني .
- ابن طرخان : علي بن الحسن أبو الحسن .
- طرفة ١٤٢ .
- طفيل الغنوي ٢٥ .

- الطقطقي ٣٢٦ .
- طلحة (ض) ٢٩٧ .
- طلحة بن عبد الله بن فتاش المصري أبو جعفر ١٩٤ .
- الطوسي ٢٣٠ ، ٢٣٣ .
- الطيالسي ٣٨ .
- أبو الطيب الكماني ٣٨٤ ، ٢٨٥ .
- أبو الطيب النصراني ١١٠ .
- ابن طيفور ١٧١ ، ١٧٥ .

— ط —

- ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي (٩١) ، ٢٥١ .

— ع —

- أبو المادي الصوفي ٣٥٨ .
- أبو عاصم البصري ٢٥٦ .
- عافية بن شبيب البصري ٢٣٢ .
- أبو العالية الرياحي ٦٠ .
- عامر بن الظرب (١٨) .
- عامر بن لقيط الأسدي الشاعر ٣٨٢ .
- العامري أبو الحسن : محمد بن يوسف .
- عائشة (ض) ٧٨ ، ٢٩٧ .
- ابن عباد : اسماعيل بن عباد .
- عباد بن أحمد ٣١٤ .
- عباد بن العباس الأمين والد الصاحب ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٣١٤ ، (٤٢٠) ، ٤٩٤ .

- العباداني أبو طاهر : أبو طاهر العباداني .
- عباد الخنث (١٤٥) ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٧٥ ، ٢٥٢ .
- ابن عباس (جد الصاحب) ١٧٤ .
- ابن عباس (ض) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .
- عباس إقبال ٨١ .
- العباس بن الحسن (١٨٩) .
- العباس بن الحسين أبو الفضل الشيرازي (٢٢٤) .
- العباس بن عبد المطلب ٢٢١ ، ٤٤١ .
- العباسي : عبد الرحيم .
- ابن عبد ربه ٢٥ .
- عبد الرحمن بن زاعط أبو الفتح أعشى همدان (٢٥٨) .
- عبد الرحيم العباسي ١٧٤ ، ١٧٩ .
- ابن عبد الرحيم القاضي ٣٤٩ ، ٥٤٧ .
- عبد الرزاق بن الحسن بن أبي الثياب الشاعر (٣٤٧) ، ٣٦٢ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٣٥ .
- عبد السلام البصري ١٠٧ .
- عبد السلام بن الحسين المأموني ١٢٣ ، ٣١٦ .
- عبد السلام بن رغبان ديك الجن (١٥٧) .
- عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي أبو هاشم (٣٩٦) .
- عبد العزيز بن عمر للسعدي ابن نباتة (٢٤٩) ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٣٩ .
- ٣٤١ ، ٤٢٧ .
- عبد العزيز بن يوسف الكاتب (١٠٩) .
- عبد القادر البغدادي ٣٤ ، ٥٣ ، ٤٧١ .
- ابن عبد كان الكاتب : محمد بن عبد الله أبو جعفر .

- عبد الكريم بن أبي العوجاء (١٨٣) .
- عبد الله بن أحمد بن حرب المهزجي أبو هفان (٦٣) ، ١٤٥ ، (٣٧٣) .
- عبد الله بن أحمد بن معروف (٢٠٣) .
- عبد الله بن بشر ٤٨٩ .
- عبد الله بن حماد (٦٦) .
- عبد الله بن حمود الزبيدي الأندلسي (٣٧٠) ، ٣٩٧ ، ٤٠١ .
- عبد الله بن الزبير (ض) ٣٦٨ .
- عبد الله بن أبي الشيص ٦ .
- عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ٧٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٢٢١ ، ٤٤١ .
- عبد الله بن عمرو بن العاص ٢١٨ .
- عبد الله بن أبي قحافة أبو بكر الصديق (٧٨) ، ٦٩ ، ٨٠ ، ١٠٨ ، ٢٢٨ ، ٢٧٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ .
- عبد الله بن محمد بن عبد الله الأنصاري الأحوص (٤٥٤) .
- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الثلاث المتكلم (٢٠٠) ، ٢١٣ .
- عبد الله بن محمد القطان ابن كلاب (٢٠١) .
- عبد الله بن يزيد أبو صالح الوراق (١٨٦) ، ١٨٧ .
- عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (١٧) .
- عبد الله بن المعتز ٢٥ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ١٤٨ ، ١٧٥ ، ٢٢٠ ، ٣٨٠ ، (٣٧٨) .
- عبد الله المعلم ١٤٠ .
- عبد الله بن هارون الرشيد ، المأمون (٢٤) ، ٢٥ ، ٤٢ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٢٣ ، ١٧٥ ، ١٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ .
- ابن عبدان الأصهباني ٣٦٧ .
- عبد الملك بن محمد الرقاشي أبو قلابة (٣٠٩) .

- عبد الملك بن مروان (٣٦٨) ، ٣٦٩ ، ٣٧١ .
- عبد الملك بن نوح الساماني ٨١ ، ٨٢ ، (٤٠٣) .
- ابن عبد الوهاب ٤٥٣ .
- ابن المبري ٤٤٣ .
- العبيسي ٢٦٧ .
- أبو هبيد ١٥٩ ، ٣٧٠ .
- أبو عبيد الكاتب النصراني (١٣٣) .
- عبيد الله بن دينار أبو العباس ٤٧ .
- عبيد الله بن زياد (٩١) .
- عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الفتح بن خاقان ١٧٠ ، (١٧١) .
- عبيد الله بن محمد الكلواذاني ٣٣١ .
- عبيد الله بن أحمد بن معروف (٢٠٣)
- أبو عبيدة ٢٣٦ ، ٢٥٢ .
- العتابي ٢٥١ ، ٢٩٦ .
- العتابي شيخ من أصبهان ٤٦١ ، ٤٦٢ .
- أبو العتاهية : إسماعيل بن القاسم .
- عتبة بن أبي سفيان ٦٢ ، ٣٦٩ .
- العتبي : محمد بن عبيد الله بن عمر .
- عثمان (ض) ١٠٨
- المجلوني ٤٤ .
- عدي بن حاتم (٩٢) ، (٣٧٦) .
- عدي بن خرشة الخطمي الشاعر ٢٧٦ .
- عدي بن مالك ٥ .
- ابن أبي عرادة السمدي ١٩٩ .

- عروة ابن الورد ٢١٧ ، ٣٠٣ .
- المروزي أبو محمد (٦٦) .
- عز الدولة : بختيار بن ممز الدولة .
- العزيز الفاطمي ١١٧ .
- المسجدي ٣٨٣ .
- عضد الدولة : فناخسرو بن الحسن بن بويه .
- ابن المطار ١٦٧ .
- ابن عقيل ٢٦٤ .
- عقيل بن علفة المري (٢٦٥) .
- أبو العلاء المري ٦ ، ١٢٣ ، ٢٧٦ .
- الغلاف : محمد بن الهذيل أبو الهذيل .
- علقمة بن علاثة ٣٧٠ .
- العلوي العقيلي : أبو أحمد العلوي أمير المدينة .
- علي بن أحمد الجوهري ٢٢٩ .
- علي بن ثابت الهمداني الكاتب ٣٢٦ .
- علي بن الجهم الشاعر ٤٢ .
- علي بن الحسن التنوخي أبو القاسم ابن الجلبات (٢٤٩) ، ٣١٣ .
- علي بن حسن أبو الحسن ابن طرخان ٢٠٢ ، ٢١١ ، (٥١٤) ، ٥٢١ .
- علي بن الحسن الكاتب ١٧٩ .
- علي بن الحسين العلوي ١٤٦ .
- علي بن الحسين بن موسى القمي بن بابويه (١٦٧) ، ٢٥٤ .
- علي بن الحسين ابن هندو أبو الفرج (٣٨٥) .
- علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي ١٨٢ .
- علي بن سليمان الأخفش ١٠٧ .

علي بن أبي طالب ٩٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٢٢ ، ٢٤٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،
٢٩٧ ، ٣٠٩ ، ٤٤١ .

علي بن العباس بن جريج ابن الرومي (٢٩٠) .
علي بن عبد الله بن وصيف الناشي (٢٩٤) .
علي بن عمر بن أحمد بن القصار الفقيه . (١٤٠) .
علي بن عيسى بن داود بن الجراح (١٧١) .
هلي بن عيسى بن عبد الله الرماني (١٦٤) ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ،
٤١٠ ، ٥١٨ .

علي بن عيسى الوزير ٣٢٢ ، (٣٨٠) .
أبو علي الفارسي ٣٧٠ .
علي بن القاسم العارض ٤٤٦ .
علي بن القاسم الكاتب (١٢٤) ، ٣٨٥ .
أبو علي القالي ٥ ، ٣٠ ، ١٧٧ ، ٢٢١ ، ٢٤٩ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٩٩ .
علي بن كامة ١٤٢ ، ٥٣٢ ، ٥٤١ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ .
علي بن كعب الأنصاري أبو الحسن (٢٠٣) ، ٤١٠ .
علي بن محمد بن الحسين ابن العميد أبو الفتح ذو الكفائتين ١٠١ ، ١٢٥ ،
١٣٢ ، (١٥٨) ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،
(٤٠٦) ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ،
٤٥٥ ، ٤٨٦ ، ٤٤٢ ، ٤٩٥ ، ٥١٠ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥٢٣ ،
٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ،
٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ .

علي بن محمد الطبري ١٦٩ .
علي بن محمد بن علي البديهي (١١٨) ، ١٦٥ ، ٣١٤ ، ٣٩٣ .
علي بن محمد بن موسى بن الفرات (١٧١) .

- علي بن هارون بن علي بن المنجم أبو الحسن (١٦٠) ، ٣٧٧ .
- علي بن هارون بن نصر النحوي القرمسيني (١٠٧)
- علي بن يوسف بن البقال الشاعر (١٩٤) ، ٤١٠ .
- عمارة ٣٧٢ .
- العماري ٣١١ .
- ابن عمر (ض) ٤٤١ .
- عمر بن ابراهيم الزعفراني الشاعر (١٠٥) ، ١٤١ ، ٢١٧ ، ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٧
- عمر بن الحسن بن مالك الأشتاني (٨٢) .
- عمر بن الخطاب ٨٠ ، ١٠٨ ، ٢٢٨ ، ٢٥٨ ، ٤٤١ .
- عمر بن شبثة ٣٨٠ .
- عمر ١٩٩ .
- عمر بن الأهم ٨٦ ، ٤٧٢ .
- عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان (٤٢) ، ٤٤ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٩٦
- ١٣٤ ، ٢٨٥ ، ٣٣١ ، ٣٩٢ ، ٤٤٧ ، ٤٥٢ ، ٤٩٤ .
- عمرو بن حريثان (٣٦٩) .
- عمرو بن عبيد ابن باب (١٥٤) ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ٢٦٠ ، (٤٧٣) .
- عمرو بن عثمان بن قنبر سيديويه ٣٣٠ .
- أبو عمرو كاتب فخر الدولة ٢١٢ .
- عمرو بن هشام الخزومي أبو جهل (٩٨) ، ٧٩ ، ١٥٧ .
- العمري ٧٤ .
- العميد والد أبي الفضل ابن العميد : الحسين بن محمد كلة .
- ابن العميد أبو الفتح : علي بن محمد بن الحسين .
- ابن العميد أبو الفضل : محمد بن الحسين بن محمد .
- ابن العميد : أبو القاسم (ولد لأبي الفضل) ٣٨٧ .

- عنبرة ٤٣٦ .
العوفي : أحمد بن محمد .
عياش بن طيمعة ٤٥٦ .
ابن أبي عيزارة السعدي ١٩٩ .
عيسى بن صبيح أبو موسى المردار (١٥٤) .
عيسى بن فرخانشاه أبو موسى الكاتب (٤٥) .
عيسى بن الوليد أبو سعد الخزومي (٦) .
أبو العيناء : محمد بن قاسم بن خلاد .
العيبي ٢٠ ، ١٦٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٤ ، ٤٩٤ ، ٥٠٦ .

— غ —

- ابن الغازي ٢٠٢ .
أبو غالب الأعرج الكاتب الأصبهاني ٤٢٠ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ .
الغويري أبو الحسن الشاعر (٣٢٩) .

— ف —

- ابن فارس : أحمد بن فارس .
ابن فتاش المصري : طلحة بن عبد الله أبو جعفر .
أبو الفتح البستي ٢٢٩ .
الفتح بن خاقان : عبيد الله بن محمد بن عبيد الله .
أبو الفتح ابن الفرات : الفضل بن جعفر .
أبو الفتح ابن العميد : علي بن محمد بن الحسين .
فخر الدولة ١٠٥ ، ٢١٤ ، ٥٤٥ .

- الفخر الرازي ٤٤١ .
- أبو الفداء ٢٠ ، ٢٥ ، ١١٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٩٦ ، ٣٢٢ ،
- ٣٤٨ ، ٤٤٥ .
- الفراء : يحيى بن زياد بن عبد الله .
- ابن الفرات ١٧١ .
- ابن الفرات : علي بن محمد بن موسى .
- ابن الفرات : الفضل بن جعفر أبو الفتح .
- أبو الفرج الأصبهاني الكاتب ٤٢١ .
- أبو الفرج البغدادي الصوفي ١٢٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ .
- الفرزدق ٤٥٩ .
- ابن الفرضي ٢٥٧ .
- فرعون ٢٤٣ .
- أبو فرعون الأعرابي الساسي (١٤٨) .
- فرعون هذه الأمة ١٥٧ .
- الفرغاني أبو محمد الحنفي ٢٠٩ ، ٢١٣ .
- ابن فثيشا ٢١٥ .
- الفضل بن جعفر بن الفرات أبو الفتح ٤١٤ .
- الفضل بن الحباب : أبو خليفة الفضل .
- فضل الساعي (٢٩٤) .
- الفضل بن سهل (٧٤) .
- أبو الفضل ابن العميد : ابن العميد أبو الفضل .
- أبو الفضل الميكالي ٤٠٨ .
- أبو الفضل الهروي ٣١٧ .
- الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (٢٦٦) .

القفاحي ٤٦٦ . ٤٦٧ .
 فناخسرو بن الحسن بن بويه عضد الدولة ٢٠ ، (٩٤) ، ٩٦ ، ١٠٥ ،
 ١٠٨ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٨٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٦ ، ٤٣٧ ،
 ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ .
 فيروزان المجوسي ١٠٤ ، ١٠٥

— في —

قابوس بن وشمكير الديلمي (٢٠٨) .
 القاسم بن عبيد الله الوزير ١٨٩ .
 القاسم بن عطية أبو سعيد الأبهري (١٢١) ، ١٢٢ ، ٢٠٣ ، ٣١٨ .
 أبو القاسم ابن أبي العلاء الأصبهاني ٨٠ .
 القاص أبو العباس الضرير ١٢٧ .
 القاضي ابن عبد الرحيم ٣٣٢ .
 القاضي أبو علي : أبو علي القاضي .
 القاهر ٦٧ ، ١٧١ .
 القائم الفاطمي ١٣٦ .
 ابن قتيبة ٥ ، ٤٢ ، ٧٢ ، ١٩٩ ، ٣٨٧ ، ٤٦٢ .
 القرمسيني : علي بن هارون بن نصر .
 ابن قريظة : محمد بن عبد الرحمن .
 قس بن ساعدة (٣٣٠) ، ٣٦٢ .
 القسري (؟) ٢٩٥ .
 القصار (؟) ١٧٨ .
 ابن القصار الفقيه : علي بن عمر بن أحمد .
 القطان ٢٣٠ .

- ابن القطان : أحمد بن محمد بن أحمد البغدادي .
- ابن القطان القزويني الحنفي .
- القفطي ٤٢ ، ١٦٤ ، ٣٠٢ ، ٣٤٦ .
- القلاسي : أحمد بن إبراهيم بن عبد الله .
- قويري : إبراهيم قويري أبو إسحاق .

— ك —

- الكاغدي : الحسن بن علي بن إبراهيم البصري .
- ابن كامة : علي بن كامة .
- ابن أبي كانون ٢٠٩ .
- ابن أبي كبشة : جزء بن غالب بن عامر الخزاعي .
- كثير عزة ١٧٧ .
- الكرائسي ١٣١ .
- الكسائي : علي بن حمزة بن عبد الله .
- ابن كعب الأنصاري : علي بن كعب أبو الحسن .
- كعب بن زهير ٥ .
- ابن كلاب : عبد الله بن محمد القطان .
- كلّة : العميد .
- ابن كلّس : يعقوب بن يوسف بن إبراهيم .
- الكلواذي : عبيد الله بن محمد .
- كليب وائل (٥٢) .
- الكندي الفيلسوف ٤٢ ، ١١٥ ، ٢٣٥ .

— ل —

- لبديد (٨) .
- أبو الليل العلوي ٥١١ .

— م —

- ابن ماسويه : ميخائيل .
- ابن ماسويه : يوحنا .
- ماكان بن كالي ٨١ .
- أبو مالك ١٣٩ .
- مالك بن شاهي ٤٨٩ .
- المأمون : عبد الله بن هارون الرشيد .
- المأموني : عبد السلام بن الحسين .
- المبرد : محمد بن يزيد .
- المبرمان : محمد بن علي بن إسماعيل النحوي .
- متى أبو بشر (٤١٣) .
- المتنبي : أحمد بن الحسين .
- المتوكل العباسي : جعفر بن الواثق .
- مجزز بن الأعور بن جمعة المدلجي (١١٠) .
- المجوسي : أبو نصر خوشادة .
- ابن محارب (٢٣٥) .
- ابن الهاوش ٣٥٠ ، ٣٥١ .
- ابن الحسن الصابي ١٧١ .

- محسن بن علي التنوخي (١٩٤) .
- محمد (عليه السلام) (٨ ، ٤٥ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١١٠ ، ١٤٦ ،
- ١٥٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٩ ،
- ٣٨١ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٥٢ ، ٤٥٨ .
- محمد بن إبراهيم صاحب الجيش ١٠٨ .
- محمد بن أحمد البغدادي الكاتب الجرجاني (١٩) ، ٢٠ ، ٢٢ .
- محمد بن أحمد بن عبدوس الزعفراني أبو الحسن (٩٧) .
- محمد بن أبي أبوب عميد الرؤساء ١٣٦ .
- محمد بن ثابت البغدادي أبو بكر (١٦٣) .
- محمد بن جعفر بن محمد أبو الفتح ابن المراهي (١٦٤) ، ١٦٥ ، (٢٥٢) ،
- ٢٦٤ ، ٣١٦ .
- محمد بن الجهم البرمكي (٤٢) ، ٤٣ .
- محمد بن حامد الجامي الشاعر (١١٣) .
- محمد بن الحسن الشيباني (٣٣١) .
- محمد بن الحسن بن كوثر البرهاري (٢٩٥) ، ٥٠٦ .
- محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي الحائمي أبو علي (٢٠) ، ٢١ ، ٣١٣ .
- محمد بن الحسن بن مقسم أبو بكر العطار ٧٥ ، (٤٠٤) .
- محمد بن الحسين بن محمد أبو الفضل بن العميد ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٣ ، ٧٩ ،
- ٨٠ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٢٨١ ،
- ٢٨٤ ، (٣٢١) ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤١ ،
- ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ،
- ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ،
- ٣٩٣ ، ٤٠٨ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ،
- ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٦٠ ،

٤٦٤ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٥٤٨ .

- محمد بن داود بن الجراح (٣٨٠) .
- محمد بن زكريا الرازي (٤٣٨) ، ٤٤٠ .
- محمد بن زياد ابن الاعرابي (٨٨) ، ٣٧٤ ، ٤٢٢ ، ٤٧٢ .
- محمد بن سليمان والي الكوفة ١٨٣ .
- محمد بن صالح الهاشمي ٢٠٧ .
- محمد بن طاهر بن الحسين (٤٦) .
- محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي أبو سليمان ١٩ ، ٦٦ ، (٢٠٢)
- ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٥٥ ، ٤١٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٩٦ ، ٥١٨ ، ٥٣٠ .
- محمد بن العباس الخوارزمي أبو بكر (١٠٧) ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٩٢ ، ٣٤٨ ، ٣٧٤ ، ٤٠٣ .
- محمد بن العباس أبو الفرج ٢٢٤ .
- محمد بن عبد الرحمن ابن قريمة ٢٠٣ .
- محمد بن عبد الله البلامعي أبو الفضل (٤٠٣) .
- محمد بن عبد الله بن حمدون أبو بكر ١٤٧ ، ٣٦١ ، ٣٧٦ ، ٤١٨ .
- محمد بن عبد الله السلامي أبو الحسين ٤٠٣ .
- محمد بن عبد الله بن طاهر ١٠٣ .
- محمد بن عبد الله بن عاصم الخزنبيل (٨٨) .
- محمد بن عبد الله بن عبد كان الكاتب (٢٩٨) .
- محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة الزيات (١٧٠) ، ١٧١ ، ٢٨٨ .
- محمد بن عبد الهادي أبو ريدة ٤٢ .
- محمد بن عبد الوهاب الجبائي أبو علي (١٤٤) ، ٤٩٤ .
- محمد بن عبيد الله بن عمر العتي (٦٢) ، ٣٦٩ .

- محمد بن علي إسماعيل النحوي المبرمان (٢٥٧) .
- محمد بن علي بن الحسين ابن مقلّة أبو علي (٥٧) ، ١٧١ ، ٣٢٢ .
- محمد بن عمران بن موسى أبو عبيد الله المرزباني (٥٥) ، ١١٠ ، ٢٦٥ ، ٣٦٩ .
- محمد بن فرح أبو بكر ٣٩٧ .
- محمد بن القاسم بن خلاد أبو العيّناء (٤٥) ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٧ ،
- ١٥٩ ، ٧٣ .
- أبو محمد كاتب الشروط ١٠١ .
- محمد بن كرام ٢٢٩ .
- محمد بن الليث أبو الربيع (١٣٦) .
- محمد بن محمد الدقاق أبو بكر ٣٠٨ .
- محمد بن محمد بن محمد بن بقیة الوزير ١٩ ، (٢٠) .
- محمد بن محمد بن بحر أبو الوفاء البوزجاني (٢٠٤) ، ٢٠٥ ، ٣١٢ ، ٤٧٩ .
- محمد بن المرزباني ٢٢٧ .
- محمد بن مکرم (٥٥) ، ٥٧ ، ٦٣ .
- أبو محمد المهلبی : الحسن بن هارون المهلبی .
- محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف أبو الهذيل (٣٠٨) ، ٣٠٩ ، ٤٩٣ ،
- (٤٩٤) .
- محمد بن موسى بن سهل المطار البرهاري أبو بكر ٥٠٦ .
- محمد بن يحيى بن خالد ٦٥ .
- محمد بن يحيى الصولي أبو بكر (٧٣) .
- محمد بن يزداد الوزير (١٨٧) .
- محمد بن يزيد المبرد ١٧ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ٧٠ (٧٤) .
- محمد بن يوسف العامري أبو الحسن (١١٥) ، ١٣٠ ، ٣٤٤ ، ٤١٠ ، ٤١١ ،
- ٤١٢ ، ٤٤٦ .

- محمود الوراق ٤٠٤ .
- المختار الثقفي ٩٢ .
- المذهب أبو عبد الله ٢٠٨ .
- المرار بن سعيد بن حبيب الفقمي (٢٦٢) .
- ابن المراغي : محمد بن جعفر بن محمد أبو الفتح .
- أبو المرتاب ١٧٤ .
- المرتضى : الشريف المرتضى .
- مرجليوث ٩٥ ، ١٠١ .
- مرداويج (٨١) ، ١٦٩ ، ٤٣١ .
- المرزبان بن محمد ملك الديلم (٣٢٣) .
- ابن المرزبان : محمد بن المرزبان .
- المرزباني : محمد بن عمران بن موسى .
- المرزوقي ٤٥٤ .
- مرعوش الساعي (٢٩٤) .
- مروان بن الملقب (٤٠) ، ٤١ .
- المروزودي أبو حامد : أحمد بن بشر .
- مريم ابنة عمران ٤٤٠ .
- مزيد : مزيد الملقب .
- مزيد الملقب (١٤٦) ، ١٥٠ .
- المزدار : أبو موسى المزدار .
- المساور بن هند ٣٦٥ .
- المستمين ٧٢ .
- المسعودي ١٨٨ ، ٤٤٣ .
- مسكويه : أحمد بن علي بن محمد بن بمقوب .

- أبو مسلم الخراساني ٧٤ ،
 مسلم بن الوليد ٦٤ ، ١٢٠ ، (٣٣٠) .
 مسهر بن مهابل أبو دلف الخزر جي (١٧٤) ، ٤٣٨ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ .
 المسيبي ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٧٢ ، ٢٧٨ .
 المسيح (عمم) ٤٤٠ .
 المشوق الشاعر الشامي أبو الحسن (٢٢٩) .
 المصري ٢١٨ .
 مطر بن أحمد ، وزير مرداويج الجيلي ١٦٩ .
 المطيع ٧٣ .
 مضر بن لقيط الشاعر ٣٨٧ .
 المعافى بن زكريا النهرواني ، ابن طرارة (١١٢) ، (٢٠٣) ، ٢٢٤ .
 معاوية بن أبي سفيان ٩١ ، (٣١٠) ، ٣٨٠ .
 معاوية بن قررة ٢٥٤ .
 المعتز العباس ٤٥ ، ٣٨٨ .
 ابن المعتز : عبد الله بن المعتز .
 المعتصم ٢٨٨ ، ٤٠٥ .
 المعتضد ١٨٩ ، ٢٣٥ .
 معد بن عدنان ٢٢١ .
 معروف بن فيروز (فيروزان) الكرخي (٤٧٤) .
 ابن معروف : عبيد الله بن أحمد .
 المعري : أبو العلاء .
 معز الدولة : أحمد بن أبي شجاع .
 أبو معشر ٤٢ .
 معن بن زائدة ١٨٣ .

- مفلس بن لقيط الشاعر ٣٨٧ .
- المقتدر ٦٧ ، ٧٣ ، ١٧١ ، ١٨٩ ، ٣٣١ ، ٣١٤ .
- المقرئ ١٥٤ ، ١٦٧ .
- ابن مقسم : محمد بن الحسن أبو بكر العطار .
- مقدمة النصيبي : إبراهيم بن علي المتكلم .
- ابن المقفع (٧١) ، ٧٢ .
- ابن مقلة : محمد بن علي بن الحسين .
- المكتفي ٧٣ ، ١٨٩ .
- ابن مكرم : محمد بن مكرم .
- المكي أبو عبد الله العلوي ٤١٦ .
- ملك الديلم : المزرباني بن محمد .
- مويه ٣٣٤ .
- ابن المنجم : علي بن هارون أبو الحسن .
- ابن المنجم أبو محمد (١٦١) .
- منصور ٣٢٧ .
- المنصور العباسي أبو جعفر ٥ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ١٨٣ ، ٢٢٠ ، ٤٨٩ .
- المنصور القاضي ٤٧ .
- المنطقي أبو سليمان : محمد بن طاهر بن بهرام .
- ابن منظور ١٥٩ .
- المهدي العباس ١٨٤ .
- المهلب بن أبي صفرة أبو سعيد (٤٠) .
- المهلي : الحسن بن محمد بن هارون .
- موسى بن بغا ٧٣ .
- موسى بن عمران (عم) ٣٤٠ ، ٤٥٢ .

- آبو موسى المردار (١٥٤) .
 أبو موسى المعلم الحسني الطبرستاني ٤٠٦ ، ٤٠٢ .
 مؤيد الدولة : بويه بن ركن الدولة .

— ن —

- الدايفة الديباني (٣٨) ، ١٤٧ ، ٤٦٢ .
 الناشي : علي بن عبد الله بن وصيف .
 ابن ناصح ٣٠٨ .
 ابن نباتة السعدي : عبد العزيز بن عمر .
 النباتي : أبو محمد ٢٩٠ .
 ابن نبهان ٢٠٣ .
 النبي : محمد ﷺ .
 الننيف المتكلم ٣٧٣ .
 نجاح الخادم خازن كتب الصاحب ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٩٩ ، ٤٩٢ .
 النجار : الحسين بن محمد أبو عبد الله .
 نجمة (تحية) (؟) بن علي القحطاني الشاعر ١٢٣ ، ٢٨١ ، ٢٤٨ ، ٣٩١ ،
 ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ .
 ابنت النديم ٦ ، ٢٤ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ١٣٦ ، ١٦٥ ،
 ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٦ ، ٣٩٦ ،
 ٤١٣ ، ٤٤٣ ، ٤٧٣ ، ٤٩٤ .
 النسائي ١٨٦ .
 نصر بن أحمد بن إسماعيل السعيد صاحب خراساني ٤٠٣ .
 أبو نصر خوشادة المجوسي (١٦٦) ، ٣١٢ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ .

- نصر الدولة ٥٥ .
- النصبي : إبراهيم بن علي المتكلم أبو إسحاق .
- نصيح بن منظور الفقمسي ٣٧٤ .
- النضر بن الحارث ٨٣١ .
- نضلة بن البك (؟) ١٥٠ ،
- النظام : إبراهيم بن سيار .
- النعمان بن ثابت بن زوطا أبو حنيفة الإمام ٢٢٧ ، (٣٣٠) .
- النمر بن قولب ٢١٧ .
- النمري الشاعر : الحسين بن علي بن عبد الله .
- نهار بن قوسمة ١٧٩ ، ١٩٩ ، ٣٦١ .
- نهمشل بن حري الشاعر ٢٨٢ .
- أبو نواس ٦٣ ، ٣٧٤ .
- نوح (عم) ٤٤١ .
- النوشجاني ٤٨٨ .

— ه —

- هارون الرشيد ٢٤ .
- هارون بن المعتصم ، الواثق العباسي ٧٤ ، ١٤٥ ، ٢٨٨ ، (٣٠٨) .
- هارون بن علي ابن المنجم ٣٧٧ .
- الهاروني ٤٠٥
- أبو هاشم : عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي .
- هاني بن توبة الشيباني الشويمس ١٧٣ .
- الهذلي : أبو ذؤيب .
- أبو الهذيل العلاف : محمد بن الهذيل بن عبد الله .

- المهروي أبو سهل ١٧٥ ، ٢٦٢ .
 المهروي أبو الفضل (١١٣) ، ١١٤ ، ١٣١ ، ١٢٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٨٧ ،
 ٥٤٦ .
 ابن هشام ٤٥ ، ١٥٧ .
 ابن أبي هشام ٤٦١ .
 هشام بن الحكم أبو محمد (٢٣٠) ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ .
 هشام بن سالم الجواليقي أبو محمد (٢٢٣) .
 أبو هفان : عبد الله بن أحمد بن حرب المهزبي .
 ابن هلال الصابي : إبراهيم بن هلال .
 الهمذاني ٢٠٢ .
 الهمذاني العلوي أبو الحسن ٩٧ .
 ابن هندو : علي بن الحسين أبو الفرج .

— و —

- الوائقي العباسي : هارون بن المعتصم .
 الواسطي ٢٠١ .
 الواسطي أبو القاسم ٢١٣ .
 واصل بن عطاء (١٥٤) ، ٤٧٣ .
 أبو واقد الكرايسي الخراساني ١٢٨ ، ٢٣١ .
 وائل سيد ربيعة ٥٢ .
 الوراق الطرسوسي ٢٦٣ .
 الوزير المهلي : الحسن بن محمد بن هارون .
 وشمكير بن زيار ٤٤١ .

- أبو الوفاء المهندس : محمد بن محمد بن يحيى البوزجاني .
 الوليد بن عبيد بن يحيى أبو عبادة البحتري ٣٩ ، (١٨١) ، ١٨٤ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ .
 الوايدي ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ .
 وهب بن سليمان بن وهب (١٧١) .
 وهب بن عبد مناف ٣٨١ .
 وهسودان عم جستان ٣٤٨ .

— ي —

- ياقوت ٤٢ ، ٩٤ ، ١١١ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ،
 ١٩٥ ، ٢٣٤ ، ٢٥١ ، ٢٨١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٥٣ ، ٤٠١ ،
 ٤١٠ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ٤٨٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٥٠٤ ،
 ٥٠٥ ، ٥٣٢ ، ٥٤٩ .
 أبو يحيى ٢٤٢ .
 يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم ٢٦٥ .
 يحيى بن خالد البرمكي ٧٥ .
 يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (١٨٢) ، ٢٦٤ ، ٥١٠ .
 يحيى بن عدي المنطقي ٦٦ ، ١١٨ .
 يزيد بن الصعق (٤٦٢) .
 يزيد بن عبد الملك بن مروان ٢٦٥ .
 يزيد بن معاوية ٩١ ، ٣١٠ .
 اليزيدي ٨٩ .
 يعقوب بن إبراهيم بن حبيب أبو يوسف (٣٣١) .
 يعقوب بن الليث ٤٦

- يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن كلث (١١٧)
يموت بن المزرع ٦٣ .
يوحنا بن ماسويه (١٧٥) .
ابن يوسف : عبد العزيز بن يوسف الكاتب .
يوسف (عم) ١٦٣ ، ٢٥٢ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ .
يوسف بن هارون الرمادي أبو عمر الأندلس (٣٩٩) .
يونس ١٨٠ .



٢ - جماعات ، وهيئات ، وقبائل

جماعات وهيئات وقبائل

أصحاب الفرضة ١٧٣ .	— أ —
أصحاب القلائس ٥١٨ .	آل برمك (٣٨٠) .
أصحاب الكلام ٢٠٧ ، ٢٣١ .	آل بويه ٣١٢ .
الأطباء ٤٣٩ ، ٥٠٧ .	آل البيت ٧٢ .
الأكاسرة ٤٤٢ .	آل الجراح ١٨٩ ، ٣٢٥ .
الأمامية ٢٩٤ ، ٤٠٤ .	آل أبي جعفر العتيبي ١٥١ .
الأنباط ٥٩ .	آل الرسول ٤٧٤ .
أنبياء الله ٥١٨ .	آل سامان ٤٠٣ .
أهل أصبهان ٢٥١ .	آل سليمان بن علي (٧١) ، ٧٢ .
أهل البصرة ٣٩ .	آل العميد ١٦٠ .
أهل البيت ١٧٩ ، ٤٠٤ .	آل الفرات (١٨٩) .
أهل الجدل ٢١٢ .	آل مكر ٥٨ .
أهل الحكمة ٢٣٥ .	آل المهلب ١٤٨ .
أهل خراسان ١٣٠ .	آل وهب (٣٨٠) .
أهل الري ٤٦٥ .	أبناء المهلب ٤٠ .
أهل السنة ١٢٢ ، ٢٦٨ ، ٣٩٦ .	الأتراك ٤٣١ .
أهل الشام ٤٠ .	الأدباء ٤١٠ .
أهل العلم ٤٩١ .	أرباب الخرق ٢٨٣ .
أهل المشرق ٢٢٤ .	أسد ٤٥٩ .
أهل مصر ٢٩٨ ، ٢٩٩ .	أصحاب الاثنين : المانوية .
أهل المغرب ٤٢٤ .	أصحاب الجراح ٢١٣ .
أهل نيسابور ٢٦٨ .	أصحاب الخرق ٢٨٣ .
أولاد بوية ١٦٠ .	

جماعات وهيئات وقبائل

— ب —	— ت —
البترية (٤٩٤) .	التتار ٩٤ .
البرامكة ٤٣ ، (١٨٩) ، ٤٨٩ ، ٣٨٠ ،	الترك ٢١٠ .
البربر ١٠٥ .	
البغداديون ١٣٠ ، ٣٤٤ ، ٥٠٥ .	
بنو أسد ٤٦ ، ٤٥٩ .	
بنو إسرائيل ٤٤١ .	
بنو أمية ٥٦ ، ٣٦٩ .	
بنو ثوابة (١٥٠) ، ١٧٥ .	
بنو حرب ٥١١ .	
بنو ساسان ٤٤٢ .	
بنو سلمة ٤٥ .	
بنو شيبان ٢٣٠ .	
بنو العباس ١٢٣ ، ٤٨٧ .	
بنو الفرات ٤١٤ .	
بنو مدلج ١٠٩ .	
بنو مروان ٤٨٧ .	
بنو المنجم (٧٣) ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٧٧ .	
بنو المهلب ٤٠ .	
بنو هاشم ٥٦ ، ٤٨٨ .	
بيت اليزيديين ١٥١ .	
— ج —	— ث —
	ثقيف ٣٩٨ .
	الثنوية : المانوية .
	تمود ٢١٨ .
— د —	— ذ —
	الذميريون ٤٨١ .
	الجوامردية (٢٩٣) .
	الجيل ٥٣١ .
— ه —	— ز —
	الخشوية ١٦٧ ، (٢٨٨) ، ٣٦٥ .
— ح —	— ح —
	خاصة الصاحب ٤٦٧ .
	الخراسانيون ١٣٠ .
	خزيمة ٥٢٣ .

جماعات وهيئات وقبائل

<p>— س —</p> <p>الشحاذون ١٨٥ .</p> <p>الشطار ٢٩٣ .</p> <p>الشيعة ٨٠ ، ١٢٣ ، ٢٠٦ ، ٢٣٠ ،</p> <p>٢٣٣ ، ٢٥٤ ، ٢٩٤ ، ٤٧٤ .</p> <p>الشيعة الإمامية .</p>	<p>خلفاء الله ٥١٨ .</p> <p>الخوارج ٤٠ .</p>
<p>— ص —</p> <p>الصوفية ٢٨٠ ، ٤٧٤ .</p> <p>— ع —</p> <p>المعجم ١٠٨ ، ٤٤٨ .</p> <p>عدى الرباب ١٤٨ .</p> <p>العرب ٧٢ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٨٠ ،</p> <p>١٨٨ ، ٢٤٠ ، ٢٦٩ ، ٣٧٢ ،</p> <p>٣٨٧ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥١ ،</p> <p>٤٥٨ ، ٤٥٩ .</p> <p>العلوية ٢٩٥ .</p>	<p>— ر —</p> <p>دعاة صاحب ٤٦٧ .</p> <p>الدولة الزيارية ٤٨١ .</p> <p>الدولة الطولونية ٢٩٨ .</p> <p>الدولة العباسية ١٥٧ .</p> <p>الديصانية (٤٩٤) .</p> <p>الديلم (قبيلة) ١٦٧ ، ٥٣١ .</p> <p>الرازيون ٣٦٥ .</p> <p>الرافضة ٨٠ .</p> <p>الروم ٢١٠ - ٢٣٦ .</p>
<p>— غ —</p> <p>الغزاة ٤٤٥ .</p> <p>الغز ١٠٥ .</p> <p>غطفان ٢٦٥ .</p> <p>غلاة الشيعة ٢٩٤ .</p>	<p>— ز —</p> <p>الزنادقة ١٨٣ ، ٢٠٧ .</p> <p>الزنج ١٠٥ .</p> <p>الزيدية ٨٠ ، ١٦٧ ، ٤٩٤ .</p> <p>— ن —</p> <p>بنو ساسان ١٠٠ .</p> <p>السامانيون ٨١ ، ٣٥٢ .</p> <p>الستريون ١٨٨ .</p>

جماعات وهيئات وقبائل

- المرجئة ٤٦٧
- المشبهة ٢٦٨
- المشتركون ٣٨١
- المعتزلة ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٥٣ ، (١٥٤) ، ١٥٥ ، ٢٠١ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٥٢ ، ٢٩٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣ ، ٤٧٩
- معتزلة البصرة ٤٨٨
- المعلمون ٤٨٢
- المغاربة ٤٩٧
- المكثرون ١٨٥
- الملحدون ٢٠٧
- المهندسون ٢٤٥

— ن —

- النجارية ٣٩٦
- النحويون ٢٢٢
- النصاري ٣٠١

— و —

- الوعيدية ١٥٣

— ي —

- ياجوج وما جوج ٤٤١
- اليزيديون ٨٩ ، ١٥١
- اليهود ٢١٨ ، ٣٠١

— ف —

- الفرس ١٠٥
- الفرق الكلامية ٥١٢
- الفقهاء ٤١٠ ، ٥٣٨
- الفلاسفة اليونانيون ١٧ ، ٤٧٩

— ق —

- القدرية ٢٥
- قریش ٣٨١
- القصاص ١٦٨

— ك —

- الكرامية (٢٢٩)

— م —

- المانوية ٤٩٣ ، ٤٩٤
- المتفلسفون ٣٧٧ ، ٤١٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٣
- المتكلمون ١٧٤ ، ٢٣٠ ، ٤١٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٣
- المجسمة ٢٢٩
- المجوس ٣٠١
- المديون ٥١٢
- المذكرون ١٦٨
- المدرارية ١٥٤

٣ - أماكن

أماكن

بخارا ٨١ ، ١٧٣ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ،

٣٥٨ ، ٤٢٣ .

بدر ٣٨١ .

بركة زلل ١١٥ .

البصرة ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ٧٢

٩٦ ، ١١٣ ، ١٤٨ ، ١٦٩ ، ١٨٣ ،

١٩٤ ، ٢٢٠ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ ، ٤٩٠ ،

٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٨ .

بغداد ٤٥ ، ٧٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،

١٠٩ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٣ ،

١٤٧ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ،

١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ ،

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٥٢ ، ٢٩٤ ،

٣٤٤ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ، ٤٢٥ ، ٤٧٤ ،

٤٧٩ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ،

٥١٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٥ .

بلاد المعجم ٤ ٣ .

بلعم ٤٠٣ .

بجي ١٢٠ .

بيروت ٦٤ ، ١٣٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ،

٢٣٥ ، ٢٩٤ ، ٤٨١ .

بيمق ٤٠٣ .

— ت —

تركيا ٤٤٣ .

— أ —

أذربيجان ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٤٨ .

أرجان ٤٧ ، ٣٤٧ .

أرض اليمامة ١٠٦ .

إرم ذات الحماد ٢٩٤ .

أسد آباد (٩٥) .

الاسكندرية ٢٣٦ .

أصبهان ٧٤ ، ٨١ ، ١٧٩ ، ٢١٢ ،

٢٥١ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٣٧٨ ، ٤٣١ ،

٤٦١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ .

اصطخر ٨٩ ، ١٢٧ .

الأنبار ٣٥٠ .

الأندلس ٣٧٠ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

الاهواز ٤٥ ، ١٩٤ .

— ب —

باب خراسان ١٧٣ .

باب الرصافة ٤٢٨ .

باب سين (شير ؟) ١٢٧ .

باب الشام ٤٠٨ .

باب المسلحة ١٢٤ .

بادية البصرة ٢٩٤ .

بادية الكوفة ٢٩٤ .

البحرين ٧٢ ، ٢٢٠ .

أماكن

٤٩٢ ، ٥٢٩ ، ٥٤٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤٥ . الخندق ١٧٣ .	تل عقرقوب ٥٠٩ التوتة ٥٠٦
— ر —	— ج —
دار باكونة (١٧٣) . دار الحكمة ٧٢ . دار الروم ٤٢٨ . دجلة ١٧٣ . دمشق ١٠٦ ، ٤٥٣ . دوارة الحمار ٥٠٦ . ديار الروم ٤٠٣ . دير حنون ١٤١ . دير قتي ٤١٣ . الديلم ٨٢ ، ١٢٧ ، ٣٢٣ . الدينور ٢١٢ .	جامدة ١١٣ . جامع الري ٤٥٢ . جبال طوروس ٤٤٣ . الجبيل ٤٣١ . جرجان ١١٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٣٤٥ ، ٤١٨ ، ٤٧٩ ، ٥٤٥ . جلق ١٠٦ . جيان (٣٩٨) ، ٣٩٩ .
— ر —	— ح —
رامهرمز ١٩٤ . رستاق بيهق ٤٠٣ . رضوى (٥٢) . روض القطا ١٠٦ . الري ٨١ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ٢٢٩ ، ٣٢٢ ، ٣٤٦ .	حانة الملحجين ٣٩٨ . الحجاز ٥٦ ، ٧٥ ، ٢٩٥ . حجر الصراة ٤٢٨ .
	— خ —
	خراسان ٤٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٩ ، ٢٦٦ ، ٢٧٨ ، ٣١٠ ، ٣٥٣ ، ٤٠٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٤٥ .

أماكن

— ص —	<p>٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٧٦ ، ٤١٠ ، ٤٢٠ ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٣</p>
— ط —	<p>— ز — الزبد ١٧٣ . زمزم ٤٩٣ .</p>
<p>طالقان ١٢٧ . طالقان خراسان ٨٢ . طالقان الديلم (٨٢) ، ٤٩٤ . طالقان قزوين (٨٢) . الطائف ٢٩٤ . طبرستان ١١٦ . طوانة ٤٤٣ .</p>	<p>— س — سامرا = (سامرة = سر من رأى) ٢٩٤ ، ٤٠٥ ساوة ٩٤ . سجستان ٢٤٨ . السمارية ٥٠٩ . سمرقند ١٢٨ . السند ٢٢٠ . سوق الحنطة بقم ٨٢ . سونايا ٢٩٤ .</p>
— ع —	— س —
<p>المراق ٩١ ، ٩٥ ، ١١٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٣٠٦ ، ٣٢٢ ، ٤٢٢ ، ٤٨٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤٥ . عراق المعجم ٨١ . المقيق ٥١٢ . عمان ٧٢ ، ٢٢٠ ، ٣٩٨ .</p>	<p>الشام ٤٠ ، ١٧٥ ، ٤٢٥ ، ٤٦٢ ، ٤١٣ ، ٥٠٩ . شت طولة (= شنت طولة) ٣٩٨ ، (٣٩٩) . شهر زور ١١٨ . الشونيزية ٥٠٦ .</p>
— غ —	
الغوة ١٠٦ .	

أماكن

ماوراء النهر ١٢٧ ، ٤٠٣ ، ٤٢٢ .
 المدينة المنورة ٥٢ ، ١٤٦ ، ٤٢٩ ،
 ٤٥٤ ، ٥١١ .
 مدينة السلام ٨٥ ، ٣١١ ، ٤٤٥ ، ٥١٤ .
 المرج ٤٧٩ .
 المزرقفة ١٧٣ ، ٤٠٨ .
 المشرق ١٠٨ ، ٣٢٠ ، ٤٢٥ .
 مصر ٩٥ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٨ ،
 ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٨ ،
 ٣١٤ ، ٤٢٥ .
 مصطبة المكدين ٢١٥ .
 مطبعة الجوائب ٢٦ ، ٣١٥ ، ٣٤٨ .
 مطبعة الحلبي ٧٢ ، ٩٦ .
 المعهد الفرنسي ٤٥٣ .
 المغرب ٣٩٧ .
 مقبر معروف الكرخي ٤٧٤ .
 مكتبة أحمد الثالث ٢٠ ، ٤٠ ، ٧٢ ،
 ١١٣ ، ١٤٤ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ،
 ٢٠٣ ، ٢٩٣ ، ٢ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠٩ ، ٣٦٠ ، ٣٨٥ ، ٤٢٧ .
 مكتبة أيا صوفيا ٢٠ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ،
 ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٣٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ .

— ف —

فارس ٣٧٠ ، ٥٤٤ .
 الفرسة ٤١٣ .
 قم الصلح ٥٧ .
 فيد (١٤٥) .

— ق —

القادسية ٣٥٠ .
 قرطبة ٣٩٩ .
 قصر الجص (٤٠٥) .
 قصر الخلد ١٧٣ .
 قطربل ٤٢٨ .
 قطيعة الربيع ٢١٢ .
 قم ٨٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٤٢ .
 قنطرة الشوك ٤٠٨ .
 قير حصار ٤٤٣ .

— ك —

الكعبة ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٤٩٣ .
 الكوفة ٩١ ، ١٨٣ .

— ل —

ليدن ٥ ، ٢٨٨ .

— م —

ما فرايا (٥٧) .

أماكن

مكتبة ولي الدين ١٨ ، ٤٥ ، ١٤٦ ، ١٨٣	٢٠٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٨ ، ٣٢١ ،
مكتبة بني جامع ١١٥ .	٣٨٠ ، ٤١٥ .
الموصل ٤٩٠ .	مكتبة بشير آغا ٢٠ .
— ن —	مكتبة تيمور باشا ٧٤ .
نجران ٣٩٩ .	مكتبة ترخان خديجة سلطان ٥٦ .
النوبهار (٣٧٧) .	مكتبة جبار الله ٣٠٨ .
نهر عيسى ٥٠٩ .	مكتبة جامعة استانبول ١٦٥ .
نيسابور ٧٢ ، ١٠٨ ، ١٨٤ ، ٢٦٨ ،	المكتبة الحميدية ٤٥ .
٤٠٣ ، ٤٧٩ ، ٥٣٧ .	مكتبة رئيس الكتاب ٣٦١ ، ٣٧٦ ، ٤١٨ ،
— ه —	مكتبة شهيد علي ٤٣ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٩١ ،
همدان ٨١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٣١٢ ، ٥٤٥	١٢٣ ، ١٤٥ ، ١٧١ ، ١٨٩ ،
الهند ٤٥ ، ٦٤ ، ٦٦ .	٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ،
— و —	٢٢٤ ، ٢٩٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ،
واسط ٥٧ ، ١١٣ .	٣٤٧ ، ٣٧٠ ، ٤٢٢ .
ورامين (١٠١) ، ٣٧٦ .	مكتبة الفاتح ١٢ ، ١٧١ ، ٢٠٣ ،
	٣٦٥ ، ٣٦٩ .
	مكتبة كوبرلي ١١ ، ٢٣ ، ٤٥ ، ٧٣ ،
	١١٥ ، ٢٠٤ ، ٢٢٩ .
	مكتبة نور عثمانية ٨٩ ، ١١٧ ، ٢٢٠ ،
	٢٢١ .

* * *

٤ - فهرست باسمااء الكتب

فرست بأسماء الكتب

— أ —

- الآثار الباقية ١٢٧ .
 الإتقان ٢٥٧ .
 أحكام القرآن لعبادين العباس ٨٠
 الإحياء ١٤١ .
 أخبار أبي تمام ٦٤ ، ٤٥٦ .
 إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ٤٢ ، ٢٠٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٣٠٢ ، ٣١٢ ، ٣٤٦ .
 أخبار الحمقى والمفلّين ٨٢ ،
 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٢٢٠ .
 أخبار الوزراء لمحمد داود بن الجراح .
 أرجوزة الشمردل ٢٧٨ .
 إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (= الإرشاد) ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٢ ، ٥٥ ،
 ٦٣ ، ٦٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٧٨ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ،
 ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ،
 ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ،
 ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ،
 ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ،
 ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،
 ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٣٢ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،
 ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ،
 ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٨٠ ،
 ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٣١ ،

فهرست بأسماء الكتب

- ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٤٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ،
 ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٩ .
 الأسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي : معجم الأسر والأسرات الحاكمة .
 إشارات المرام ١٤١ .
 الاشتقاق لابن دريد ٤٦٢ .
 الإصابة لابن حجر ٤٥ ، ١١٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٨١ ، ٤٥٤ .
 الأصول لأقليدس ٢٣٦ .
 أصول الدين لعبد القاهر البغدادي ١٤١ .
 الأضياف ٤٧٠ .
 الأضداد لابن الأنباري ٢٥٢ .
 إعتاب الكتاب ٧٤ .
 الأغاني لأبي الفرج ٦ ، ٨ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٥٦ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٩ ،
 ١٨٣ ، ١٥٠ ، ٢٦٥ ، ٢٨٨ ، ٣٣٠ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٤٣١ ، ٤٥٤ .
 الاقتضاب لابن السيد ٨٤ .
 الإقناع وتخريج القوافي لابن عباد ١٦٥ .
 الألفية (في النحو) ٢٦٤ .
 الألقاب لابن حجر ٢٠٨ .
 الأمالي للزجاجي ٦ ، ٤٧١ .
 الأمالي للشرىف المرتضى ٥ ، ٤٢ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٣٠٣ ، ٤٩٤ .
 الأمالي لأبي علي القاسمي ٥ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ٨٨ ، ١٧٧ ، ٢٢١ ، ٢٤٩ ،
 ٣٦٩ ، ٤٥٤ .
 الإمتاع والمؤانسة ٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٨٥ ، ١١٢ ، ١٣٣ ، ١٤٨ ،
 ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٤٩ ، ٢٦٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٤٤ ، ٣٨٠ ، ٤٠٦ ، ٤١٣ .

فهرست بأسماء الكتب

- أمثال الصفي ٨٤ .
- الأقد على الأبد ١١٥ .
- إنباء الرواة ١٦٤ ، ٢٢٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٧٨ ، ٥٢٣ .
- الانتصار للخياط ٣٩٦ .
- انتصاف المعجم من العرب : كتاب التسمية .
- الأنساب للسمعاني ٧٣ ، ١٥٤ ، ٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٥٠٦ .
- أوائل المقالات للشيخ المفيد ٨٠ .
- الأوراق للصولي ٣٨٨ .

— ب —

- البحر المحيط لأبي حيان ٦ ، ٢٥٢ ، ٢٦٧ .
- البخلاء للجاحظ ٧٢ ، ١٥٩ .
- البداية والنهاية لابن كثير ٤٣ ، ٨١ ، ١١٣ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٥٠٦ .
- البدل للنجار ٣٩٦ .
- البصائر والذخائر لابن حيان التوحيد ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٧٥ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢٣٠ ، ٢٦٤ ، ٣٠٨ ، ٣٢٨ ، ٤١٠ .
- البغية = (بغية الوعاة) ٦٨ ، ١٦٤ ، ٢٥٧ ، ٥٢٣ .
- البيان والتبيين للجاحظ ٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٧٥ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٨٤ ، ٣٠٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٩ ، ٣٩٢ ، ٤٥٩ .

— ت —

- تلج العروس ٢١ ، ٥٦ ، ٨٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٨ ، ٢٨٨ ،

فرست بأسماء الكتب

- ٢٩٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٤٠٣ ، ٤٠٩ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ،
 ٤٣٦ ، ٤٤٣ ، ٤٥٨ ، ٤٦٢ ، ٤٨٤ .
 تاريخ ابن الاثير : الكامل في التاريخ لابن الاثير .
 تاريخ الادب العربي لبروكلمن ٤٢ ، ٧٣ .
 تاريخ الإسلام للذهبي ٢٠ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٢٤ ،
 ٢٤٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٨ .
 تاريخ أصبهان لابي نعيم ٧٣ ، ١١٨ .
 تاريخ البخاري ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
 تاريخ بغداد لابن طيفور ١٧٥ .
 تاريخ بغداد للخطيب ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٨٨ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٦٩ ، ٣٨٨ ،
 ٤٠٤ ، ٤٨٨ ، ٤٩٤ .
 تاريخ خراسان : التاريخ في أخبار ولاية خراسان .
 تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٨٤ ، ٣٠٨ .
 تاريخ الطبري ٧٢ ، ٢٨٨ .
 تاريخ أبي الفداء ٢٠ ، ٢٥ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٦٧ ، ٢٠٤ ، ٢٩٤ ، ٣١٢ ،
 ٣٢٢ ، ٤١٥ ، ٤٤٨ .
 التاريخ في أخبار ولاية خراسان ٤٠٣ .
 تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٤٢ .
 التبصير في الدين لأبي المظفر الاسفراييني ٢٢٩ .
 تمة صوان الحكمة ٢٠٤ ، ٣٠٢ .
 تمة اليتيمة ٨١ .
 تجارب الامم لمسكويه ١٧ ، ٢٣ ، ٣٢١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٧ .
 تحديد نهايات الاماكن للبديوني ١١٣ ، ١١٥ ، ٣٤٦ .
 تحفة الامراء ١٧١ ، ١٨٩ ، ٢٢٤ .

فهرست بأسماء الكتب

تذكرة ابن حمدون (= التذكرة الحمدونية ، التذكرة) ٣٦١ ، ٣٧٦ ، ٤١٨ ،

٤١٩ ، ٤٢٠ .

تفسير أبي حيان الاندلسي : البحر المحيط لابن حيان .

تفسير الفخر الرازي : مفاتيح الغيب .

تلبيس إبليس لابن الجوزي ١٨٣ ، ٢٢٩ .

التمثيل والمحاضرة للشمالي ٣٦٥ .

التمهيد للباقلاني ٣٩٦ .

التنبيه والإشراف للمسعودي ٤٥ ، ١٨٨ .

تهذيب الاسماء واللغات ٤٠ .

تهذيب اللغة للأزهري ٥ ، ١٠٩ .

— ث —

ثمار القلوب للشمالي ١٤٦ ، ١٧١ ، ٢٩٩ ، ٣٣٨ ، ٤٠٩ .

— ج —

جذوة المقتبس للحميدي ٣٩٩ .

الجماهر في الجواهر للببروني ٤٤٢ .

جمهرة أشعار العرب للقرشي ٤٣٦ .

جمهرة الانساب لابن حزم ٤٠ .

الجواهر المضية للقرشي ٢٠١ . ٣٣١ .

— ح —

حاشية الخصري على شرح ابن عقيل على الالفية ٢٦٤ .

فهرست بأسماء الكتب

- الحاوي في الطب لأبي بكر الرازي ٤٣٩ .
- حدود المنطق لأرسطوطاليس ٤٢ .
- الحلية (= حلية الأولياء) لأبي نعيم ٤٥ .
- الحماسة لأبي تمام ٨٥ ، ٥ .
- الحماسة للبحري ٣٩ ، ٣٨٧ .
- الحور العين لنشوان الحميري ٤٩٤ .
- حياة الحيوان للدميري ٣٩ ، ١٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٨ .
- الحيوان لأبى جاحظ ٤٢ ، ١٤٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٩٤ .

— نج —

- الخزانة (= خزانة الأدب للبغدادى) ٣٤ ، ٣٥ ، ٩١ ، ٢٥١ ، ٢٦٥ ، ٤٥٤ ، ٤٦٢ ، ٤٨١ .
- خطط المقرئى ١١٧ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ٣٩٦ .
- الخلق والخلق لابن العميد ٣٢٨ .

— ر —

- دول الإسلام للذهبي ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ٢٠٣ .
- الدول الإسلامية لخليل أديم ٤٣١ ، ٤٥٦ .
- ديوان البحري ١٨٤ .
- ديوان أبي تمام ٦٤ ، ٤٥٦ .
- ديوان ابن الججاج ١٤٧ .
- ديوان حسان بن ثابت ٨ ، ٤٥٧ .

فهرست بأسماء الكتب

- ديوان الخطيئة ٢٥ .
- ديوان الخنساء ٤٨١ .
- ديوان رسائل ابن عبد كان : رسائل ابن عبد كان .
- ديوان ابن الرومي ٢٩١ .
- ديوان زهير ٣٧٠ ، ٤١٢ .
- ديوان عروة ٢٧ .
- ديوان المتنبي ١٥٢ .
- ديوان مسلم بن الوليد ٦٤ ، ١٣٠ .
- ديوان المعاني للمسكري ٥ ، ٦ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٩ ،
- ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٤٥٦ ، ٤٦٨ ، ٤٨١ .
- ديوان النابتة الديباني ٣٩ ، ٤٦٢ .
- ديوان ابن نباتة ٣٤١ .
- ديوان أبي نواس ٣٧٤ .
- ديوان الهذليين ٣٨٨ ، ٣٩٣ .

— ز —

- ذيل الامالي ١٠١ .
- ذيل تجارب الامم ١٧٠ ، ٢٠٣ ، ٢٨٨ ، ٣١٣ .

— ر —

- رسالة الترييع والتدوير للجاحظ ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٤٥٢ .
- رسالة ابن ثوبة حول الهندسة ٢٤٧ .
- رسالة سميد بن حميد في فضائح آل علي بن هشام ٧٢ .

فهرست بأسماء الكتب

- رسالة سهل بن هارون في مثالب الحراني ٧٢ .
- رسالة العلوم لأبي حيان التوحيدى ٥٥٠ .
- رسالة الغفران ٣٨١ ، ٣٨٢ .
- رسالة في الابانة عن وحدانية الله وعن تناهي جرم الكل للكندى ٤٢ .
- رسالة في خبائث الحسن بن رجاء للبرد ٧٤ .
- رسالة في الدلالة على أن الصاحب هو المهدي المنتظر ٢٠٨ .
- رسالة في ذم أخلاق محمد بن الجهم للجاحظ ٤٢ .
- رسالة في ذم بعض بني المنجم لأبي بكر الصولي ٧٣ .
- رسالة في رقاعات الفضل بن سهل للعمري ٧٤ .
- رسالة في الطب للصاحب ١١٤ .
- رسالة في مدح أخلاق أحمد بن أبي دواد للجاحظ ٤٢ .
- الرسالة القشيرية ٤٥ ، ٧٠ .
- رسالة لأبي العباس عبيد الله بن دينار ٤٧ .
- رسالة الملائكة ٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
- رسائل الخوارزمي ١٠٨ ، ٣٤٨ .
- رسائل الصاحب ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ .
- رسائل ابن عبيد كان ٢٩٨ .
- رسائل العميد ٨١ .
- رسائل ابن العميد أبي الفضل ٨١ .
- رسائل الكندي ٤٢ .
- رفع الخفا للمجلوني ٤٤ ، ٥٠٧ .
- الروزنامه للصاحب ١٦١ .

فهرست بأسماء الكتب

— ز —

زهر الآداب المصري ٨ ، ٩٧ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٢ ،
٩٦ ، ١٤٦ ، ١٩٩ ، ٢٤٩ ، ٢٩١ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٨٠ ، ٤٣٦ ،
٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

— س —

شرح العيون ٧٢ ، ٣٣٠ ، ٣٦٢ .
سقط الزئبد ٢٤٩ ،
سنن أبي داود ١٥٦ ، ١٦٣ .
سنن النسائي ١٨٦ .
سيرة ابن هشام ٤٥ ، ١٥٧ ، ٣٨١ .

— ش —

الشذرات (= شذرات الذهب) ١١٧ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ،
٣٨٨ ، ٤٠٣ .
شرح الإحياء ١٤١ .
شرح الحماسة للتبريزي ٥ ، ٣٤ ، ٥٨ ، ٤٥٤ .
شرح الحماسة المرزوقي ٤٥٤ .
شرح ديوان الخطيئة للسكري ٢٥ .
شرح ديوان زهير الاعلم الشيمري ٣٧٠ .

فهرست بأسماء الكتب

- شرح ديوان زهير الثعلب ٥ ، ٤١٢ .
- شرح ديوان كعب بن زهير ٥ .
- شرح ديوان المتنبي للمكبري ١٥٢ .
- شرح ديوان مسلم بن الوليد ١٢٠ .
- شرح ديوان النابغة الذبياني البطلوسي ٣٩ ، ٤٦٢ .
- شرح الزرقاني على المواهب ١٥٧ .
- شرح الزوزني على المملقات ٤٣٦ .
- شرح سقط الزند ٢٤٩ .
- شرح الشواهد للعيني ٥٤٥ .
- شرح شواهد المغني لعبد القادر البغدادي ٣٤ ، ٤٨١ .
- شرح ابن عقيل على الألفية ٢٦٤ .
- شرح الفصيح لأبي سهل الهروي ١٧٥ ، ٢٦٢ .
- شرح الفقه الأكبر ٢٢٩ .
- شرح كتب المنطق ٤١٣ .
- شرح المغني للمماميني ٢٦٦ .
- شرح المقامات للشريشي ٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ٩٦ ، ١٢٠ ،
١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٢٩ ، ٢٤٩ ، ٢٨٢ ، ٣٠٣ ، ٣٦٢ ،
٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٤٠٠ .
- شرح المواقف ١٥٤ .
- شرح نهج البلاغة ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٣٨١ .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة (= الشعراء) ٥ ، ٨ ، ٢٥ ، ١٧٧ ، ٢٦٢ ،
٣٣٠ ، ٤٥٤ .
- شفاء الغليل للخفاجي ٢١ ، ١٩٧ ، ٢٦٨ ، ٣٢٩ .

فهرست بأسماء الكتب

— ص —

- الصاحبي في فقه اللغة ١٦٧ .
- صحيح القرمذي ٨ .
- الصداقة والصدق لابي حيان التوحيدى ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٧٠ ، ٣٨٥ ، ٤٢١ .
- الصناعتين ٦٧ .

— ط —

- طبقات الاطباء ٤٢ ، ١٧٥ .
- طبقات الامم لصاعد ٤٢ .
- طبقات ابن سعد ٤٠ .
- طبقات الشافعية للسبكي ١٢٣ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ، ٢٥٢ ، ٢٨٩ ، ٣٩٦ ، ٤٧٧ .
- طبقات الشعراء لابن الممتز ٢٥ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ١٤٨ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ٢٢٠ .
- طبقات الشعراء للجهمي ٤٥٤ .
- طبقات الصوفية للسلمى ٤٧٤ .
- طبقات الفقهاء للشيرازي ٤٠ ، ١٧٨ ، ٢٠١ .
- طبقات القراء للجزري ٤٠٤ .
- طبقات النحويين للزبيدي ٦٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٥٧ .
- طراز المجالس للخفاجى ٤٠٠ .

فهرست بأسماء الكتب

— ع —

- عارضه الأحوذى ٨ .
 العباب للمصاغاني ٤٨٣ ، ٤٨٤ .
 العبر للذهبي ٥٧ .
 عقد الجمان للعيني ٢٠ ، ٨٢ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ٢٠٢ ،
 ٢٠٤ ، ٢٩٤ ، ٤٠٤ ، ٤٩٤ ، ٥٠٦ .
 المقد لابن عبد ربه ٢٥ ، ٤٢ ، ٥٥ ، ٣٠٨ ، ٤٥٦ .
 العملة لابن رشيق ٦ ، ٢٦٦ .
 عيون الاخبار لابن قتيبة ٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٤٢ ، ٦٠ ، ١٨٤ ، ١٩٩ ،
 ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٥١ ، ٣٠٣ ، ٣١٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ،
 ٣٩٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٨ .
 عيون الانباء لابن أبي أصيبعة ٤٤٠ ، ٤٤٣ .
 عيون التواريخ لابن شاکر الکتبي ٢٠ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ٩٤ ، ١٠٨ ،
 ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٦٧ ، ١٧١ ،
 ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٤٩ ،
 ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣١٢ ، ٣٢١ ، ٤١٥ ، ٤٢٧ .

— غ —

الغرر للشريف المرتضى : أمالي الشريف المرتضى .

— ف —

فتح البارى لابن حجر ٤٥٨ .

— ٦٢٨ —

فهرست بأسماء الكتب

- الفخري في الآداب السلطانية ٤٥ ، ١١٧ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٢٤ ،
 ٢٨٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٤١٤ .
 الفرق بين الفرق للبغدادي ١٥٤ ، ٣٩٦ .
 الفصل لابن حزم ٢٢٩ ، ٣٩٦ .
 الفصيح لشعوب ١٦٥ ، ٢٦٢ ، ٢٧٥ .
 فقه اللغة للشعالي ٣٧٥ .
 الفهرس للطوسي ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ .
 الفهرست لابن النديم ٦ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
 ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١١٣ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ،
 ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٧ ،
 (أوربا) ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣١٢ ، ٣٢١ ،
 ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٤٠٤ ،
 ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٤٣ ، ٤٧٣ ، ٤٨٨ ، ٤٩٤ .
 فوات الوفيات ٥٣ ، ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٣٨٨ .
 الفوائد البنية ٩٧ ، ٢٠١ .

— في —

- القاموس ٧٥ .
 القانون المسودي ٤٤٣ .
 القصيدة الماسانية ١٧٤ .
 القضاة لابن فتنش ١٩٤ .
 قوانين علم الهيئة للصاغاني أبي حامد ١١٥ .

— ٦٢٩ —

فهرست بأسماء الكتب

— ك —

- الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٧ ، ٨١ ، ١٨٩ ، ٢٩٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ،
 ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٤٠٣ ، ٤١٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٤٥ .
- الكامل للمبرد ١٧ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ٧٠ .
- كتاب الآيين ٤٤٢ .
- كتاب في الاختبارات لمحمد بن الجهم البرمكي ٤٢ .
- كتاب الأركان لأقليدس : الأصول .
- كتاب الاضداد لابن الانباري : الاضداد .
- كتاب اعتذار وهب من حقيقته ١٧١ .
- كتاب أقليدس : الأصول .
- كتاب التسوية لسعيد بن حميد ٧٢ .
- كتاب الحيوان للجاحظ : الحيوان .
- كتاب سيميويه ٢١٧ ، ٣٥٢ ، ٤٠١ .
- كتاب في الرد على المانوية للنظام ٩٣ .
- كتاب المنتخب لجابر بن حيان : المنتخب .
- كتاب الوزيرين لأبي حيان التوحيدي ٢٣ ، ٣٥٢ ، ٤٢١ .
- كتب الرد على الثنوية لأبي الهذيل العلاف ٤٩٤ .
- الكشاف للنخشي ٧٨ ، ٢٥٤ .
- كشف الظنون ٣٤٤ ، ٤٠٣ .
- الكلمة الروحانية لابن هندو ٣٨٥ .
- الكنائيات المنعالي ٣٢٧ .

فهرست بأسماء الكتب

الكنايات للجرجاني ١٨ ، ١٤٦ .

الكون والفساد لارسطوطاليس ٤٢ .

— ل —

اللاكي لأبي عبيد البكري ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٣ ، ٢٦٥ ، ٣٧٠ ، ٤٥٤ .

اللباب لابن الاثير ٨٢ ، ١٥٤ ، ٢٢٩ ، ٤٠٣ .

لسان العرب (= اللسان = ل) ٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٨٤ ، ١١٤ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ،

١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٥٢ ،

٢٥٨ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٨١ ،

٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ ، ٤٢٢ ، ٤٣٦ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ،

٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٥١٢ ، ٥٣٠ .

لسان الميزان ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٣ ، ٨٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٨٣ ، ٢٠١ ، ٢٥٤ ، ٤٨٨ .

ليس في كلام العرب لابن خلوويه ٦ .

— م —

مجلة الزهراء ٣٧٥ .

مجمع الامثال ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٨٢ ، ١٠٢ ، ١٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٩ ،

٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣٢١ ، ٣٣٠ ، ٣٧٥ ، ٤١٦ ، ٤٤٣ .

مجموعة المعاني ٣٤ .

المحسن للبيهقي ٣٤ .

المحاضرات (= محاضرات الراغب) ٣٤ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٧٣ ، ٧٥ ،

فهرست بأسماء الكتب

- ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٨٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٣٢١ ،
 ٣٨٧ ، ٤٦٨ .
- المختبر لابن حبيب ٢٥٧ .
- المختار من أخبار النحويين ٦٣ .
- المختار من شعر بشار ٥ ، ٤٤٨ .
- مختارات ابن الشجري ٥ .
- مختصر الدول لابن المهري ٤٤٣ .
- مختصر نحو للمتعملين للجرمي ١٦٥ .
- المدخل الصاحبي ٣٤٥ .
- المدخل لتاريخ العلم ٣٤٦ .
- مروج الذهب للمسعودي ٧٢ ، ٢٣٠ ، ٣٨٠ ، ٤٤٣ .
- مسالك الابصار لابن فضل الله العمري ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١١٦ ، ١٣٩ ،
 ١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٨ ، ٣٨٠ ، ٤١٥ .
- مسند الإمام أحمد ٨ ، ١٨٦ ، ٤٥٨ .
- مطالع البدور للغزولي ١٣٦ .
- المعارف لابن قتيبة ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٤٥ ،
 ١٨٢ ، ٢٢٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٦٨ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ .
- المعاني الكبير لابن قتيبة ٣٨٧ ، ٤٦٢ .
- مماهد التنصيص (= المعاهد) ٤٣ ، ٦٤ ، ٨١ ، ١٢٣ ، ١٤٧ ، ١٧٤ ،
 ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٨ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٤١٥ ، ٤٤٥ .
- معجم الانساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ١٨٩ ، ٤٣١ .
- معجم البلدان ٥٧ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ٢٩٤ ، ٣٧٧ ، ٣٩٨ ،
 ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٢٩ ، ٤٤٣ ، ٤٦٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ .

فهرست بأسماء الكتب

- معجم الشعراء ٢٦٥ ، ٣٦٩ .
- المعجم الصغير للطبراني ٤٥ .
- مملكة عنبرة ٣٤٦ .
- المعمرون لأبي حاتم ٨ .
- المغني لابن هشام ٢٦٦ .
- مفاتيح العلوم ٢١٦ .
- مفاتيح النيب للفخر الرازي ٤٤١ .
- مفردات القرآن للراغب الأصبهاني ١٧٩ .
- المفضليات للضيبي ٨٦ .
- المقابسات لأبي حيان التوحيدي ١٩ ، ٦٦ ، ١١٨ ، ١٤٦ ، ٢١١ ، ٢٣٥ .
- المقاصد الحسنة للسخاوي ٤٤ ، ٥٠٧ .
- مقالات الإسلاميين للأشعري ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٤٦٧ ، ٤٩٤ .
- المقامات للحريري : شرح المقامات للشريشي .
- مقدمة ابن خلدون ٣٤٤ .
- المسكائنه عند المذاكرة للطيالسي ٨ ، ٣٨ ، ١٤٧ ، ٢٥٨ .
- الملل والنحل للشهرستاني ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٢٩ .
- مناظرات مع الثنوية لأبي الهذيل العلاف ٤٩٤ .
- مناقب الأبرار لابن خنيس ٤٥ .
- منتخب الألقاب لابن الفرضي ٢٥٧ .
- منتخب صوان الحكمة ١١٥ ، ١٣٠ .
- المنتخب الميكائيلي ٢٩٣ .
- المنتخل ٤٠٨ .
- المنتظم لابن الجوزي ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١٤٧ .

فهرست بأسماء الكتب

١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٨٣ ،
١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٢٤ ،
٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣١٢ ، ٣٨٠ ، ٣٨٨ ، ٤٠٤ ، ٤٨٨ ، ٤٩٤ .

- من اسمه عمرو من الشعراء ٣٦٩ .
- من نسب إلى أمه من الشعراء ٣٨١ .
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري ٦٤ .
- الماهاب المدنية ١٥٧ .
- المؤلف والمختلف ٣٤ ، ٣٥ ، ٢٦٥ ، ٤٥٤ .
- ميزان الاعتدال ٤٨٨ .

— ن —

نثر الدرر للآبي ١١ ، ٤٥ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ٢٠١ ،
٢٣٢ .

- النجوم الزاهرة ٣٣٠ ، ٣٨٨ .
- النخب لجابر بن حيان ٤٤٣ .
- النزهة (= نزهة الألباء) ٦٨ ، ٩١ .
- نزهة الأرواح للشهرزوري ١١٥ .
- نشوار المحاضرة ٤١٥ .
- النقائص بين جرير والفرزدق ٤٦٢ .
- نكت الهميان ١٨٤ .
- نكت الوزراء للجاجرمي ٤٥ .
- نهاية الأرب للنويري ٩١ ، ٤٥٦ .

فهرست بأسماء الكتب

- النهاية في غريب الحديث ٨ ، ٣٩ ، ٧٠ ، ١٦٣ ، ٢١٨ .
 نهج البلاغة ٢٢٨ ، ٢٢٩ .
 نوادر المخطوطات ٣٨١ .
 نور القبس ٨٩ .

— ه —

- الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي ١٨ .

— و —

- الوافي بالوفيات ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٩١ ، ١١٧ ، ١٢٣ ،
 ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٧١ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢٢٤ ،
 ٢٨٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٤٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ ،
 ٣٨٥ ، ٤٢٢ .
 الورقة لحمد بن الجراح ١٤٨ .
 وفيات الاعيان لابن خلكان ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
 ٨٢ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٣٩ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٩ ،
 ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٢٠ ،
 ٢٤٩ ، ٢٦٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٣٠٨ ، ٣٢١ ، ٣٣٠ ،
 ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٥٢ ، ٣٧٠ ،
 ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٩٩ ، ٣٨٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ ،
 ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٩ ، ٤٩٤ .

فهرست بأسماء الكتب

— ي —

يتيمة الدهر للشعاعي ٢٠ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ،
١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٠٢ ،
٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢٢٩ (مخطوط) ، ٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٢٨٣ ،
٢٩٤ ، ٣١٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٧٧ ، ٣٩٩ ،
٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٤٥ ، ٥٢٤ .



٥ - أحاديث نبوية

أحاديث نبوية

— أ —

حديث :

- « اذكروا الفاسق بما فيه كي تحذره الناس ٤٤ .
- « إن ابني هذا كان بطني له وعاء ٢١٨ .
- « إن من البيان لسحرا ٨ ، ٤٧٢ .
- « أهج المشركين فإن روح القدس معك ٤٥٨ .

— ح —

- « حبب إلي من دنياكم ثلاث... الخ ١٨٦ .

— ج —

- « خير الأمور أوساطها ٥٠٧ .

— د —

- « الدين والنصيحة ١٥٦ .

— ف —

- « قل ومعك روح القدس ٤٥٨ .
- « قوموا صفوفكم فترأصوا ١٦٣ .

— ل —

- « لا نبي بعدي ١٨٦ .
- « لي الواجد يحل عرضه وظهره ٢٦٥ ، ٣٣٩ .

أحاديث نبوية

— م —

- « مطلق النبي ظلم ٢٦٥ ، ٣٣٩ .
« من سره أن يقتحم جرائم جهنم ٣٤٣ .

— ن —

- « نهى النبي عن حرق النواة ٣٣٩ .

— ي —

- « يا بني سامة من سيدكم ٤٥ .

* * *

٦- أمثال

فهرس الامثال

— أ —

- أجبن من المنزوف شرطاً ٣٢١ .
- أدل من دعيص الزمل ٢٥٨ .
- أعز من كلب وائل ٥٢ .

— خ —

- الحديث ذو شجون ٥٢٨ .
- الحديث قد يت بليل ٥٤٦ .
- حين تلقين تدرين ٣٧٥ .

— ز —

- ذق عقق ٤٢٧ .

— ر —

- رب طمع يهوى إلى طبع ٣٣ .
- رب رمية من غير رام ٤١٦ .
- رب واثق خجل ١٥٨ .

— ص —

- صابت بقر ٢٥٧ .

— ع —

- عمل من طب لمن حب ٤٣ .

فهرس الامثال

عود يعلم المنج ٢٥٧ .

— غ —

غضب الخيل على اللجم الدلاس ٥٤ .

— ق —

القاص لا يجب القاص ٥١٧ .

— ل —

لكل جابه جوزه ثم يؤذن ٢٥٧ .

— م —

ما بكيت من زمن إلا بكيت عليه ١٩٩ .

— ي —

يسر حسوا في ارتفاع ١١٤ .

٧ - القوافي

فهرس القوافي

— أ —

مسيئيني . . . سناء ٥١٠ .

— ب —

آخ الرجال . . . لا تقارب ٤٠٨ .
سرت النجائب . . . بالكواكب ٥٢٥ .
نهضت . . . الكواكب ٤٠٦ .

* * *

ونعتب . . . أعتبا ٣١٥ .
لحا الله . . . ذبنا ٩٣ .
إني فتي . . : أنبوا ٤٠٦ .

* * *

ولست . . . المذهب ٣٩ .
فهدى . . . ضارب ٥ .
وفي الصمت . . . ومذهب ٤١٣ .
فتي لا يبالي . . . شحوب ٥٠٠ .
قلبي دام . . . يذوب ٣٤٣ ، ٣٤٤ .
فتي خلقت . . . جنوب ٥١١ .
ومن يطل . . . تجريب .
إذا ما . . . رقيب ٣٧٤ .
وأنت . . . فهو جاذبه ٢٨٢ .

فهرس القوافي

وإن لسانا خاطبته ٤١٢ .

* * *

أزرى بنا وألباب ٣٤ .

فإن كنت فاغضب ٥٤ .

قد يرزق من تمب ١٠٧ .

لا تبطلن عن بتأنيب ٢١٥ .

إذا اعتصم حجاب ٤٠٥ .

أبا جعفر إعجاب ٣٨٣ .

أمن الله طلبه ٦٣ .

— ت —

من صن الموتى ٣٦٦ .

* * *

وأقدر شئت ٢٧٦ .

* * *

بل ندى الكفاة ٨٠ .

يقولون المنايت ٣٢٧ .

رب فتي في ذمته ٤٠٥ .

— ث —

جزعت من قد حدث ٢٢٩ .

— ٦٤٨ —

فهرس القوافي

— ج —

فيا قومنا وبعرج .

— ح —

أكرل وقاح ٣٧٩ .

أخذنا الابطاح ١٧٧ .

عليك سلام سافح ٤٢٧ .

فبدلت بالخل منضوح ٣٦١ .

* * *

لمن الله كالفتاح ٤٥٢ .

وأدعوك للفضائح ٦٦ .

— د —

يبلى جديد ٣٦ .

العرف الحميد ٣٦ .

أبا يوسف قصداً ١٤٤

* * *

فتى صيف وأنفاسه مجد ٥٠٠

فأثنوا هو الخلد ٣٧٢ .

وأنث يوجتد ٥٦ .

وإن الكريم أقرد ٩٣

وجاءت إلى الولائد ٤٦٩ .

فهرس القواني

فأسون سميد ٥ .

* * *

لقد أنانا بإسناد ٢٦٧ .

إن تسكمت بمجدي ٩١ .

وقد يقصر أنجند ٣٤ .

الرزق قد ولا يجدي ١٠٦ .

فقي يشتري في غد ٥٠٠ .

من يعط آتمان الحامد محمد ٨٥ .

فأرميها بمجادود ٢٥١ .

إذا هتف التراثد ٣٦٩ .

— ر —

إذا المشكلات بالنظر ٢٤٩ .

* * *

حمرا عذارا ٤١٥ .

لا تحسب الجبد الصبرا ٩٢ .

ياللك من اكفهر ١٤٩ .

يامن أعاد منشور ٢٤٨ .

يا صاحبي خسارة ٣٠٩ .

* * *

ألا ذهب الحمار الحمار ٥٤ .

وأحور ساحر ٤٠٠ .

لني ولية نمالك شاكر ٥١٢ .

— ٦٥٠ —

فهرس القوافي

- ثمن المعروف ذخّر ٣٧٣ .
- لا يسبق ويخفر ٢٧٨ .
- بنو اليزيدي الكمر ٨٩ .
- وإن المجدّ وخير ٨٦ .
- ذريني الفقير ٣٠٣ .

* * *

- مازلت والإتار ٤١٥ .
- قد استوجب بن مختار ١٤٤ .
- يقدو على بشار ٤٣٥ .
- يا أيها الاقدار ١٥٨ .
- متلقّب الكفار ٢٧٣ .
- برح اشتياق وادكار ٤٢٧ .
- برح اشتياق حرار ٤٢٨ .
- إسقي قهوة يدي بختيار ٤٠٦ .
- أرى الناس النجر ٦ .
- إذا قال هجر ٩٦ .
- تحدثني الشر ٥٣٠ .
- لو أن لي بالدهر ٤٨ .
- باح لساني بالدهر ٣٨٢ .
- ولا بد من شيء يعين على الدهر ٤٨ .
- ألام على الذر ٤٦٤ .
- لئن طببت على عسر ٨٨ .

فهرس القواني

- ولاني على والنسر ١٧٢ .
 عتبت على بشر ١٩٩ .
 لله درك البشر ٣٧٣ .
 وكان لي بالعشر ٤٨ .
 خلالك الجوفبيضي واصفري ١٤٢ .
 أصبحت جم غمر ٣٨٢ .
 وإن امرأة بجبل غرور ١٧٣ .
 سقوني وزور ٢١٧ .
 آليت لا ولا متنوّر ٢٦٢ .

— ز —

- إن أبا الحارث والميزا ٧٥ .

* * *

- عدلت لتزويجه يجوز ٢٨٣ .

— س —

- إن الجديدين الناس ٥٨١ .

- وكيف بابس ٥ .

- فما لكم أطلس ٣٨٧ .

* * *

- عُدلي بعادتك يا أبا العباس ٢٦٦ .

- من يفعل والناس ٢٤ .

- أبا الفضل في اليّس ٣٦٢ .

— ٦٥٢ —

فهرس القوافي

- ولم أدخل الحمام يبوسى ٤٠٠ .
الاستاذون نذل خسيس ٣٦٨ .

— ش —

- بليت بما يطيش ٢٨١ .

— ص —

- يبيتون في خائصا ٢٧٠ .

— ض —

- إلى الله أشكو فرضا ٣٤٧ .

* * *

- وهل عائض مني وإن جل عائض ١٠٠ .

* * *

- ومصرف أنفاس كلب رايض ١٤٨ .
وما الحق إلى بمض ٢٩١ .

— ط —

- ولحبة كأنها القباطى ١٨٦ .

— ع —

- ماطار وقع ١٥٨ .

* * *

فهرس القوافي

البحثري يروم . . . مصراعا ٣٨٤ .

* * *

إذا قل . . . الأصابع ٣٤ .

ألم ترما . . . يرأ ويسمع ٤٧١ .

إذا المرء . . . المطامع ٣٤ .

ترى ودك . . . الصقيع ٤٥٩ .

* * *

أناس . . . مفضل ٣٠ .

كم من أسير . . . ضائع ١٨ .

لنا فيلسوف . . . بالبدائع ٥ .

— ف —

فيارب مظنون به الخير يخلف ٤٤٤ .

— ق —

زوجت أمك . . . القلق ٢٨٣ .

* * *

وإنما الشعر . . . حقا ٩ .

سبحان من . . . وموموقا ١٢٣ .

* * *

قال الغني . . . الشرق ٩٣ .

أرى الناس . . . متفرق ٢٧٦ .

إننا إذا . . . الورق ٣٥ .

— ٦٥٤ —

فهرس القواي

- بودي لويهي العذول ويمشق ١٨٤ .
 كل امرئ ولا سحق ٦ .
 شقيت بنو أسد حبل يشنق ٣٦٥ .
 وديوث يقال له وسوق ٢٢٩ .
 * * *

— ك —

- سيفيني غناك ٥١١ .

— ل —

- إن تقوى وعجل ٨ .
 خوفني منجم الحمل ١١٤ .
 * * *
- وإذا خطبت مختالا ٤١١ .
 إذا ما ابن عباس فضلا ٩٦ .
 فإن تمنوا أن تقولوا ٨٧ .
 والقائل القول الماحل ٤١٢ .
 فكيف مزحل ٥ .
 لو أن حيا ولا وكل ٣١٠ .

فهرس القوافي

- وليس حامل ٥ .
- للحسن ما يزول ٣٠٩ .
- كم حربة يطول ٣٧٤ .
- اصطلاح سبيل ٦ .
- سباك سبيل ٣٠٨ .
- أما الخلقاء جليل ٦٤ .
- ولا يستوى والبخيل ٣٧٩ .
- فحامة أعاقلة ٢٨٤ .
- إذا أسدى آكلة ٤٥٩ .
- وذى خلل قائله ٤١٢ .
- يستخبوا المال يخبلوا ٣٧١ .
- هنالك إن يفلو ٣٧٠ .
- يستخولوا المال يخولوا ٣٧١ .
- * * *
- فتى إن لا يبالي ٥٥ .
- أبلغ سليمان مال ٢٢٢ .
- بترحزون الإجلال ٤٣ .
- أعلي بالأموال ٤٣ .
- من عملي البزل ٢١٤ .
- ومدح يدعى حجة البطل ٤٥٢ .
- عدو لمولاه الفعل ٥٣ .

فهرس القوافي

- مهلاً فما من التنزيل ٣٩٩ .
لو كنت تمطي كل خليل ٥١٣ .
لا تلم إلى مثله ٢٥١ .

— م —

- يزدحم الناس كثير الزحام ٤٦٨ .
الناس أخيف بيت الأدم ٢١٢ .
فتي ينع الحرم ١٣٣ .
وإذا قلت من لا ونعم ٣٦٢ .

* * *

- فاسنا الدما ٥٨ .
لأرايت كرم الأصما ٥٢٨ .
وفي الصمت أن يتكلما ٤١٣ .
إذا أنا بالمعروف المذمما ٦٠ .
وكنف حاهما ٨٩ .

* * *

- فلستم الدم ٤٨ .
وإن لساني علقهم ٨٧ .
فتي يشتري تدوم ٥٠٠ .
ولم لا يشتري معلوم ٨٦ .
لأنه عن عظيم ٢٥١ .
ولم أر في التمام ١٥٢ .
يخبرنا ابن كبشة وهام ٣٨١ .

فهرس القوافي

- نعمه الله أقوام ٣١٥ .
 لقد عجمتي في العجم ١٢٨ .
 أعد خمسين لذي رحم ٥٤٩ .
 مالك موفور على المندم ٤٢١ .
 الحمد لله أخا كرم ٥٥٠
 أفضلته المكرم ٣٠٩ .
 علقتها عرضا بمنزعم ٤٣٦ .
 شئت على سلم على سلم ١٩٩ .
 وما خير بقاءم ٥ .
 صدق أليته قسَميه ٤٥٦ .

— ن —

- فتى نضاختان ٥٠٠ .
 لا تصحبين شاعرا بشمن ٧ .
 * * *
 ضيق العذر لكفانا ٥٥٠ .
 مالنا وغنانا ٥٥٠ .
 لئن كنت حيننا ٢٧٧ .
 وبني مثل وتمذرينا ٢٥٧ .
 * * *
 ألاب وهو ظنين ١٠٢ .
 * * *
 أفديك من دخان ٢٨٧ .

فهرس القواني

- وأي الناس منطلقَ اللسان ٤٦٢ .
 إني إذا أخفى بكل مكان ٤٥٤ .
 والحمد لا يشتري إلا بأثمان ٨٥ .
 كتبت تسأل حزن ١٠٣ .
 لا كنت أكن ١٠٣ .
 الجود والقول ولم تكن ٣٩٧ .
 تريد كان الضياون ٤٥٨ .
 أخو خمسين الشؤون ٤٧٠ .
 وأنت بالليل ابن سيرين ٢٩٣ .
 إن الذي يقبض يغني ٨٨ .

— ه —

- يا بن عباد خذها ١٧٤ .
 وعيرها الواشون عارها ٣٨٨ .
 وقاسمها بالله لشورها ٣٩٣ .
 فتي كان يملو قيلها ٤١٢ .
 إذا لم يكن تمنى انتقالها ٤٨٠ .
 كأن دما ملاً منها ٥٤ .
 مغرى بقذف أبنائها ٦٥ .
 ما زلت حيا ٤٦٩ .
 وعين الرضا المساويا ١٧ .
 لا يكون السرى مثل الضبي ٢٢٢ .
 شيخ لنا المردى ١٥٩ .

كلمات ذات دلالة خاصة

كلمات ذات دلالة خاصة

<p>البريد ٣٤٨ ، ٤٢٥ .</p> <p>بقرة بني إسرائيل ٤٤١ .</p> <p>البكم ٤٤٠ .</p> <p>البيان ٢٢٥ .</p> <p>بيت مال الصدقات ٤٨٨ .</p> <p>— ب —</p> <p>التأويل ٢٢٥ .</p> <p>التشيع ٢٩٥ .</p> <p>التفسير ٢٢٦ .</p> <p>التقليد ٢٢٦ .</p> <p>تكافؤ الأدلة ١٦٦ .</p> <p>التأثم ٤٤٠ .</p> <p>التوحيد ٩٨ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٦٩ ،</p> <p>١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٦٠ ،</p> <p>٣٤٢ ، ٤٧٥ .</p> <p>— ج —</p> <p>الجدام ٤٤٠ .</p> <p>جر الثقل ٣٤٤ ، ٣٤٥ .</p> <p>الجسم ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ .</p> <p>جمل jamshak ٤٩٠ .</p> <p>الجنون ٤٤٠ .</p> <p>الجواز ٢٢٦ .</p> <p>الجوزاء ٤٣٨ .</p> <p>الجوسق ٣٦٥ .</p>	<p>— أ —</p> <p>آيين الوزارة ١٨٨ .</p> <p>الإجماع ٢٢٦ .</p> <p>الأحرار ٣٢٧ .</p> <p>أدرة ٤٤٠ .</p> <p>الاستحسان ٢٢٦ .</p> <p>الاستطاعة ٣١٥ ، ٣٩٦ .</p> <p>الأسقف ٢٩٩ .</p> <p>الإسم ٢٢٥ .</p> <p>الأصل ٢٢٦ .</p> <p>الأصلح ١٢٢ ، ١٥٤ .</p> <p>الأصول الخمسة ١٩٦ .</p> <p>الاعتزال ١٥٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٤٧٤ .</p> <p>الاقتداء ٢٢٦ .</p> <p>الإلهيات ٣٤٥ .</p> <p>إمام الرافضة ٣٩٥ .</p> <p>إمامة المفضل ٣٠٩ .</p> <p>الأمر بالمعروف ١٩٦ ، ٤٧٥ .</p> <p>الأوائل ٣٤٢ .</p> <p>— ب —</p> <p>الباطن ٢٢٥ .</p> <p>البرل ٣٩٦ .</p> <p>البديع ٤٢٣ .</p> <p>البرهان ٢٢٥ .</p>
---	---

كلمات ذات دلالة خاصة

الزندقة ١٨٤ .	— ح —
— س —	الحال ٣٩٦ .
سفينة نوح ٤٤١ .	الحرف ٢٢٥ .
السكينة ٤٤٠ .	حرية الإرادة ١٧٤ .
— ش —	الحشو ١٦٧ ، ١٦٨ .
الشلل ٤٤٠ .	الحشوى ١٧١ .
الشعرى الغميصاء ٤٣٨ .	الحكم ٢٢٥ .
— ص —	الحكمة ٣٤٧ ، ٣٧٧ .
الصداع ٤٤٠ .	الحفية ٩٧ .
الصرع ٤٤٠ .	الحيل = (علم الحيل) : جراثيقيل .
صفات المعاني ١٥٣ .	— خ —
الصفات المعنوية ١٥٣ .	خركاه ٣٤٩ .
الصمم ٤٤٠ .	الخطار ٤٣٥ .
— ط —	— د —
الطبيعيات ٣٧٨ .	الدراري ٤٣٤ .
الطير الابايل ٤٤١ .	الدستنبوية ٤٩٣ .
— ظ —	الدليل ٢٢٤ .
الظاهر ٢٢٥ .	ديوان الانشاء ٥٣٥ .
الظلم ٢٥٥ .	ديوان الرسائل ٣٥٢ .
— ع —	— ر —
العامية ٥١٧ .	الرزق ٢٥٥ .
العترة ٤٧٤ .	الرقى ٤٤٠ .
العدل ٩٨ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٥٣ ، ١٦٨ .	الرياضيات ٣٤٥ .
١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٦٠ .	— ز —
٣٤٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ .	الزمانة ٤٤٠ .

- ٩٣ ٢ في الأصل : « إن الكريم » . وصواب الحاشية : « البيت في اللسان (قود) غير منسوب ، ودائم : ساكن ، والأقود من الرجال : الشديد العنق ، سمي بذلك لقلة التفاته ؛ ومنه قيل للبخیل على الزاد : أقود ؛ لأنه لا يتلفت عند الأكل ، لئلا يرى إنساناً فيحتاج أن يدعوه .
- ١٤٤ ١٠ سليمان بن مختار هذا ، رجل من أهل الموصل ، كانت له حلية عظيمة ؛ وهذه الأبيات قصة في الأغاني ١٤/٦٢ . وانظر. الأغاني أيضاً ١٦/٦٠ وما بعدها .
- ١٨٦ ٢ هكذا « ثلاثة » في الأصل . وقال ابن حجر في لسان الميزان ٦/٣٦٩ : « وقفت في تصانيفه (يعني أبا حيان) على تحريفات ، منها أنه جزم بزيادة « ثلاث » ، لكن لم ينفرد بذلك » .
- ٢٥٥ ٤ في « الهوامل » ٢١٢ : « وقال أبو سعيد الحصري بالشك » . وفي الإمتاع ٣/١٩٢ : « وكان من حذاق المتكلمين ببغداد ، وهو الذي تظاهر بالقول يتكافؤ الأدلة » . وصحف في الإمتاع إلى « الحصري » .
- ٢٦٥ ١ في لسان الميزان لابن حجر ٦/٣٦٩ : « ورأيت له (لأبي حيان » تحريفات . . . وقال في حديث : « ليّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » ، فزاد لفظة ظلم ، ولم ينفرد بها أيضاً » .

وهذه الزيادة التي عدّها ابن حجر تحريفاً ليست في نسختنا
كما ترى .

قال : ومن تعرف أيضاً ؟ قلت : سمعت الجمايي الحافظ
يقول : أبو حيان رجل صدق ، وهو يروي عن التابعين .
قال : ومن تعرف أيضاً ؟ قلت : روى الصولي .

« من قراك » . كنت قرأت « قراك » وفهمتها على معنى
« مخبرك » ، وحين مراجعتي للأصل المخطوط ، تبين لي أن
القراءة الصحيحة هي « فرارك » بالفاء ، ولا يخرج معناها عن
الذي كتبه في الحاشية .

